الدكتور رءوف عبيد
المحـــامى بالنقض
سابقا وكيل كلية الحقوق بجامعة عين شمس
ورئيس قسم القانون الجنائى بها

الجديد فى
التكوين الروحى وأسرار السلوك
(بعد التحول من السيكولوجي إلى الباراسيكولوجي)

الجزء الأول

« تمر العلوم الانسانية الآن بتحولات جذرية : ومنها علوم النفس ، والروح ، والنفس الجنائى ، والاجرام ، وفلسفة التشريع .... وموضوع هذا الكتاب هو شرح هذه التحولات وتأصيلها لأننا فى أشد الحاجة اليهـا لتطـوير علومنـا ، ولتخفيف آلامنا ، وكيما نعيش فى عصرنا مثلما يعيش غـيرنا » ....

١٩٨٢

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى

الدكتور رءوف عبيد
المحامى بالنقض
سابقا وكيل كلية الحقوق بجامعة عين شمس
ورئيس قسم القانون الجنائى بها

الجديد فى
التكوين الروحى وأسرار السلوك
(بعد التحول من السيكولوجى إلى الباراسيكولوجى)

« تمر العلوم الانسانية الآن بتحولات جذرية : ومنها علوم النفس ، والروح ، والنفس الجنائى ، والاجرام ، وفلسفة التشريع .... وموضوع هذا الكتاب هو شرح هذه التحولات وتأصيلها لأننا فى أشد الحاجة اليهـا لتطـوير علومنـا ، ولتخفيف آلامنا ، وكيما نعيش فى عصرنا مثلما يعيش غـيرنا » ....

١٩٨٢

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى

إهـداء

عزيزى القـارىء

يمثل الباراسيكولوجى فى العصر الراهن ــ باجماع آراء المطلعين ــ المدخل الصحيح الى جميع العلوم الطبيعية ، ومنها بوجه خاص : الفيزياء والبيولوجيا ، والانتروبولوجيا ، والفسيولوجيا ، والطب ....

كما يمثل المدخل الصحيح الى جميع العلوم الانسانية ومنها بوجه خاص : علوم النفس ، والروح ، والنفس الجنائى ، والاجرام ، وفلسفة التشريع ....

وهذا الجهد المتواضع عبارة عن مجرد نافذة مفتوحة على هـذا المدخل الصحيح للعلوم الحديثة المتطورة ، لنطل منها على آفاق متجددة من المعرفة ، ولينفذ منها ضوء النهار بالقدر اللازم للتعرف على حقيقة التكوين الروحى للانسان ، من ناحية صـلته بشتى أسرار السـلوك الانسانى للتمكن من تخفيف بعض آلام بنى البشر .

فهل نطل من هذه النـافذة أم نغلقها ؟ ! واذا آثرنا الاغلاق بحثا عن المزيد من النوم والاسترخاء فهل بمقدورنا أن نفرض نفس الموقف على العالم أجمع ؟ ! وأن نفرضـه أيضا على نواميس الطبيعة بما فيهـا ناموس التطور والارتقاء ؟ !

أدع لك أنت الاجابة أيها القارىء .. ولا أدعها لكل من يقـاوم كل محاولة لليقظة بعد النوم ، وللضوء بعد الظلام ، ولمعرفة الواقع بعد الأحلام والأوهام ، ولاطمئنان النفس بعد الأوجاع والأسقام ...

وفى النهاية فانى واثق بأن ندائى لليقظة ــ بعد أن طلع النهار ــ لن يكون أبدا صرخة فى واد ولا نفخة فى رماد ، لأنه من المحال أن نعيش كلنا فى واد بلا نوافـذ ولا أنوار ، أو أن تصبح عقولنا ــ وضـمائرنا أيضا ــ رمادا بلا جذوة نار ...

المؤلف

الجديد في
التكوين الروحي وأسرار السلوك

(بعد التحول من السيكولوجي الى الباراسيكولوجي)

* * *

مقدمة

تنوع مدارس تفسير السلوك

هناك بلا ريب العديد من التفسيرات التي تعطى لكل ظواهر السلوك الانساني ، والتي تحاول أن تعطي الغلبة في تفسيرها للعوامل المختلفة أيا كان نوعها في ظروف الفرد ، والأسرة ، والبيئة ، والتقاليد ، والمحيط الحضاري ، والانتماء السلالي والوراثي ... وذلك اعتمادا على المنهج المطلوب في البحث العلمي المرتبط بأساليب متنوعة ، وما يرتبط بها من مقارنات وتحليلات بين بيئة وأخرى ، وبين زمن وآخر ، وبين ظرف وآخر . الا أن هناك تفسيرا آخر للظواهر الانسانية يستحق وقفة كافية هنا وهو التفسير النفسي لها ، الذي تتبناه دائما المدرسة النفسية .

والمدرسة النفسية هي نفس مدرسة التحليل النفسي التي أخذت تتشعب منذ ظهورها الى عدة مدارس مسندة الى أعلام نفسيين متعددين لكنها كلها ترجح في توجيه السلوك الانساني دور العوامل النفسية متمثلة في الغرائز والانفعالات ، وتعطي للظواهر الانسانية تفسيرات محض نفسية شخصية ذات وثيق صلة بصور الشذوذ العقلي والنفسي ، والمركبات والعقد النفسية .

وفي الجملة فان هذه المدرسة تعطي للسلوك الاجرامي نفس التفسير الذي تعطيه للسلوك الانساني بوجه عام ، من ناحية وجود صراع دائم

بين الذات الدنيا والذات العليا ، وهو صراع تقوم فيه الأنا ego بدور محاولة التوفيق بين الرغبات المنبعثة عن شهوات الذات الدنيا ، وأوامر الذات العليا ونواهيها . فاذا نجحت فى التوفيق فانها تكيف سلوكها مع مطالب الحياة الاجتماعية وتعيش فى انسجام معها ، والا فان سلوك الانسان يصبح مضطربا وشاذا عن مقتضيات التكيف الاجتماعى ، وقد يتحول مع الوقت الى سلوك اجرامى صريح .

والذات العليا يعبر عنها بأوصاف عديدة منها Super-ego أو Super-conscious أو Subuluminal أى النفس المستورة . وهى تمثل الجانب المعنوى أو الروحى للطبيعة البشرية ، وفيها تكمن قوة كبح الغرائز والشهوات المتدفقة من الذات الدنيا . وهى التى تقوم بعملية التأنيب والنقد للأنا كلما تغلبت هذه الشهوات على ما يقدر العقل أنه يمثل السلوك السوى والملائم للقيم الاجتماعية والخلقية السديدة .

واذا كان علم النفس فى مفهومه التقليدى قد ظهر على يد العالم النمساوى سيجموند فرويد Sigmund Freud الا أنه سرعان ما ظهرت عدة مدارس نفسية متنوعة لكن ارتبطت به ارتباطا قويا أو ضعيفا بحسب الأحوال . وبالتالى فان المدارس النفسية فى تفسير السلوك الانسانى بوجه عام أصبحت متعددة ، وتثير مشكلات مختلفة مرتبطة بجوانب متعددة من محاولة تفسير هذا السلوك فضلا عن محاولة مواجهته بالأسلوب الذى يبدو لها مثاليا .

وهذه المشكلات بطبيعتها تتطلب التغلغل فى مباحث علم النفس العام ، بل علم النفس الجنائى أيضا . وهذا بالذات ما نريد أن نتحاشاه هنا ، ما دامت هى موضوع أكثر من علم آخر متشعب الأرجاء له خصائصه ومباحثه المميزة .

بل ان كل ما يلزم هنا هو القيام بجولة سريعة فى بعض الجوانب العامة للنفس الانسانية بمقدار اتصالها عن قرب بطائفة من الموضوعات

التى يعنى بها الباحثون فى الباراسيكولوجى وبالقدر اللازم للاحاطة العامة بمدلول التفسير الروحى للسلوك الانسانى ، وذلك فى ضوء أحدث ما تكشفت عنه الباراسيكولوجى من كشوف مفرطة فى خطورتها وفى لزومها لتكملة الدراسات التقليدية فى السيكولوجى وتصحيح العديد من أخطائها • بل أحيانا لتغيير مسارها تغييرا يتفاوت فى أبعاده وفى آثاره تفاوتا ضخما ، بقدر ما تكشفت عنه هذه الكشوف من تعديلات جذرية لمفاهيم العلم السائدة عن حقائق الوجود فى العديد من جوانب العلوم الانسانية والطبيعية ، وذلك فى سبيل الكشف الحقيقى عن أغوار النفس أو الفطرة الانسانية ، ويا لها من أغوار لا تنتهى أبدا ••••

* * *

ومتى تم الوصول الصحيح الى بعض أغوار النفس الانسانية فان مشكلات تفسير السلوك الانسانى بوجه عام — والاجرامى أو المضاد للمجتمع بوجه خاص — ستتراجع بالأقل فى بعض جوانبها وستظفر بأضواء باهرة هيهات أن تظفر بها عن أى طريق آخر • وعندئذ فقط سيقال ان علم النفس قد وقف فعلا على قدميه ، وابتدأ فى اللحاق بالتطور الخطير الذى حققته علوم المادة والطاقة •

وعندئذ فقط قد تحوز مدرسة التفسير النفسى للسلوك الاجرامى أسانيد جديدة أقوى من أسانيدها الحالية وأجدر منها بالدفاع عنها لأنها ستكون مزيجا مركبا من التفسيرات التى لا تزال تتنازعها كل المدارس لغاية الآن بخصوص السلوك الاجرامى •

بل قد تنجح أيضا فى اسناد مسئولية هذا السلوك بمعدلات أقرب الى الصدق من غيرها الى مصادرها الحقيقية موزعة بين التكوين النفسى، والبيولوجى والفسيولوجى ، والظروف الاجتماعية ••• وكافة العناصر — الفطرية والمكتسبة — التى تتفاعل معا كيما تنتج هذا السلوك المضاد للنواميس الطبيعية للأخلاق قبل أن يتضاد مع النواميس الوضعية التى يلزم الارتباط بها •

والموضوع بوجه عام مفرط فى تشعب أبحاثه وفى خطورة نتائجها واتصالها بأغوار النفس الانسانية فى كل خلجاتها الظاهرة والخفية • وهو يتصل بأبحاث علمى الاجرام والعقاب من زاوية واحدة ــ لكنها بالغة الخطورة ــ وهى زاوية التعرف على أحسن المناهج للكشف الصحيح عن أسرار السلوك الانسانى بوجه عام •

وهــذه الزاوية الخطيرة ستقتضى منى وقفة ضرورية وكافيــة ــ للكلام فى ظهور موضوع الباراسيكولوجى بوصفه امتدادا طبيعيا لموضوع السيكولوجى كما تركه لنــا فرويد ، فى اطاره الضيق المحدود المحاصر بالفلسفة المــادية للوجود على نحو أو آخر ، وفى موضع منه أو آخر •

واذا كان هناك تساؤل تصح اثارته هنا فهو : متى نصحو نحن من غفوتنا لتدارك ما فات ؟ وللاسهام بجهودنا وأبحاثنا الخاصــة فى مسيرة الركب العلمى ، وهى جهود تتجاوز فى نفعها كل قياس ، حتى وان كان فينا نفر ضخم لا يزال يقاوم بلا سند مقبول ، وبغير بحث ولا اطلاع ، لا تدفعه سوى نزعة كراهية كل أمر جديد Misonèisme ؟ !

وذلك رغم الخطورة المفرطة التى تكشفت عنهــا هــذه الأبحاث الحديثة ــ نوعا ــ على العلوم الانسانية ، والتى لا تدانيها أية أبحاث أخرى فى الكشف عن أغوار الانسان فى كل مناحى خلجاته وســكناته ، التى تختلج فى جنبات شعوره ولا شعوره ، وفى صحته ومرضه أيضا •••

التمييز بين السيكولوجى والباراسيكولوجى

ولذا فلا ينبغى أن نعتبر أن الباراسيكولوجى يعتبر محض امتداد للسيكولوجى ، بقــدر ما هو تحول له من منهج علمى الى منهج آخر جديد • ذلك لأن أبحاث الباراسيكولوجى لا تنتمى مثلا الى المدرسة النفسية فى الســلوك الانســانى العام أو الاجرامى ، كما لا تنتمى الى المدرسة البيولوجية ، أو الاجتماعية ، أو الفسيولوجية ••••

بل ان جميع هذه المدارس المختلفة أصبحت تنتمى فى منهجها العلمى الى أسلوب الباراسيكولوجى ، الذى يراد تطويره الآن الى أسلوب السيكوترونات على ما سيرد فيما بعد ، والذى تطور فعلا فى بعض المعاهد المعنية الى أسلوب آخر حديث هو دراسة الانسان بوجه عام ، ومن جميع جوانبه النفسية ، والفسيولوجية ، والبيولوجية ... فى آن واحد.

وعلى أن يقوم بدراسة كل جانب من هذه الجوانب طائفة أو أكثر من العلماء المتخصصين فى كل صنوف المعرفة حتى منها الطبيعيات والرياضيات ، لما ثبت من اتصال بعض جوانب هذه الدراسات بنشاط بعض مصادر الطاقة الخبيئة فى جسم الانسان ، ناهيك بمصادر الطاقة المتصلة بنشاطه الذهنى والروحى ...

وهذا ما يجرى الآن بالفعل فى معاهد عديدة منتشرة فى العالم الآن ، نذكر منها على سبيل المثال ثلاثة معاهد فقط وهى :

١ — « مؤسسة البحث فى طبيعة الانسان » Foundation for Research On the Nature of man التابعة لجامعة ديوك Duke بكارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية .

٢ — « المعهد البرازيلى لبحوث علم النفس الطبيعية البيولوجية » I.B.P.P. ومقره بمدينة ساوباولو بالبرازيل .

٣ — « مؤسسة البحث فى الآفاق الجديدة » The New Horizons Research Foundation بمدينة تورنتو Toronto بكندا .

فهذه المعاهد — وأمثالها كثير الآن — لا تعتمد فى دراسة الظواهر غير المألوفة على أسلوب الباراسيكولوجى وحده بقدر ما أصبحت تعتمد على أسلوب الدراسات الموسعة الشاملة التى لا تنتمى الى مدرسة معينة بالذات بقدر ما تنتمى اليها جميع المدارس العلمية بالمعنى المألوف. وهذا ما يضفى على نتائج دراستها قيمة خاصة ، بقدر ما يضفى على

مشكلة متابعتها مشقة خاصة ، بالنظر الى تشعب هذه الدراسات واتساع أبعادها الى مدى لعله يفوق كل تصوير أو تقدير ، خصوصا عند رغبة تقصى جميع الحقائق الحديثة التى وصلت اليها .

* * *

وأهم موضوع لنشاط هذه المعاهد — وغيرها كثير الآن — هو دراسة جميع الملكات غير المألوفة التى يحوزها بعض الأشخاص على أوسع نطاق ممكن ، وهى نفسها التى يطلق عليها أيضا وصف الملكات الروحية أو الوساطية .

ولا ريب أن بعض الملكات الوساطية لا يحتاج فى تحقيقه لأكثر من ورقة وقلم فى يد الوسيط كيما يدون نتائج الملكة أو الملكات التى يحوزها . ويمكن القول بأن أحسن النتائج التى سجلها الباحثون فى الظواهر الوساطية لم تتطلب أكثر من استخدام الورقة والقلم مع تحليل النتائج تحليلا هادئا ، بالاضافة الى تحليل شخصية الوسيط ، وتاريخه ، وحقيقة قدراته بالقدر الذى يقتضيه المقام ، والذى تتطلبه طائفة الظواهر التى قد تحدث فى حضوره .

ولكن هذا لا ينفى أن الأسلوب العلمى فى التحقيق كثيرا ما يتطلب — بالاضافة الى ذلك — استخدام أجهزة حديثة متنوعة لتسجيل الظواهر غير المألوفة تسجيلا صحيحا وبعيدا عن خداع الحواس ، أو مضاربات الاستنتاج المتسرع . وقد حدث فى هذا الشأن تطور ضخم ، خصوصا فى النصف القرن الأخير ، حيث قفز العلم قفزا سريعا الى ابتكار أجهزة حديثة لا تحصى مفرطة فى حساسيتها ، وفى قدرتها على تسجيل العديد من الأمور المتصلة بطريق مباشر أو غير مباشر بدراسة الظواهر المطلوب تحقيقها على منهج علمى ورياضى صحيح .

وأى انسان يزور أى معمل من معامل الباراسيكولوجى المتطورة سوف تأخذه الدهشة من اتساع أرجائه ، وتنوع الأجهزة وتعددها ،

وتعقيداتها ، وصعوبة استخدامها ، الى حد أنها تحتاج الى علماء متخصصين بكل معنى الكلمة ، على نحو أى تخصص دقيق آخر فى الفيزياء ، أو فى الرياضيات ، أو فى الكيمياء ، أو فى الميكانيكا ، أو الكهرباء ... وهذا ما لا يتسع له بطبيعة الحال المقام الحالى .

* * *

لكن لا ينبغى أن نغفل أبدا أن الوسيط الناجح أرفع من كل جهاز ابتكرته عقول العلماء ، فهو جهاز من صنع الطبيعة ، مفرط فى أبعاد أسراره وغموض ألغازه . بل يكاد يكون من المحال استكناه كل ملكاته الغامضة — بحسب تعريفها نفسه — استكناها كاملا وصحيحا .

وهذا مما يضاعف مشقة العاملين فى هذا الحقل ، خصوصا اذا ماراعينا مدى تنوع هذه الملكات الغامضة وتفاوتها تفاوتا ضخما بين وسيط وآخر ، الى حد أنها تكاد لا تتكرر أبدا على نفس المستوى وبنفس الصيغة عند أى وسيطين ، ولو كانا ينتميان الى مواهب قد تكون مشتركة بحسب ظاهرها ، لكن من المحال أن تتكرر بنفس حدودها ونطاقها عند اثنين من بنى البشر .

وذلك لأن كل الصفات ، والميول ، والنزعات — المكتسبة والفطرية — لا تتكرر أبدا ، كما لا تتكرر بصمات الأصابع عند اثنين من بنى البشر الا باحتمال واحد الى المليون ، فما بالك بسائر الخصائص المميزة للانسان سواء أكانت من خصائصه الفيزيقية ، أم العقلية والوجدانية وهى متنوعة تنوعا لا حدود له ؟ ! ...

ولذا كان كل وسيط يخضع للبحث والاختبار يمثل حالة فيزيقية ووجدانية قائمة بذاتها ، تحتاج الى بذل جهد خاص فى دراستها وتحليلها ، والى ابتكار وسائل خاصة ملائمة لملكاته ، بحثا عن التوصل الى المزيد من النتائج اليقينية فى شأن نطاق هذه الملكات ، ونوعها ، وحدودها .

وعن طريق تكرار الاختبارات ، ومقارنة النتائج ، وتجميع أكبر قدر من حصيلة هذه وتلك يمكن توسيع رقعة البحث لاستخلاص العنصر الثابت المستقر فيها ، وبالتالى تأسيس قواعد تصلح لأن تكون بمثابة معطيات ثابتة لشتى معارف الانسان المتصلة بتحقيقات هذه الظواهر . وتكاد كل معارف الانسان تكون متصلة بها ، خصوصا منها كل ما يتصل بالنفس ، والطب ، والبيولوجيا ، والفيزياء ، والفلسفة ، والأخلاق ...

لكن أهمها كلها وألزمها للانسان هى معطيات هذا العلم الناشىء وهو « علم الروح الحديث » الذى أخذ يقفز قفزا سريعا فى العصر الحاضر، فتبوأ مكانه اللائق به بوصفه «علم العلوم» بحسب الوصف الذى اعتمدته له صفوة الدارسين العلميين لهذه الظواهر ، المفرطة فى خطورتها ، وفى جدوى بحثها وتحليلها ، توصلا الى معرفة العديد من حقائق الوجود .

الهدف من هذا الكتاب

وحقائق الوجود هنا ليست بالمرة من الأمور الجزئية أو الثانوية . بل هى تمثل — بلا أدنى ريب — قضايا الوجود الكبرى التى تربط الانسان بالكون أولا ، كما تربطه باخوته فى المجتمع وفى الانسانية ثانيا ، وتربطه بوجدانه وسلوكه ثالثا .

وهذه القضايا لن أعتمد فى مواجهتها على مجرد افتراضات نظرية ، أو على حلول خلافية أو فرعية . بل اننى على العكس من ذلك قررت أن أستبعد تماما من اطار هذا البحث كل الأمور التى لا تزال محل خلاف فى الرأى ، أو اجتهاد فى البحث ، كيما يكون اعتمادى فى المقام الأول والأخير — على محض القضايا الكلية التى ثبتت فى نطاق العلم واستقرت تماما ، مثل ثبوت كروية الأرض وحركاتها . أو مثل ثبوت بعض نواميس الجاذبية ، والضوء ، والحرارة ، والطب والبيولوجيا وغيرها من النواميس التى اكتشفها العلم بمشقة بالغة ، واستقرت عليها الآن العديد من المفاهيم العلمية المستقرة التى لا ينازع فيها الآن الا الجهال ، أو أدعياء العلم أو الفلسفة وما أكثرهم فى كل زمان ومكان .

كذلك الشأن أيضا فى اطار الباراسيكولوجى، فقد رسخت لهذا العلم بعض معطيات ثابتة لم تعد — بعد — محل نقاش ، سـواء فيما يتعلق بثبوت العديد من عناصر الظواهر غير المـألوفة التى يعالجها ، أم فيما يتعلق بالنتائج الحتمية التى ترتب نفسها ترتيبا تلقائيا على ثبوت هـذه العناصر .

وهذا الثبوت لا يعتمد بالمرة على شهادة الحواس التى قد تخطىء وقد تصيب ، بمقدار ما يعتمـد على التكرار المضـطرد الثابت لعناصر الظاهرة موضوع البحث ، بعد توسيع رقعة هذا البحث الى أبعد مدى ممكن ، ومع الاسـتعانة فى كل خطوة من الخطوات بأجهـزة متطورة لا تحصى ، تملأ الآن معامل الباراسيكولوجى التى تملأ الآن كل أرجاء هذه الدنيا الواسعة ، التى يبدو أننا لا نعيش فيها ، بقدر ما نعيش فى دنيا الأحلام والأوهام ، وهى دنيا يعنى بها الباراسيكولوجى أيضا مثلما يعنى بدنيا الواقع — الحلو أو المر — التى لا نعرفها ! ! ..

وجوانب الباراسيكولوجى متعددة تعـددا أصبح يظهر تدريجيا وكأنه بلا حدود ، الى حد أن ظهرت فى نطاقه تخصصات متعددة لا تقل فى عددها ولا فى وقتها عن تخصصات الكيمياء أو الطب، أو الطبيعيات ، أو الهندسة ، أو العلوم ...

* * *

وما سيعنينا هنا بوجه خاص ليس هو مجرد التعرض للظواهر غير المـألوفة — التى يعنى بها الباراسيكولوجى — فى حد ذاتها ، لأن هـذا موضوع يطول شرحه، ولا تتسع له الآلاف من المؤلفات التى تسرد الوقائع فى حد ذاتها ، وتخضعها لأسـلوب التحليل المنطقى والعلمى والرياضى المـألوف فى دراسة جميع ظواهر الحياة التى يلزم أن تكون من بينهـا أهم هذه الظواهر كلها ، وهى ظواهر السلوك الانسانى فى كل صورها وجوانبها .

وانما سنعنى فى المؤلف الحالى بنتائج تحقيقات هـذه الظواهر فى جملتها ، وبتأصيلها الفلسفى ، لأن هـذا التأصيل هو الكفيل بالربط بين نتائج تحقيقات هذه الظواهر وبين سائر كتلة المعارف الانسانية التى تنتمى الى فروع شتى من المعرفة يستوى فى ذلك الفروع المتصلة بالعلوم الطبيعية : مثل الطبيعيات ، والطب ، والبيولوجيا ... مع تلك الفروع المتصلة بالعلوم الانسانية .

ودراسات الباراسيكولوجى متصلة ــ وثيق اتصال ــ بكل هـذه العلوم ، ولذا أصبح يطلق على الباراسيكولوجى فى البيئات المعنية به وصف « علم العلوم » . وهذا من شأنه أن يضاعف من مشـقة محاولة التعرف على سمات تفسـير بعض جوانب السـلوك الانسانى السوى والشاذ فى ضوء الطفرات الخطيرة التى جرت فى العـديد من الجامعات والمعاهد الأجنبية بعد التحول من السيكولوجى الى الباراسيكولوجى .

ولهذا الاعتبار الهام سيكون التركيز فى بحثنا هـذا على النتائج أكثر مما هو على المقدمات ، وعلى القضايا الكلية أكثر مما هو على الأمور الفرعية والجزئيات . وهذا التركيز سيجعلنا بحاجة الى الرجـوع الى منهج الأسلوب الفلسفى مجتمعا مع منهج الأسلوب العلمى ، ولكن مع محاولة الارتباط دائما بمنهج الفلسفة الوضعية لا النظرية .

فلا ينبغى فى هذا المقام أن ننسى أن جميع العـلوم المعاصرة تدين لمنهج الفلسفة الوضعية بكل شىء تقريبـا فى الوصول الى تلك الحقائق الخطيرة التى تكشفت عنها جهود العلماء الجادين ، بما فيهم أولئك العلماء العاملون فى حقل محاولة تفسير الظواهر الانسانية تفسيرا دقيقا ، وملتئما تماما مع معطيات سائر العلوم الأخرى الطبيعية ، وكلها تقفز الآن قفزات سريعة الى الأمام فى العديد من جوانبها .

تبويب

وهذه الجوانب تمثل بعض نقاط الارتكاز فى الطفرات الكبرى التى حدثت بفضل تغلغل نتائج أبحاث الباراسيكولوجى فى شتى أنحاء المعارف الانسانية ، وبوجه خاص ما يتصل منها بعلوم النفس ، والنفس الجنائى، والاجرام ، وفلسفة التشريع أيضا ...

ولست أزعم أن بمقدورى أن أعالج — فى مؤلف واحد مهما بلغ حجمه — جميع الطفرات الكبرى التى حدثت فى هذه العلوم كلها فى هذا النصف الثانى من القرن العشرين . وهى طفرات زعزعت الأسس القديمة نفسها لهذه العلوم فلم يبق منها سوى بعض أنقاض مبعثرة هنا وهناك فى صفحات المراجع البالية التى أصبحت قيمتها الآن فى ذمة التاريخ الذى تدور عجلته بلا توقف ، وبلا انتظار لرأينا فى دورانها .

لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله حسبما تقضى به القاعدة الحكيمة. لذا رأيت أن أقتصر فى هذا المؤلف على أهم الأسس التى تناولها التعديل، وأخطرها ، وألزمها لتطوير معارفنا المعاصرة عن الانســان ، وهى تلك المعارف التى تمثل فى مجموعها أخطر جوانب العلوم الانسانية . وذلك حسـبما أقدره من أهميتهـا بعد اطلاع مثابر فى هذه العـلوم ، وفى الباراسيكولوجى قبل غيره ، دام ما يقرب الآن من أربعين عاما .

وقد شد الاطلاع انتباهى — طوال هذه الأعوام التى تمثل زهرة العمر فى حياة أى انسان — لمـا لمسته عن قرب من أهمية هذه المعـارف المتزايدة ، وخطورتها النـامية التى سيلمسها بنفسـه — فيما أعتقد — كل مثقف يريد أن يتابع حركة التطور العلمى متابعة صادقة وصحيحة ، خصوصـا فى اطار تطور علم النفس وما يرتبط به من علوم انسـانية وطبيعية شتى .

وسعيا الى محاولة تحقيق هذا الهدف رأيت أن أوزع موضوعات هذا المؤلف على عشرة أبواب متتابعة على النحو الآتى :

الباب الأول : فى موقف السيكولوجى من تفسير السلوك الانسانى .

الباب الثانى : فى ظهور الباراسيكولوجى وتطوره .

الباب الثالث : فى الباراسيكولوجى فى طوره الراهن .

الباب الرابع : فى التكـوين الروحى بين السـيكولوجى والباراسيكولوجى .

الباب الخامس : فى العقـل والفطرة والأحـلام بين السيكولوجى والباراسيكولوجى .

الباب السادس : فى الارادة الانسـانية بين السـيكولوجى والباراسيكولوجى .

الباب السابع : فى سلوك الشواذ بين السيكولوجى والباراسيكولوجى .

الباب الثامن : الباراسيكولوجى يقتحم مشكلة «العودة للتجسد» .

الباب التاسع : بعض مشـكلات التطور واللاشـعور فى ضـوء « العودة للتجسد » .

الباب العاشر : تساؤلات هامة أخرى تثيرها « العودة للتجسد » .

وبعد الاطلاع على شتى أبواب هذا الكتاب سيلمس القارىء تماما مدى صحة هذه الحقيقة التى ينادى بها الآن جميع العاملـين فى حقـل الباراسـيكولوجى : وهى أنه قد أصـبح الـوارث الشرعى الوحيـد للسيكولوجى فى مفهومه التقليدى ، الذى أصـبح مجرد عقبة تقف فى طريق تطور العلم والفلسفة والاعتقاد . وهى عقبة تبحث الآن عمن يزيحها ، وقد تكفل بهذه الازاحة اتباع الأسلوب الوضعى فى دراسة التـكوين الروحى ، وأسرار السلوك لدى الانسان ، وهذا هو موضـوع هـذا الكتـاب .

وعلى الله قصـد السـبيل ،،

رؤوف عبيد

الباب الأول

فى موقف السيكولوجى
من أسرار السلوك الإنسانى

الفصل الأول

فى تشعب أسرار السلوك
وصعوبات استكشافها

تمهيد

اذا كان سلوك الانسان يتفاوت تفاوتا كبيرا بسبب تداخل عوامل عديدة لا يمكن أن يحيط بها حصر ، وتنتمى هذه العوامل الى نواميس طبيعية متنوعة بين بيولوجية وخلقية ، فانه يكون من الواضح عمق الصلة التى تربط بين سلوك الانسان بوجه عام وبين سائر العلوم الطبيعية وعلى رأسها علم النفس الذى يقع على القمة بين سائر العلوم التى تحاول تفسير السلوك الانسانى بوجه عام .

وتعدد العوامل المحركة للسلوك الانسانى تعددا لاحصر له يبرر مدى صحة ما كان ينادى به أوجست كونت Auguste Comte (١٧٩٩ — ١٨٥٧) العالم الرياضى والفيلسوف ، وامام المذهب الوضعى من أن الظواهر الاجتماعية « وان كانت لا تعلل فقط بأسباب طبيعية ، بما أنها تحدث بارادة الانسان ، الا أن لها مع ذلك بهذه الأسباب روابط ثابتة . وأنه اذا أريد أن تبنى العلوم الاجتماعية على أساس متين فانه يجب تدعيمها بالعلوم الطبيعية ، أى بالعلوم التى تدرس طبيعية الانسان والعالم المادى .

الذى يبذل فيه نشاطه . فكما أن العلوم الطبيعية قد تكونت بفضل الطرق والأساليب القياسية ، التى تستبعد التصورات الخيالية والافكار النظرية التىعاش عليها العقل البشرى زمنا طويلا ، كذلك لا يمكن تقديرالنجاح للعلوم الاجتماعية الا اذا طبقت فى دراستها طرق المشاهدة والاستنتاج العلمى .

وقد نتجت عن هذا فكرتان لتطبيقهما أثر عظيم فى تجديد معارف الانسان ، وهما ضرورة استناد العلوم الاجتماعية الى العلوم الطبيعية ، وأهمية تطبيق طريقة المشاهدة والملاحظة على دراستها . وما كان للقانون الجنائى أن يتخلص من تأثير هاتين الفكرتين ، بل طبقت فيه منذ عهد قريب طريقة المشاهدة على دراسة الجرائم والعقوبات .

وقد دل الاختبار على أن وقائع العالم المادى مرتبط بعضها ببعض بقوانين لا تقبل التغيير سواء فى ذلك عالم الأجسام الحية من حيوان ونبات أم عالم الأجسام غير الحية . وبعبارة أخرى لابد أن تكون هناك رابطة بين كل ظاهرة طبيعية والظروف التى تحدث فيها . وقد جرى البحث فيما اذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بالوقائع الاجتماعية . وكان الاعتقاد السائد فيما مضى أن هناك فرقا بين الوقائع الطبيعية والوقائع الاجتماعية من هذه الوجهة ، لأن الانسان ، وهو العامل الأساسى فى الوقائع الاجتماعية ، يتمتع بالحرية فى أعماله ، ومن ثم تكون هذه الوقائع نتيجة التحكم والصدفة .

ولكن هذه الآراء قد طرأ عليها الآن تغيير جوهرى ، فقد دلت المشاهدات والأبحاث العديدة على أن الوقائع الاجتماعية مرتبطة هى أيضا بروابط ثابتة وخاضعة لنواميس تحدد نظام تتابعها أو اقتران بعضها بالبعض الآخر . وأصبح من المقرر الآن أن الجريمة لا تظهر فى عالم الوجود كعمل يرتكبه الجانى من تلقاء نفسه نتيجة فساد شخصى فى أخلاقه ، ولا صلة له بطبيعة الشخص والوسط الذى يعيش فيه ، بل كل شىء يدل بالعكس على ارتباط هذا العمل بصفات الجانى وعلى تأثير الوسط فى

حدوثه . فتكفى ملاحظة الوقائع اليومية للاقتناع بأن هناك شيئا من التطابق بين طريقة سلوك الشخص وتكوين أعضائه ، وتكفى ملاحظة الحوادث اليومية أيضا للعلم بأن أشخاصا من تكوين واحد يجوز أن يختلف سلوكهم اذا كانوا خاضعين لتأثير أوساط مختلفة .

فيجب اذن فى تقدير الاجرام ، كما يجب فى تقدير كل ظاهرة اجتماعية ، أن يقام وزن لعاملين : الشخص والوسط . على آن هذا الأسلوب بسيط من أساليب التحليل ، اذ الحقيقة أن الظواهر الاجتماعية هى مسائل مركبة معقدة ، وأن القوانين التى تسيرها لا يمكن تعيينها الا بملاحظة الأشخاص والطوائف كل منهم على حدة . ومقارنة هذين الطرفين الواحد بالآخر واستخراج بعض وقائع عامة من هذه المقارنة تحدث وتتجدد بانتظام ، وتسمح باستنباط بعض قوانين عامة من بين الأعمال الشخصية .

ولما كانت الجريمة عملا اجتماعيا يرتكبه الفرد ، فقد وجبت دراسة الجريمة لا من الوجهة النظرية كما كانوا يفعلون من قبل ، بل من الوجهة العملية ببحث طبيعة شخص المجرم مباشرة ، ومقارنة النتائج التى يؤدى اليها هذا البحث بالنتائج التى يؤدى اليها بحث الأشخاص العاديين وبحث المعتوهين . وهذا هو الاتجاه الذى يوجه اليه العلماء جهودهم الآن ، اذ يقومون يوميا بمشاهدات دقيقة فيلاحظون صفات المجرمين الطبيعية والعقلية والخلقية ويدونون كل ذلك فى مذكرات ، ثم يقومون بجمع النتائج التى يحصلون عليها بهذه الطريقة ، ويصلون بذلك الى تسطير ما يسمى بعلم طبائع الجناة Anthropologie Criminelle (١).

وموضوعات الأنتروبولوجيا الجنائية (أو علم الانسان الجنائى) تمثل مقدمة علم الاجرام . لأنها تتناول بحث المجرم من جميع نواحيه النفسية والعضوية ، وفى الجملة مدى تأثر شخصيته بظروفه الموروثة

---

(١) عن « الموسوعة الجنائية » ج ٥ ص ٤٤٨ — ٤٥٠ .

والمكتسبة ، وهى تتضمن على هذا النحو علم المورفولوجيا Morfologie الذى يعنى بدراسة الملامح الخارجية الشكلية للمجرم . كما تتضمن فى نفس الوقت موضوعات علم النفس الجنائى الذى يعنى بدراسة الدوافع النفسية للجريمة ، وعلم الاجتماع الجنائى Sociologie Criminelle الذى يعنى بدراسة الدوافع الاجتماعية لها . وكلها علوم طبيعية ليست من نصوص التشريع الوضعى فى شىء ، وان كان لها أن توجه سياسة التشريع بمقدار نجاحها فى الارتباط بالحقائق الواقعية البعيدة عن الافتراضات النظرية .

الانسان « مجموعة متوحدة »

وهذه العلوم كلها مترابطة فى محاولة تفهم السلوك الاجرامى الذى يمثل جانبا واحدا من السلوك الانسانى ، هو ذلك الذى اصطلح على تسميته بالسلوك المضاد للمجتمع ، وبالتالى فى تفهم الانسان الذى ينبغى أن يكون المحور الأول لكل دراسة جادة تسعى الى خدمته . وفى هذا الشأن يلاحظ ب . ديتوليو B. Di Tullio « أنه لفهم ظاهرة الجريمة من الضرورى أن نبدأ بدراسة الانسان ، وأن نضع هذه الظاهرة فى وسط جميع الدراسات وجميع التحقيقات ، كما فعل الانسان فى العصر الحاضر فى قطاع العلوم الطبيعية والفلسفة . وان المرء ليلاحظ فى الواقع حاجة متزايدة لوضع الانسان فى وسط جميع الدراسات والتحقيقات ، وهذا أمر طيب جدا ، لأنه اذا أراد المرء أن يقيم مقارنة ما فعليه أن يقدر أن التقدم الذى أحرزته العلوم البيولوجية ـ النفسية أدنى بكثير من التقدم الذى أحرزته العلوم الطبيعية .

وبالتالى فانه من الضرورى استبعاد هذا السبب من عدم التوازن الضار ، واعادة نوع من التناسق بين تقدم العلوم للصالح الأسمى للحضارة . والانسان منذ القدم وجه اهتمامه الى العالم الخارجى ، ومن ثم أهمل على الدوام ما كان ينبغى أن يعطيه بنفسه معرفة أوفى من غيرها .

وان من الأمور التى يتفق الناس على الاقرار المتزايد بهـا أن كل علم له رسالة أساسية ، وهى تحسين الكائن الانسانى فى جانبيه الجثمانى والروحى لأنه عن طريق تحسين الانسان فحسب يمكن أن يؤمل المرء فى أن تتحسن الانسانية . وفى قطاع علم الاجرام من المعترف به بوجه عام أن الكائن الانسانى يمثل الخلية المكونة للمجتمع ، وأن من رسالة المجتمع أن يدافع عن نفسه ازاء كل ما يمكنه أن يؤثر فيه فى اتجـاه التشويه ، والانحلال ، والمرض منذ نشأته ، وخلال كل أوجه تطوره ، وبعد نهاية وجوده .

وان رسالة خطيرة كهذه لا يمكن الاحساس بها الا على وجه عميق لدى كل من يستدعى للاهتمـام بالمساعدة ، وبالحمـاية ، وبالتعليم ، وبالدفاع عن الكائن الانسانى فى كل احتياجاته الفسيولوجية ، ومطالبه التعليمية ، وباقامة مجموعة قواعد متعلقة بحقوقه وواجباته فى نظر شامل وموحد للوجود الانسانى ، سـواء من زاويته المـادية أم من زاويته الروحية .

ولهذا السبب يلتقى الآن علماء البيولوجيا والفلسفة بصورة متزايدة عند الاقرار بضرورة اعتبار الكائن الانسانى مجموعة متوحدة ensemble unitaire . فبقدر ما ينبغى على الفلاسفة الاقرار بأنه لا ينبغى الحديث الا عن الجسد المزوّد بالحياة ، وعن الروح المتجسدة ، بقدر ما ينبغى على علمـاء البيولوجيا الاقرار بأن سلخ العلم عن الفلسفة معناه تفريغ العلم من جوهره ، وجعل الفلسفة زائفة .

وان فكرة كهذه تعنى عالم البيولوجيا ، بقدر ما تعنى الفيلسـوف والطبيب والأستاذ . أى أنها تعنى كل انسان تستدعيه ظروفه للدفاع عن الوجود المـادى والأدبى للانسان ، وأيضا للدفاع عن رخاء الانسـان والمجتمع . وان التفكير بأن الكائن الانسانى مجموعة متوحدة من الجسد والروح ، تكون جوهرا متوحدا ، يمكن لكل متخصص أن يحقق مزية

للوصول الى حل فعال لكل تلك المشكلات الانسانية والاجتماعية القائمة على وجهات نظر تنظر للأمور من طرف واحد ، وبالتالى عديمة الجدوى .

ومن ثم فانه بسبب تعذر اشباع نظرية مادية خالصة ، أو روحية خالصة للحياة — مادام الانسان يمثل مجموعة متوحدة — يبدو من الواضح أنه بقدر ما ينبغى على عالم البيولوجيا أن يحاول اخضاع الجانب الحقيقى للكائن الانسانى بقدر ما ينبغى على الطبيب الاقرار بأنه عندما يعالج الجسد يعالج الروح ، وعندما يعالج الروح يعالج الجسد أيضا .

ومن هنا يجىء مصدر هذه العلوم الجديدة النامية التى تحمل أسماء « الطب التكوينى » médécine constitutionalistique وعلم النماذج الحيوية » biotypologie و « الطب النفسى » médécine psychologique و « الطب النفسى العضوى » médécine psychosomatique ، ومصدر تطبيقاتها النامية دواما فى قطاع « الطب الوقائى والاجتماعى » ، وكذلك تجىء كل صور النشاط الصحية والمرضية التى تميل الى تحسين الشخصية الانسانية والحياة الاجتماعية » (1) .

عن دور السيكولوجى

وعلى أية حال فان المدرسة النفسية فى السلوك الاجرامى لعبت دورا هاما فى تطوير أساليب مواجهة هذا السلوك اذ أنه يرجع اليها الفضل فى الكشف عن أن الدوافع الأساسية للاجرام مستترة ومدفونة فى اللاشعور ويمكن الكشف عنها بالتحليل النفسى خصوصا اذا كان مصدر هذه الدوافع توافر مرض عقلى أو عصبى يؤثر فى عقل الانسان ، أو فى ارادته ، أو فى اتزان سلوكه . وهو جانب كان غائبا تماما أو جزئيا — عن كل ما سبقها من مدارس .

---

(1) B. Di Tullio : Manuel d'Anthropologie Criminelle. Trad. fr. par V. V. Stanciu 1951 pp. 40-42.

ولذلك يمكن القول بأنها قدمت للعلم نتائج ذات قيمة خاصة فى تعليل ارتكاب جرائم كثيرة . وأيضا فى أسلوب مواجهتها بسبيل آخر غير سبيل العقاب ، أو التدبير الاحترازى ، وهو سبيل العلاج المستمد من منهج التحليل النفسى كما ابتدعه سيجموند فرويد . وهذه الأمراض العقلية والعصبية تتفاعل حتما مع العوامل الفطرية ، والعوامل المكتسبة من البيئة .

وبالتالى فلابد من الاعتراف للاتجاه النفسى عموما بأنه جمع بين العوامل الفطرية والعوامل الاجتماعية المكتسبة فى تحليل السلوك الاجرامى فوضع بذلك لبنة الاتجاه السليم فى تفسير السلوك الاجرامى من حيث وجوب اقامته على عوامل متعددة .

وفيما يتعلق — بالأقل — بصدد تفسير الظاهرة الاجرامية فلا ريب أن هنالك عوامل أخرى لها صلة وثيقة بالسلوك الاجرامى . ويرى أنصار المدرسة الاجتماعية الخالصة أو الطبيعية الخالصة أنها تتجاوز فى خطورتها دور العوامل النفسية ، فى قوة تأثيرها ، وأن محض التحليل النفسى لا يصلح لمواجهة هذه الظاهرة نفسها .

ولكن لا ريب فى أن المدرسة النفسية لعبت — ولا تزال تلعب — دورا أساسيا فى تفسير السلوك الاجرامى وتخطت — ولا تزال تتخطى — غالبية أوجه النقد التى وجهت اليها من أنصار المدرسة الاجتماعية الخالصة ، أو الطبيعية الخالصة ، سواء بحق أم بغير حق .

ومن ذلك النقد الذى مقتضاه أنها لم تفلح فى وضع نظرية عامة للاجرام ، لأنه كثيرا ما يعانى بعض أشخاص من صراع نفسى بين مكونات الشخصية ، ولا يلجأون الى سلوك السبيل الاجرامى .

ذلك لأن تعليل بعض أنواع السلوك الاجرامى بوجود صراع نفسى دفين بين مكونات شخصيات جانب ضخم من الأفراد ليس مؤداه أبدا أن

كل صراع نفسى يجب أن ينتهى بالضرورة الى سلوك اجرامى ، ولا أن كل سلوك اجرامى يجب أن يبدأ باندلاع صراع نفسى بين مكونات الشخصية عند الجانى •

بل يكفى التسليم بأن للصراع النفسى ـ سواء كان ظاهرا أم خفيا، وسواء أكان ضعيفا أم قويا ـ دوره المحقق أو المحتمل فى توجيه سلوك الانسان الى الجريمة فى حالات عديدة ، كيما يظهر فضل هذه المدرسة فى تفسير هذا السلوك ـ ومواجهته أيضا ـ حتى ولو توافرت الى جانب الصراع النفسى عدة عوامل أخرى سواء أكانت داخلية مثل الدوافع العادية غير المرضية ، أم خارجية من نوع تلك الدوافع التى تعطيها المدارس الأخرى قيمة خاصة فى تفسير هذا السلوك ، وبوجه خاص المدرستان الاجتماعية والطبيعية •

ولكن لعل المدرسة التى تنافس المدرسة النفسية منافسة حقيقية ، وتحاول أن تنزلها عن عرشها هى المدرسة الاجتماعية ، التى تصور الجريمة بوصفها ظاهرة اجتماعية خارجية أكثر منها ظاهرة نفسية داخلية ، ولعل سندها الأول هو ما ثبت تماما من قابلية الانسان للتكيف مع المجتمع ، لأنه بحسب تعريفه كائن اجتماعى بالفطرة •

وفى الواقع يتعذر فى الدراسات النفسية للسلوك الاجرامى اهدار العوامل الاجتماعية اهدارا تاما لوجود قدر ما من التفاعل الدائم بين العوامل النفسية والاجتماعية • فقد تبين فى بعض الحالات أن الشخص ذا الميل الاجرامى الحقيقى ـ خصوصا اذا كان موروثا وقويا ـ قد يسعى مختارا الى وضع نفسه فى ظروف قد تولد السلوك الاجرامى الذى ينزع اليه بسبب مركبات وعقد نفسية ، أو بسبب أمراض عصبية أو عقلية •

* * *

والأصل فى المدرسة النفسية الصرف هواتباع المنهج النفسى الشخصى فى تفسير السلوك الاجرامى ، الا أن ثمة اتجاها اجتماعيا يربط بين المنهج الموضوعى القائم على أساليب الاحصاء والمنهج الاجتماعى ، والمنهج الشخصى القائم على دراسة الفرد بالأسلوب المألوف فى علم التحليل النفسى والقائم على المشاهدة والتجربة والتحليل بغية الوصول الى معرفة نفسية الفرد باعتباره فى النهاية يمثل موضوع البحث والهدف الحقيقى منه .

وباعتبار أن الفرد يؤثر حتما فى الظروف الاجتماعية ويتأثر بها ، وهو من هذه الناحية يختلف عن سائر الظواهر الطبيعية المادية من ناحية التفاعل المستمر بينه وبين أسرته ، وبيئته ، ومهنته ، وبينه وبين نفسه . ومن ثم يستحيل الفصل بين الفرد وبين ظروفه الخارجية فى أية دراسة جادة عن ظاهرة الجريمة ، وهى ظاهرة فردية بمقدار ما هى ظاهرة اجتماعية .

وعن طريق هذا الربط بين الفرد والمجتمع نشأت عدة اتجاهات فى تفسير ظاهرة الجريمة لا تغفل دور العوامل الخارجية التى تتمثل فى الظروف البيئية لكنها تبرز فى نفس الوقت دور العوامل الداخلية التى تتمثل فى الدوافع والنزعات المتصلة بأعمق أغوار النفس .

ومن أنصار هذا الاتجاه الاجتماعى ـ النفسى رايس Reiss الذى يرى أن المصادر الأساسية للضبط الذاتى تستمد من الضبط الاجتماعى ، ومن النظم الاجتماعية ، وفى نفس الوقت من الضبط الذاتى للشخص عن طريق الأنا العليا .

كما يرى مارتن جولد Martin Gold أن الفرد لا يمثل سوى كائن فى نطاق حركى تجوبه القوى المختلفة ، وأن سلوكه يمثل نتائج حركة التقارب والتباعد لأهدافه التى يريد تحقيقها ، وأن سلوكه المنحرف يمثل صورة للقوى الداخلية التى تتمثل فى دوافعه الخاصة ، وللقوى الخارجية

التى تتمثل فى الضغوط الاجتماعية التى تكيف نشاطه وهو يسعى الى تحقيق أهدافه ، فتساعدها أو تحد منها (١) .

موقف مدرسة فرويد بوجه عام

ولد سيجموند فرويد Sigmund Freud العالم النمساوى المعروف فى سنة ١٨٥٦ . وكان طبيبا بشريا ، لكنه عنى بدراسة ظواهر النفس البشرية الى المدى الذى اقتضاه أن يسافر الى باريس للاتصال بالدكتور شاركو Charcot مدير مستشفى السالبترير Salpetrière بباريس . وكان قد ذاع صيته فى أوروبا فى الأمراض النفسية خصوصا فى الهستريا والتنويم المغناطيسى كوسيلة لتشخيصها وعلاجها بعد أن كان البعض يعالجها باستئصال الرحم أو المبيضين ! !

ثم عاد الى فيينا واتصل بعالم آخر من أعلام النفس فى ذلك الحين وهو بريور Breur وتعاونا معا لفترة من الوقت فى حقل العلاج النفسى، ثم دب الخلاف بينهما فانفصل كل منهما عن الآخر .

وفى عام ١٨٩٥ ألقى فرويد أولى محاضراته عن بحوثه التى قدر لها أن تكون بشيرا بميلاد التحليل النفسى . ثم تبعه ثلاثة من الأطباء : هم آدلر ، وشتيكل ، وسادجر .

وفى عام ١٩٠٠ أخذ العالم السويسرى كارل يونج Karl Jung يستخدم منهج فرويد فى التحليل النفسى فى عيادته النفسية فى زيوريخ بسويسرا Zurick . وبعد ثمانية أعوام ، وبناء على دعوة من يونج انعقد أول مؤتمر لمدرسة المعالجين النفسيين ، فى سالزبورج بالنمسا .

وكان يونج قد بدأ منذ مستهل حياته يعنى بدراسة الظواهر غير

(١) Martin Gold : Status Forces in Delinquent Boy in Ann Arbor. Univer. Michigan 1968 P. 35.
Field Theory in Social Science. New York 1951.

المألوفة أو تلك التى يطلق عليها أحيانا الظواهر الوساطية ووضع فيها رسالته للحصول على الدكتوراه • واقتنع بدلالتها الحتمية فى استقلال الوعى عن المخ وخلود النفس • فأسس للتحليل النفسى مدرسة جديدة قائمة بذاتها استقلت فى العديد من جوانبها عن مدرسة فرويد تسمى مدرسة علم النفس التحليلى Analytical Psychology (١) •

وانما يعنينا فى المقام الحالى أن نقصر الحديث على فرويد وحده ، لأنه لايزال صاحب أكبر سمعة فى المدرسة التقليدية فى التحليل النفسى ، ولا يزال معتبرا فى نظر الدارسين — رغم مضى أكثر من أربعين عاما على وفاته (اذ توفى فى سنة ١٩٣٩) — واضع حجر الأساس فى علم النفس الحديث لأنه ارتاد ببراعة كبرى العديد من مجاهل اللاشعور • وكشف عن الكثير من ألغاز المركبات النفسية ومصادر الأمراض العصبية التى قديمكن التوصل اليها بأسلوب التحليل النفسى الذى يعتبر أيضا من أهم ابتكاراته •

وللوصول الى هذا الهدف الشاق بل العسير عنى فرويد بتحليل النفس الى عناصرها الأولى بحسب تقديره الخاص فرأى أنها تحتوى على ثلاثة جوانب ، أطلق على كل عنصر منها اسما خاصا •

فأطلق فرويد على الشق الشهوانى من الذات الانسانية اسم الاد Id وهى كلمة لاتينية تشير الى ضمير الفرد الغائب لغير العاقل •

وأطلق على الشق المعنوى من هذه الذات وصف « الأنا العليا » Super-ego ، وهى تمثل مجموع العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية

---

(١) يكفى هنا أن نبادر الى القول بأن يونج لم يقتنع بأن مفهوم الليبيدوجنسى أساسا ، كما افترض أن ثمة مستودعا ضخما لطاقة عامة غير متمايزة تنبثق منها القوى الدافعة للانسان فى حياته . وأعطى يونج قيمة خاصة لطبيعة الانطواء والانبساط . فالليبيدو عند الانبساطيين يتجه الى الخارج ، وهم يستجيبون موضوعيا للعالم الواقعى . أما عند الانطوائيين فيرتد الليبيدو الى الداخل نحو حقائق ذاتية ويميلون الى التحليق فى عالم من الخيالات . ولنا عودة الى بعض آراء يونج فى مواضع متفرقة فيما بعد .

للجماعة متمركزة فى داخل الشخصية الانسانية • وهى تنتقل الى الطفل أساسا عن طريق التربية فى الصغر •

وهذه الأنا العليا تختلف ـ على هذا النحو ـ بوضوح عن « الذات الحسية أو العادية » ego التى قوامها الصور والرغبات الحسية السوية التى تنعكس على الذات من ظروف حياتها المختلفة •

وهذه الأنا الحسية أو العادية تنشأ وتنمو عن طريق « الأنا اللاشعورية » وذلك عن طريق التنظيم الدقيق للأنا الشعورية • ولذا فان هذه الأنا الحسية تتكون من عناصر شعورية وأخرى لا شعورية •

وهذه الأوصاف الثلاثة يعبر كل منها عن جانب واحد فحسب من الطبيعة الانسانية ، وهى جوانب الشهوة ، والحس ، والمعنى • وتنظر مدرسة فرويد الى كل جانب منها بوصفه يمثل وحدة أو مجموعة من الخصائص النفسية مستقلة بذاتها عما عداها • فهى تشبه شخصيات متنوعة لكنها كلها منبثقة عن المجموعة الذاتية الكبرى التى تكون ماتطلق عليه وصف « الشخصية الانسانية » •

وتنيجة تعدد جوانب الشخصية الانسانية بين جانب للشهوة ، وآخر للحس ، وثالث للمعنى ينشب صراع دائب فى داخل الذات بين شهواتها ، وأحاسيسها ، ومفاهيمها المعنوية المرتبطة بمثلها العليا والتى يطلق عليها فى اللغة الدارجة وصف الضمير •

وللتوفيق بين خلجات هذه وتلك يلتزم الانسان بواجب الاعلاء أو التصعيد Sublimation • وهو ضرورة لا غنى عنها كيما تواجه الذات فى كفاحها الجبهات الثلاث التى أمامها وهى النفس ، والضمير ، والمجتمع • وعن طريق التصعيد أو الاعلاء قد تحقق الذات بعض راحتها واطمئنانها • وهى أمنية كثيرا ما تكون صعبة المنال لأنها متوقفة على

قدرة الأنا على تصعيد ميولها وشهواتها الغريزية ، وهى قدرة محــدودة جدا ومحكومة بعوامل عديدة •

ويقول الدكتور حسن الساعاتى « والواقع ان الاعلاء الذى يتحدث عنــه فرويد ويقبله فروم فى شيء من التحفظ أصبح متعــذرا فى الحياة الاجتماعية المعقدة المقلقة العنيفة التى أصبحت المحافظة فيهـا على تقاليد لائقة بالانسان أمرا شاقا تستنفذ كل تدبير الفرد وحيلته •

فأصبح من الضرورى اذن تخفيف حدة الاخماد ، وبخاصة بعد أن وضح انحراف الناس عامة وخروجهم على القــانون أو غيره من الضوابط الأخرى فى المجتمع المعقــد ، وتعــذر على الدولة تنفيذ قوانين متخلفة لا تســاير روح العصر ، وما شاع بين أفراد هــذا المجتمع من مفاهيم جديدة فيما يتعلق بالملكية والآداب العامة ، وبخاصة المسائل الجنسية ، بعد أن أصبح الشباب من الجنسين يتزوجون فى سن متأخرة ، وبعــد مساواة المرأة بالرجل » [1] •

وهذه المشكلة وثيقة اتصال بمشكلات أخرى هامة منها بوجه خاص تفســير فرويد للعــديد من الأمراض النفسية مثل القلق ، والاكتئاب ، وانفصام الشخصية ، ••• وغيرها من صور الشذوذ النفسى أو العصبى بأنها من آثار الكبت أو الاخماد الجنسى • بالاضافة الى صلتها ببعض الجوانب الفسيولوجية ، والبيولوجية ، والاجتماعية للســلوك الانسانى بوجه عام •

فرويد يعدل عن بعض آرائه

ولعل لهذه الأسباب ــ ولغيرها أيضا ــ أخذ فرويد نفسه يستبين قصور آرائه عن مواجهة العديد من الحالات التى عرضــت عليه ، من

---

(١) فى بحث له عنوانه « التحليل الاجتماعى للشخصية » فى « المجلة الجنائية القومية » مجلد ١ عدد ١ مارس ١٩٥٨ صفحة ٨٠ ــ ٨١ .

ناحية التعليل أو العلاج • وبالتالى فقد « اتضح لفرويد فيما بعد أن آراءه السابقة فى الجهاز النفسى غير دقيقة ، وأنها فى حاجة الى تعديل • فقد كان يرى مثلا أن الأنا هو الذى يقوم بعملية الكبت التى تمنع بعض نزعات العقل من الظهور فى الشعور ، وهو الذى يقوم أيضا بالمقاومة التى تظهر أثناء التحليل •

وقد لاحظ فرويد أيضا أن هذه المقاومة التى تصدر عن الأنا انما هى فى الأغلب لا شعورية • وذلك لأن المريض لا يكون عادة متنبها اليها أو شاعرا بها ، بل انه اذا ووجه بها أنكرها • وحتى اذا بدأ يشعر بها فهو لا يستطيع أن يعرف ما هى وما مصدرها • وبما أن هذه المقاومة تصدر عن الأنا فقد رأى فرويد نفسه مضطرا الى أن يستنتج وجود جزء لا شعورى فى الأنا •

فانتهى فرويد الى ضرورة تعديل آرائه السابقة فى تركيب الجهاز النفسى • وقد احتفظ فى هذا التعديل بالقول بوجود الكيفيات العقلية الثلاث التى سبق أن قال بها وهى « الشعور » و « قبل الشعور » و « اللاشعور » • ولكنه عدل نظريته الطوبوغرافية فقال بأقسام ثلاثة جديدة للعقل هى « الهو » و « الأنا » و « الأنا الأعلى » وليست هناك مقابلة مباشرة بين هذه الأقسام العقلية وبين الكيفيات العقلية الثلاث •

و « الهو » هو ذلك القسم من العقل الذى يحوى كل ما هو موروث وما هو موجود منذ الولادة ، وما هو ثابت فى تركيب البدن وهو يحوى الغرائز التى تنبعث من البدن(١) ، كما يحوى العمليات العقلية المكبوتة التى فصلتها المقاومة عن الأنا • ففى الهو اذن جزء فطرى وجزء مكتسب •

---

(١) القول بأن الغرائز تنبعث من البدن المادى دحضته تماما حقائق الباراسيكولوجى التى سنعرض لها تباعا فيما بعد ، خصوصا فى باب على حدة عنوانه « فى التكوين الروحى بين السيكولوجى والباراسيكولوجى » .

ويطيع الهو مبدأ اللذة Pleasure Principle وهو لا يراعى المنطق أو الأخلاق أو الواقع . واللاشعور هو الكيفية الوحيدة التى تسود فى الهو .

وتحت تأثير العالم الخارجى عن طريق جهاز الادراك والشعور تغير الجزء الخارجى من الهو ، ونما نموا خاصا ، واكتسب خصائص معينة (١) . وقد أطلق فرويد على هذا الجزء من حياتنا العقلية اسم «الأنا» ويشرف الأنا على الحركة الارادية ، ويقوم بمهمة حفظ الذات . وهو يقبض على زمام الرغبات الغريزية التى تنبعث عن الهو فيسمح باشباع ما يشاء منها ، ويكبت ما يرى ضرورة كبته مراعيا فى ذلك مبدأ الواقع Reality Principle . ويمثل الأنا الحكمة وسلامة العقل على خلاف الهو الذى يحوى الانفعالات . وتقع العمليات العقلية الشعورية على سطح الأنا . وأما كل شىء آخر فى الأنا فهو لا شعورى .

والأنا الأعلى هو ذلك الأثر الذى يبقى فى النفس بعد مدة الطفولة الطويلة التى يعيش فيها الطفل معتمدا على والديه وخاضعا لأوامرهما ونواهيهما . ويقوم الأنا عادة بتلخيص شخصية الوالدين وما يشبههما من المدرسين والمربين .

وبذلك تتحول سلطة هؤلاء الأشخاص الخارجية الى سلطة نفسية داخلية فى نفس الطفل تأخذ تراقبه ، وتصدر اليه الأوامر ، وتنقده ، وتهدده بالعقاب . ويطلق فرويد على هذه القوة النفسية « الأنا الأعلى » Super-ego أو الأنا المثالى The Ego Ideal وهو ما يعرف

---

(١) سيتضح فيما بعد أن هذا النظر أصبح مهجورا فى مدارس الباراسيكولوجى التى لا تعترف أبدا بأن الهو — أو الجزء الخارجى منه — قد نما تحت تأثير العالم الخارجى عن طريق جهاز الادراك والشعور . وذلك اولا لان هذا القول يهدر دور الفطرة « والوجود السبقى » الذى سنعرض له فيما بعد ، كما يهدر دور الادراك خارج الحواس فى نمو الذات الانسانية ، وفى اتصالها بعالمها الخارجى .

عادة بالضمير . ويمثل الأنا الأعلى ما هو سام فى الطبيعة الانسانية . « فهو الذى يمثل علاقتنا بوالدينا وقد عرفنا هذه الكائنات السامية حينما كنا أطفالا صغارا ، أعجبنا بها وخشيناها ، ثم بعد ذلك تمثلناها فى أنفسنا »(١) .

وبهذا التنظيم للجهاز النفسى تصبح مهمة الأنا مهمة شاقة دقيقة ، فعليه أن يقوم بمراعاة هذه السلطات الثلاث ، وهى العالم الخارجى ، والهو ، والأنا العليا . وهو يحاول دائما أن يوفق بينها . واذا فشل فى ذلك نشأت الأمراض والاضطرابات العصبية (٢) .

تعليل فرويد للغرائز

ورأى فرويد أن جميع الظواهر النفسية سواء أكانت شعورية أم لا شعورية،وسواءكانت سوية أم مرضية انما تصدرعن قوى ديناميكية أساسية تنبعث عن التركيب الفسيولوجى والكيميائى للكائن الحى . وتسمى هذه القوى بالغرائز ، وهى الطاقة التى تصدر عنها جميع ظواهر الحياة (٣) .

وقد حاول فرويد فى أول الأمر أن يفسر جميع الظواهر السيكولوجية بافتراض وجود مجموعتين أساسيتين من الغرائز . المجموعة الأولى هى « الغرائز الجنسية » التى تصدر عن طاقة خاصة تسمى الليبيدو ، وهى تهدف دائما الىالاشباع واللذة والمجموعة الثانية هى«غرائز الأنا»ومهمتها العمل على حفظ الذات ، وذلك بمراعاة العالم الخارجى ومقتضيات الواقع

---

(١) واضح أن فرويد يحاول أن يسند الضمير الى مرحلة الطفولة ، أما أبحاث الباراسيكولوجى فترجعه الى ماض سحيق يمتد الى أبعاد سحيقة متتابعة ومتصلة . وللضمير أيضا صلة وثيقة « بالنظرية المركبة للعقل » التى لنا اليها عودة فيما بعد .

(٢) هذا التعليل للأمراض والاضطرابات العصبية لا يغطى الا جانبا يسيرا فقط منها ، أما الجانب الآخر وهو الأهم فهو نابع عن مصادر أخرى متنوعة عنيت بها أبحاث الباراسيكولوجى .

(٣) واضح من هذا القول المتعجل أن فرويد يجهل أو يتجاهل دور الجسد الأثيرى،وما يرتبط به من حقل بيولوجى كشفت الباراسيكولوجى عنه بالأدلة الحاسمة ، على ما سيتضح للقارىء فيما بعد .

من جهة ، وبكبت الدوافع الجنسية التى تتعارض مع مقتضيات الواقع أو مع وظائف غرائز الأنا من جهة أخرى .

وتعمل الغرائز وفقا لمبدأ اللذة . فليس الدافع الغريزى فى الواقع الا ناتجا عن حالة من التوتر ينتج عنها احساس بالألم . ويهدف الدافع الغريزى الى ازالة هذا التوتر، وحينما يزول التوتر يحدث الشعور باللذة. واتخذ فرويد من مبدأ اللذة أساسا يفسر به الظواهر النفسية المختلفة ، كما يفسر به الأعراض العصابية . فليست الأعراض العصابية فى نهاية الأمر الا محاولات بديلة أو حلول وسطى تهدف الى التخلص من التوتر وتجنب الألم .

ولقد وجد فرويد فيما بعد كثيرا من الصعوبات فى تفسير بعض الظواهر السيكولوجية على ضوء نظريته السابقة فى الغرائز ... وهكذا تبين لفرويد فى آخر الأمر أنه لابد من تعديل نظريته فى الغرائز (١) .

والى جانب ذلك فقد رأى فرويد أيضا أن مبدأ اللذة لم يكن كافيا لتفسير بعض الظواهر النفسية . فقد شاهد مثلا أن المرضى يظهرون ميلا شديدا الى تكرار بعض خبراتهم المؤلمة السابقة . وهم يفعلون ذلك تحت تأثير دافع قوى يلزمهم على التكرار واستنتج فرويد من هذه الظاهرة وجود دافع غريزى سماه « اجبار التكرار » Repetition Compulsion وقد اعتبره فرويد دافعا غريزيا أكثر بدائيـة وفطرية من مبدأ اللذة . كما رأى فيه أيضا مبدأ يناقض مبدأ اللذة لأن المريض لا يحصل على أية لذة من وراء تكرار الخبرات المؤلمة القديمة ....

---

(١) رغم كل التعديلات التى أدخلها فرويد على نظريته فى الغرائز فقد ظلت عاجزة وقاصرة تماما عن تفسير مصدرها . وهذا ما تداركته فيمابعد أبحاث الباراسيكولوجى والسيكوترونات ، وخصوصا هذه الأخيرة لوثيق صلتها بالبيولوجيا وبالتكوين الحيوى للانسان ، وهو تكوين غير مادى وينبغى أن يعتبر مستودعا لجميع الغرائز ومصدرا للنمو ، ولتجدد الخلايا والأنسجة ، ولنا الى هذا كله عود تفصيلية فيما بعد .

وقد اضطر فرويد أمام هـذه الحقائق وغيرها من الحقائق الأخرى المشابهة التى ناقشها فى كتابه « ما فوق مبدأ اللذة » الى القول بوجود ميل غريزى الى الرجوع الى الحالة السابقة للكائن الحى .

واذا كان هناك دافع غريزى يدفع الكائن الحى الى الرجوع الى الحالة السابقة فلا بد اذن من أن نفترض وجود غريزة موت تدفع الكائن الحى الى الرجوع الى الحالة غير العضوية السابقة للحياة .

وتهدف غريزة الموت الى الهدم وانهاء الحياة . واذا اتجهت هـذه الغريزة الى الخارج بدت فى صورة رغبة العدوان والتدمير . وقد وجد فرويد فى « غريزة الموت » فرضـا نافعا استطاع أن يفسر به كثيرا من الظواهر النفسية المعقدة التى كانت تحيره من قبل كالسادية والماسوكية.

وفى مقـابل غريزة الموت قال فرويد بمجموعة أخرى من الغـرائز سماها ايروس Eros أى غرائز الحب والحياة ، وهى تشمل كلا من الغرائز الجنسية وغرائز الأنا ، وهى الغرائز التى كان يظن أنها متقابلة ومتعارضة فى أول الأمر .

وتهدف ايروس دائما الى تأليف الذرات ، والى تكوين وحـدات أكبر والعمل على بقائها ، أى أنها تهدف الى استمرار الحياة . وتهـدف غريزة الموت الى تفتيت الذرات وتفكيك الارتباطات ، أى أنها تهدف الى هدم الأشياء وانهاء الحياة (١) ، وتصبح الحياة نفسها صراعا وحلا وسطا بين هذين الاتجاهين (٢) » .

---

(١) سيجموند فرويد « معالم التحليل النفسى » ترجمة محمد عثمان نجاتى طبعة ٣ ، ١٩٥٨ ص ٥٣ — ٥٤ .

(٢) سيجموند فرويد « الذات والغرائز » ترجمة محمد عثمان نجاتى طبعة ٣ ، ١٩٦١ ص ٦ — ١٥ و ٨٣ — ١٠١ .

وسيطرة الذات على المـادة وذراتها موضـوع متشعب النطاق فى البارسيكولوجى . وله صلة وثيقة حتى بعوامل الصحة والمرض ، والعلاج الروحى ، وتأثير العقل فى المـادة ، وسنعرض لهذا تباعا فى عدة مواضع لاحقة .

عن وظيفة الأنا

ويقول فرويد أيضا أن أهمية الوظيفة التى يقوم بها الأنا تتضح فى توليه الاشراف عادة على منافذ الحركة ، وهو فى علاقته بالهو مثل رجل على ظهر جواد يحاول أن يتغلب على قوة الجواد العظيمة • ويتلخص الفرق بين الحالتين فى أن راكب الجواد يحاول أن يفعل ذلك بقوته الشخصية ، بينما يستعين الأنا فى ذلك بقوى يستمدها من مصدر آخر • ومن الممكن أن تتبع هذا المثال أكثر من ذلك فنقول أن راكب الجواد غالبا ما يضطر ، اذا كان حريصا على ألا يفقد جواده الى أن يقوده الى حيث يريد الجواد أن يذهب • وكذلك يقوم الأنا بنفس الطريقة بتنفيذ رغبات الهو دئما كأنها رغباته الخاصة •

ويبدو أنه يوجد الى جانب تأثير جهاز الادراك عامل آخر له دور فى تكوين الأنا وتغايره عن الهو • فمن البدن ذاته ، ومن سطح البدن على الأخص تنبعث الادراكات الخارجية والداخلية • ويبدو البدن مثل سائر الأشياء الأخرى تماما ، ولكنه اذا لمس صدر عنه نوعان من الاحساسات ، يكون أحدهما شبيها بالادراك الداخلى ••••

ان الأنا هو أولا وبالذات أنا بدنى • وهو ليس مجرد شىء على سطح البدن ، وانما هو شىء ينبعث من سطح البدن(١) •••• لذا أشرنا مرارا الى علاقة الأنا بالشعور ، ولكن لا زالت هناك فى هذا الصدد بعض الحقائق الهامة التى تحتاج الى شرح • ولما كنا معتادين على التمسك

---

(١) من الغريب ان يتمسك فرويد بهذا المفهوم المادى الصرف للاحساس بالذات ، بعد أن سلم فى مؤلفه هذا بأن الموت ليس نهاية وأنه مجرد « عودة الى الحالة اللاعضوية التى جاء منها الكائن الحى » !! وبطبيعة الحال لقد تكفلت بحوث الباراسيكولوجى بهدم هذا الافتراض الخطير المتسرع ، شأن العديد من افتراضات فرويد التى اعتمدت على محض الارتجال ، لأن الأسلوب المدقق المعملى فى بحث جميع الظواهر الانسانية لم يكن قد تطور بعد الى المدى الذى تطور اليه بعد وفاة فرويد فى سنة ١٩٣٩ .

دائما بمعايير قيمنا الاجتماعية والخلقية ، فاننا لا نشعر بأية دهشة حينما نسمع أن مركز نشاط الانفعالات الدنيا موجود فى اللاشعور •

وفضلا عن ذلك فنحن نتوقع أنه كلما ارتفعت درجة الوظيفة العقلية فى سلم قيمنا كان ظهورها فى الشعور أكثر سهولة • غير أن خبرتنا فى التحليل النفسانى قد خيبت ظننا فى هذه النقطة • فلقد تبين لنا أنه حتى تلك العمليات العقلية الدقيقة والمعقدة التى تتطلب فى العادة انتباها شديدا فمن الممكن أن تحدث أيضا وهى قبل الشعور ، وبدون أن تظهر فى الشعور ، وتوجد أمثلة لذلك لا يمكن انكارها •••• (١) •

ثم يقول فرويد ان مشكلة كيفية الدوافع الغريزية واستمرارها أثناء جميع تقلباتها لازالت غامضة جدا ، ولم يحاول أحد حلها حتى الآن • ونحن نستطيع أن نلاحظ فى الغرائز الجزئية الجنسية التى تسهل ملاحظتها على وجه خاص أثر بعض العمليات التى تماثل هذه العمليات التى نتكلم عنها •

فنحن نرى مثلا أنه يوجد نوع من الاتصال بين الغرائز الجزئية ، وأن الغريزة المنبعثة من أحد المصادر الشبقية المعينة تستطيع أن تستخدم قوتها فى مساعدة غريزة جزئية أخرى منبعثة من مصدر آخر ، وأن اشباع احدى الغرائز يمكن أن يحل محل اشباع غريزة أخرى • كما نرى حقائق أخرى كثيرة من مثل هذا النوع • ويجب أن تشجعنا كل هذه الحقائق على محاولة وضع بعض الفروض •

وفضلا عن ذلك فاننى لا أقوم فى هذه المناقشة الحالية بشىء أكثر من وضع أحد الفروض ، وليس عندى دليل يثبت صحته • ولعل الرأى

---

(١) عن كتاب « الذات والغرائز » . المرجع السابق ص ٤٩ — ٥٠ .

الصحيح هو أن الطاقة المحايدة القابلة للابدال والتى يحتمل أن تكون نشيطة فى الأنا وفى الهو على السواء انما تصدر عن الناحية النرجسية من الليبيدو (١) ، أى أنها عبارة عن ايروس مجرد من الطاقة الجنسية (يبدو أن غرائز الحب بصفة عامة أكثر مرونة من غرائز الهدم،وأكثر منها قابلية للتحول) (٢) .

ويلاحظ الى أى مدى يسلم فرويد بأنه فى كثير من الأحايين لا يقوم بأكثر من وضع أحد الفروض ويقر بأنه ليس عنده دليل يثبت صحته . ولكن هذه الفروض اكتسبت مع الوقت عند اتباع فرويد قدسية تامة ، وعصمة خاصة ! !

عن عوامل الاستجابات العصابية

ويفترض فرويد أن العوامل الرئيسية التى تحدد ماهية الشخصية وتكون سببا فى الاستجابات العصابية «هى مؤثرات بيئية تظهر فى الخمس السنوات الأولى من حياة الفرد ، وأن أية صدمة نفسية خلال هذه الفترة تؤثر فى النمو الجنسى للطفل ، وتجعله فى حالة « تثبيت » لا يستطيع العبور بعدها الى المرحلة التالية ، مما يؤثر فيما بعد فى حالته النفسية ، وبالتالى تظهر الأمراض النفسية عند تعرضه لأى اجهاد أو شدة .

وقد ميز فرويد بين العصاب الحقيقى True Neuorsis وبين العصاب النفسى Psychoneurosis . فالعصاب الحقيقى يظهر نتيجة حالات جسمية تنشأ من اضطراب الحياة الجنسية للفرد مثل الزهد أو الانغماس الزائد ، أما العصاب النفسى فهو سيكولوجى المنشأ ، وقد فسر فرويد السلوك العصابى بنظريات مختلفة منها :

---

(١) النرجسية Narcissism تعبير يقصد به فرويد عشق الذات . والليبيدو النرجسى هو اتجاه الليبيدو نحو الذات واتخاذها موضوعا للعشق وهدفا للذة .

(٢) « الذات والغرائز » المرجع السابق ص ٩٤ — ٩٥ .

١ ــ ذكر فرويد فى أول الأمر أن العصاب النفسى ينشأ نتيجة صدمة نفسية جنسية خلال السنوات الأولى •

٢ ــ ثم فسر السلوك العصابى على أساس الصراع الأوديبى بين الطفل وأحد الوالدين من الجنس الآخر ، ثم أضاف فى شرحه أن أصل العصاب النفسى هو الصراع الشديد بين مكونات الشخصية ، خاصة الهو والأنا الأعلى ، ثم فسر الاهمال البيئى المبكر بأنه من العوامل المشجعة للعصاب •

٣ ــ ثم وصل على أساس بحوثه السابقة الى أن أسباب العصاب النفسى متعددة ، وأرجعه لعدة عوامل ، ثم أظهر تصنيفه للاستجابات العصابية الأربع وهى : عصاب الوسواس القهرى ، وهستريا القلق Anxiety Hysteria ، والهستريا التحويلية ، والنيوراستينا »(١) •

وهكذا يظهر تماما كيف كان فرويد دائم التعديل والتغيير فى آرائه ، وليس فى هذا ما يعيبه ، بل بالعكس ان فيه قطعا ما يرفع قدره ، وفى نفس الوقت ما يبرز مدى صعوبة الحقل الذى يعمل فيه ، وانتفاء القدر من المعطيات الثابتة التى تعرفها سائر العلوم الأخرى ، والتى قد تكفل لها ولو قدرا محدودا من الثبات والاستقرار ، وذلك لأن الافتراض النظرى سرعان ما يهدمه افتراض نظرى آخر ، أما المعطاة الثابتة فلا تنهار الا ببطء شديد ، وازاء كشوف أخرى أثبت منها قدما •

* * *

ويرى فرويد أن هناك ميلا نحو الاعتداء يمكن اكتشافه عند الانسان بوجه عام ، وهذا الميل يسىء الى علاقاتنا مع الآخرين ، كما قد يهدد المجتمع بالانحلال ، وبالتالى فانه من مصلحة المجتمع أن يستأنس الانسان •

---

(١) راجع أحمد عكاشة « الطب النفسى المعاصر » ١٩٧٦ ص ٢٤ •
وللمزيد عن فرويد بوجه عام راجع اسحق رمزى « علم النفس الفردى : أصوله وتطبيقه» ص ٣٢ ــ ٦٢.وعن آدلر نفس المرجع ص ٦٣ ــ ٢٣٠ •

ولتحقيق هذا الهدف فان فلسفة فرويد تسمح بوجه عام بالكثير من الارضاء للدوافع البيولوجية التى ينبغى التسليم بتعذر مقاومتها أو استئصالها • كما تدافع عن أسلوب «الاعلاء» أى تحويل النزعات المكبوتة المتنوعة ، وعلى رأسها الميل الجنسى ، الى سلوك اجتماعى متحضر (١) •

واذا لم تتم عملية اعلاء هذه النزعات بمهارة وبمثابرة مثلا لأن طاقة الكبت تفوق القدرة على الاعلاء فان الفرد يصبح عصابيا • ويلزم تخفيف حدة الكبت حتى لا يؤدى الكبت الى السلوك العصابى وربما الى السلوك الاجرامى •

التفسير النفسى يعلو على كل تفسير آخر

وفى الجملة فان السلوك الانسانى يقبل فى نهاية المطاف — وفى جميع الحالات — التفسير النفسى الذى يعلو — فى المدارس النفسية بوجه عام وفى مدرسة فرويد بوجه خاص — على كل تفسير آخر • واذا كان هذا القول يصدق على السلوك العام فى كل مظاهره فهو يصدق أيضا على السلوك الاجرامى أو المضاد للمجتمع فى كل مظاهره • وذلك لأن السلوك الاجرامى لا يمثل أكثر من قطاع واحد من السلوك الانسانى العام •

وفى هذا الشأن يقرر المستشار محمد فتحى أن « المرض العصبى والاجرام صنوان نبتا من أصل واحد هو غرائزنا البدائية ورغباتنا ومشتهياتنا المحرمة ، التى ورثناها عن جدنا الانسان الأول ، ولا زالت تسود حياتنا الطفلية، ولكن كبتناها بالتربية ونزولا على حكم نظم المجتمع المتحضر وتقاليده وقوانينه ، بيد أنها لا تزال تملأ منا أرجاء النفس الباطنة دائبة النشاط والحركة ، تلتمس لها مخرجا تتنفس منه الصعداء • فالمجرم ينفس عنها فى عالم الحقيقة فيلقى جزاءه من المجتمع ، بينما العصبى

---

(١) Sigmund Freud : Civilisation and its discounters in Man in Contemporary Society, New York Col. Unv. Press 1955 Vol. I, P.P. 372, 373.

ينفس عنها فى عالم الخيال فيلقى جزاءه من ضـميره ممثل المجتمع لدى دنياه النفسية (١) .

فرجال التحليل النفسى يدرسـون الأمراض العصـبية عن طريق الاجرام ، وعلماء الاجرام يدرسـون نفسـية المجرم عن طريق الأمراض العصبية .... ان المحلل النفسى الذى تقوم مهمته على كشف ما تنطوى عليه نفسية المريض من نزعات اجرامية مكبوتة ، هو حين مزاولته مهمته أقرب الى القاضى أو المحقق الجنائى منه الى الطبيب .

فان كانت مهمة الطبيب تقوم على فحص جسم المريض وما يحويه من اختبار عضوى وتحليل كيميائى أو فحص ميكروسكوبى فان مهمـة المحلل تقوم على ما يجريه من تحقيق نفسى لا علاقة له بجسم المريض...

فجلسة التحليل ان هى الا جلسة تحقيق بكل ما فى الكلمة من معنى، يقوم فيها المحلل بدور المحقق لكشف النزعات والميول الاجرامية التى انطوت عليها نفس المريض واظهار الرغبات والمشتهيات المحرمة التى يكنها فى سويداء قلبه ، وهو يحاول جاهدا فى قرارة نفسه أن يخفيها عن وعيه وشعوره فى غالب الأحيان . فما يعانيه المحلل من ختل وغش وخـداع ومراوغة من جانب لا شعور المريض لا يختلف فى شىء عما يعانيه المحقق من جانب المتهم المكابر فى القضـايا الجنائية الا من حيث كون المحلل صديقا يسعى لكشف أدلة جريمة خيالية ، بينما المحقق الجنـائى خصم يسعى لكشف أدلة جريمة حقيقية » (٢) ...

* * *

---

(١) نعتقد أن الضمير لا يعتبر ممثل المجتمع لدى نفس الانسان بقدر ما يمثل نفس الانسان لدى المجتمع ، وذلك لأنه نتاج تطوره العريق الذى يمتد الى ماضيه السحيق . فوراثة الانسان من ماضيه الخاص أقوى أثرا من وراثته من ماضى آبائه وأجداده، ولنا الى ذلك عودة تفصيلية فيما بعد.

(٢) فى مؤلفه فى « علم النفس الجنـائى علما وعمـلا » طبعة رابعـة سنة ١٩٦٩ الجزء الثانى ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

وفى هــذا الاتجاه يتحدث الدكتور أحمــد محمد خليفة قائلا أنه « اذا كان علم النفس قد استمر أجيالا طويلة مقتنعا بالتفرقة بين السلوك الفطرى والسلوك المكتسب ، ومكتفيا فى النوع الأول بتصنيف الغرائز البشرية والاطناب فى وصف مظاهرها فان النصف الثانى من القرن الأخير ـ وسنوات قليلة قبله ـ قد شهد أعظم انقلاب فى موضوع الدراســة النفســية بالغوص فى أعماق النفس البشرية وتحسس معالمها الخفية ، واستحداث نظريات جــديدة تتصــــل بالطــاقة الغريزية والنشــاط الغريزى •

وان كانت هنــاك نقطة بدء فى هــذا التحول العظيم فهى مردودة بلا شك الى النظرة الحديثة ، الى تلك الحقيقة المسماة باللاشعور •

ذلك أن الحياة النفسية للانسان ليست قاصرة على القوى والمظاهر العقلية الظاهرة وصور النشاط النفسى المحسوس كالذاكرة والتخيل والارادة والانفعالات والعواطف والعادات والخواطر وكل ما يمثل فى الشعور ، بل ان هذه الظواهر ليست الا شيئا ضئيلا وسطحيا بالنســبة الى ذلك الجانب الخبئى من النفس الذى لا يشــعر بما جريات أموره ، والتى لا يمكن استحضارها الى حياتنا الشعورية بوسائل التذكر المعتادة ، أى بالتذكر الارادى ••••

ويرى فرويد أن اللاشعور حصيلة الكبت ، فالطفل يولد مزودا بغرائز همجية ودوافع بدائية ونزعات وحشية ، وكلها تريد أن تجد طريقها الى سلوكه ولكنها تصــطدم بمقتضيات من الحياة الخارجية تضطره الى كبتها • كما أن الانســان تمر به تجارب مختلفــة فى كل وقت وبعضها ذو صبغة مؤلمة يعافها الشعور ، أو هو لا يرتاح اليها فيكبتها بما صاحبها من اثارات انفعالية أو وقتية » •••• (١) •

---

(١) عن مؤلفه فى « أصول النفس الجنائى والقضائى » . ص ١٣ .
وسنعلم فيما بعــد أنه بحسب حقائق الباراسيكولوجى لا يمكن أن يكون اللاشعور حصيلة الكبت منذ الطفولة ، لأنه أعرق بكثير من الطفولة، وقد يتأثر اللاشعور بالكبت ، لكنه لا يمكن أن يكون وليد الكبت .

وعن هذا الطريق نجحت مدرســة فرويد فى القاء أضواء هامة على محاولة تفسير الظاهرة الاجرامية ، من زاوية اتصــالها ببعض الأمراض النفسية والعصبية التى قد تكون هى القوة المحركة للســلوك الاجرامى أيا كان وصفه من بين الأوصاف العديدة التى يطلقها عليه قانون العقوبات، وسواء اعتبرنا هذا السلوك من بين جرائم الاعتداء على الأشخاص أم على الأموال ومن بين جرائم الاعتداء على الأفراد أم على الصالح العام •

ويضيق المقام الراهن بطبيعة الحال عن معالجة هذه الأمراض ، وعن مدى اتصال كل مرض منها بجانب أو بآخر من جوانب السلوك المضــاد للمجتمع • لأن هذا بحث آخر واســع النطاق ، وهو موضــوع علم قائم بذاته هــو « علم النفس الجنائى » ويكمله « علم النفس العقابى » • وحين يعنى الأول منهما بتفسير الظاهرة الاجرامية بعواملها النفسية ، يعنى ثانيهما بأسلوب معاملة الجناة من الناحية النفســية بعد ادانتهم بالفعل ، لأنه يعد فرعا من علم العقاب العام الذى يعنى بأسلوب مواجهة الظاهرة الاجرامية •

ولكن لنا فى الباب السابع عودة الى الكلام فى اجرام الشواذ من ناحية معالجة صور الشذوذ بوجه عام ، ثم من ناحية كيفية اتصال الشذوذ بالمسئولية الجنائية ، ثم من ناحية موقف بعض الشرائع من اجرام الشواذ بحسب وضعه الحالى ، وبحسب الوضع الذى يبدو جديرا بالاتباع فى ضوء التسليم بأثر الأمراض النفسية والعصبية ، وكافة الدوافع القهرية ، فى هذا السلوك •

عن دقة مشكلات الشعور واللاشــعور

لا ريب أن أضخم مشكلة تواجه علم النفس الحديث منذ اكتشاف دور اللاشــعور أو بالأدق منذ العنــاية به ، ومنذ ظهور منهج التحليل

النفسي للوصول الى بعض مجاهله المترامية الأطراف ، هى محاولة تعليل هذا اللاشعور ، أى تعيين مصدره ، وذلك بالاضافة الى محاولة رسم بعض حدود واضحة بين نشاط الشعور ونشاط اللاشعور •

هذا وقد اختلف أكبر علماء النفس مثل فرويد وآدلر ومكدوجال ويونج ، خلافات جوهرية عند محاولة رسم حد أو حدود فاصلة بين الشعور واللاشعور ، وبالتالى عند تعيين دور كل منهما فى سلوك الانسان واتجاهات مناشطه المختلفة ، ومن هنا تنوعت مدارس التحليل النفسى الى أكثر من مدرسة واحدة لها خصائصها المتميزة •

ويبدو أن العلم لن ينجح فى هذا التحديد فى المستقبل القريب ، بالنظر لتداخل العقلين الواعى والباطن ، أو الشعور واللاشعور تداخلا تاما فى نشاطهما ، ناهيك بتداخل دور العقل الأسمى أو الذات العليا Super Conscious, Subluminal معهما فى أداء هذه المناشط •

فاختلاط عناصر العقل المختلفة فيما بينها هو أشبه ما يكون بماء البحيرة المتحركة التى تتداخل مياهها على الدوام : ما يوجد منها فى القاع ، مع ما يوجد منها فى السطح ، مع ما يوجد منها بين القاع والسطح ، بسبب نشاط أى عامل يؤدى الى تحريك المياه ، وهى متلاحمة بل مختلطة دواما : ومنها مثلا حركة الهواء ، والتيارات المائية التى تجرى فيها ، ناهيك بالنشاط الملاحى فيها •

ولا يبرز تشعب المشكلة التى يواجهها — حاليا — علم النفس فى هذا الشأن ودقتها قدر قول هنرى برجسون الفيلسوف الفرنسى عندما يتساءل : « ماذا عسانا أن نكون فى الواقع ؟ أو ماذا عسى أن يكون طبعنا ان لم يكن تلك الحصيلة التى تجمعت من تاريخ حياتنا السابقة ، منذ ولادتنا حتى الآن ، ان لم نقل قبل ولادتنا ، ما دمنا نحمل معنا ميولا وراثية ، أو استعدادات سابقة على الولادة ؟ ••••

صحيح أننا لا نفكر الا بجزء ضئيل من ماضينا ، ولكننا نرغب ، ونريد ، ونعمل ، بماضينا كله مع ما ينطوى عليه من اتجاه أصلى قد اتخذته نفوسنا منذ البداية . واذن فان من شأن ماضينا أن ينكشف لنا بأكمله من خلال قوته الدافعة على شكل ميل أو اتجاه ، ولو أن جانبا ضئيلا منه فقط هو ذلك الذى يستحيل الى تصور عقلى » .

ثم يقول ان من شأن الماضى أن يظل حيا باقيا فى الحاضر ، وأن من المحال على الشعور أن يمر بنفس الحالة مرتين ، لأنه مهما تكن الظروف متشابهة ، أو مهما تكن الملابسات واحدة ، فانها لا تؤثر مطلقا فى شخصية واحدة بعينها ، ما دامت تعرض لها فى لحظة جديدة من لحظات تاريخها .

ولما كانت شخصيتنا فى تكوين مستمر لأنها تبنى ذاتها فى كل لحظة ، مستعينة بما تجمع لديها من تجارب فان شخصيتنا فى تغير دائم دون أدنى توقف أو انقطاع . وهذا هو السبب فى أنه لا يمكن أن تتكرر فى أعماق شعورنا حالة نفسية واحدة ، حتى ولو بدا لنا لأول وهلة أننا ازاء ظاهرة واحدة بعينها » (١) .

وهذا الاعتبار يكفى وحده لابراز مدى دقة المشكلة التى لا يزال يواجهها علم النفس فى محاولة الوصول الى بعض أسرار الشعور واللاشعور ، وهى أن نفس الانفعالات — الشعورية واللاشعورية — لا تتكرر بنفس الصورة عند شخصين مختلفين ، ولا عند شخص واحد فى لحظتين مختلفتين من لحظات حياته ، مهما كانت المسافة الزمنية بينهما قريبة أو بعيدة .

ولذا فليس بمستغرب أن تتشعب الآراء فى مدلول كلمة «لاشعور» Unconscious وذلك الى حد أنه عندما قام المؤلفان هوراس وايفا

(١) راجع زكريا ابراهيم فى « مشكلة الحياة » ١٩٧١ ص ٣١٢،٣١٣ .

Horace & Eva بوضع قاموسهما فى « التعابير الخاصة بعلم النفس والتحليل النفسى »[1] ذكرا انه يوجد مالا يقل عن تسع وثلاثين من المعانى المختلفة لتعبير « لاشعور » .

وهذا النقص فى المعانى المحددة يشير الى أن العلم لا يملك لغاية الآن اللغة اللازمة للتعبير عن مفاهيم هامة كثيرة ، ويكشف عن مدى جهلنا ، بأخطر رقعة تتحكم فى سلوك الانسان وهى رقعة اللاشعور التى تتجاوز فى أهميتها — باجماع الآراء رقعة الشعور !!

وهذا اللاشعور تحدث عنه أرسطو من الفلاسفة القدامى ، والقديس توما الأكوينى من فلاسفة العصر الوسيط ، وآخرون غيرهما . لكن عندما كشف فرويد بعض أغواره — ولعلها أقلها شأنا — قيل أن فرويد قد كشف اصقاعا جديدة ، لا تقل فى أهميتها عن كشف أمريكا بالنسبة لكولمبس .

* * *

ويعتقد بعض المؤلفين أن فرويد كان مرتبطا فى كل بنيانه العلمى الباذخ عن النفس الانسانية والتحليل النفسى بالفلسفة المادية للوجود ، ولكن الواقع غير هذا ، فان فرويد قد وقف من هذا الموضوع — أو حاول أن يقف — موقفا حياديا على قدر طاقته الى أن اتجه فى أواخر حياته نحو التسليم بجانب هام من الحقائق الروحية . عندما ابتدأ يقر بأن الموت لا يعتبر فناء لملكات الانسان بمقدار ما هو عودة الى الحالة غير العضوية التى جاء منها الانسان كما بينا آنفا .

بل أيضا نجد أن تفسير فرويد للحياة النفسية بالشعور واللاشعور « لا يعتمد أساسا على حدوث آثار مادية معينة بالمخ تسمى بالشعور أو باللاشعور ، وانما يفترض جهاز نفسى روحى Psychic غير خاضع

(1) Dictionary of Psychological and Psychoanalytical terms.

للحواس مسئول عن العمليات الشعورية واللاشعورية التى تتم فى نطاق الشخصية . فاذا أنت سألت فرويد عن المكان الذى يحتله الشعور أو اللاشعور بمخ الشخص اذن لضحك وقال: « اننا لا نعتمد فى تفسيرنا على الجانب اللحمى من الانسان كالمخ مثلا ، بل نتناول الشخصية باعتبار أنها كيان روحانى غير محسوس » .

أما العلماء الماديون فانهم لا يعترفون بالأجهزة النفسية غير المادية ، بل يقولون بأن المناشط النفسية بمثابة أصداء للمخ ، وشأنها شأن المرآة والنور المنعكس عليها . فذلك الانعكاس وظيفة من وظائف المرآة ، ولا يمكن القول بأن للنور المنعكس كيانا قائما بذاته فى انفصال عن سطح المرآة .

وبالنسبة لقوة الارادة فانك اذا سألت فرويد عنها ، اذن لقال لك ان قوة ارادتك انما ترجع الى ما ترسب فى لاشعورك من خبرات منذ الطفولة بحيث تطل برأسها كلما آلخ موقف ما على ظهورها . ولكنك اذا سألت واحدا من أمثال بافلوف أو واطسون عن قوة الارادة ، فانهما يقولان لك ان ثمة تغيرات فسيولوجية معينة تقع فى تركيب مخك بواسطة الفعل المنعكس الشرطى ، بحيث يعمل مخك بطريقة معينة كلما انخرطت فى موقف معين .

واذا ما سألت فرويد عن وسائل علاج الارادة الضعيفة ، فانه يقول لك أنه لابد من الالتجاء الى التحليل النفسى ، حيث لا تستخدم عقاقير من أى نوع ، وحيث لا تجرى عمليات جراحية بالمخ . انه علاج بالكلام وبالتأثير فى أفكار المريض وعواطفه واتجاهاته ، وليس بالتأثير المادى فى تركيب المخ أو فى حالة قشرته .

ولكنك اذا سألت علماء النفس الفسيولوجيين عن الوسائل التى يجب الاستعانة بها لتقوية الارادة فانهم سوف يقولون لك على الفور « لابد من اللجوء الى علم وظائف الأعضاء . وسوف يقولون لك أنه كما

أن العين تعالج بالجراحة أو بنوع معين من القطرة لاستعادة الابصار السليم ، كذلك يجب معالجة المخ لتقوية الارادة ...

* * *

ولا شك أن فرويد هو أول من وجه الانتباه الى ما للعاطفة من دور فعال فى أفكارنا . فنحن نحب أولا أو نكره ، ثم بعد ذلك نفكر فى الشىء الذى نحبه أو نكرهه . أو بتعبير آخر يعمل فكرنا على خلفية وجدانية الخلفى منها هو الوجدان ، والصورة البارزة للرائى فيها هى الفكر . فالمشاهد للوحة لا يكاد يدرك الا الصورة المرسومة عليها ، ويكاد يغضى عن الجانب الخلفى ...

ويعتقد فرويد أن الانسان فى سلوكه لا يكاد يوجه انتباهه الى الخلفية التى ينبنى سلوكه عليها ، بل يركز جل انتباهه الى صورة ذلك السلوك ، والى الجانب المعقول منه . ولعل الشخص ينكر وجود ذلك الجانب اللامعقول فى سلوكه ولايعترف الا بالجانب المعقول منه فحسب.

فطالما أننا فى وعينا نكون مفكرين بالمنطق ، فاننا لا نعترف الا بما يساير المنطق ويتمشى وينسجم معه . ولكن فرويد يعتقد أنه لا يكفى أن ننكر وجود الشىء فيصير غير موجود ، فانكارنا للدور الذى تقوم به عواطفنا فى صياغة تفكيرنا لا يكفى دليلا على عدم فاعلية تلك العواطف فى فكرنا ، بل قد يكون على عكس ذلك دليلا قاطعا على ما لذلك الدور من أهمية بالغة فى حياتنا ...

ولقد فسر فرويد التصروفات الارادية الواعية فى ضوء العوامل اللاارادية غير الخاضعة للوعى وللتفكير . وصوّر الموقف بأنه فى ضوء مبدأ اللذة والألم منذ بواكير الطفولة تتحدد ملامح السلوك المقبلة (١) .

---

(١) يبدو أن فى هذا القول تبسيطا أكثر مما ينبغى لملامح السلوك المقبلة فى الانسان ، ولا يميل علماء الباراسيكولوجى بالمرة الى هذا الرأى ويرون أن ملامح السلوك المقبلة فى الانسان موروثة من تطور الذات =

فالانسان يقبل نحو الأشياء الملذة وينبو عن الأشياء المؤلمة . ثم أنه يقبل نحو الأشياء التى ارتبطت فى الخبرات الماضية — القريبة والبعيدة — باللذة بينما ينبو عن الأشياء التى ارتبطت فى خبراته الماضية — القريبة والبعيدة — بالألم . ويتخذ اللذة والألم صيغتين أخريين بديلتين هما الحب والكراهية ... فاللذة تستحيل الى حب ، والألم يستحيل الى كراهية ... » (١) .

موقف فرويد من موضوع الجنس

اقتحم فرويد مشكلات الجنس فى جرأة بالغة ، مع التغلغل فيها الى أعمق أبعادها فى صراحة تامة ، وهذا يمثل احدى المآثر التى سيذكرها تاريخ العلم له . فالغريزة الجنسية تجرى فى الناس مجرى الدم الحار بكل انفعالاتها القوية ، الصاخبة والهادئة . والتصدى لها بكل ما يملكه العلم من وسائل ضرورة تفرض نفسها ، لأن علاج المشكلات لا يكون أبدا بالهرب منها ، ولا بتجاهل وجودها .

والآلام الناجمة عن انفعالات الجنس والعاطفة قد تكون — عند الكبت وعند الاشباع الخاطىء أيضا — آلاما مرة قاسية ، ومصدرا دفينا فى اللاشعور لأعراض نفسية وعصبية خطيرة ، من المحال علاجها بتجاهلها أو بالاغضاء عنها . ولا يوجد أمل فى انقاذ صاحبها منها الا اذا نجح المحلل النفسانى فى أن يطفو بها من اللاشعور الى الشعور ، فتتراجع تدريجيا عن طريق استخدام الاستدلال الواعى كما يتراجع ظلام الليل عند طلوع النهار .

وكل مشكلات الجنس مرتبط بالقيم السائدة ، وبالتقاليد المستقرة، وبالعقائد الراسخة . وقد تكون المشكلات نابعة عن استفحال أثر هذه

= فى ماضيها العريق الذى يمتد الى أبعد بكثير من بواكير الطفولة ولنا عودة الى هذه النقطة فيما بعد .

(١) عن يوسف ميخائيل أسعد فى مؤلفه عن « قوة الارادة » ١٩٧٦ ص ٢٠ — ٣٠ .

القيم والتقاليد ذاتها بسبب ما قد يكتنفها من أخطاء ، أو من مغالطات ، أو من رياء اجتماعي واضح يتحيز دائما لمصلحة الرجل على حساب المرأة . فينجم عن ذلك كله خلط سائد بين الشهوة والعاطفة ، والرذيلة والفضيلة ، وبالتالى تخبط فى جل أحكام المجتمع على السلوك الجنسي والعاطفى للمرأة أو للرجل ، ومع مراعاة تفاوت المجتمعات تفاوتا ضخما فيما يتعلق بالقيم السائدة فيها بشأن السلوك الجنسى خصوصا بالنسبة للاناث .

ولا ريب أن فرويد قد أزاح الستار — بمهارة بالغة — عن العديد من ضروب التقاليد الجائرة ، وصيغ الرياء الاجتماعى البالية التى تحمل دائما أوصافا خلابة لكنها كفيلة بتدمير مقومات الصحة النفسية للملايين من بنى البشر بلا سبب واضح .

* * *

وكبت انفعالات الغريزة الجنسية بحكم التقاليد القومية ، والتعاليم الدينية ، والآداب العامة جعلها تؤلف أخطر مجموعة من المركبات النفسية المكبوتة فى اللاشعور . وبذلك صار لها « أبلغ الأثر فى حياتنا العقلية ، وفى تكييف الكثير من نزعاتنا وميولنا ، والسيطرة على أعمالنا الشعورية وتوجيهها على الرغم منا فى اتجاهات معينة نقوم بها مسوقين بدوافع قهرية خفية لا سبيل لنا الى كشفها أو الوقوف على حقيقتها الا عن طريق التحليل النفسى ، بسبب ما أقيم بيننا وبينها من حواجز منيعة من قوة الكبت والمقاومة الباطنية .

ولعل هذا ما حدا بالعلامة سيجموند فرويد وطائفة من أتباعه وأعوانه الى التغالى فى تقدير ما للغريزة الجنسية وما يصحبها من قوى نفسية ، أو شهوة غريزية مكبوتة من سلطان على حياتنا العقلية الى حد نسبة معظم الظواهر العصبية والأمراض النفسية ، بل وأعظم طائفة من أعمالنا الطبيعية الى نشاط الغريزة الجنسية المكبوت ، وتفسيرها بكونها

مظهرا مقنعا من مظاهر هذه الغريزة ، ووسيلة للافصاح عما نضمره من نزعات أو رغبات مكبوتة فى أعماق النفس •

فدراسة الطبيعة البشرية من الناحية الجنسية ، والوقوف على نزعات النفس وميولها الحقيقية يتطلب منا الالتجاء الى وسائل التحليل النفسى وأساليبه المعروفة للوصول الى جوف اللاشعور ، وهتك ما أسدل على طبيعة النفس من أستار ، وكشف ما يحيط بها من مخبآت وأسرار ، وتجريد النفس من ثوبها المزيف وردائها المستعار ، وفحص طبيعتها على أشعة ضوء العلم الصحيح ••• ونمهد بذلك سبيل التوفيق بين النظريات الحديثة لرجال التحليل النفسى وبين عقولنا ، ونعدها لتقبل ما عساه يبدو لنا فيها من شذوذ أو غرابة بشىء من الحلم وسعة الصدر » (١) •

فالانسان فى ظروفه العادية بمقدوره أن يشبع منذ الصغر — وعلى نحو أو آخر — انفعالات جل غرائزه بدون ارتطام يذكر بصخرة التقاليد والمفاهيم السائدة • ومنها انفعالات البحث عن الطعام ، وحب الاقتناء ، والدفاع عن النفس ، والاحساس بالمجهول ، وأخطرها كلها (بحسب آدلر) حب الحركة لتحقيق الذات •

أما عندما ينمو ، ويصبح اشباع انفعالات غريزة الجنس حاجة ملحة طبيعية ، فهو يجد نفسه فى مواجهة عاتية مع المفاهيم الدينية والتقاليد الاجتماعية السائدة ، بالاضافة الى ظروفه الخاصة التى كثيرا ما تكون بالغة التعقيد سواء من النواحى الصحية ، أم الاجتماعية ، أم الاقتصادية ••

* * *

لذا يقول Freud وشتيكل Stekel ان الطفل فى حياته كائن بدائى أشبه بالحيوان أو بالانسان فى الغابة ، تنقصه الحنكة والدراية ، ضعيف التقدير بين عوامل الخير والشر • وهو مبالغ فى حبه وكراهيته

---

(١) عن محمد فتحى « علم النفس الجنائى علما وعملا » الجزء الأول ص ١١٧ ، ١١٨ .

يطالب الذين يحيطون به جميعا أن يحبوه وأن يكون موضع عطفهم خاصة أمه • وهو اذا تغاضى عن حب الناس له فلا يمكن أن يتغاضى عن حب أمه • فاذا اعتقد أنها لا تحبه أو أنها أهملت شأنه أصابته هزة نفسية قد تذهب بأعصابه •

كما يقولان أن البعض يعتقد أن الطفل الصغير خال من الميل الجنسى، منزه عن الخطايا يعيش مع الملائكة ، وأن حياته الجنسية لا تظهر الا فى سن البلوغ • مع أن هـذا الاعتقاد خاطىء وخال من الصحة ، فالغريزة الجنسية تولد مع الطفولة شأنها شأن كل غريزة أخرى ، فاذا ما بلغ الطفل الرابعة أو الخامسة انتقلت مناطق الاحساسات الجنسية من الفم • وفى هذه السن تبدأ الحياة الجنسية فى الظهور فتصبح الأم بمثابة الملهمة لعواطفه المسيرة لارادته • فهى أمامه وسيلة وغاية ، وحبه لها حب جنسى بحت يقوم على خيالات خصبة من الميول العاطفية (١) •

* * *

ولعل من أحسن ما وفق فيه فرويد وأعوانه هو اظهار الطفل على حقيقته من ناحية توافر جميع الرغبات والميول فيه بعد أن كان من السائد قبل ذلك النظر اليه بوصفه محض ملاك خال من الميول الجنسية •

ولكن القول بأن مناطق الاحساسات الجنسية تتغير بتغير مراحل العمر محل نظر ، لأن الاحساس الجنسى كالاحساس بالجوع أو بالعطش ليس له موضع معين من جسم الانسان • أما اشباع الحاجة الى الجنس ، فهو كاشباع الحاجة الى الطعام يكون عن طريق استخدام عضو معين •

وبعبارة أخرى فانه يلزم التمييز بين الاحساس بحاجة بيولوجية معينة ، وهو دفين فى جميع جوانب اللاشعور ، وبين القدرة على اشباع هذه الحاجة وهى قدرة محض فسيولوجية مستقلة فى كثير من الأحيان عن

---

(١) راجع « الكبت » من تأليف فرويد وشتيكل ترجمة على السيد حضارة ص ١٥ ـ ٢٦ .

الاحساس بها ، وبالتالى ترتبط دائما بعضو أو آخر من جسم الانسان وبالتالى يتعذر بحسب الظاهر القول بأنها تنتقل بحسب العمر •

ولهذه الملحوظة اعتبارها عند محاولة تفسير جانب من حركات الطفل ، التى حاول بعض أنصار فرويد اعطاءها مدلولا جنسيا ، حين أنها قد تكون أوثق اتصالا ببعض انفعالاته الأخرى منها بانفعالاته الجنسية • وعلى أية حال فيبدو أن المدارس النفسية اللاحقة لفرويد لا تميل الى طغيان دور الانفعالات الجنسية على سائر الانفعالات الأخرى التى تتضافر معها فى توجيه السلوك العام للانسان •

* * *

وهكذا أخذ فرويد عن طريق تسليط الأضواء على انفعالات الغريزة الجنسية يواجه العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية عن رغبة حقيقية ، فى تخفيف بعض آلام البشرية ، بتحليل أوضاع قد تظهر لأول وهلة طبيعية لا غبار عليها •

وذلك بالاضافة الى أوضاع متنوعة عديدة يبدو أنها قد استقرت نهائيا بوصفها معصومة وأزلية خصوصا بالنسبة الى موقف الاناث بالمقارنة بالذكور من نواحى الجنس والزواج ، والاستقلال أو الاذعان ، والوئام أو الانفصال ، والسفور أو الحجاب ، والاقامة أو الاغتراب ، والاختلاط أو الاعتزال •••

لذا كانت الأمراض النفسية والعصبية وبخاصة الهستريا ، والقلق ، والصرع ، والانفصام ••• عند الاناث أوسع انتشارا بكثير عنها عند الذكور ، وفى نفس الوقت أكثر حدة ، وأعصى على العلاج ، وفى نفس الوقت أفدح ضررا بالنظر للدور الهام الذى تقوم به فى العلاقات العائلية•

ويرى فرويد انه فى كل حالة عصبية يمكن كشف العامل الجنسى بلا استثناء : « ففى الأمراض العصبية العقلية يكون هذا العامل عادة

جثمانيا ، أعنى متعلقا بالاجراءات الخاصة بالعملية الجسيه وكيفية ممارستها أو كظمها بقسوة ، بينما فى الأمراض العصبية النفسية يكون المرض متعلقا بذكريات جنسية مكبوته فى النفس ترجع الى عهد قديم ، أي أنها خواطر فكرية أو أعراض نفسية بحت .

وقد دلت التجربة الفنية على أن مجموعة الاضطرابات العصبية التى من قبيل الهستريا والظواهر التسلطية ترجع الى عامل نفسى مكبوت فى جوف اللاشعور . ولذلك كانت هذه الاضطرابات ذات صبغة نفسية Psychogenic ، وأنها باضطراد دائم قائمة على مركبات لاشعورية مشتملة على عناصر جنسبة دفينة فى قرارة النفس .

فنشوء مثل هذه المركبات أو تكوينها يرجع الى الرغبات الجنسيه على اختلاف مظاهرها وبأوسع معانيها ، التى تعذر تحقيقها فى الحياة العملية فكبتت فى جوف اللاشعور ، ثم انقلبت فيما بعد الى ظواهر نفسية مرضية ، وهذه الظواهر تعتبر فى عرف فرويد نوعا من الترضية المستعارة .

ولن يغيب عن الأذهان أنه مع وضوح الفرق بين الأمراض العصبية الفعلية ، والأمراض النفسية فانه كثيرا ما يتفق اجتماع أعراض القسمين وامتزاجها معا ، حيث تشاهد أعراض القلق العصبى ممتزجة بأعراض الهستريا فينشأ عن ذلك أحيانا القلق الهستيرى Anxiety Hysteria كما يشاهد كثيرا اجتماع أعراض النوراستانيا والقلق العصبى وامتزاجها معا . ففى مثل هذه الحالات يشاهد اجتماع كل من المرضين واشتراكهما فى احداث مجموعة الأعراض الممتزجة » (١) .

* * *

وهكذا تبين لفرويد أن للرغبات الجنسية وثيق صلة بالمتاعب النفسية ، خصوصا عند انزلاق الأحاسيس بالذنب من الشعور الى

---

(١) محمد فتحى المرجع السابق الجزء الأول ص ١٤٢ — ١٤٣ .

اللاشعور • وبالتالى تزايد أضرارها ، وجنايتها على مقومات الصحة النفسية ، جناية قد تصل الى حد المرض النفسى أو العصابى الذى لا برؤ منه الا بالوصول الى أسبابه الصحيحة فى آناة وعلاجها فى حكمة ورفق •

وقد تصيب هذه الأمراض العويصة أرق الناس شعورا ، وأكثرهم ارتقاء فى الحاسة الخلقية ، لكنه فى نفس الوقت أوفرهم رغبة فى الخضوع لسلطان القيم والتقاليد السائدة ، مهما كانت موغلة فى الجور والقسوة ، أو فى المغالطة والرياء •

ولا ريب أن فرويد حاول تصحيح العديد من المفاهيم الاجتماعية البالية ، وتعديل مسارها عن طريق البحث المتحرر فى نواميس الحياة التى يستحيل تماما مقاومتها عن طريق المكابرة فيها وانتهى الى تغليب دور الوظائف البيولوجية على دور القيم والتقاليد البالية مهما كان مدى رسوخها فى الأفهام والمشاعر • وأيقن عن طريق التحليل النفسى أنه من المحال تحقيق أى تقدم فى مسيرة التطور الانسانى بغير التعرف الأمين على نواميس الحياة ، وعلى حكمتها وأهدافها ، وعلى محاولة الاتساق الصحيح مع أحكامها فى حكمة واتزان • وهى مفرطة فى دقتها بمقدار ما هى — فى نهاية المطاف — مفرطة فى بساطتها ووضوحها •

ولعل جل آلام بنى البشر النفسية والعضوية تستمد عناصر وجودها ونموها من تحدى نواميس الحياة على نحو أو آخر ، وذلك ما دامت هذه النواميس لن تأبه أبدا بتقاليد جائزة أو بمفاهيم مستقرة مهما أضفى أصحابها عليها من عصمة ، ومهما كان لها فى نفوسهم من صرامة أو من جبروت •

وهذه التقاليد والمفاهيم متراوحة تراوحا كبيرا ، ومتطورة أو قابلة للتطور ، وبالتالى بحاجة الى جهود مستمرة لترويضها واستئناسها حتى لا تكون كالموحش الذى يفترس فى النفوس سلامها واطمئنانها ، وفى

العلاقات الاجتماعية اشراقها وبهجتها . وهذا هو دور الصفوة من المفكرين الحقيقيين والعلماء الجادين .

وعن طريق اتباع منهج التحليل النفسى نجح فرويد — وسط صراخ المناوئين ، بكل ما لديه هو من روح متحررة عقلانية — فى الوصول الى اعلاء دور العاطفة على الشهوة ، والحب على الجنس ، والرفق على العنف ، والوضوح على الغموض ، والمساواة بين الجنسين على المغالطة والرياء ، والعلاج البصير على مضاعفة البلاء بالانكار والازدراء .

كما حاول فرويد أن يعطى لكل زلة أو خطيئة حجمها الحقيقى بلا غلو ولا افراط . واتضح له أن جميع الأخطاء التى تكمن وراء الأمراض العصبية الخطيرة عبارة عن زلات تافهة ، أو اندفاعات شهوية لا وزن لها ، لكن آثارها قد تبلغ من الضراوة مبلغا بعيدا بسبب حكم التقاليد والمفاهيم السائدة بحسب ظروف الزمان والمكان ، وهو أبدا حكم جائر ، مشوب بالأنانية والسطحية ، ويجىء غالبا متحيزا للذكور متحاملا على الاناث بما يؤدى اليه ذلك من نمو عاطفى معيب ، ومن آثار ضارة حتى من الناحية العضوية .

وبسبب تفشى أحكام الجور والتحيز فان المجتمعات — بدرجات متفاوتة — تدفع الثمن الفادح من سعادة بنيها واطمئنان نفوسهم وسقوطهم بين مخالب الأمراض العصبية والنفسية ، وهى أكثر شيوعا مما نتصور ، أو بالأقل سقوطهم بين مخالب الأحقاد والضغائن التى تتخذ صورا شتى ، وترتدى قناعات مخادعة ناهيك بصور الفشل فى تكييف شتى العلاقات الاجتماعية والعائلية . والمجتمع يحكمه فى النهاية قانون طبيعى لا مهرب منه هو قانون التضامن الاجتماعى بين جميع بنيه فى السراء والضراء .

تقييم منهج فرويد

لا ريب أن فرويد كان من أولئك العلماء الذين أفنوا حياتهم فى

حب البشرية ، وخدمتها ، ومحاولة تخفيف بعض آلامها التى لا تحصى • وقد عمل طويلا فى أرحب واد فاضت فيه الآلام على بنى البشر ، وهو وادى المعاناة من الأمراض النفسية والعصبية التى تفترس الاطمئنان افتراسا ، والتى تعتبر العدو الأول لسعادة بنى الانسان بما يتجاوز كثيرا افتراس الأمراض العضوية لهم ، مهما بلغت خطورتها ، ومهما بلغ عجز العلم ازاءها ، ومهما بلغ مدى انتشارها •

ويكفى — فى هذا الشأن — أن نضع فى الاعتبار أن هذه الأمراض العصبية والنفسية قد تكون هى المسئولة الأولى عن قيام الحروب الطاحنة ، والصراعات الدموية التى عانت البشرية منها منذ فجر تاريخها ، ولا تزال تعانى ، كيما ندرك خطورة دورها فى تدمير سعادة بنى البشر واطمئنان نفوسهم •

ولا ينبغى أبدا أن ننسى أن هذه الأمراض التى قد تؤدى الى السلوك الاجرامى بكل صوره قد تؤدى بنفس المقدار — وربما بمقدار أوسع بكثير — الى العديد من صور الحماقة والتصرف الكفيلة بتدمير الروابط الاجتماعية والفردية التى تحرص القوانين على تنظيمها على أسس واضحة من العدالة الحقة ومن الأخلاق الفاضلة على قدر ما تسمح به ظروف الزمان والمكان • ويصدق هذا القول على جميع الروابط التى تجمع الانسان بأسرته ، وبوطنه ، وبمواطنيه ، وبرؤسائه ، وبمرؤوسيه••

ونتيجة لابتداع منهج التحليل النفسى نجح فرويد فى فتح منافذ جديدة للبحث فى أغوار النفس الانسانية لم تكن معروفة من قبل • وهى فى جملتها تعتمد على أسلوب تشريح النفس الانسانية ، فكما أن تشريح الجسم الانسانى هو وحده الذى أتاح للطب أن يستكشف بعض أسرار هذا الجسم ، فكذلك تشريح النفس هو الذى أتاح لعلم النفس أن يوجد وأن يستكشف بعض أسرار النفس •

ولا ريب أنه يرجع الى هذه المدرسة الهامة فضل استكناه بعض أسرار اللاشعور واستكشاف دوره الخطير فى توجيه العديد من نواحى

السلوك الانسانى • صحيح ان العقل الباطن أو اللاشعور نفسه تعبير قديم ، وتحدث عنه عدد من الفلاسفة السابقين لفرويد ، ولكن هذا الأخير هو الذى أبرز — بأصالة فريدة فى نوعها — مدى ضخامة الدور الذى يلعبه هذا اللاشعور فى سلوك الانسان ، وبالتالى فى العديد من عناصر سعادته أو شقائه •

كما يرجع الى هذه المدرسة استكشاف دور العقد والمركبات النفسية ، وصلتها بظروف الانسان والاختبارات الأليمة التى مرت به منذ ولادته ، أيا كان نوعها ، وهى تعتبر الآن حقائق علمية ثابتة •

ويرجع اليها الفضل أيضا فى العناية بدراسة الأحلام،ومدى اتصالها الوثيق بالرغبات المكبوتة ، ومدى قدرتها على الافصاح عن المصدر الحقيقى للعديد من متاعب الانسان ومصادر شقائه • وذلك بعد أن كان الرأى السائد من قبل أن الأحلام مجرد مواقف لا تكشف عن أى أمر ، ولا صلة لها بأى مرض ، ولا تخضع لأى ضابط

ولا ريب أن فرويد نجح فى تخفيف العديد من الأمراض العصبية ، والأمراض النفسية عن طريق التحليل النفسى ، الذى يعتبر هو رائده الأول ، لكنه لا يزال بحاجة الى المزيد من التطور والارتقاء الذى قد يستغرق أمدا طويلا نظرا للصعوبة المفرطة التى تحيط باستكشاف مصادر الأمراض العصبية والعقلية وبايجاد علاج ناجح لها •

كما عرف فرويد أثر التنويم المغناطيسى فى استكشاف بعض مجاهل اللاشعور ، وفى علاج بعض حالات الهستريا ، وقد اقتبسه فرويد من الطبيب الفرنسى شاركو Charcot مدير مستشفى السالبترير Salpetrière بباريس ، وكان شاركو هذا صاحب سمعة عالمية فى هذا الموضوع بالذات، وعن هذا الطريق أدرك خطورة الايحاء وسلم بدوره فى علاج بعض الأمراض العصبية ، خصوصا منها تلك الهستريا التى قد ترجع الى الكبت الجنسى •

وفى نفس الوقت فان التسليم بعمق دور الغريزة الجنسية فى توجيه نوازع السلوك الانسانى فى حالتى الصحة والمرض على السواء ليس من شأنه أن ينفى دور باقى الغرائز التى تلعب أدوارا عميقة فى حياة كل انسان بحسب تكوينه الفطرى وظروفه الخاصة • وبعض هذه الغرائز قد فات أمره على فرويد ، أو لم يعطه العناية المطلوبة مثل غريزة الاحساس بالمجهول ، التى أعطتها المدارس اللاحقة لفرويد بعض هذه العناية التى تستحقها تماما •

* * *

وبسبب منهج فرويد فى التحليل تم الوصول الى حقيقة كبرى هى أن الأمراض والعقد النفسية أوسع انتشارا بكثير مما قد يتصور المرء لأول وهلة ، الى حد أن أسلوب التحليل النفسى يكاد لا يسلم بأن هناك انسانا خاليا تماما منها ، وكأن شأنها فى ذلك شأن الأمراض الوظيفية والعضوية التى يتعذر العثور على انسان سليم منها تماما •

ولذلك كثرت فئات الشواذ ، وانصاف المجانين ، والخاضعين لدوافع قهرية ، والمرضى بأمراض نفسية كثيرة كثرة تكاد تكون بلا ضوابط • فلم يعد الأمر كما كان فى الماضى مجرد موازنة بين عاقل ومجنون ، وبالتالى بين مسئول عن تصرفاته وغير مسئول • بل أصبحت الحدود بين الاثنين فضفاضة غامضة، لأن الوضع المألوف عند المريض النفسى هو اصابة جانب واحد أو أكثر من الشعور أو اللاشعور مع بقاء جوانبه الأخرى سليمة لا غبار عليها •

ولا ريب أن ظهور هذه الحقيقة الكبرى ضاعف من مسئولية المشترعين ، والفقهاء ، والقضاة ، والخبراء فى تقصى كل حالة على حدة ودراستها عن قرب لتحديد مدى مسئولية صاحبها جنائيا ، وبالتالى نوع الاجراءات المناسبة له ومداها ، ناهيك بنوع التدبير الوقائى المناسب له • ولذا اتجهت الشرائع المتحضرة الى وجهة العلاج بدلا من العقاب ، والاصلاح بدلا من الانتقام •

وهذا الاتجاه وان كان قد ابتدأ فى الظهور منذ أيام المدرسة التقليدية الجديدة بعد الثورة الفرنسية بسنوات قليلة ، الا أن مدرسة فرويد فى التحليل النفسى شجعته ، ودفعت به قدما الى الأمام — على أساس من الصواب — الى أن بلغ الارتقاء مداه فى تلك الشرائع التى تأخذ بنظام الخبرة المفروضة .

ويكفى فرويد فضلا فى منهجه أنه عرف أن الحب والكره وجهان لشيء واحد ، وأن التحول من أحدهما الى الآخر أمر يقع كثيرا لأوهى الأسباب . كما عرف أن الأم قد تقتل طفلها لفرط ولعها به . وأن الكره المكبوت كثيرا ما يجر الى العديد من المتاعب النفسية فى اليقظة والنوم . وكذلك القتل — على نحو أو آخر — فى تحقيق الذات أو اشباع غريزة حب العظمة .

وتوصل فرويد ببراعة نادرة الى اكتشاف عقدة أوديب Oedipus وهى ناجمة عن عشق الابن لأمه مع كره الأب بسبب الغيرة . وعكسها عقدة الكترا electra وهى ناجمة عن عشق البنت لأبيها مع كره الأم بسبب الغيرة . هذا ولو أن المناهضين لفرويد قد أثاروا حول هاتين العقدتين بالذات غبارا كثيفا لم يتغلب عليه العلم بعد .

* * *

وبطبيعة الحال لاقى فرويد مقاومة شديدة من معاصريه فى مبدأ الأمر قبل أن يتفهموا مذهبه فى التحليل النفسى التفهم المطلوب ، ويتقبلوه كمذهب له أسانيده الحقيقية عند بعض التغلغل فى أغوار النفس البشرية . وكان موقفه معهم مثل موقف كل صاحب كشف جليل من زملائه ومعاصريه ، فلابد دائما من المقاومة ومن الاعتراض الشديد . لكنه نجح فى النهاية فى ترويض البيئات العلمية الى مدى أو آخر ، كما نجح من قبله جاليليو ، ونيوتن ، وداروين ، وباستير .... فى اكتساب الجولة بعد صراع عنيف استمر أمدا طويلا .

وفى النهاية فلا تتردد — الآن — فى القول بأن فرويد قد طفر طفرة جليلة بعلم النفس ، لكن ينبغى النظر اليهـا دائما بوصفها طفرة أولى لا تزيد فى قيمتها عن طفرة باستير بالطب مثلا عند اكتشافه الميكروبات ، ولذا يلزم أن تعقبها طفرات وطفرات حتى يمكن أن يقال ان علم النفس قد عوض بعض عناصر تخلفه الشديد عن سائر العلوم الأخرى ، وأنه أخذ فى اللحاق بعلوم المـادة والطاقة فى تطورها السريع نحو الأمام — وهذا ما أتوقعه من مدارس الباراسيكولوجى رما يتصل بها من مباحث متنوعة ، تدور كلها حول محاولة اخضاع الظواهر غير المألوفة لمتطلبات البحث العلمى بأساليب معملية حـديثة ، أسـوة بالظواهر المألوفة — خصوصا المرضية — التى كانت وحدها تشـد انتباه فرويد فى مستهل حيـاته العلمية .

الفصل الثانى

ايذان بالتحول من علم النفس الى الروح لاستكشاف أسرار السلوك

عن تعريف « علم الروح » الحديث

يطلق على « علم الروح » الحديث بالانكليزية Psychic Science كما يطلق عليه بالفرنسية Science Psychique • ومن الخطأ الواضح أن يتصور أى انسان أن هذا الوصف يشير الى علم النفس ، فان علم النفس يعبر عنه بالسيكولوجيا Psychology بالانكليزية ، وبالفرنسية Psychologie • أما أى بحث يشير الى الـ Psychic Science أو ما يقابله بالفرنسية فهو يشير بغير أدنى شبهة الى علم الروح • وقد اصطلح البحاث على ذلك فى العالم أجمع منذ عرف البحث الحديث فيه طريقه الى الوجود ، فأطلقوه على مؤلفاتهم ، ومعاهدهم ، وجمعياتهم ، وهيئاتهم ، ومؤسساتهم ، ودوائرهم ، ومطبوعاتهم ، وكل ما يتناول بطريق مباشر أو غير مباشر البحث فى الروح ، بما فى ذلك ثبوت الحياة بعد الموت وحصول الاتصال بين الأحياء « والأموات » •

فأصبح لهذا التعبير Psychic Science معنى اصطلاحى محدد يشير الى هذا النوع من البحث ، ولا يشير الى بحوث السيكولوجى أو علم النفس • والكلمتان Psychic و Pyschology مشتقتان معا من الكلمة اللاتينية Psyché أى العقل أو النفس • فأصبحت الأولى تدل على علم الروح وحده ، وأصبح الاشتقاق القديم Psychology يدل على علم النفس وحده بمفهومه التقليدى • ولأن المعنى الاصطلاحى لكلمة Psychic يشير الآن الى الروح — لا الى النفس — ويقوم على التسليم « باحتمال » بقائها بعد الموت وبامكان الاتصال بها ، فان الترجمة الصحيحة لكلمة Métapsychique ينبغى أن تكون « ما وراء الروح » •

وتعبير « ما وراء الروح » مستخدم فى بعض البلاد اللاتينية كمقابل لعلم « الباراسيكولوجى » فى البلاد الانجلوسكسونية والألمانية•وكلا التعبيرين يشيران الى دراسة كافة الظواهر الوساطية بدون ارتباط مبدئى بمصدرها • وهذه الدراسة تمثل الجانب المعملى من علم الروح الحديث، أما جوانبه النظرية فمتعددة : منها مثلا دراسة مدى الارتباط بين هذه الظواهر الوساطية وبين حقائق العلوم الأخرى • ومنها أيضا دراسة مدى الارتباط بين هذه الظواهر وبين شتى المذاهب الفلسفية والعقيدية فى الأديان المعاصرة والمندثرة ، فهو يفتح الباب واسعا لدراسة علم العقائد المقارنة على أسس مستنيرة عصرية • ولذلك فانه لا ريب أن هذا العلم الروحى أصبح يمثل الرابطة الحقيقية التى تجمع فى عروة وثقى بين موضوعات شتى من العلم والفلسفة والاعتقاد ، لمحاولة فهمها كمسالك متنوعة للوصول الى معلومات صحيحة موحدة فى أخطر موضوعات الخلود ، بكل ما يتصل بها من مباحث مفرطة فى دقتها •

والتعبير الفرنسى Spiritisme (بالانكليزية Spiritism) يشير اشارة مباشرة الى الاتصال بالكائنات غير المنظورة ، وهو يعد على هذا الوضع فرعا من الأصل العام وهو « علم الروح » • ويستعمل بعض كتاب العربية وصف علم « تحضير أو استحضار الأرواح » ، كمقابل للفظ الأجنبى « اسبرتزم » وهو وصف يعوزه التوفيق كما هو واضح، لأنه يشير الى أن الروح قد تخضع لارادة انسان ما ، وهذا غير صحيح لأن الروح لا تؤمر ، وليس لأى انسان أن يزعم أن له عليها أى سلطان •

ودورالوسيط هو — فحسب — دورمن يمكنه الاستسلام لقوة واعية غير منظورة قد تريد طواعية أن تظهر نفسها بصورة ما للجالسين ، عن طريق السيطرة على جانب من وعى الوسيط متى أمكنها ذلك • وهذا الاتصال يكون لتحقيق هدف راق عند الأرواح الراقية وغير راق عند الأرواح غير الراقية •• أما دور الوسيط فهو سلبى بحت •

وهذه التسمية غير الموفقة « علم تحضير أو استحضار الأرواح » طالما جنت على البحث الروحى فى بلادنا ، وطالما دفعت بعض الوسطاء أو أدعياء الوساطة الى ايهام البسطاء أن بمقدورهم تحضير أو استحضار أى روح يطلبونها ، مع أن حضور الروح يتوقف على جملة عوامل : منها ارادة الروح نفسها وظروفها ، ثم قدرتها على أن تظهر نفسها باستخدام موهبة الوسيط ان كان يتمتع حقا بأية موهبة وساطية ، وقد يمكن للروح أن تستخدمها بحسب معلوماتها الخاصة ومرانها ، وقد لا يمكنها هذا الاستخدام مهما بذلت من جهد .

وفى جميع الجلسات الناجحة يلزم وجود أرواح مرشدة أو حارسة على كفاية خاصة ، قد تكون احداها بمثابة « وسيط أثيرى » بين الوسيط الأرضى وبين الروح راغبة الاتصال . وكل ذلك لا يجىء جزافا ، بل يحتاج الى مران ، وتنظيم ، وبيئة جادة ، والمام كاف بالموضوع للحكم على نجاح المحاولة أو فشلها . فدور وسيط الأرواح لا يعدو دور وسيط التنويم المغناطيسى ، وكل الفارق هو أن الأخير يخضع لارادة منوم لم يتخل عن جسده المادى بعد ، أما الأول فيخضع لارادة منوم قد تخلى عن جسده المادى « بالوفاة » ، وبشرط توافر عدد وفير من نواميس طبيعية لازمة لتحقيق أى اتصال روحى صحيح ، ولم يكشف العلم منها لغاية الآن الا عن أقل من القليل .

وكل مجرب فى الظواهر الوساطية يعلم جيدا كيف أنه قد يمضى أحيانا سنين طوالا لمحاولة الاتصال بروح شخص معين عبثا ، حين قد يتصل بأرواح كثيرة لم تخطر أسماؤها على باله من قبل . لأن نجاح عملية الاتصال الروحى لا يتوقف على مدى علم أى من العلماء الأرضيين، كما لا يتوقف على ارادة الوسيط أو قدرته ، فهى عملية أكثر تعقيدا مما يتصور البعض لأنها خاضعة لنواميس طبيعية ليس للعلم المادى عليها أى سلطان .

بل ان تسمية البحث فى الأرواح بوجه عام بأنه « العلم الروحى » لا ينبغى أن تنصرف الى معنى ادعاء العلم بطبيعة الروح بمعنى الشعلة القدسية التى تهب الحياة للانسان هنا وهناك ، فهذه لا يعرف أحد عنها شيئا بعد ، ولم يدع أى عالم أنه قدر أن يعرف كنهها(١) . فهـذا العلم ينصب مباشرة على دراسة الروح بمعنى الجسد غير المـادى للكائنات الحية لأنه حجر الزاوية فيه . وهـذا الجسد غير المـادى متداخل فى الجسد المادى ويشغل معه نفس الحيز من الفراغ كتداخل المـاء فىالعود الرطب .

فهو الذى يحمل الروح فى الكائنات الحية ويستمد منها الحياة ، كيما يهبها ــ الى حين ــ للجسد المـادى عن طريق حبل أثيرى يصل بين الجسدين المادى وغير المادى . فالجسد غير المادى أو الأثيرى بخصائصه الطبيعية وأهمها عدم قابليته للفناء ، وتأثيره المباشر فى الأثير ، هو محور علم الروح الحديث ، الذى كان يصح أن يوصف أيضا بأنه علم دراسة « الجسد الأثيرى » أو علم دراسة « العالم الأثيرى أو ما وراء المـادى» .

ولعل بعض الأوصاف الأجنبية لهذا العلم أقرب الى الدقة والتوفيق من وصف علم الروح . فهو يطلق عليه فيها ــ كما قلنا ــ Psychic Science بالانكليزية و Science Psychique بالفرنسية . كما يطلق على الاتصال بالأرواح وصف اسبرتزم Spiritisme المستمد من كلمة Spirit أو ésprit أى روح ، لا من كلمة Soul الانكليزية أو Ame الفرنسية وهى تعبر عن الشعلة القدسية التى تهب الحياة وقـد ينصرف اليهـا هى أيضا لفظ الروح العربى فى المفـهوم المـألوف له . وقـد آثرنا ترجمة عبارة Psychic Science بعبارة « علم الروح » لأنه أصبح وصفا شائعا معروفا . واستعمال أى وصف آخر له قـد يبعد الذهن عن حقيقة موضوعه . خصوصا وأننا تعودنا أن نستعمل كلمـة

---

(١) ولعل هذه الحقائق كلها تعطى تفســيرا كافيا الآية الكريمة ــ «ويسأونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا» . ولنا الى ذلك وقفة كافية فيما بعد فى البابين الثالث والرابع .

« روح » العربية فى التعبير عن أكثر من معنى • فنحن نســتعملها بمعنى النفس الناطقة فى الانسان ، كما نستعملها أيضا بمعنى الجسد الأثيرى •

فعلم الروح الحديث هو اذا العلم الذى يعنى ببحث ظواهر الوساطة الروحية ، فضلا عما قد ترسله الأرواح من بيانات شتى عن ظروف حياتها هناك ، وعن فلسفاتها وآرائها بالاضافة الى النظريات التى توضح الصلة بين عوالم « الأمر » و « الشهادة » فى ضــوء نظريات الاهتزاز وأمواج الأثير • أما الروح التى قد يرى البعض أن البحث فيها ليس فى متنــاول سبل الانسان العادية فهى الشعلة القدسية التى تهب الحياة للانسان ، ولست أعتقد أن أحدا من العلماء زعم لنفسه امكان اخضاعها للتحليل ، أو أنه وصل الى حقيقة كنهها • ولنا عند هــذه النقطة أكثر من وقفــة فيمــا بعد •

وهكذا كان البحث فى الروح فى بلادنا ضحية عدة أمور مجتمعة حتى الآن : منها تعريفه بأنه « علم تحضير الأرواح » ، وذلك مع أن الروح لا تخضع لارادة أى محضر ، ومنها أن كلمة روح تستعمل فى أكثر من معنى ، ومنها بوجه خاص أن طائفة من عناصر الشعوذة والخلط قد اندست فى الحركة الروحية ، فنأت بها تماما عن نطاقها العلمى والخلقى وأساءت أبلغ اساءة اليها ، ولاتزال تسيء حتى الآن تحت أوصاف براقة شتى •

ماذا عن موقف فرويد ؟

ويأخذ بعض العلماء أحيانا على مدرسة فرويد الارتباط المغالى فيه بالفلسفة المــادية فى النفس والوجود ، وذلك رغم نأى هذه الفلســفة وعجزها عجزا كاملا عن تفسير جانب ضخم من الظواهر الروحية • هذا وان كان بعض المؤلفين مثل روبرت داونز يقول فى كتابه « كتب غيّرت العالم » ان فرويد قد انشغل فى أواخر حياته بغريزة الموت حتى جعلهــا على نفس المستوى من الأهمية مثــل غريزة الجنس • ويقــول فرويد فى شأنها ان ثمة غريزة للموت تدفع كل الكائنات الحية الى العودة الى

الحالة غير العضوية التى جاءت منها (١) •

والعودة « للحالة غير العضوية » أمر آخر غير الفنــاء عن طريق الموت ، هذا الفناء الذى كان يبدو له فى مطلع حياته العلمية من الأمور الواضـحة ، لأنه لم يكن قـد اطلع بعد على تحقيقات علمـاء متعددين فى موضـوعات الظواهر غير المألوفة والتى كان علـم النفس التقليدى يتجاهلها فيما مضى ، ثم تنبه الى خطورة دورها ودلالاتها فيما بعـد ، فتحول العلم الى الاهتمام الشديد بها ، والى محاولة توسيع رقعة البحث فيهـا لاستخلاص العنصر أو العناصر المستقرة فى كل طائفة من هـذه الظواهر •

وذلك هــو بوجه خاص ما عنيت به مدارس البــاراسيكولوجى Para Psychology أو ما وراء الروح La Métapsychique التى أظهرت التكوين العقلى ــ الروحى للانسان أعمق تركيبا وتعقيدا بمراحل كثيرة مما تصوره فرويد ، وألقت على هذا التكوين أضواء مفرطة فى أهميتها وفى اتساع نطاقها بحيث لا يمكن أن يتجاهلها الآن أى بحث علمى جاد فى دراسة أسرار هذا التكوين •

وهــذا ما اتجه اليه بالفعل عباقرة نفسيون كبار تداركوا ما لدى فرويد من قصــور ونقص فى بعض نواح يغلب عليهــا طابع الافتراض المتسرع ، وذلك بتأثير من ذيوع الفلسفة المـادية التى كانت تســود فى الأوساط العلمية الى حين ظهور مدرسـة فرويد ، بل حتى السـنوات الأخيرة من حياته ، الى أن حصل تطور بالغ الخطورة فى هذا الشأن حتى فى أشد الأوساط العلمية تزمتا فى الغرب (٢) •

---

(١) راجع صلاح عدس فى مؤلفه عن « ملامح الفكر الأوروبى المعاصر » ١٩٧٦ ص ٧٧٠ . وبنفس المعانى « الذات والغرائز » المرجع السابق ص١٤

(٢) للمزيد فى ذلك راجع مؤلفنا « مفصل الانسان روح لا جسـد » طبعة رابعة ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ الجزء الأول ص ٣١١ـ٣٤٤ ، ٣٦٤ـ٣٧٩ ، =

فلم يكن فرويد عدوا لمبدأ البحث العلمى فى الظواهر غير المألوفة، أو رافضا للمبدأ فى ذاته ، بل كان على العكس من ذلك مطالبا بالمزيد من التوسع فى دراستها ، ومن ترتيب نتائجها الضرورية أية كانت هذه النتائج ، التى يبدو أنها لم تتضح له تماما الا فى السنين الأخيرة من حياته ، أى قبيل وفاته فى سنة ١٩٣٩ •

ومن ذلك أنه حرر الى اجتماع « اللجنة المركزية للجمعية الدولية للتحليل النفسى »(١) تقريرا يرجع الى أغسطس سنة ١٩٢١ بهذا الشأن ، ومما ورد فيه : « ليس من الممكن بعد الآن أن ندع جانبا دراسة الوقائع التى يطلق عليها الوقائع الغيبية occult facts (وهى تلك التى أصبحت فيما بعد موضوع الباراسيكولوجى) أى تلك الأمور التى يبدو أنها تنبىء عن الوجود الحقيقى لطاقات روحية غير تلك المعروفة عن الروح الانسانى والحيوانى • أو تلك الطاقات التى تكشف عن ملكات عقلية **لا نؤمن بوجودها حتى الآن** ، فتلبية النداء الى اجراء هذا النوع من التحقيق أمر لا يمكن مقاومته ••• » •

كما ورد فى نفس هذا التقرير « ولا يمكن القول بأن من الواضح أن تقوية الاهتمام بدراسة الغيبيات يمثل خطرا على التحليل النفسى • بل على العكس من ذلك علينا أن نتوقع تعاطفا متبادلا بين الحقلين • فكلاهما كانا محلا لمعاملة ظالمة ومغرضة من « العلم الرسمى » •••. والدعوات العديدة التى تتلقاها من الدارسين للغيبيات Occultists تظهر أنهم يعتبروننا ننتمى الى مجموعتهم فى جانب من أعمالنا بالأقل ،

= ٣٨٢–٣٨٨ ، ٤٦١–٤٦٨ ، ٦٦١–٧٠٤ ، ٨٤١–٨٦٥ ، والجزء الثانى ص ٣١ – ٣٧ ، ٧١ – ١٢٤ والجزء الثالث ص ٥٦٩ – ٦٧٥ ، ٧١٨ – ٧٣٣ ، ٧٥٩ – ٧٨٢ ، ١١٠٠ – ١١٠٦ • وأيضا راجع كتاب « الاتصال بين عالمين » تأليف ماثيو ماننج • الطبعة العربية بمعرفتنا سنة ١٩٨١ • المقدمة ص ٥ – ٢٤ ، ٤٢ – ٦٦ •

(١) Central Committee of the International Psychoanalytical Association.

وأنهم يعولون علي تأييدنا لهم لمواجهة تأثير نفوذ هذا «العلم الرسمي» ... ولذا فان قيام تحالف أو تعاون بين التحليل النفسى والباحثين فى تلك الظواهر ، يبدو أمرا مرغوبا فيه ومفيدا » ...

ثم يضيف قائلا : « ومن الراجح أن دراسة الظواهر الغامضة ستؤدى الى أن تتقبل وجود طائفة حقيقية من هذه الظواهر ، لكن يبدو أيضا أنه ستمضى فترة طويلة من الوقت قبل أن يتمكن الانسان من أن يصوغ نظرية مقبولة تدخل فى الاعتبار صحة هذه الوقائع الجديدة .

والأشخاص المتلهفون بشوق لن ينتظروا طويلا مع ذلك . وعندما يرتقى العلم خطوة الى أعلى فى هذا الشأن فان الدارسين للغيبيات سيعلنون أنهم قد كسبوا دعواهم ، لأن الايمان بصحة واقعة واحدة من الوقائع المدّعاة ، سيحمل على محمل الايمان بصحتها كلها . وسيتسع أفق الايمان بصحة هذه الظواهر حتى يشمل أيضا الايمان بتلك التفسيرات لهذه الظواهر التى يؤثرونها على غيرها ، ويعتزون بها ...

وانه لأمل خائب أن يهرب التحليل النفسى من التدهور فى القيم لمجرد أن موضوعها هو بكل بساطة اللاشعور الغامض . فاذا كانت الأرواح ، كما يألفها الانسان تقدم التفسير النهائى ، فعند ذلك سيتضاءل الاهتمام ببذل الجهد الشاق للاقتراب من تحليل الطاقات الروحية المجهولة .

وفن التحليل النفسى لن يصبح مهجورا حتى عندما يراودنا الأمل بأن الأقيسة الغيبية ستمكننا من أن ندخل فى اتصال مباشر مع أرواح تحدد لنا كل شىء . وسيكون موقفنا عند ذلك مثل موقف انسان يهجر أسلوب العمل الصبور المدقق ، باحثا عن اقتناء الثروات بضربة واحدة عن طريق المضاربات .

وخلال الحرب (التى انتهت فى سنة ١٩١٩) سمعنا عن أشخاص تحيروا فى الوقوف بين دولتين عدوتين ، ينتمون الى احداهما بالميلاد ، والى الأخرى بالاقامة . فكان من قدرهم أن عوملوا كأعداء من احدى الدولتين أولا ، وعندما أسعدهم الحظ بالهرب منهـا ، عوملوا أيضـا كأعداء فى الدولة الأخرى . ومصير التحليل النفسى يمكن أن يضبح مماثلا لمصيرهم .

ومع ذلك فعلى كل انسان أن يتحمـل قـدَره ، أيا كان نوعه . وسيكون على التحليل النفسى أن يتجاوب أيضا مع قدَره . ولكن دعونا نعود الى الحاضر ، والى الجهد الذى ينبغى بذله فورا . وفى خلال هذه الأعوام الأخيرة المـاضية قمت بعمـل بعض ملحوظات لا أرغب فى أن أمنعها على الأقل من أولئك الأشخاص القريبين منا ...

ولذا فاننا ننوى أن نواجه هـذه الأمور بنفس الأسـلوب الذى نواجه به أية مادة أخرى تكون موضـوعا للتحقيق العلمى . ويكون علينا — بادىء ذى بدء — أن نقرر ما اذا كانت هـذه الأحداث تحدث فعلا أم لا ، وعندئذ ، بل عندئذ فقط عندما لا تكون هناك شبهة شك بشأن صحتها ، سنستقر على رأى حول تعليلها . ولكن ليس بمقدورنا أن تخفى على أنفسنا أننا حتى اذا ما خطونا الخطوة الأولى فى شأنهـا فسنجدها محفوفة بالصعاب الناجمة عن عوامل عقلية ، ونفسية وتاريخية لا تماثل تلك الصـعاب التى تقابلنـا عنـدما نبدأ أى تحقيق علمى آخـر ... »(١) .

* * *

---

(١) راجع أربعة تقارير ومحاضرات لسيجموند فرويد فى نفس هـذا الاتجاه منشورة فى كتاب عنوانه «التحليل النفسى والغيب» Psychoanalysis and the Occult 1974 صفحة ٤٧ — ١٠٩ ، وهى مترجمة عن الألمـانية بمعرفة جورج ديفيريه G. Dévereux

ويتضمن هـذا الكتاب مجموعة مقالات وابحـاث لسبعة عشر عالمـا معاصرا من العاملين فى حقل التحليل النفسى شارحة موقفهم من دراسات الظواهر غير المـألوفة ، ومدى اتصالها بهـذا التحليل .

وبعدئذ يستطرد فرويد فى تحليل الصعاب المحتملة التى ستكتنف البحث فى تلك الظواهر ، لكنها مع ذلك لا يجب أبدا — فى تقديره — أن تعوق طريقه لفرط خطورة هذا البحث واتصاله بأغوار اللاشعور . ولذا فهو يدعو العاملين فى حقل التحليل النفسى الى الاسهام فى هذا النوع الجديد من البحث بكل اقدام ونشاط .

وهـذا ما تحقق بالفعل خصوصا منذ دوّن فرويد هذه الأقوال الخطيرة فى كل حرف منها فى سنة ١٩٢١ ، وتكشّف البحث اللاحق عن نتائج عديدة حاسمة مترامية فى أبعادها ، ومفرطة فى خطورتها .

وكان من رواد هذا النوع من البحث الجـديد من أبناء مدرسة التحليل النفسى ولهلم شتيكل Wilhelm Stekel زميل فرويد فى العـديد من أبحـاثه ومؤلفاته فنشر فى سنة ١٩٢١ بحثـا عن « الحلم التخاطرى » The Telepathic dream ثم أعقبه فرويد نفسه فنشر فى سنة ١٩٢٢ بحثا عن ظاهرة التخاطر Telepathy ، وهو أول بحث اضطلع به فرويد فى موضوع يعد من أهم موضوعات الباراسيكولوجى . وقد عرف فيه هذه الظاهرة بأنها «استقبال عملية عقلية يجرى بمعرفة أحد الأشخاص من آخر بطرق أخرى غير الادراك الحسى » .

كما اطلع فرويد بطبيعة الحال على تلك النتائج الصارخة التىوصل اليها غيره فى شتى موضوعاتها فدفعته الى أن يعلن — بعد انكار وتردد داما طويلا — اقتناعه بدوام الحياة بعد الموت ، وبأن الموت — كما سبق القول — « مجرد عودة للكائن الحى من الحـالة العضـوية الى الحالة اللاعضوية التى جاء منها » .

وذلك بعد أن كان فرويد قد شيّد فعلا جل مفاهيمه النفسية على النظر الى الانسان بوصفه محض آلة محكومة بقوة الغرائز والملكات الفطرية . أى بعد أن حاول أن يختزله فى جانبه العقلى والروحى — مثلما اختزله الأطباء العضويون — الى آلياته الكيميائية .

... ولكن يوجد دائما محللون نفسيون من أبناء مدرسة فرويد ــ خصوصا فى الشرق الأوسط ــ يتصورون رغم ذلك أن من واجبهم ــ أو من حقهم أن يتنكروا لهذه النتائج حتى الآن رغم أبعادها المترامية وربما لنفس الذريعة التى كانت وستظل ستارا لكل تخلف وجمود وهى ذريعة « الحفاظ على التراث المجيد » والاشفاق عليه من أن يلحقه أى تجديد !! ...

لذا نجدهم قد ارتبطوا وجدانيا وذهنيا بافتراضات عديدة خاطئة ألقاها فرويد متسرعا وقبل أن يبدأ فى اقتحام مشكلات الباراسيكولوجى، وقبل أن يراجع العديد من هذه الافتراضات فى ضوء التطور الخطير الذى لحق وسائل الخوض الى أعماق الانسان . وهى افتراضات لو كان فرويد لايزال حيا حتى الآن لما تردد هو نفسه فى رفضها ، وفى العدول عنها ، لأنه كان عالما مرنا راغبا دائما فى التوصل الى الحقائق الثابتة ، ولو من أشق طرقها . وكان كثيرا ما يراجع بعض آرائه اذا ما تبين له خطؤها أو قصورها عن مواجهة بعض الحالات التى تكشفت فيما بعد ، أو تلك التى نبهه اليها زملاؤه ، أو خلفاؤه فى حقل التحليل النفسى ، على ما وضحناه فيما سبق .

ولكن لعل أفدح ما يصح أن يؤخذ عليه فى هذا المجال ، أن بحوث الباراسيكولوجى كانت قد بدأت فعلا فى أوروبا وأمريكا منذ أواخر القرن الماضى . ووصل الرواد الى نتائج عديدة مفرطة فى أهميتها وتتعارض تماما مع البنيان النظرى الذى حاول فرويد أن يشيده عن النفس الانسانية ، لكنه وقف مع ذلك موقف الحياد بشأن تلك النتائج التى وصل اليها الآخرون ، وذلك فى موضوع لا يقبل أبدا الحياد بل كان ولايزال يتطلب جوابا حاسما بالايجاب أو بالسلب .

وذلك لأن من يقف موقف الحياد من موضوع الروح يتعين عليه أن يقف أيضا موقف الحياد من موضوع النفس ، لأن الروح هى النفس،

والنفس هى الروح • وعندما اقتنع فرويد بخلود النفس قبل اصدار كتابه الأخير فى « الذات والغرائز » كان من المفروض عليه أن يعيد من جديد صياغة كل بنيانه العلمى اعادة جديدة فى ضوء النتائج اليقينية التى وصل اليها عدد من علماء النفس فى العديد من البيئات العلمية •

وكان عليه أن يعيد الصياغة بشجاعة أدبية ، وبجرأة مطلوبة ، وهذا مالم يفعله • ولو فعله لظلت نظريته محتفظة حتى الآن ببعض قيمتها العلمية التى أخذت تتهاوى سراعا فيما بعد ، كلما توصل العلم الى تسجيل حقيقة جديدة عن خبايا السلوك الانسانى التى تتعارض تماما مع العديد من افتراضاته المتسرعة ، والتى أشرنا الى بعضها فيما سبق • وأيضا تتعارض مع بعض وجوه هذا التحول الخطير من السيكولوجى الى الباراسيكولوجى •

وهذا هو الأمر الذى دفعنى الى بذل هذا الجهد الحالى لتنبيه أذهان جميع المعنيين بالتعرف على بعض أسرار هذا السلوك لمحاولة تخفيف آلام المرضى والمحرومين ، بدلا من التشبث الضار بجميع المفاهيم القديمة التى تراجعت الآن لحساب مفاهيم آخرى آكثر صدقا وترابطا منها •

ارهاصات التحول عند اعلام آخرين

واذا كان الارتباط مقدما بافتراضات معينة من شأنه آن يعوق تقدم العلم والفلسفة — بل اللاهوت أيضا — فان ارتباط العلوم الانسانية بافتراضات ثبت خطؤها بالفعل عن مادية الحياة والوجود قد عاق تقدم هذه العلوم ، ولايزال يعوقها حتى الآن الى المدى الذى وصفه ألكسيس كاريل Alexis Carrell الطبيب والفسيولوجى المعروف ، وصف صدق عندما قال « ان باثولوجية العقل (علم الأمراض وطبائعها وأعراضها) تعتمد على السيكولوجيا (علم النفس) مثلما تعتمد باثولوجية الأعضاء على الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء)••ولكن الفسيولوجيا

علم فى حين أن السيكولوجيا ليست علما .. اذ مازالت السيكولوجيا تنتظر كلود برنارد Claude Bernard أو باستير Pasteur آخر ...

لقد كانت السيكولوجيا موجودة فى حالات الجراحة حينما كان الجراحون حلاقين ، وفى الكيمياء قبل لافوازييه Lavoisier ، ومع ذلك فقد يكون من الظلم أن نتهم النفسيين العصريين ووسائلهم بالنظر الى الحالة البدائية الحاضرة لعلم النفس ، اذ أن شدة تعقيد هذه المادة هى السبب الرئيسى فى جهلهم » ...

ثم يستطرد كاريل قائلا « وقد أحدث فرويد أضرارا أكثر من تلك التى أحدثها أكثر علماء الميكانيكا تطرفا ، فان من الكوارث أو نختزل الانسان فى جانبه العقلى مثل اختزاله الى آلياته الكيميائية .. ومع ذلك فان استبدال الروحى بالمادى لن يصحح الخطأ الذى ارتكبه عصر النهضة . فاستبعاد المادة سوف يكون أكثر اضرارا بالانسان من استبعاد العقل.وانما سيوجد الخلاص فقط فى التنحى عن جميع المذاهب ، وفى القبول التام لمعلومات الملاحظة ، وادراك الحقيقة القائلة بأن الانسان لا يقل ولا يزيد عن هذه المعلومات .. »(١) .

وفى نفس الاتجاه يقرر كارل ياسبرز Karl Jaspers الفيلسوف وعالم النفس المعروف « كان طبيعيا أن تسيطر على النفوس أساليب فرويد ومدرسته فى مجتمع مهزوز مكدود ، ومن الممكن آن نلاحظ أن الناس فى عالمنا المقلوب هذا قد أحسوا حاجة شديدة الى التحرر ، وجاء التحليل النفسى فزودهم بذلك الوهم ، وكان مخادعا خداع ذلك العالم ذاته .. اننا هنا بصدد عملية جبارة من عمليات الاستهواء الذاتى الذى هو نتاج صادق لهذا العصر .. »(٢) .

---

(١) « عن الانسان ذلك المجهول » L'homme Cet Inconnu ترجمة عادل شفيق ص ٢١٥ — ٢١٦ .

(٢) عن « مستقبل الانسانية » ترجمة عثمان أمين ص ١٠ .

وما يصدق فى هذا الشأن على علم النفس يصدق بنفس المقدار على علم الاجرام الذى يعتمد فى جانب كبير منـــه على بحوث علم النفس ، كما يعتمد فى جانب آخر على بحوث علم الانسان • ولذا يطلق عليـــه وصف « علم الانسان الجنائى » أو « الأنتربولوجيا الجنائية » ، وذلك بالاضافة الى بحوث علم الحياة « البيولوجيا » وعلم وظائف الأعضـــاء « الفسيولوجيا » ، ويبدو أنها لاتزال كلها علوم تتعثر بافتراضات كثيرة عن مادية الكون والوجود ، بالأقل فى بعض جوانب هامة منها •

* * *

ولحسن الحظ يبدو أن قد قدِّر للانسان أن يفيق من غفلته أخيرا بعد طول مكابرة ، فقادته نفس أساليب البحث الوضعى الى اتجاهات أخرى جديدة كان يبدو فيما مضى أن هـــذه الأساليب لا يمكن أن تقود اليها • وتبدو ارهاصات هـــذه الاتجاهات الجديدة فى كتابات عدد وفير من علمـــاء النفس منهم أبرز ثلاثة خلفـــاء لفرويد وهم : آلفـــريد أدلر Alfred Adler (١٨٧٠—١٩٣٧) ووليام مكدوجال W. Macdougall (١٨٧١—١٩٣٨) ، وكارل جوستاف يونج C. G. Jung (١٨٧٥—١٩٦١)•

فبعد أن حاول فرويد أن يؤسس دعائم علم النفس على أساس من النظر الى الانسان بوصفه آلة محكومة بقوة الغرائز والملكات الفطرية ، وبخاصة بقوة الغريزة الجنسية والاحساس بالعظمة ، وغيرهما من الغرائز، اذ بنا نجد آدلر — بعد انضمامه الى نظريات فرويد — يعلن كفره الصريح بهـــا ، وينادى بأنه « لو كانت الغرائز والملكات الفطرية هى التى تتحكم من كل جانب فى سلوك الانسان لمـــا كان فى مقدوره أن يدخل أى تعديل على شخصيته الا الى حـــد محدود ، وذلك كيما تستجيب الى ما تتطلبه البيئة التى يحيا فيها •

ومن المحال أنتتكون الشخصية وتنمو الا اذا كانت الذات الانسانية تتجه فى نشاطها اتجاها غائيا ، لأن الغاية التى تسعى اليها الذات ، وتنشط للوصول اليها ، هى العامل الحاسم فى توجيهها ، وقد يبلغ ذلك حدا من

الوضوح والجلاء دفع الفلاسفة وعلماء النفس فى كل العصور الى التسليم بتداخل مبدأ الغائية ، حتى فى تلك المسائل التى لاتحتاج الا الى محاولة بسيطة للتوجيه الارادى المحدد نحو نقطة يعتبرها الانسان ثابتة لا تتزعزع » .

ويقول آدلر فى هذا الشأن ان علم النفس الفردى يختلف فى ذلك عن المدارس الأخرى التى تميل غالبا نحو التفسير الآلى للنشاط الانسانى فى أنه يرتبط بمبدأ الكلية ، أى أنه ينظر الى الكائن فى مجموعة ، ويتبع هذا المبدأ حتى آخر نتائجه ، مؤمنا أن الغاية تسيطر على الذات البشرية، فلم يعد يعنى خلال البحث فى تسلسل العمليات الذهنية بالبحث عن مصدرها ، بل عن أهدافها .

والحياة الروحية للانسان تتحدد بحسب رأيه تبعا للغاية التى يستهدف الفرد تحقيقها ، والمرتبطة بحاجته للتوافق مع البيئة التى تحيط به ، ولذا فهو لا يمكن أن يتصور العقل البشرى بمثابة أنواع من المجموعات الكهربية ، فحسب بل بمثابة مجموعات معقدة من الطاقات المتحركة التى تصدر رغم تعددها عن علة واحدة ، وتسعى الى تحقيق هدف مشترك . وبالتالى فاننا يمكن أن نتصور وجود هدف للحياة الروحية يتجه نحوه كل صنوف النشاط التى تمارسها هذه الحياة (١) .

ومن ثم فان علم النفس الفردى لا ينبغى أن يبحث فى عناصر العقل أو النفس ، بل فى العقل برمته ، وينبغى أن يهتم دائما بالهدف أو الغاية من كل احساس أو انفعال .

وهو يرى أيضا أن المثل الأعلى للشخصية الذى يتخذه أى انسان يبقى عاملا فعالا على وجه الاستمرار ، ويلزمه التصويب على وجه الاستمرار نحو أهداف عينت من قبل ، لأن الغائية التى تميز سلوك الفرد

---

(١) Adler : Understanding Human Nature London 1930 p. 19.

تحدد سبلا معينة لجميع ضروب النشاط الشعورى واللاشعورى

ويؤكد آدلر أن كل الكائنات الحية تتميز بالحركة ، وأن كل حركة لابد لها من هدف وغاية ، لهذا كان لكل كائن حى غاية يسعى نحوها . وفيما يتعلق بالانسان خاصة ، يقرر أنه من المحال أن نفهم سلوكه وأعماله الا اذا تعرفنا على الغاية التى يسعى نحوها (١) .

كما نجد آدلر ينكر أن يكون الشعور الجنسى هو المحرك الخفى الذى يوجه جل نوازع النفس الانسانية ، وأهم ميولها ومخاوفها . بل يذهب الى أن حب الحركة لتحقيق الذات هو هذا المحرك الخفى الأصيل فى كل انسان لأن الذات أوثق صلة به من جنسه ، ولأن « الأنا » فيه أسبق وأعرق من الذكورة والأنوثة معا . وهكذا ابتعد آدلر عن أستاذه فرويد واقترب بعض اقتراب من المصدر الخفى للنوازع الانسانية .

عن التحول عند يونج

ومثل هذه الآراء نجدها عند مكدوجال ، كما نجدها بوفرة شديدة وبصورة أشد وضوحا ورسوخا منه ، عند يونج الذى نقد نظريات فرويد وآدلر معا مقررا « أن المأخذ الذى يمكن أن يوجه الى نظريات فرويد وآدلر ليس هو أن هذه النظريات مؤسسة على الغرائز ، بل انها تنظر الى الأمور من جانب واحد ، وهو جانب علم النفس بدون الروح ، هذا الجانب الذى يناسب الأشخاص الذين يظنون أنه ليس لديهم احتياجات أو تطلعات روحية ، ولكن هنا يخدع الطبيب والمريض كلاهما نفسه .

وحتى ان كانت نظريات فرويد وآدلر تقترب الى قلب الاضطرابات العصبية أكثر من اقتراب الجانب الطبى منها ، فان اهتمامها بالغرائز وحدها يقصر عن أن يرضى الاحتياجات الروحية الأعمق من ذلك للمريض . فهى مرتبطة أكثر مما ينبغى بافتراضات علوم القرن التاسع عشر ، وهى

---

(١) Adler : Le Témperament Nerveux. Paris 1962 p. 76.
وللمزيد راجع رمزى اسحق « علم النفس الفردى » ١٩٦١ . ص ٨٤ — ٨٩ .

مادية أكثر مما ينبغي ، وتعطى قيمة أقل مما ينبغي لقوة التصور والتخيل وفى كلمة لا تعطى مغزى كافيا للحياة » [١] .

ومثل هذه الآراء نجدها بنفس القوة والوضوح عند عدد من أكبر علماء وفلاسفة العقل والنفس المعروفين فى القرن الحالى من أمثال وليام جميس W. James ، وهنرى برجسون H. Bergson ، وغيرهما ، بالاضافة الى عدد من أبرز علماء البيولوجيا ، والفيزياء ، والرياضة الذين أخذوا يعنون منذ أوائل القرن الحالى بتأكيد أن العلوم الانسانية لا تفسر شيئا على الاطلاق من ظواهر الوجود ، حتى ذلك الوجود المادى بحسب مظهره والخاضع للحس وللادراك ، الذى يبلغ ذروته فى الانسان وفيما يتصل به من شتى ظواهر السلوك التى تعنى بها العلوم الانسانية وفى مقدمتها علما النفس والاجرام ، بالاضافة الى علوم الحياة وفى مقدمتها البيولوجيا والفسيولوجيا .

وفى هذا الشأن يتحدث بحق كارل جوستاف يونج K. Jung قائلا : « ان الحاجة ماسة الى الجهود الشاقة ذات الطبيعة الثورية لتحرير علم النفس من التحامل المغرض الذى يرى من جانب أن الروح ليست أكثر من ظاهرة مصاحبة لعملية كيميائية أساسية فى المخ ، أو من جانب آخر يرى أنها عملية غامضة يتعذر تماما الوصول اليها ...

ان ظواهر الباراسيكولوجي تدفعنا نحو الدقة والحذر ، لأنها تشير الى وجود قدرة على الادراك النسبى للزمان وللمكان من خلال عوامل روحية من شأنها القاء الشك على تفسيرنا الساذج عن التوازن بين ما هو روحى وما هو فيزيقى . وهذا التفسير هو الدافع الذى دفع

---

(١) عن كتاب « علم النفس والدين فى الغرب والشرق » .
Psychology and Religion. West and East. 1958.
ترجمة انجليزية بمعرفة ر. ف هال R. F. Hull مجلد ١١ ص ٣٢٩ — ٣٣١ .

بعض الأشخاص الى الاعتراض كلية على اكتشاف الباراسيكولوجى وذلك انطلاقا من أسباب نظرية من جانب،ومن الخمول الفكرى من جانب آخر.ولكن من العسير علينا أن نعتبر هذه الآراء المعترضة علمية مسئولة، حتى ولو كانت شائعة ونابعة من محض اعتراضات ذهنية غير مألوفة .

واذا أردنا تقييم بعض الظواهر لتعين علينا أن نضع فى الاعتبار سائر الظواهر الأخرى المرتبطة بها . وعلى هذا الأساس فانه لن يكون بمقدورنا ممارسة أية سيكولوجى تتجاهل وجود اللاشعور ، أو تتجاهل الباراسيكولوجى »(١) .

* * *

ولعل من المفيد أن نذكر هنا أن يونج بدأ حياته العلمية برسالة للحصول على الدكتوراه فى علم النفس موضوعها الظواهر غير المألوفة ناقشها فى سنة ١٨٩٩ بعنوان « السيكولوجى والباثولوجى فى الظواهر المسماة بالغيبية »(١).وقد أسس يونج رسالته على دراسات قام بها على وسيطة روحية شابة تبلغ السادسة عشرة من عمرها (وأخفى أنها ابنة عمه) وأشار الى الحرفين الأولين من اسمها فقط وهما S. W. (وقد توفيت فى السادسة والعشرين من عمرها) .

وفى جلسات هذه الوسيطة اقتنع يونج بأن الروح المرشد لهذه الوسيطة هو جده مع أرواح أخرى مرشدة . وكان يونج فى الجملة من أسرة وسطاء موهوبين ، فقد كان جده وجدته صاحبى جلاء بصرى ، وكانا يريان الأرواح . كما ورث يونج نفسه عنهما موهبة روحية أخرى هى موهبة تأثير العقل فى المادة ، أو نقل المادة بغير طريق الملامسة Telekinesis وأحيانا احداث صوت فرقعة فى هذه المادة .

---

(١) عن مؤلفه « الذات التى لم تستكشف » طبعة رابعة سنة ١٩٦٩! ص ٤٣ وما بعدها . The Undiscovered Self.

(٢) The Psychology and Pathology of So-Called Occult Phenomena.

وحرر يونج عن موهبته هـذه تقريرا الى جوزيف راين J. Rhine رئيس قسم الباراسيكولوجى بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية أشار اليه راين فى مؤلفه عن « الوصول الى العقل » (١) (١٩٤٧) .

ويقول يونج عن نفسه انه يبدو له أحيانا أنه عاش على الأرض فى زمنين مختلفين . وأنه كان متجسدا فى القرن الثامن عشر ، وكان يتمثل نفسه فى صورة شخص قديم لهذا السبب ..

وعندما اقتنع يونج بصحة الروحية واصل اختباراته مع بعض الوسطاء الأقوياء مثل رودى شنيدر Rudi Schneider وأوسكار شلاج Oscar Schlag . وحرر خطابا الى البروفسور فرتيز بلانك Fritz Blanke قرر له فيه أنه مقتنع بأنه شاهد فى حضورهما ظواهر حقيقية : منها تحريك الأجسام الصلبة بدون ملامسة ، والتجسدات أيضا (٢) .

وعقدت هذه الجلسات فى منزل الدكتور برنولى Bernoulli وقد حرر عنها بدوره تقريرا نشره فى مجلة الباراسيكولوجى (بالألمانية) (٣) . وأكد يونج فى كتاب نشره الدكتور فانى موزر Fanny Moser عنوانه « الشبح Spook » صحة اختبار مر بهم فى منزل مسكون بانجلترا فى سنة ١٩٢٠ .

واختبر يونج بنفسه العديد من الأحاسيس المسبقة باقتراب بعض الحوادث ، Premonition of approach والأحلام التنبؤية (اذ حلم بوفاة أمه قبل حدوثها) ، والطرح الروحى أثناء النوم ، والسياحة مع

---

(١) The Reach of the Mind P. 89-90.

(٢) Published in Zeitschrift fur Parapsychologie 1931 P. 315.

(٣) المرجع السابق .

أرواح الأموات . كما كانت له اختبارات خاصــة فى الجلاء البصرى ، وتلقى رسائل بطريقة التخاطر ، والطرح الروحى عنـدما شخّصوا وفاته خطأ بسبب نوبة قلبيـة ، وظل لمدة ثلاثة أسابيع بعـدها فى ذهول من نفسه مما رآه فى طرحه الروحى فى خلال فترة مرضـه فى أوائل سـنة ١٩٤٤ . واختبر بنفسه أيضا ظاهرة « رؤى من قبل »(١) .

وخلص يونج الى وجود لاشعور عام Collective unconscious يؤدى للمجتمع ما يؤديه اللاشـعور الفردى للفرد من وظائف خطيرة . والى وجود نمـاذج عتيقة Archtypes من الحيـاة تسبح فى أرجاء الفضاء غير المنظور ، هذا بالاضافة الى اقتناعه بوجود جسـد هيولى أو أثيرى للانسان أطلق عليه وصف « الانسـان السماوى » وهو حامل شعلة الحياة قبل وبعـد الموت . ولنـا الى ذلك كله عودة فى أكثر من مناسبة لاحقة .

ومن النظريات الهامة التى خلص اليها يونج من اهتماماته الروحية نظريته فى التعـاصر أو التلازم خارج السـبب والنتيجة **synchronicity** وهى تحاول أن تلقى الضوء على بعض صور التعاصر التى يبدو لها تسلسل خاص لكنها تحدث من وراء قانون العلية المـادية المـألوفة فى تسلسل الأحداث الطبيعية(٢) .

التحول يتكشف عن انجازات ضخمة متلاحقة

أسـلوب فرويد فى التنقيب عن أسرار اللاشـعور يكاد ينحصر

---

(١) كل هذه الوقائع دونها يونج بنفسه فى كتاب له عنوانه :
Memories, Adventures, and Reflections 1963.

راجع منه بوجه خاص ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ، ٣٢٣ ، ٥٢١ — ٥٢٢ ، ٥٢٢ — ٥٢٣ .

(٢) للمزيد عن يونج راجع
Nandor Fodor : Between two Worlds 1964, P. 35-40

بصفة أساسية فى وسيلتين : هما استخدام التداعى الحر المطلق ، أى ترك فكر المريض ينطلق كيفما يشاء هائما على وجهه كيما يستطرد عن طريق هذا التداعى الى تدوين أية كلمة أو عبارة قد تكشف بصورة رمزية غالبا عن مصدر متاعبه • ويمكن للمحلل النفسانى بما لديه من خبرة أن يتعرف على حقيقة المصدر الذى ترمز اليه هذه الكلمة أو تلك العبارة •

والوسيلة الثانية هى التعرف على أحلام المريض ، خصوصا منها ذلك الحلم الذى قد يتكرر حدوثه لديه ، لعل فى هذه الأحلام ما يساعد المحلل على التعرف عن حقيقة المصدر الكامن فى لاشعور المريض ، والذى قد يسبب له أعراضه النفسية أو العضوية •

وليس هناك أى مبرر للاعتقاد بأن الباراسيكولوجى فى طوره الراهن قد نبذ نهائيا الأخذ بهاتين الوسيلتين أو باحداهما للتنقيب فى أعماق اللاشعور ، ولكن أى محلل نفسى مهما يكن متحمسا لمدرسة فرويد يمكنه أن يقرر بسهولة أن الوسيلتين معا غير كافيتين • وأن عددا ضخما من الأعراض المرضية الضخمة الواضحة لايزال بلا تعليل فى هذه المدرسة ، وذلك لأن اللاشعور أعمق غورا بكثير مما تصوره فرويد • ولأن تفسيرات فرويد لا تغطى — على سبيل القطع — كل الأمراض العصبية والنفسية ولا حتى الجانب الهام منها •

ويتضح هذا القصور فى مدرسة فرويد اذا أدخلنا فى الاعتبار عدة أمور هامة أصبح الباراسيكولوجى المعاصر لا ينازع فيها منها : —

أولا : أن هناك أسرارا كثيرة عن الارادة الانسانية كشف عنها الباراسيكولوجى ، ولم تكن قد دخلت بعد فى اطار مدرسة فرويد ، منها بوجه خاص قدرة الارادة على التأثير فى المادة بدون أية ملامسة ، ولو عن بعد •

ثانيا : أن الوعى الانسانى بعنصرية الشعورى واللاشعورى مكون من عدة طبقات متلاصقة فيما بينها ، بغير اندماج كامل بين كل طبقة منها والأخرى ، بل ان كل طبقة لاتزال محتفظة بذاتيتها ، رغم أنها مجاورة لسائر الطبقات مثل تجاور ورقات الخرشوفة أو البصلة .

ثالثا : أن لهذا كله صلة بما يطلق عليه الهيولى المحايدة التى ليست بعقل صرف ولا بمادة صرف ، بل هى عقل فى جانب منها ومادة فى جانب آخر . وهذه الهيولى المحايدة تقع فى الأساس من التكوين الروحى للانسان ، كما تقع فى الأساس من التكوين الروحى للكون كله .

رابعا : أن هناك حقلا بيولوجيا لكل كائن حى . وهو حقل مكون من طاقة كهرومغناطيسية تتحكم فى نمو هذا الكائن وفى نشاطه ، وفى تطوره ، وأن هذا الحقل يتأثر بالحالة الصحية لصاحبه ويؤثر فيها . وبالتالى ان أى اضطراب فيه يحدث أثره على الفور فى صحة صاحبه ، وبالتالى يصبح مصدرا مباشرا لبعض الأمراض العضوية ، والعصبية ، والعضوية العصبية .

خامسا : أن اللاشعور الانسانى أعرق بكثير من طفولة الانسان فى حياته الراهنة ، وأنه مر بمراحل عديدة من التجسدات التى تركت كلها بصماتها فى هذا اللاشعور ، وآثارها التى لا تمحى ، وهو ما يعبّر عنه « بالوجود السبقى » أو « بالعودة للتجسد » .

سادسا : أن هناك « لا شعور جمعى » أى يمثل عقلا باطنا للمجتمع بأسره ، وللانسانية برمتها ، له صداه فى سلوك المجتمعات ، وله أثر فيه لا يقل عن أثر اللاشعور الفردى فى سلوك الأفراد . وله أثر أيضا فى فى الأحلام بانعكاساته المحتومة .

سابعا : أن الأحلام بوجه عام ليست عبارة عن مجرد رغبات مكبوتة أو تداع حر لهذه الرغبات ، بل دخلت فيها عناصر قطع

الباراسيكولوجى بصحتها : منها القدرة على الاستشفاف أثناء النوم ، وعلى التلباثى أى التأثر بانطباعات الأشخاص الآخرين ، وعلى الطرح الروحى •

ثامنا : أن هناك حالات من المس والاستحواذ — ثبتت كأشد ما يكون الثبوت — تعطى تفسيرات واضحة متماسكة للعديد من الأعراض العصبية والنفسية التى وقف فرويد حائرا ازاءها ، أو قدم لتعليلها مجرد افتراضات واهية ثبت فيما بعد عجزها وخطؤها •

وهذه القفزات بل التحولات الضخمة فى الباراسيكولوجى سنعرض لها تباعا فى هـذا المؤلف بالقدر اللازم للاحاطة الشاملة بها ، وللاطلاع على ما يجرى بشأنها فى دوائر الباراسيكولوجى المعاصرة • ولكنهـا لا تمثل مع ذلك كل طفرات الباراسيكولوجى الذى لايزال يحقق كل يوم فتوحات جديدة تتجاوز فى نطاقها وفى خطورتها بلا أدنى ريب الاطار الضيق الذى لاتزال مدرسة فرويد تلتزم به بلا منطق واضح ، ولا سبب مفهـــوم •

تفجر الصراع بين القـديم والجديد

على أنه مهمـا تكن قيمة الأسلوب الوضـعى الذى أصبح يهيمن على بحوث علم الانسان ، ومهما تكن قيمة النتائج التى وصـل اليها ووثيق اتصالها بأغوار النفس الانسانية ، فانه لابد من مرور زمن كاف — قد يطول كثيرا — حتى تحدث هذه النتائج أثرها المرجو فى مسالك العلم الحديث ، وحتى تستمد منه معطيات حديثة يصح الارتباط بها والتعويل عليهـا •

أما قبل مرور هـذا الزمن الكافى فلابد من توقيع مقـاومة هـذه النتائج بشدة ، واثارة غبار كثيف من الشكوك والمخاوف حولها من كل ناحية ، كما كانت الحال دائما وعلى مر العصور بالنسبة لأى كشف جديد مهما يكن ضئيل القيمة،فما بالك عندما يتعلق هذا الكشف أو الكشوف الجديدة بالأصول الكلية لأى علم قديم أو حديث ؟

لهــذا فان كل كشف جــديد مهما يبنى على وقائع ثابتة خضعت للاختبار المتكرر ، وعلى مشاهدات يقينية ، لابد أن يلقى مقاومة ضــخمة تتوقع أن تطول لسنين كثيرة ، خصوصا عندما يرتبط هذا الكشف بأعمق جوانب علم الانسان بعــد أن تكون هذه الجوانب قــد ارتبطت تماما بأرســخ الافتراضات الفجة عن مادية هــذا الانسان وعن طبيعة علاقته بالكون ...

فلابد عندئذ من الاعتراضات الكثيرة ، ومن السخرية الطويلة التى « تكشف ــ كما يقول برجسون ــ وهو أعظم فلاسفة هذا القرن ــ عن وجود فلسفة مستترة غير واعية لذاتها ، غير واعية وبالتالى متقلبة غير واعية وبالتالى عاجزة عن أن تتكيف باستمرار مع الملاحظة والتجربة كما يخلق بالفلسفة الجديرة بهذا الاسم ... وسبب هــذه الفلسفة هو العادة التى تعودها الفكر الانسانى منذ زمن طويل ، وذلك هو السبب فى بقائها وانتشارها بين الناس » .

وعلى أية حال فلابد أن يتعثر تقــدم العــلوم بالشكوك الضخمه النامية اذ ان الشك المطلق حق أولى لكل عقل ، لكن لابد للعقل من أن يبلغ غايته من اليقين فى نهاية المطاف ، لأن اليقين العلمى هو غاية الشك المطلق وهدفه الأسمى ، مهما طال الأمد بهذا اليقين المرجو ، ومهما تعثر بالعقبات الجسام وبالاعتراضات المشروعة من العلماء وأشباه العلماء .

ومن يتتبع تاريخ التطور العلمى يأخــذه العجب بل الذهول من المقاومة الشديدة التى لقيتها كل خطوة فى تقدم أى علم من العــلوم ، وكيف أن كل كشف جديد مهما تكن قيمته ، أو مهما يكن مدى نفعه للبشرية كان عبارة عن بدء صراع رهيب طويل بين أنصار الجمود الذين يمثلون عادة الكثرة الساحقة من العلماء وأنصار التجديد الذين يمثلون عادة القلة النادرة منهم .

من يصدق أن أعظم كشف انسانى فى تاريخ العلم وهو استخدام

التخـديرفى الجراحة ظـل محلا لحرب عوان دامت حقبـة طويلة من الزمان ؟ ! من يصدق أن أعداء هذا الكشف الرحيم الهام آثاروا ـــ هنا أيضــا ـــ دعوى الرحمــة بالانســانية ، والحل والتحريم ، والحـق والخرافة ••• وظلوا يصرخون فى وجه الراغبين فيــه ، ويضــعون فى طريقهم كل العقبات المتصورة وغير المتصورة باسم العلم تارة ، وباسم الانسانية تارة أخرى ، وباسم الايمان تارة ثالثة ، وباسم الحكمة وبعد النظر تارة رابعة ••• وهكذا ؟ !

وقد ظهرت بوادر التخـدير فى الغرب على يد ديفى Davy ثم ستورنر Storner واستمر الصراع بشأنه طوال القرن التـاسع عشر ثم تبناه هيكمان Hickman • وعندما وصلت أنباؤه فرنسا وقف ماجندى Magendy العالم المعروف البارز فى أكاديمية العلوم يصرخ فى أعضاء الأكاديمية قائلا بمنتهى الثقة بنفسه : « أين الأدب أيها السادة ؟ تريدون سكرة العليل بالأثير ؟ فمتى كان السكر أداة العلم والمبضع ؟ وما معنى هذه الحكاية : حكاية التخدير ؟ ألكى يتحول المريض الى جثة هامدة ؟ ألا ترجعون لهذه الفكرة ؟ •••• أو لا ترون أن اعمال المشرط فى الجثث مناقض للشرائع الأدبية ؟ كلا ثم كلا ، لا نقبل هذا الاعلان الآتى الينـا من العالم الجديد ولا تؤخذ بحبائله !! »(١) •••

وكل هذا قاله ماجندى العالم الجهبذ عندما كانت نسبة النجـاح فى الجراحات ضئيلة جدا بسبب أهوال الألم وانعدام التعقيم • وكانت الجراحات تجرى بعد توثيق رباط المريض بالحبال حتى يكف عن المقاومة ، أو بعد ضربه على أم رأسه بجسم صلب حتى يغمى عليه ، أى حتى يفقد الوعى من ألم الضرب فيتمكن الجـراح من أداء مهمته الانســانية •

---

(١) للمزيد راجع نقولا فياض فى كتابه « قصــة التغلب على الألــم » ١٩٧٩ وبوجه خاص ص ٦٠ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧٩ .

ومع ذلك فاكتشاف التخدير بالأثير (وكان هو الوسلية الوحيدة وقتذاك) كارثة على الانسانية يجب منعها للاعتبارات التى ساقها ماجندى ، وغيره من العلماء ساقوا غيرها ! !

بل عندما حاول الطبيب الانكليزى سمسون Samson استخدام استنشاق الكلوروفورم لتخفيف آلام المخاض ماذا كانت النتيجة ؟ قامت عليه قيامة مدينة أدنبرة بلده « فثارت ثائرة رجال الدين الذين أرسلوا للحبالى يقولون لهن ان هذا الذى يريد أن يخلصكن من الألم كافر ، وهددوهن بعدم الاعتراف بأولادهن !

وتبعهم الأطباء عن حسد فى قلوبهم فقالوا : ألم تلد النساء من قديم الزمان حتى اليوم دون الاستعانة بالمخدرات ؟ فلماذا نحاول اليوم تبديل ما أراده الله ؟ وراحوا يدعون ويبرهنون أن الألم عمل فسيولوجى واجب الوجود • وصدق هذه المزاعم غيرهم من المتزمتين فانضموا الى صفوف المعارضة ، وصاروا يقولون ان الألم وحده كفيل باحياء الحب فى قلب الأم ، والأم التى لا تتألم عند هذه الولادة لا يلاقى ابنها حبا ولا تضحية • ثم لا يليق بشرف المهنة أن يتحول معبد الأمومة الى مغنى للسكر ، ومن المستحيل أن يربى على الفضيلة طفل يرى النور فى هذا الجو الفاسد !!

هكذا قامت قيامة مدينة أدنبرة على طبيبها الشاب المشهور مدير قسم التوليد فى مستشفاها:القسس يتهمونه بالالحاد ، والأطباء بالشعوذة والوجهاء بالتهتك ، فوجد نفسه وحيدا معزولا • كان مؤمنا فوصموه بالكفر ، وشريفا فلطخوه بالأقذار ، وأديبا فأنكروا عليه الأدب •

ولكن سمسون ابن الخباز والعصامى الذى أصبح بجده رئيسا للمستشفى ولما يناهز الثالثة والعشرين بعد ، لم يكن من أولئك الذين توهن المصاعب عزائمهم ، أو يسهل تسرب اليأس الى نفوسهم ، لاسيما

لأنه كان راسخ الايمان ، ثابت العقيدة ، على يقين من أنه يعمل حسب مشيئته تعالى ، فهب الى الدفاع بهمة جبّارة مستندا الى الكتاب المقدس نفسه فى افحام خصومه »(١) •

ولم يكن هذا هو موقف البيئات العلمية من اختراع التخدير واستخدامه فحسب ، بل كان هو نفس موقفها عند اكتشاف كروية الارض ودورانها ، والكهرباء ، والتليفون ، والميكروبات ، والتحليل النفسى ، ونظرية التطور ، ونظرية النسبية ••• وكل كشف هام غيّر مسيرة العلم ، أو دفع بها الى الأمام لصالح تخفيف الآلام والأهوال ، وما أفدحها من آلام وأهوال •

ولعل هذا الارتباط الشديد بأسلوب الشك ـ بل الانكار الرافض لأى كشف جديد ـ له ما يبرره من الارتباط الانفعالى القديم باللاهوت وبما وراء الطبيعة ، وما تكشف عنه هذا الارتباط بدوره من أخطاء ضخمة متراكمة طالما ضللت مناهج المعرفة الصحيحة وعاقت خطاها اعاقة جسيمة لمدى قرون طوال • ولذا سرعان ما صوب الأسلوب الوضعى مدافعه ـ بعناية واحكام ـ الى قلاع راسخة من اللاهوت ومما وراء الطبيعة ، ومن الفلسفة النظرية أيضا •

ولكن الانتصار فى النهاية من نصيب الحق الموضوعى ، الذى ينبغى أن يتميز باستقامة الاستنتاج وترابطه ، وبشجاعة المواجهة وأمانتها، مع الارتباط الصادق بأوليات المعرفة الصحيحة • فهذا هو الطريق السليم الوحيد اللوصول الى حقائق الأمور ، وما عداه محض مغالطة سقيمة ، وهراء ضائع مهما نسب الى أى فرع من فروع « المعرفة العلمية » ، ومهما تراكمت فيه العبارات الرنانة ، والمصطلحات المعقدة ذات المظهر العلمى التى لا تخفى الا هراء بدورها ، وهذا ما ينتقل بنا الى موضوع الباب المقبل •

---

(١) المرجع السابق ص ١١٨ ، ١١٩ •

الباب الثانى
فى ظهور الباراسيكولوجى
وتطوره

تمهيد

لا ريب أن دراسات الباراسيكولوجى حديثة نسبيا ولا ترجع لأكثر من قرن واحد أو قرن وثلث وليس معنى ذلك أن موضوع الباراسيكولوجى ــ وهو الظواهر غير المألوفة ــ جديد على الجنس البشرى ، بل هو قديم قدم الحياة ، وهناك شواهد كثيرة أمكن عن طريقها ارجاع حدوث هذه الظواهر غير المألوفة الى العصر البرونزى ٠

ولكن الأمر الجديد فى الموضوع هو اخضاع هذه الظواهر لمنهج البحث العلمى المستنير بوسائل متطورة ٠ أى عدم رفضها مقدما كما كان موقف بعض البيئات العلمية منها خصوصا منذ عصر الثورة الفرنسية ، وذلك للارتباط المغالى فيه بالفلسفة المادية عن النفس والوجود ٠

ولكن هناك تحولا واضحا فى البيئات العلمية ــ فى العالم أجمع ــ من السيكولوجى الى الباراسيكولوجى تحت أسماء وأوصاف شتى ٠ وهذا التحول أصبح واضحا جدا خصوصا منذ نصف قرن تقريبا ٠ حيث ابتدأ يظهر تماما مدى عناية البيئات العلمية بدراسة كل الظواهر غير المألوفة واخضاعها لمتطلبات التحقيق والاستقصاء على أوسع نطاق ممكن ٠

وتدريجيا ابتدأ يظهر تماما أن هذه الدراسات ــ المستخدمة فى اطار العلم ــ لها نتائج بالغة الخطورة فى الكشف عن العديد من أسرار النفس الانسانية التى ظلت بلا جواب حتى الآن ٠ بل فى الكشف عن العديد

من أسرار علاقة الانسان بالكون ، وهى علاقة تقع فى الأساس من علم المنطق ، وبالتـالى فى الأساس من كل العـلوم والمعـارف الطبيعية ، والانسانية على حد سواء •

ومن المحال أن يتسع المقام الحـالى لبيان خطوات هـذا التحول الجذرى من السيكولوجى الى الباراسيكولوجى فى العـالم كله • لكن لا ينبغى أن يضيق عن تناول هذه الخطوات فى ثلاث دول رائدة فى هذا المجال ، وهى : الولايات المتحـدة الأمريكية ، ثم انجلترا ، ثم فرنسا ، حيث يلزم أن نأخذ فكرة ــ ولو اجمالية ــ عن موقف البيئات العلمية من هذا التحول الهام ، فى فصل خاص لكل دولة منها على التوالى •

الفصل الأول

موقف البيئات العلمية فى الولايات المتحدة الأمريكية من الباراسيكولوجى

بعض الرواد

بدأت الظواهر غير المألوفة تشد انتباه العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ منتصف القرن الماضى ، فانكب بعضهم على محاولة دراستها واخضاعها لمتطلبات البحث الوضعى • وابتدأت تظهر تدريجيا أبحاث بعضهم فهزت دوائر العلم المادى التى لم تكن بعد مهيأة للخروج من اطار فلسفتها المادية عن الانسان وعن الوجود •

ومن هؤلاء الرواد الأوائل هناك نذكر جون ورث ادموندز John Worth Edmonds (١٨١٦ — ١٨٧٤) الذى كان رئيسا للمحكمة الاتحادية العليا ، ثم رئيسا لمجلس الشيوخ الأمريكى •

ومنهم جيمس مابس J. Mapes الذى كان عالما فى الكيمياء الزراعية وعضوا بالمجمع العلمى الأمريكى • وروبرت هير Robert Hare (١٧٨١ — ١٨٥٨) الذى كان أستاذا للكيمياء بجامعة هارفارد ، وروبرت ديل أوين Robert Dale Owen (١٨٠١ — ١٨٧٥) الذى كان ديبلوماسيا ووزيرا مفوضا لبلاده فى ايطاليا • وتومسون جاى هدسون Thomson Gay Hudson الذى كان دكتورا فى الفلسفة والآداب ، وجيمس هيرفى هايسلوب James Hervey Hyslop (١٨٥٤—١٩٢٠) أستاذ المنطق والأخلاق بجامعة كلومبيا بولاية نيويورك ، وفرديناند سكوت شيلر Ferdinand Scott Schiller (ولد فى سنة ١٨٦٤) أستاذ الفلسفة فى جامعة كورنل ، ثم فى جامعة جنوب كاليفورنيا بلوس أنجيلوس ، وهيروارد كارنجتون Hereward Carrington الذى كان

عالما نفسيا معروفا ••• وعشرات غيرهم من العلماء ، فى تخصصات متنوعة فمهدوا طريق البحث الجديد بمؤلفاتهم المتنوعة(١) •

عن جمعية « البحث الرحى » بنيويورك

وبعد ذلك أخذت الصيحات تعلو من جميع الدارسين بضرورة تدخل الهيئات العلمية فى دراسة هذه الظواهر الغريبة • وتتيجة لذالك أنشئت « جمعية البحث الروحى الأمريكية »(١) A. S. P. R. على غرار « جمعية البحث الروحى » بلندن — التى سيأتى الكلام فيها فى الفصل المقبل ، بل لقد كانت فى أصلها فرعا منها • وقد أنشئت الجمعية البريطانية فى سنة ١٨٨٢ أما الجمعية الأمريكية فقد أنشئت فى سنة ١٨٨٩،وكانت الجمعيتان — ولاتزالان — تضمان صفوة من علماء النفس والمادة ، فهما أكاديميتان دوليتان للبحث الروحى تعملان على أعلى مستوى علمى •

وكان من أقطابهما المؤسسين واحدا يعد أبرز فلاسفة أمريكا فى عصره وهو وليام جيمس ، الذى انضم ابتداء الى الجمعية البريطانية منذ انشائها فى سنة ١٨٨٢ واختير رئيسا لها فى سنة ١٨٩٤/١٨٩٥ • كما أختير نائبا لرئيس الجمعية الأمريكية منذ سنة ١٨٩٠ ، وظل عضوا فى هذه الأخيرة الى حين انتقاله الى عالم الروح فى سنة ١٩١٠ •

وقد ذكر وليام جيمس عن هذه الجمعية فى مؤلفه « ارادة الاعتقاد »(٢) تحت عنوان « ماذا أنجز البحث الروحى ؟ » (ص ٣٠٦ — ٣٠٨) ما يلى : ان اجراءات « جمعية البحث الروحى » أخذت فى الاعتبار مبدأ الكيف لا الكم •• وانى أعتقد اعتقادا راسخا بأنه بمرور السنين

(١) للمزيد فى هذا الشأن راجع « مفصل الانسان روح لاجسد » طبعة رابعة ١٩٧٥/١٩٧٦ جـ ١ ص ٣٠٦ — ٣٥٦ •

(٢) American Society For Psychical Research,
وعنوانها 15, Lexington Avenue, New York U.S.A.

(٢) طبعة ١٩٣٧ The Will To Believe.

وباتساع رقعة البحث فان هذه الاجراءات ستتصدر سائر مراجع المعرفة بخصوص نظرية كان يظن عنها أنهـا غامضة ، ومن المعتاد أن أبحاثا من هذا القبيل يكون لها اعتبار خاص عند الجيل الصاعد . كما أن الشبان من أخصائيين فى علم الانســان (انثروبولوجى) وعــلم النفس الذين ستكون لهم الصدارة فى البحث العلمى سيرون أنه من العار العلمى أن يتركوا قــدرا كبيرا من الخبرة البشرية يتأرجح بين اعتقــاد غامض أو تصــديق دون فحص من ناحية ، أو انكار قاطع جازم من ناحية أخرى ، وبغير أن يتقدم أناس مقتدرون لهم الارادة والعزيمة لدرس هذا الموضوع بكل صبر وحماس .

واذا طال البقاء « لجمعية البحث الروحى » حتى يحس الجمهور بوجودها وتشعر بكيانها ، كيما يبادر الجمهور الى ابلاغ أولى الأمر فيها بما يرى من رؤى وأشباح ، أو ما يسمع من دوى سقوط أثاث أو خلافه من الظواهر غير العادية ، فانه من المؤكد أن تتجمع لدى تلك الجمعية كمية كبيرة من الوقائع التى يمكن اتخاذها أساسا لبناء نظريات جديدة عليها . ومن ثم فانه على معضدى هــذه الجمعية أن يفهموا أن واجبهم الأول هو أن يحــافظوا على كيانهــا من ســـنة الى أخــرى ، وأن يدونوا ما يتجمع لديهم من حقائق بطريقة دقيقة ، حتى اذا لم تكن لهــا نتائج ملموسة فى أول الأمر ، فان جميع جمعياتنا العلمية نشأت بهــذه الطريقة المتواضعة .

ولكن من المحال أن تتقدم البحوث العلمية بمجرد انشاء الجمعيات. فالجمعيات بوسعها أن تساند العباقرة ولكن لا تحل محلهم ، والفارق بين الجمعية البريطانية الأصلية والفرع الأمريكى التابع لها يبرهن على هذه النظرية . ففى انجلترا كانت نواة الجمعية عبــارة عن عــدد قليل من الرجال المتصفين بالحماسة والعبقرية ، على حين أنه فى أمريكا قد استدعى الأمر « استيراد » عالم أوروبى يدعى الأستاذ هودجسون Hodgson

(١) أستاذ الأخلاق بجامعة كمبريدج .

قبل الوصول الى أى تقدم فى البحث .

ومن المرجح أن من أسباب ارتباط أفراد الجمعية الانجليزية هو شخصية الأستاذ سيدجويك Sidgwick الفذة وقدرته على بعث الثقة فى أناس من مشارب مختلفة ، فانه ليس من السهل أن يجود الزمن بشخص مثل سدجويك يجمع فى أن له هذه الرغبة الملحة فى الوصول الى النتيجة فى البحث مع عدم التعصب لآرائه عند مناقشتها ، كما أن اعتقاده الراسخ بأن هناك أشياء مجهولة ينبغى أن تظهر يزود الوجلين بالصبر . وجهره بعدم قدرته على الوصول الى قرار حاسم فى اختباراته يبعث الثقة فى نفوس أولئك الذين يخشون أن يكونوا ضحية للخداع أو للحيلة »(١) .

كما ذكر نفس الفيلسوف عن هذه الجمعية فى مؤلفه الآنف الذكر (ص ٣١٣ وما بعدها) ما يلى : ان « جمعية البحث الروحى » التى يمتد عملها فى انجلترا وأمريكا قد سمحت بأن يلتقى العالمان العلمى والروحى فى مجال واحد.وانى أعتبر أن هذه الجمعية مهما تكن وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبير فى ترتيب المعارف الانسانية . فلذلك أستحسن أن أفضى الى القارىء بنتائج أعمالها بايجاز ، فأقول اننا اذا صدقنا الجرائد وأوهام الصالونات خيل لنا أن الضعف العقلى وسرعة التصديق هما الرباط المعنوى الذى يجمع بين أعضاء هذه الجمعية ، وأن حب العجائب هو الروح المحرك لها ، ومع هذا فيكفى أن نلقى نظرة واحدة

---

(١) وقد كان سدجويك هذا (١٨٣٨ — ١٩٠٠) أستاذ للفلسفة الأدبية Moral Philosophy بجامعة كامبريدج منذ سنة ١٨٨٣ حتى وفاته ، ورئيسا لجمعية البحث الروحى بلندن ، وفى نفس الوقت فيلسوفا وعالما خلقيا . ويعد مؤلفه « مناهج الأخلاق » Methods Of Ethics من الكتب التى ترفعه الى مستوى الفلاسفة الكبار راجع فى هذا الشأن مؤلف الفيلسوف تشارلى دنبار بروض Ch. D. Broad وعنوانه Five Types Of Ethical Theory. طبعة ١٩٤٤ ص ١٤٣ — ٢٥٦ .

وراجع عن دور سيدجويك فى تحقيق الظواهر الوساطية :

Alan Gauld : The Founders Of Psychical Research 1968 (P. 88-136).

على أعضائها لدحض هــذه التهمة • فان رئيس هــذه الجمعية الأستاذ سيدجويك معروف بأنه أشد الناس شكيمة فى النقد ، وأعصاهم قيادا فى الشك فى جميع البلاد الانجليزية ••• ، وتشمل قائمة أعضائها رجالا كثيرين آخرين كفاءتهم العلمية أشهر من نار على علم •

فاذا طلب الى أن أعين جريدة علمية تكون مصادر أغلاطها ممحصة بأدق الأساليب فانى أنوه بمضابط جمعية البحث الروحى S. P. R. Proceedings فان الفصول الفزيولوجية التى تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم لا تبلغ فى دقة النقد مبلغ المضابط المذكورة ، حتى أن صرامة الأساليب الكشــافة التى طبقت منذ عــدة ســنين عن اختبارات بعض الوسطاء كانت بحيث توجد اختلاف الآراء داخل الجمعية نفسها » •

دور وليــام جيمس

هذا وقــد بدأ عالم النفس والفيلسوف وليام جيمس (١٨٤٢ — ١٩١٠) حيــاته طبيبــا بمستشفى مساتشوستش ، ثم أصبح أســتاذا للتاريخ الطبيعى فى سنة ١٨٧٤ ، ثم أستاذا للتشريح المقارن ، ثم تحول الى علم النفس الفسيولوجى فى سنة ١٨٧٦ ، ثم أصبح أستاذا للفلسفة بجامعة هارفارد ، ثم أصبح مديرا لهذه الجامعة • وينظر اليه حاليا على أنه من أحسن علماء النفس والفلاسفة الذين أنجبتهم أمريكا[١] ، وفى نفس الوقت من أحسن الباحثين الروحيين الذين أفادوا « جمعية البحث الروحى » واستفادوا منها الى أبعد مدى •

---

(١) يقول الدكتور عثمان أمين فيه « ولا نزاع فى أن جيمس قد تبوأ من فلاسفة أمريكا أعلى مقام ، فاستطاع أن يبث فى التفكير الفلسفى فى بلاده روحا فتية زاهرة أكسبته حياة وخصبا ، ومدت رحابه الى العام والأدب والفن ، وهيأت له أن يشارك فى مشاغل المجتمع المتجــدد النامى بأوفى نصيب . كما يقول فيــه أيضا انه من القلائل فى عصرنا هــذا الذين استطاعوا أن يؤلفوا بين المثالية والواقعية تأليفا فريدا (مقــال فى مجلد الكتاب العربى عدد ١٠ يونية سنة ١٩٦٤ : العدد الأول ص ٢٢) •

وقد كان لبحوثه الروحية صداها فى مؤلفاته العميقة المعروفة مثل « ارادة الاعتقـاد » (١٨٩٧) ، و « خـلود النفس » (١٨٩٨) ، و « أحاديث الى المعلمين فى علم النفس والى الطلاب فى بعض المثل العليا للحياة » (١٨٩٩) ، وفى « صنوف التجربة الدينية » (١٩٠٢) الذى اعتبره دراســة فى الطبيعة الانسانية ، وغيرها من مؤلفات تفيض بنزعته الانسانية الخالصــة ورغبته الأكيدة فى هــدم الحواجز المصطنعة التى أقامها بين بنى البشر الجدل الدينى العقيم ، والتى جعلت قلبـه يتقطع أسى وحسرة من هذه الحواجز .

وفى هذا الشأن يقول الأستاذ محمود زيدان فى مؤلفه عن « وليم جيمس » (١) « ولقد أفادته بحوثه مع زملائه افادة جمة فى الوصول الى نتائج علمية تخدم أغراضه فى التوفيق بين العلم والدين . ولعل هـذه الجمعية كانت الأساس المتين الذى جعل الجيمس شـهرة فى الموضوعات الصوفية . اذ وصلت الجمعية فيما وصلت اليـه الى وجـود النفس المستورة Subluminal فجعل منهـا قاعـدة لوجـود عنصر غـير فسيولوجى فى الطبيعة الانسانية يمكن أن يؤدى الى اتجـاه الانسان نحو الله . واكتشف جيمس ــ كعضو عامل فى الجمعية ــ وجود مناطق خفية من الشعور يمكن للانسان عن طريقهـا معرفة عالم غير منظور ، وأصبح هذا العالم جوهر الدين فى فلسفته الدينية » .

وفى مؤلفه عن « صنوف التجربة الدينية »(٢) قال عن هـذا العالم غير المنظور ما يلى « ليست الذات الواعية سوى جزء من ذات أعظم ، وان امتدادات الذات الواعيـة لتذهب الى ما هو خارج الاحسـاس والعقل بكثير فى اقليم يمكن تسميته بالغامض أو بمـا فوق الطبيعى . وطالمـا أن ميولنا تستمد أصولها من ذلك الاقليم ــ وهذه هى الحالة

(١) والكتاب المذكور ضمن مجموعة « نوابغ الفكر الغربى » راجع ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) Varieties Of Religious Experience.

الغالبية من بين هذه الميول ــ فان صلتنا بذلك الاقليم تكون ممتدة فيه الى ما هو أعمق مما تمتد اليه في العالم المنظور ، وذلك لأن مطامعنا الأكثر سموا هي محور شخصيتنا .

ولكن ذلك العالم غير المنظور ليس مجرد مثل أعلى فحسب ، كلا بل انه يحدث آثاره كذلك في العالم المحسوس . فاننا باتصالنا بذلك العالم غير المنظور تنتهي ذواتنا بالتحول فنصبح أشخاصا آخرين ، ونصحح من سلوكنا عن طريق اعادة تقويم خصائصنا الأصلية من جديد regeneration ، ومن ثم يحدث ذلك العالم غير المنظور تأثيره في العالم الطبيعي ، فكيف نأبى أن نسمي ذلك العالم الآخر بالحقيقي ، وهو الذي يحدث أثره في داخل حقيقة أخرى (هي العالم الطبيعي) ؟ » .

ولم يبن وليام جيمس عقيدته بوجود العالم غير المنظور على مجرد فلسفة نظرية ، وهذا هو الجانب الهام في آرائه ، بل بناها على « وقائع مؤكدة تنطوي على الاعتقاد بوجود عالم غير منظور وله وجود حقيقي واقعي وليس مجرد تصور . وسيجعل هذه النتيجة هي نقطة الارتكاز في الدين ، وهو يقدم لهذه النتيجة بمقدمات كثيرة .. ويتصور جيمس الدين ــ حسب هذا التعريف ــ تصورا أوسع من المعنى المألوف له . أنه يتصوره علاقة الانسان بشيء غير منظور ، دون أن يتحتم أن يكون هذا الشيء الها أو ما يشبه الاله . وهو تصور نجده واضحا في تيارات فلسفة كثيرة من تلك التي تدافع عن الدين . قد نقول عن فرد انه متدين دون أن يكون معتقدا بوجود اله . وقد يكون الفرد مؤمنا لمجرد أنه يتصور العنصر الالهي في طبائع الأشياء ، أو يتصور للكون تركيبا روحيا خاصا . اننا نسمي هذا التصور تصورا دينيا رغم أنه لا ينطوي على وجود اله حقيقي محدود ... ويعرف جيمس الدين بأنه الاعتقاد بعالم غير منظور . وان خيرنا الأسمى كائن في ايجاد الملاءمة الناجحة بيننا وبين ذلك العالم ... » .

ويبنى وليام جيمس آراءه هذه على تجاربه الخاصة فى الروحيات ، والتجارب الدينية لدى الصوفية ، وما أوحته نتائج العلاج الروحانى . كل هذه « يثق بها جيمس ويتخـذها وثائق ، ولا يوجـد ما يدعو الى تكذيب أصحابها » ، على ما يقرره الأستاذ محمود زيدان ، الذى يقول أيضا فى بحثه القيم الذى لم يضعه الا لدراسة فلسفة وليام جيمس « لقد وصل جيمس من خلال دراساته للتنويم المغناطيسى وأبحـاثه فى العلاج الروحانى ودراسته سيرا كتبها أدباء مشهورون لهم نزعات صوفية (منهم وسطاء الالهام) ـ وصل من ذلك الى حقيقة هامة هى أن شعورنا اليقظ الراهن ليس سوى نمط واحد من أنماط الشعور الانسانى . ويجب ألا نغفل أن وراء هـذا الشعور اليقظ شعورا خفيا آخر ، ولعله أكثر عمقا وسعة وتأثيرا فى حياتنا ... ويروى بنفسه أن هذه الحقيقة نتيجة هامة وصل اليها بعد قيامه بملاحظات وتجارب كثيرة ، واقتنع بصدقها ولم يزعزع اعتقاده بها شىء »(١) .

« ولقـد تأكد جيمس من خلال دراسته للصـوفية وللقـداسة وخصائصها أن القديس فى حالات غيبوبته ـ مما له أثره الثابت فى حياته اليقظة المألوفة ـ يشعر بوجود كون فسيح أكثر سعة من العالم الأرضى، ويشعر أن بينهما علاقة جاذبية وتعاطف وصداقة . بل يشعر أنه خاضع له ، أو أنه ينبغى أن يكون خاضعا له ، ومن المحال أن يكون الشـعور العقلى هو مصدر الوعى بهذا الكون . اذن فمن الملائم أن نفترض وجود منـاطق خفية بالقـوة من الشـعور يمكنها الاتصـال بهـذا الكون العظيم ... »(٢) .

كما يقول أيضا انه توجد فى الطبيعة الانسانية منطقة لهـا صـلة

(١) عن « وليم جيمس » للأسـتاذ محمـود زيدان ص ١٥٢ ، ١٤٥ ، ١٥٥ .
(٢) عن المرجع السابق ص ١٦٤ .

وثيقة بالمنطقة الإلهية أى بالعالم غير المنظور • هذه المنطقة هى الشعور الخفى أو ما وراء الشعور الخالد ، أو بروز النفس الاجتماعية بروزا أوضح من النفس المادية • كما يعتقد أن هذه الصلة بين النفس الكامنة فى الانسان وبين هذا الكون الفائق ينبغى أن تتحقق بالصلاة لا بالتصوف •

وهو يعتقد أيضا أن الله لم يخلق الكون من الأزل ، وانما الخلق وعمل الله فيه قائم فى مجال الزمن • والزمن صورة الامكان « وأهم فكرة متضمنة فى فكرته الشخصية عن الله هى أن الله رفيق للانسان ، صديق له ، معين له على الوصول الى كماله ، مساعد له فى التغلب على الشر الذى فى العالم • فهو ليس مصدر خوف لنا أو رهبة ، وانما هو مصدر حبنا لأنه رمز تفاؤلنا فى هذه الحياة »(١) •

وقد صور وليام جيمس الطبيعة من حولنا « بعقل مفكر جبار يتسلل منه قدر يسير الى جمجمة كل انسان ، فيزهو بما أصبح فى حوزته من قوة قادرة على التفكير والخلق والابتكار ••• ولا حرج فى هذا ، ولكن من المضحك أن يحاول بهذه القوة اليسيرة أن يفسر جميع غوامض العقل الجبار الذى يحيط به ، فاذا أخفق فى تفسير شىء أنكره وراح يشكك الناس فى وجوده »(٢) •

وبسبب بحوثه فى الروحية التجريبية أصبح هذا الفيلسوف مؤمنا بامكان استحواذ بعض الأرواح على بعض الأشخاص ، أو المس الروحى obsession قائلا : « ان رفض التعاليم الحديثة اعتبارا المس الروحى أمرا ممكن الحدوث رغم روايات الناس المتراكمة المبنية على التجربة

(١) عن المرجع السابق ص ١٧٩ •

(٢) عن مقال بتوقيع الدوس هكسلى عنوانه « الظواهر الروحية لا سبيل لانكارها » نشرته مجلة الهلال فى عدد يولية ١٩٥٥ عن مجلة ريدرز دايجست ، وصاحب المقال معروف بمؤلفاته العميقة عن سير الحياة ، وعرفت عنه دقة التحليل العلمى والفلسفى •

الملموسة انما هو فى نظرى مثل غريب للتحكم الشكلى فى المسائل العلمية .. ترى هل يكون الانسان علميا فى الواقع اذا كان هو من والجهل بحيث يرتاب فى امكان ذلك ؟ ! ... » .

واقتناع وليم جيمس بصحة الظواهر الروحية — وبحثه الشخصى فيها — هو الذى دفعه الى اعتناق فلسفة جديدة بالنسبة له قائمة على التسليم بوجود عالم الروح ، وعلى تأثيره المستمر فى عالم المادة ، وهو الأمر الذى قلب آراءه السيكولوجية القديمة رأسا على عقب ، وكانت مؤسسة من قبل فى جوهرها على مبادىء مادية . فراح يصف — بعد هذا التحول الخطير — مؤلفا قديما له عن « مبادىء السيكولوجى » قائلا بتواضع العالم وشجاعة الفيلسوف انه يمثل « كتلة كريهة منتفخة مستسقية متورمة تشهد انه لاشيء هناك يسمى علم السيكولوجى!...» ، ويقصد أن علم الروح Psychic Science قد حل محل السيكولوجى Psychology القديمة هذه .

فهل هناك دلالة فى جانب علم الروح أعظم من دلالة تحول عالم وفيلسوف من طراز وليام جيمس هذا التحول الخطير بعد بحوث معملية فيه دامت لسنين طويلة ، وأدت الى تشييده فقها جديدا ، وفلسفة هى فى جوهرها فلسفة الروحيين العامة فى شتى جوانب المعمورة ، مهما تختلف التفاصيل فيما بينهم ؟ ! ! .

ثم انظره وهو يقول فى أحد فصول مؤلفه « ارادة الاعتقاد » عن البحث الروحى:« اننا لو قارنا رأينا الحالى مع نظرة الماضى نحو الفكر البشرى حينذاك ، سواء علميا أو دينيا ، لروعتنا الدهشة بأن الكون الذى يظهر بهذه العظمة والغموض لنا ، يكون قد بدا لغيرنا شيئا صغيرا بسيطا .والآن اذا نظرنا الى العالم من زواياه المختلفة وهى عالم ديكارت Descartes أو نيوتن Newton أو عالم المادة فى القرن الماضى ، أو عالم بردجووتر Bridgewater فى عصرنا الحاضر ، لرأيناه هو بعينه دائما « العالم الصغير غير المنظور » .

واذا رجعنا الى ليل Lyel ، وفراداى Faraday ، وميل Mill وداروين Darwin ، وفحصنا نظرياتهم المختلفة لوجدنا أنهم يضفون على آرائهم نظرة الطفولة والبراءة • وهل هذا يعنى أن العلم فى يومنا الحاضر سيهرب من مصيره العادى ، وهل تبدو عقول مفكريه متخلفة لأحفاده ؟ انه لمن الحماقة أن نظن ذلك • لكن فى الوقت نفسه لو قسنا الحاضر على الماضى وأصبح علمنا متخلفا بالنسبة للمستقبل ، فذلك سيكون راجعا بالأكثر الى استبعاده للحقائق ، والى جهله بمجالات بأكملها عن الظواهر المركبة التى يلزمها الايضاح ، لا الى افتقاره الى الروح أو المبادىء العلمية • فان روح العلم ومبادئه ما هى الا عبارة عن وسائل معينة ••• » •

الى أن يقول « ان الفصيلة الوحيدة المتكاملة لتفكيرنا ، كما يقول أساتذتنا فى الفلسفة هى فصيلة شخصيتنا ، وما عدا ذلك من الحالات يعتبر من العناصر التجريدية فقط • وان انكار العلم التقليدى للشخصية كمظهر للحوادث،وان الاعتقاد الصارم بأن العالم قطعا عالم غير شخصى فى أخص خصائصه ، ليبرهنان أنهما النقص الذى سيتعجب منه خلفاؤنا بالنسبة للعلم الذى نفخر به نحن ــ ذلك النقص الذى سيجعل علمنا فى نظرهم قصير النظر وعديم العمق •• »(١) •

متابعة لبعض الرواد

وعلى أية حال فان موضوع الباراسيكولوجى أخذ يغطى تدريجيا دراسة جميع أصناف الظواهر غير المألوفة ومنها ظواهر فريدة من تأثير العقل أو الروح فى المادة تأثيرا مباشر Psycho - Kinesis • وقد أخذت هذه الظواهر الأخيرة ــ وهى يرمز اليها عادة فى المراجع العلمية على هذا النحو P. K. ترتدى رداء خاصا من القوة ومن الوضوح ، عندما نجح لفيف من الوسطاء آلاف من المرات فى ثنى بعض السلع المعدنية بقوة الفكر وحدها •

(١) ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ . The Will to Beleive.

وهذه الظواهر أثبتها باحثون كبار ، وبدأت العناية بها منذ مطلع القرن الحالى بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية على يدى علامة معروف فى الباراسيكولوجى هو الدكتور جوزيف بانكس راين Joseph Banks Rhine الذى اتبع فى تحقيقها برنامجا علميا مثابرا استمر لمدة جاوزت عشرات السنين ، وكانت نتائجه ايجابية سجلها فى مؤلف معروف له اسمه « الوصول الى العقل »(١) (وقد توفى هذا العالم فى فبراير سنة ١٩٨٠) •

ويجد القارىء نتائج ايجابية عديدة فى أبحاث البروفسور هيلموت شميدت Helmot Schmidt البحاثة الذى خلف راين فى رئاسة قسم الباراسيكولوجى بجامعة ديوك والذى زود معاملها بأحدث الأجهزة الالكترونية فاستطاع كما يقول كوستلر Koestler المفكر المعروف « أن يحطم قوانين السببية الحتمية التى قامت على أكتافها دعائم المذهب المادى للوجود ، ومن ثم أسس علم الفيزياء بوجه عام » •

* * *

وقد أثير الاهتمام بهذه الظواهر فى السنين الأخيرة عندما ظهر وسيط معاصر معروف يدعى يورى جيللر Uri Geller يملك قدرات قوية خارقة للمألوف فى هذا الشأن هزت العديد من الدوائر المعنية فى الغرب ، حيث نجح جيللر آلاف المرات فى ثنى ما يشاء من أدوات المائدة والمفاتيح والأشياء المعدنية بمجرد التفكير فيها • كما أن بمقدوره أن يوقف ساعات الجدران والأيدى وأن يديرها وهى بعيدة تماما عن متناول يده • وقد تحقق أيضا الدكتور جورج أوين الأستاذ الحالى بجامعة كامبريدج من صحة هذه الظواهر وأثبتها فى أكثر من تقرير

---

(١) The Reach of the Mind.
وله ترجمة عربية للدكتور محمد الحلوجى عنوانها « العقل وسطوته » •

له(١) .

كما حقق ظواهر يورى جيللر عالم منأشهر علماء البارا سيكولوجى المعاصرين وهو أندريجا بوهاريتش Andrija Puharich الذى يرأس حاليا جمعية أمريكية علمية متخصصة فى « تأثير العقل فى المادة » .

وسجلت نتائج التحقيق — بالاضافة الى تحرك بعض السلع بدون ملامسة مادية — اختفاء عدة سلع أخرى وهى بعيدة عن متناول الوسيط مما دفع بوهاريتش الى القول بأننا : « نحاول صياغة نموذج نستطيع به تفسير كيفية تفكك الذرات . ثمة نظريات عن التلاشى وغيرها فى فيزياء الذرة ، لكن لا توجد أية نظرية بمقدورها تفسير ما حدث . كيف يمكن تفكيك كل هذه الذرات أو ضغطها فتصبح لطيفة جدا الى الحد الذى تصبح معه غير مرئية ؟ هل انتقلت الى حيز مجهول ثم أعيد تجميعها هناك مرة أخرى لا ! » ويعلق المفكر الأمريكى المعاصر كونى بست C. Best على ذلك بقوله : « كم هو مدى التغيير الذى يلزم أن يلحق بالفيزياء ! وأنى لنا أن نعلم أين نقف الآن » ؟ !(٢) .

وهـذه الظواهر فى جملتها — وسواء أكانت فيزيقية ، أم عقلية ، أم مركبة من النوعين معا — ليست كلها متصلة مباشرة بقضية خلود الذات الانسانية بمعنى دوام حياتها بعد موت الجسد المادى . فمنها ظواهر محايدة لا تصلح لاثبات هذه القضية الكبرى ولا لنفيها ، لكنها تصلح بالأقل لأن تظهر الانسان على حقيقته بوصفه كائنا عاقلا روحيا قبل أن يكون كائنا ماديا جسديا .

---

(١) وهو يشغل حاليا منصب مدير « مؤسسة البحث فى الآفاق الجديدة » The New Horizons Research Foundation بتورنتو بكندا . راجع بوجه خاص جريدة هذه المؤسسة . مجلد ١ رقم ٤ . يولية ١٩٧٤ .

(٢) عن كتاب الحياة السرية للنباتات ١٩٧٤ ص ٣٧٠ — ٣٧١ .
P. Tempkins and C. Bird : The Secret Life of Plants.

كما تصلح دراسة هذه الظواهر لأن تكشف عن العديد من خبايا ملكات الانسان ، وأسرار مواهبه التى تبدو أحيانا بلا ضابط واضح يضبطها ، وبلا قانون مفهوم يحكمها بما فى ذلك هذه الظاهرة الأخيرة وهى ظاهرة تأثير العقل فى المادة ، والتى هى أوضح نموذج لظاهرة نادرة تجمع بين طرف من كل من الظواهر العقلية والفيزيقية .

* * *

ودراسة هذه الظواهر هى موضوع الباراسيكولوجى الذى لازلنا نتجاهله تماما فى شرقنا الأدنى ، كما لو كان رجسا من عمل الشيطان علينا أن نتجنبه ! وذلك رغم أنه دخل بالفعل الى غالبية جامعات العالم ، كما أنشئت له العشرات من المعاهد المتخصصة فى كل الأمصار ، وبصرف النظر عن تنوع الأنظمة السياسية والاقتصادية والفلسفية السائدة فيها .

بل لقد دخلت أبحاث الباراسيكولوجى رسميا الى بعض جامعات الاتحاد السوفيتى ، والى بعض المعاهد خصوصا فى موسكو وكييف . وظهر هناك بعض العلماء المرموقين مثل ترلتكى مدير قسم الفيزياء النظرية بجامعة موسكو ، وباسيلى أفيموف ، وفاديم مارين ، وليونيد فاسيليف[١] ، و . ا . ميخولين ، وبختريف ... هذا ولو أن السياسة العامة للدولة تحاول — على نحو أو آخر — « احتواء » نتائج هذه الأبحاث . لذا تبدو فى كثير من الأحيان كما لو كانت محاصرة «رسميا» فى اطار ضيق محدود تكاد لا تخرج عنه الا نادرا ، اذا ما ظهر عالم جرىء عندما يحاول تخطى هذا الحصار ، واعلان رأيه صراحة — ولو أغضب السلطات العامة — عن روحانية الكون ، والانسان ، ودوام الحياة بعد الموت .

---

(١) هو رئيس قسم الفسيولوجيا بجامعة لننجراد ، وحصل على جائزة لينين فى سنة ١٩٦٦ ، وأصدر فى سنة ١٩٦٣ كتابا قيما عنوانه « اختبارات فى الايحاء العقلى » Expériments in Mental Suggestion قوبل بتقدير كبير فى البيئات المعنية فى الغرب .

استفتاء لأطبـاء التحليـل النفسى

أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فتجرى هذه الأبحاث فى جو من الحرية التامة ، وأيا كانت النتائج التى يستخلصهـا الباحثون منهـا . كما تجرى فى جو من رغبة عامة واضحة — حتى عنـد أطباء التحليل النفسى — فى متابعة هذه البحوث .

ومنذ سنة ١٩٤٨ جرى استفتاء هناك على ألفين وخمسمائة من أطباء التحليل النفسى أولئك للتعرف على مواقفهم من هذه الأبحاث ، فكانت النتائج كما يلى :

٣١٪ لهم علاقة وطيدة بنتائج الباراسيكولوجى .

٦٨٪ أعلنوا ضرورة العناية بهذه الأبحاث ورعايتها .

٢٣٪ شاهدوا بأنفسهم ظواهر غير مألوفة .

١٣٪ كانت اجابتهم سلبية(١) .

وهذا الاستفتاء الذى يرجع الى سنة ١٩٤٨ لا يعبر بطبيعة الحال عن الموقف الراهن ، حيث تشير جميع الدلائل الى أن هذه الأبحاث فى ازدهار مستمر ، وتلقى عناية متزايدة .

بل ان بعض الجامعات الأمريكية قد أحل أقسام الباراسيكولوجى محل أقسام السيكولوجى ، باعتبـار أن دراسات علم النفس بمفهومه التقليدى قد استنفذت الآن أغراضها ، ولم تعد تجدى شيئا فى الكشف عن أسرار سلوك الانسان ودوافعه الحقيقية .

---

(١) عن «جريدة الباراسيكولوجى» الأمريكية سنة ١٩٤٨ عدد ١٢ :
Journal of Parapsychology, No. 12, 1948.

الفصل الثانى

موقف الهيئات العلمية فى انجلترا
من الباراسيكولوجى

بعض الرواد

ابتـدأ البحث فى الظواهر غـير المـألوفة يشق طريقه فى انجلترا بعد ظهوره فى أمريكا مباشرة فظهر من الرواد عدد من أبرز الأسـماء على رأسهم أوجستوس دى مورجان Augusts de Morgan (١٨٠٦ ــ ١٨٧١) الذى كان أستاذا للرياضيات بجامعة لندن ورئيسا « للجمعية الرياضية » • وجاء بعـده بفترة أدموندى جيرنى Edmund Gurney (١٨٤٧ ــ ١٨٨٨) أستاذ علم النفس بجامعة كامبريدج • وألفرد راسل والاس Alfred Russell Wallace (١٨٢٣ ــ ١٩٠٣) وهو من أبرز الأسماء فى البيولوجيا ، وقد أعلن نظرية التطور مع تشارلى داروين فى نفس العام • وفرانك بودمور Frank Podmore ، وعشرات غيرهم من علماء القمة منهم سير وليام باريت W. Barrett (١٨٤٥ ــ ١٩٢٦) ولورد جون رايلى J. Rayleigh (١٨٤٢ ــ ١٩٢٠) •

ولكن لعل أبرز اسم بين رواد هذا النوع من البحث هنـاك هو العلامة فردريك د• هـ• مايرز Frederic W. H. Meyer (١٨٤٣ ــ ١٩٠١) الذى كان أستاذا لعلم النفس بجامعة كامبريدج ، ويعتبر واضعا حجر الأساس فى بحوث الظواهر غير المألوفة بمؤلفه العظيم « الشخصية الانسانية وبقاؤها بعد موت الجسد » (١٩٠٣)(١) •

---

(١) Human Personality and its Survival of Bodily Death

وقد ظهرت له طبعة حديثة فى سنة ١٩٦١ قام باعدادها لفيف من أساتذة الجامعات البريطانية المعنيين بهذه الأبحاث منهم ديكاس Ducasse من جامعة براون ، وبروض Broad من كامبريدج ، والسيدة روزالند هيوود R. Hywood ولامبرت G. Lambert من جامعـة لنـدن ، =

ثم جاء بعده — فى الترتيب الزمنى — سير وليام كروكس Willian Crookes (١٨٣٢ — ١٩١٩) . وهو معدود من أبرز العلماء فى الفيزياء والكيمياء الحديثة ، وقد اكتشف عناصر جديدة فى الطبيعة لم تكن معروفة من قبل مثل التاليوم والفكتريوم والاستريا ، ووصل الى عدة اختراعات هامة .

وعرف عنه النبوغ المبكر والعبقرية النادرة الى حد أنه اختير منذ كان فى الثانية والثلاثين من عمره عضوا «بالجمعية الملكية لتقدم العلوم» ثم صار رئيسا لها حتى وفاته فى السابعة والثمانين من عمره . وحاز جميع ألقاب الشرف العلمية فى بلاده . وأصدر كروكس سنة ١٨٧٤ كتابا — لايزال حتى الآن يشد انتباه الباحثين فى هذه الظواهر غير المألوفة — بعنوان « بحوث فى الظواهر الروحية »(١) .

ثم جاء فيما بعد دور سير أوليفر لودج Oliver Lodge (١٨٥٢— ١٩٤٠) مدير جامعة برمنجهام وعضو « الجمعية الملكية لتقدم العلوم ». وهو صاحب سمعة ضخمة فى دراسات الأجواء الواسعة التى تقع بين الأجرام السماوية . كما قام ببحوث عميقة حول طبيعة الأثير ، وانتقال الأمواج الكهرومغناطيسية . واخترع جهازا لالتقاطها يحمل اسم The Coherer كان من أهم العوامل التى هيأت الوصول الى المذياع فيما بعد على يد برانلى ثم ماركونى .

وظهر للودج عدة مؤلفات فى الظواهر غير المألوفة تقع فى أرفع مستوى من العمق ، والدقة ، والتأصيل : منها « الانسان والكون » (١٨٨٠)(٢) و « حياة الانسان بعد الموت »(٣) (١٩٠٩) ، و « العقل

= و هـ . برايس H. Price من اكسفورد ، وستراتون Stratton من كامبريدج .

وللمزيد عن الرواد البريطانيين راجع « مفصل الانسان روح لاجسد » المرجع السابق جـ ١ ص ٣٥٩ — ٤٥٠ .

(١) Researches in the Phenomena of Spiritualism

(٢) Man and the Universe.

(٣) Survival of Man.

والاعتقــاد » (١٩١٠)(٤) ، و « الحيـــاة والمــادة » (١٩١٢)(٥) ، و « المشكلات الحديثة » (١٩١٢)(٦) ، و «العلم والدين» (١٩١٤)(٧)، و « ريموند أو الحياة والموت »(١٩١٧)(٨) ... وغيرها من روائع العلم الطبيعى وما فوق الطبيعى .

تقرير تاريخى « للجمعية الجدلية » بلندن

هذا وقد بدأت الظواهر غير المألوفة تشد انتباه «الدوائرالخاصة» فى مبدأ الأمر فى أمريكا وانجلترا وغيرهما منذ أواخر القرن المــاضى بشكل عام وعنيف ولمــا شاعت الجلسات العائلية فى انجلترا بعــد أن عرفت فى أمريكا مباشرة تقدمت عــدة طلبات الى « الجمعية الجــدلية بلندن » London Dialectical Society ، وكانت تضم صفوة من علماء المــادة والسيكولوجيا ـ لبحث هذه « البدعة التى لا تستند الى أى أساس علمى » فكان أن شكلت الجمعية فى ســنة ١٨٦٩ لجنة من أربعة وثلاثين عضوا كانت مهمتها حسبما ورد فى قرار تشكيلها «القضاء نهائيا على هذه الظواهر الروحية التى هى من عمل الخيال ».واستمرت اللجنة توالى جلساتها بغير توقف لبحث هذا الموضوع لمدة ثمانية عشر شهرا . واذا بها فى النهاية تضع تقريرا فى سنة ١٨٧١ تسلم فيه بصحة هذه الظواهر تسليما تاما،وهو يعد وثيقة خطيرة لمصلحة العلم الروحى . وكان من ضمن أعضاء هذه اللجنة مع آخرين :

ـ سيرجون لابوك John Lubbock عضــو « الجمعية الملكية » (المجمع العلمى البريطانى) .

ـ ســير الفريد راســل والاس A. Russel Wallace عالم البيولوجيا المعروف وعضو « الجمعية الملكية » .

---

(١) Reason and Belief.
(٢) Life and Matter.
(٣) Modern Problems.
(٤) Science and Religion.
(٥) Raymond or Life and Death.

ـ دى مورجان De Morgan رئيس « الجمعية الملكية » بلندن .

ـ سير وليام كروكس W. Crookes رئيس « الجمعية الملكية » ، والعالم المعروف فى الفيزياء والكيمياء .

ـ تشارلس برادلاف Charles Bradlaugh عالم العلوم العقلية .

ومن الطريف أن علماء كبارا آخرين قد دعوا للمشاركة فى بحوثها مثل توماس هاكسلى Huxley (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) ، و . ج . هـ . لويز G. H. Lewes فرفضا . ورد هاكسلى قائلا « حتى اذا افترضنا أن هـذه الظواهر صحيحة فانها مع ذلك لا تعنينى » مما يعبر عن الطريقة العدائية التى كان بعض العلماء ينظر بها الى هذه الأمور فى بدايتها وبغير أى بحث فيها .

وقد قسمت اللجنة العامة نفسها الى ست لجان فرعية ، واجتمعت حوالى أربعين اجتماعا للبحث والتجريب ، غير اجتماعاتها لتنظيم العمل وتوزيعه ، وفى النهاية وضعت تقريرا ايجابيا سجلت فيه :

١ ـ سماع أصوات متنوعة تبدو كما لو كانت صادرة من مفروشات الغرف وجدرانها وأرضياتها .

٢ ـ تحرك أجسام صلبة ثقيلة بدون تداخل من أى انسان .

٣ ـ أن هذه الأصوات والتحركات كانت تحدث بناء على طلب الحاضرين .

٤ ـ صدور ردود عاقلة على أسئلة متضمنة بيانات صحيحة لبعض الحاضرين لا يعرفها الا أصحابها .

٥ ـ ان حضور أشخاص معينين فى الاجتماع كان لازما لحدوث هذه الظواهر .

٦ — أن حدوث هذه الظواهر لم يكن مضمونا فى بعض الأحيان رغم حضور هؤلاء الأشخاص •

وقد تحاشى بعض اللجان أن يستخدم الوسطاء المشتغلين بهذا العمل فى الخارج ، أو أولئك الذين يأخذون أجرا عن عملهم هذا «فكان وسيطنا الوحيد هو أحد أعضاء اللجنة ، وهو شخص جليل الاعتبار فى الهيئة الاجتماعية وحاصل على صفة النزاهة التامة ، وليس له غرض مالى يرمى اليه ولا أية مصلحة فى غش اللجنة • وكل تجربة من التجارب التى عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن تتخيله عملت بصبر وثبات • وقد تمت هذه التجارب فى أحوال كثيرة الاختلاف ، واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لأجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهدتنا وابعاد كل احتمال لغش أو توهم •

وقد بدأ نحو أربعة أخماس اللجنة التجارب وهم فى أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ، وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بأنها نتيجة التدليس أو الوهم ، أو أنها حادثة بحركة غير ارادية للعضلات • ولم يتنازل هؤلاء الأعضاء المنكرون أشد الانكار عن فروضهم الا بعد ظهورها بوضوح لا يمكن مقاومته ، وفى شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقة • وبعد تجارب وامتحانات مدققة ومكررة اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التى حدثت فى خلال هذا البحث الطويل هى مشاهدات حقة لا غبار عليها ••• » على ما ورد فى تقرير هذه اللجنة • وقد ورد فى هذا التقرير أيضا ما يلى :

١ — أن ثلاثة عشر عضوا من أعضاء اللجنة يشهدون بأنهم شاهدوا أجساما صلبة ترتفع تدريجيا فى الهواء وتظل معلقة لفترة من الوقت بغير وسيلة مادية منظورة •

٢ — أن أربعة عشر عضوا يشهدون بأنهم شاهدوا أيدى ووجوها لا تمت الى أى كائن أرضى تبدو فيها الحيوية فى مظهرها وتحركها ،

وأنهم أحيانا قد لمسوها أو ضغطوا عليها بشدة ، ولذا فقد اقتنعوا بأنها ليست نتيجة تدليس أو وهم •

٣ — أن خمسة شهود يشهدون بأن كائنات غير منظورة قد لمستهم فى أجزاء مختلفة من أجسامهم ، وغالبا بناء على طلبهم عندما كانت أيدى جميع الموجودين فى الغرفة ظاهرة •

٤ — أن ثلاثة عشر شاهدا يقررون أنهم استمعوا الى قطع موسيقية جيدة العزف على آلات موسيقية لم تتداولها أيدى كائنات مادية •

٥ — أن خمسة شهود يشهدون أنهم شاهدوا قطع فحم تبدو كما لو كانت جمراء مشتعلة توضع فوق أيديهم أو رؤوسهم ، دون أن تحدث ألما أو احتراقا •

٦ — أن ثمانية شهود يشهدون أنهم تلقوا معلومات دقيقة خلال طرقات أو كتابات أو بوسائل أخرى لا يعلم أحد الموجودين شيئا عنها •

٧ — ويشهد أحد الشهود أنه تلقى تقريرا دقيقا ومفصلا لكنه تبين له أنه خاطىء برمته •

٨ — أن ثلاثة شهود يقررون أنهم شاهدوا حدوث رسومات بالقلم الرصاص وبالألوان بسرعة شديدة ، وتحت رقابة تجعل احداثها مستحيلا بمعرفة أى انسان •

٩ — أن ستة شهود يشهدون أنهم تلقوا نبوءات عن حوادث مستقبلة كان وقت حدوث بعضها محددا بدقة قبل حدوثها بأيام أو بأسابيع سابقة •

وبالاضافة الى ذلك قدم التقرير بيانات أخرى عن تفوهات غيبوبة ، وعلاج روحى ، وكتابة آلية ، وادخال زهور وفاكهة فى غرف

مغلقة ، وأصوات فى الهواء ، ومشاهدة بللورات مجهولة المصدر ، وزجاج .

واختتمت اللجنة العامة تقريرها — الذى جاوز خمسمائة صفحة — بما يفيد « أنه بالنظر الى أنها تدخل فى الاعتبار الخلق العالى والذكاء الكبير الذى يتصف به شهود هذه الظواهر (من أعضاء اللجان الفرعية) وانتفاء كل دليل على حدوث وهم أو تدليس فى هذه الظواهر ذات الصفة الاستثنائية فان العدد الأكبر من كافة الطبقات الاجتماعية فى جميع أنحاء العالم المتمدين سيتأثر بها بدرجات متفاوتة من ناحية الاعتقاد بمصدرها فوق الطبيعى Supernatural . وأنه بالنظر الى أنها لم تصل الى أى تعليل فلسفى لها ، فانها تقرر اقتناعها بأن الموضوع جدير بالمزيد من الالتفات الجدى والتحرى الحذر بما يتجاوز ما تلقاه حتى هذا التاريخ » .

هذا ملخص سريع لهذه الوثيقة الهامة فى تاريخ الروحية التى أذيع أمرها فى العالم منذ سنة ١٨٧١ وطبعت ، وترجمة الى أغلب اللغات الحية — عدا العربية للأسف الشديد — فهزت فى أواخر القرن الماضى أركان البيئات العلمية ، بالنظر الى خطورة البيانات التى تتضمنها ، والى ضخامة أسماء بعض الموقعين عليها ، وقد بلغوا أربعة وثلاثين عالما هم أبرز علماء بلادهم فى ذلك التاريخ .

تاسيس « جمعية البحث الروحى » بلندن

كان لنشر تقرير الجمعية الجدلية ، دوى ضخم فى الأوساط العلمية لأنه لم يكن متوقعا من جمعية مكونة من صفوة من علماء فى فروع شتى من العلوم — لذا علت الأصوات فى بريطانيا للمطالبة بانشاء هيئة دائمة منظمة تتولى بحث موضوع الظواهر الوساطية على مستوى الأكاديميات الكبرى . وظلت الصيحات تتوالى بغير انقطاع منذ سنة ١٨٧١ الى أن أثمرت فى سنة ١٨٨٢ عن انشاء هذه الأكاديمية الدائمة تحت اسم

« جمعية البحث الروحى Society for Psychical Research التى انتظمت مجموعة من أفضل العلماء من عدة بلاد منهم: سير وليام باريت ، جورج جـ• رومانس ، وفردريك مايرز ، وادموند جيرنى ، وسير وليام كروكس ، وسير الفرد راسل والاس ، وسير أوليفر لودج ، وهنرى سيدجويك ، وميرس ، ورتشارد هدجسون ، وأوسكار بروننج، وكلهم من أعضاء « الجمعية الملكية لتقدم العلوم » (المجمع العلمى البريطانى) أو أساتذة فى الجامعات البريطانية •

ومنهم أيضا تشارلس اليوت نورتون الأستاذ بجامعة هارفارد بأمريكا ، ووليام جيمس الفيلسوف الأمريكى وأستاذ علم النفس الذى أصبح مديرا لنفس الجامعة ، ووليام ر• ليوبولد أستاذ علم النفس بجامعة بنسلفانيا بأمريكا ، وجيمس هايسلوب أستاذ العلوم العقلية بجامعة كولومبيا ، والعالم الفرنسى كامى فلاماريون الفلكى المعروف ، وشارل ريشيه الفزيولوجى الكبير وعضو المجمع العلمى والأستاذ بكلية الطب بباريس • وكان رئيس هذه الجمعية عند تشكيلها هو الأستاذ سيدجويك (١٨٣٨ — ١٩٠٠) ، ووكيلاها الأستاذين آرثر بلفور ، و ج• ب• لنجلى •

وقد حدد قرار تشكيلها اختصاصاتها كالآتى : « دراسة طبيعة أى تأثير قد يباشره عقل فى آخر خارج أعضاء الحس العادية ومداه ، والتنويم المغناطيسى ، والمسمرية Mesmerism ، والجلاء البصرى وما يلحق به من ظواهر ، وتحقيق كشوف ريخنباخ Reichenbach عما يسمى بالقوة الشاذة odic force ، والبحث فى ظهور الأشباح ، والمنازل المسكونة ، وتحقيق الظواهر الفيزيقية للروحية physical phenomena of spiritualism وانشاء مكتبة متعلقة بالموضوعات الروحية بوجه عام » •

والجمعية تواصل نشاطها بأسلوب علمى صرف ، ومنذ تأسيسها لم تنقطع تصريحات رؤسائها وأقطابها — وكلهم فلاسفة وعلماء من أرفع طراز — عن ثبوت صحة الظواهر الوساطية والاتصال بأرواح من نسميهم « موتى » ، وبالتالى ثبوت استمرار حياة النفس بعد موت الجسد المادى • ومن هؤلاء من كانوا من قبل أبناء مدارس مادية مزمنة لا تسلم مطلقا بصحة أى أمر من هذه الأمور •

وتنشر الجمعية حتى الآن — وبغير انقطاع منذ قرن تقريبا — مجلداتها فى صورة مضابط Proceedings بدأ صدورها منذ سنة ١٨٨٢، وجريدة Jouranl بدأ صدورها منذ سنة ١٨٨٤(١) • وتعتبر مجلداتها وثائق ذات قيمة كبرى فى مختلف موضوعات العلم الروحى الحديث ، والظواهر الوساطية على كافة أنواعها وصورها •

ومما يجدر ذكره هنا أن هذه الجمعية تأبى الارتباط بأى رأى فى صدد صحة الخلود أو عدم صحته ، بل انها — شأن جميع الهيئات العلمية الراقية — تترك الباب مفتوحا على مصراعيه لجميع الآراء والمناقشات أيا كان اتجاهها • ومن ثم فان الانتماء اليها لا يقيد صاحبه بأى اتجاه ، الا أن يكون هو الاهتمام بدراسة الانسان فى بعض جوانبه الروحية أو النفسية التى لاتزال بحاجة الى بحث متواصل لكشف بعض معمياتها وألغازها وما أكثرها !

وقد حاول الكثيرون دفع الجمعية لأن ترتبط — كهيئة علمية برأى نهائى فى هذا الموضوع — موضوع دوام الحياة بعد الموت — ففشلوا • وفى هذا الفشل وحده ما يدل على ما تتسم به أعمالها كلها من حياد ، ومن اعتدال ، ومن رغبة ملحة مشروعة فى كفالة أوسع قدر للتفكير العلمى المتحرر من كل قيد لأعضائها •

---

(١) وكانت تصدر ستة أعداد سنوية من سنة ١٩٤٩ الى ١٩٥٤ ، ثم أربعة أعداد سنوية منذ سنة ١٩٥٥ حتى الآن . أما المضابط فهى تصدر فى مواعيد غير محددة .

وفى سنة ١٩٧٠ قام رئيس سابق للجمعية هو العلامة و•هـ• سولتر W. H. Salter — بمناسبة وضعه بالاشتراك مع آخر كتابا عن تاريخ هذه الجمعية — باحصاء عدد أعضائها الذين اقتنعوا بصحة دوام الحياة بعد الموت ، وبصحة الاتصال بأرواح « الموتى » كتعليل مقنع لظواهر الوساطة الروحية ، فتبين له أنهم — خلال الخمسين عاما الماضية — يمثلون تسعين فى المائة من أعضائها ، أما الباقون فلم يرتبطوا برأى بعد (١) •

ومن يطلع على مضابط هذه الجمعية ، وجريدتها ، ومطبوعاتها يبين له تماما انها تفسح صفحاتها للنقد وللاعتراض أكثر مما تفسحها للتأييد أو للدفاع•وفى الواقع أن أسلوب النقد والاعتراض أسلوب مميز للعقلية الغربية بوجه عام بالمقارنة بغيرها ، خصوصا فى بيئات البحث العلمى الجاد •

ولا ريب أن المعارف الانسانية الصحيحة تدين للنقد وللاعتراض أكثر بكثير مما تدين للتأييد السهل ، أو لسرعة التصديق ، أو لمجاراة بعض الأشخاص مهما علت مكانتهم ، أو لمجاراة بعض الآراء مهما يكن مصدرها ، أو مهما يكن مدى ذيوعها •

وبالتالى فان أسلوب هذه الجمعية فى بحث موضوع دوام الحياة بعد الموت ، وما يرتبط به من اتصالات روحية : « ليس هو بحث ما اذا كان هذا الموضوع بسيطا أم معقدا ، وما اذا كان سهلا أم محيرا ، وما اذا كان جذابا أم منفرا ، بل فحسب ما اذا كان هذا الموضوع صحيحا أم لا ؟ وصحته يمكن أن تتقرر فقط عن طريق أسلوب التحقيق المستمر ، الحذر ، الناقد ، المتحفظ » • وذلك على حد رأى أحد أعضائها المؤسسين ، وهو سير أوليفر لودج عالم الطبيعيات العظيم الذى كان مديرا لجامعة برمنجهام ورئيسا لها

(١) راجع: W. H. Salter & Reneé Haynes : The Society For Psychical Research. An Outline Of Its History, 1970

أكثر من مرة . ولنا الى بعض أعماله وآرائه عودة فى عـدة مواضع فيما بعـــد(١) .

وليس لهذه الجمعية أية صـلة بالجمهور ، أو بتيسـير الخدمات الروحية له من أي وجه كان ، فان هذه الخدمات لهـا جهـات أخرى عـديدة . بل أن رسالة هـذه الجمعية هى مجـرد مواصـلة البحث الأكاديمى الصرف وترتيب نتائجه المحتومة فى عزلة تامة عن الجمـاهير ، وما يرتبط بهذا البحث من حوار علمى مفتوح على صفحات نشراتهـا ومطبوعاتها وهى كثيرة . وليس لها من مورد الا الاعتماد على نفسهـا كما هى الحال فى جميع الجهات العلمية هناك .

وللجمعية اهتمامات متنوعة فى عـلم النفس والباراسيكولوجى ، والادراك خارج الحواس ، ودوام الحياة بعد الموت ... وعضويتهـا تكون عن طريق الاقتراع بعد ترشيح من اثنين من أعضائها العاملين (٢) . وأسماء رؤسائها منذ تأسيسها ضخمة ومعروفة .

برجسون يرأس هذه الجمعية

فكم مفكر فى قرننا الحالى يعد مثلا ندا لهنرى برجسون Henry Bergson (١٤٥٩ — ١٩٤١) الفيلسـوف الفرنسى الكبير (٣) ! وقد تولى رئاسة هذه الجمعية لعام ١٩١٣ ، وراح يحاضر فى هـذه المناسبة محاضرة طويلة نقتطف منها هنـا فقرات كافية لمـا تتضمنه من مناقشة مستفيضـة للمعارضين : « وما أدرى كيف يسـوغ أن تجعلونى خلقا

(١) عن مؤلفه « الجدران الوهمية » Phantom Walls طبعـة ١٩٦٩ ص ٢١٨ .

(٢) وقد تفضلت الجمعية فمنحتنى مشكورة شرف عضويتها بجلسة ٢٢ فبراير سنة ١٩٧٣ . ومنذ هذا التاريخ تصلنى مطبوعاتها بانتظام .

(٣) يقول الدكتور زكريا ابراهيم فى تصـدير كتـابه عن برجسون « ليس هنـاك أكثر مما كتب عن برجسـون فى اللغـات الأجنبية ، فان عدد ما ظهر من البحوث والدراسات عن فلسفته قد يبلغ عدة آلاف ... ».

لرجال بارزين تعـاقبوا على هـذا المنصب (منصب رئيس الجمعية) وكانوا قد وقفوا أنفسهم على نفس الدراسات التى تقفون عليها أنفسكم •

لعلكم « بالاستشفاف » أو « بالتخاطر » شعرتم من بعد بما أولى بحوثكم من اهتمام ، ورأيتمونى على مسـافة أربعمائة كيلو متر منكم أقرأ تقاريركم فى عناية وأتتبع أعمالكم بشوق عظيم • لطالما أعجبت ببراعتكم ، ونفـاذكم ، وصبركم ، وقدرتكم على ارتياد هـذا الربع المجهول الذى تدور فيه الحوادث الروحية • لكنى أعجب ، أكثر من عجبى بالبراعة ونفاذ البصـيرة والدأب الذى لا يكل ، بالشجاعة التى كان لابد منها ولاسيما فى السنين الأولى للنضال ضد سوء ظن قسـم كبير من الجمهور ، وللتغلب على السخرية التى ترعب أعظم الشجعان •

ولذلك فاننى لأفتخر بانتخابكم اياى رئيسـا « لجمعيـة البحث الروحى » فخرا يفوق قدرتى على التعبير•لقد قرأت عن ضابط عهد اليه بقيادة فرقته اثر خلو الميدان من القادة الذين ماتوا أو جرحوا ، أنه ظل طوال حياته يذكر ذلك اليوم ، وظل طوال حياته يتحدث عنه ، وظلت حياته كلها بعد ذلك معطرة بذكرى هـذه الساعات القليلة • انى ذلك الضابط ، فسوف أهنىء نفسى ما حييت على هـذا الحظ العظيم الذى جعلنى على رأس فرقة من الشجعان ، لا لبضع ساعات بل لبضعة أشهر •

فما مرد سـوء الظن الذى لقيته العـلوم الروحية وماتزال تلقاه من كثير من الناس ؟ نعم ان الذين يحاربون أمثال دراستكم هم أشـباه علماء ، ومن أعضاء جمعيتكم فيزيائيون وكيميائيون وفسـيولوجيون وأطباء • وقد كثر عدد العلمـاء الذين يعنون بدراستكم ولو لم ينتموا اليكم • الا أنه يتفق مع ذلك أن نرى علماء حقيقيين ممن يرحبون بأى عمل يخرج من المعامل مهما ضؤل يتحاشون عمدا ما تأتون به ، وينبذون جملة ما قد فعلتم ، فما سبب ذلك ؟

ليست غايتى أن أنقـدهم لمجرد أن أوجه نقـدا أنا الآخر • فأنا

أعتبر الوقت الموقوف على النقد فى الفلسفة وقتا ضائعا بوجه عام ، وليت شعرى ماذا بقى من الاعتراضات الكثيرة التى أثارها المفكرون بعضهم ضد بعض ؟! ... لم يكد يبقى منها شىء فما يمكث على الأرض الا حقيقة موضوعية يأتى بها الانسان . فالرأى الصحيح يحل محل الفكرة الخاطئة بقوته الذاتية ، وهو أدمغ الردود على الاطلاق بدون أن يكلفنا نقد أحد من الناس .

غير أن ما أقصده هنا شىء آخر غير النقد وغير الرد . فانما أريد أن أكشف وراء اعتراضات البعض وسخريات البعض الآخر عن وجود فلسفة مستترة غير واعية لذاتها ، غير واعية وبالتالى متقلبة ، غير واعية وبالتالى عاجزة عن أن تتكيف باستمرار مع الملاحظة والتجربة كما يخلق بالفلسفة الجديرة بهذا الاسم . وأريد أن أبين من جهة أخرى أن سبب هذه الفلسفة هو العادة التى تعودها الفكر الانسانى منذ زمن طويل ، وأن ذلك هو السبب فى بقائها وانتشارها بين الناس . أريد أن أزيح النقاب عن هذه الفلسفة وأقابلها وجها لوجه ، وأتبين مالها من قيمة » ...

ثم يقول فى محاضرته هذه : « وانى حين أستعرض نتائج التحقيق الذى قمتم به فى غير ما كلل لمدة تشرف على ثلاثين عاما(١) ، وحين أفكر فيما أخذتم به أنفسكم من الحيطة والحذر خشية الوقوع فى الخطأ ، وحين أرى أن حادثة التخاطر فى معظم الحالات التى سجلتموها قد رويت لشخص أو لعدة أشخاص بل سجلت كتابة من قبل أن يتبين صدقها ، وحين أرى كثرة هذه الحوادث وتشابهها على وجه الخصوص ، وما يتجلى فيها من قرابة ، وحين أرى توافق كثير من الشواهد المستقلة بعضها عن بعض ، والتى تحللونها جميعا وتراقبونها وتجرحونها ، فانى محمول على الاعتقاد بالتخاطر مثلما أحمل على الاعتقاد بتحطيم أسطول الأرمادا الذى لا يغلب » .

---

(١) إذ ألقيت هذه المحاضرة فى سنة ١٩١٣ كما قلنا .

ثم يقول : « تلكم هى باختصار النتائج التى توصلت اليها بفحص الوقائع المعروضة فحصا حياديا • ومعنى هذا أننى أعد المجال المفتوح أمام البحث الروحى واسعا جدا ، بل لا يكاد يحد • وسيعوض هـذا العلم الجديد ما فاته من وقت • ان الرياضيات ترجع الى عهـد اليونان القديم ، والفيزياء تعود الى ثلاثة أو أربعة قرون ، والكيمياء قد ظهرت فى القرن السابع عشر ، وفى مثل سنها تكاد تكون البيولوجيا ، أما علم النفس فهو ابن الأمس ، وأحدث منه البحث الروحى •

هل يجب أن نأسف لهذا التأخر ؟ لقد تساءلت أحيانا ترى ماذا كان يحدث لو أن العلم الحـديث ، بدلا من أن يمضى من الرياضيات الى الميكانيكا والفلك والفيزياء والكيمياء ، وبدلا من أن يوجه كل جهوده الى دراسة المـادة ، قد بدأ بالنظر فى الروح ؟ ماذا كان يحدث لو أن كبلر وجاليليو ونيوتن كانوا علماء نفس ؟ لو حدث ذلك لكان بين أيدينا سيكولوجيا لا نستطيع اليوم أن نتخيلهـا ، كما أن الناس كانوا قبل جاليليو لا يستطيعون أن يتصـوروا ما أصبحت عليه الفيزياء فى عصرنا الحاضر ، وربما عدت هذه السيكولوجيا من سيكولوجيا العصر الحاضر بمثابة الفيزياء الحديثة من الفيزياء التى كانت فى عهد أرسطو طاليس •

لو حدث ذلك لرأينا العلم الذى يكون عندئذ بعيدا عن كل فكرة ميكانيكية يخف الى تسجيل أمثال الحوادث التى تدرسونها فى كثير من الاهتمام ، بدلا من أن يشيح عنهـا قبليا • ولعل البحث الروحى كان سيكون عندئذ فى طليعة مشاغله الرئيسية •

فاذا اكتشفت القوانين العامة للنشاط الروحى (كما كان شـأن المبادىء الأساسية للميكانيكا) انتقل الباحثون بعد ذلك من الروح المحض الى الحياة ، فتكونت البيولوجيا ، ولكنها تكون عندئذ بيولوجيا حيوية مختلفة عن بيولوجيا العصر الحاضر كل الاختلاف ، اذ تمضى الى البحث وراء الصور المحسوسة للكائنات الحية عن القوة الداخلية غير المنظورة

التى ليست هذه الصور الا تجليات لها . فلئن لم يكن لنا الآن سلطان على هذه القوة فلأن علمنا بالروح لايزال فى المهد . ولهذا فان العلماء ليسوا مخطئين حين يأخذون على النزعة الحيوية أنها مذهب عقيم .

نعم انهـا الآن عقيمة ، ولكنها لن تكون كذلك دائما ، وما كانت تكون كذلك لو أن العلم الحديث فى الأصل كان قد تناول الأشياء من طرفها الآخر . فاذا ما وجدت هذه البيولوجيا الحيوية ظهر معهـا طب يشفى أمراض القوة الحيوية مبـاشرة فيستهدف السبب لا النتائج ، يستهدف المركز بدلا من المحيط . ولعل المعالجة بالايحاء ، أو قل المعالجة بتأثير الروح فى الروح بوجه عام تأخذ عندئذ أشكالا وأبعادا لا تتصورها الآن . وعلى هذا النحو كان يمكن أن ينشأ علم النشاط الروحى وكان يمكن أن ينمو .

ثم يقول الفيلسوف العظيم « ولذلك فلو انصرف العلم الى شئون الروح أول ما انصرف ، لظل غير يقينى ولا دقيق مهما تقـدم . ولعله ما كان يميز عندئذ بين ما هو ممكن فحسب ، وبين ما ينبغى أن يقبل قبولا نهائيا . أما اليوم وقد أصبحنا بفضل دراستنا للمادة نحسن هذا التمييز ، ونتمتع بالمزايا التى تقتضيها ، فاننـا نستطيع أن نغامر بدون ما خوف فى هـذا الربع الذى لم يكد يستكشف بعـد ، ربع الوقائع الروحية . فلنتقدم فى جرأة عاقلة ، ولنلق عن أكتافنـا تلك الميتافيزياء السيئة التى تعرقل تحركاتنا . ويقينى أن علم الروح سيؤدى الى نتائج تفوق كل ما نرجوه من آمال »(١) .

برجسون يشيد فلسفة روحية باذخة

ولم يقف الأمر فحسب عند حد اختيار برجسون لرئاسة « جمعية البحث الروحى » بلندن لفترة من الزمن ، وعند اشادته بهـا وبنتائج

---

(١) عن كتاب « الطاقة الروحية » لبرجسون .L'Energie Spirituelle تعريب الدكتور سامى الدروبى ص ٥٣ وما بعدها .

بحوثها ، بل انه فى مؤلفاته وبحوثه ومحاضراته ومقالاته استشهد مرارا بالظواهر الروحية التى حققتها واعتبرتها ثابتة علميا ، بما فى ذلك الاستشفاف ، والتخاطر ، والرؤى التى يراها الوسطاء Intuition وكثيرا ما تحدث عن « الروح التى قد تعلو بها الحياة حتى تتغلب على الموت ، وقد يسمو فيها العقل حتى يحطم قيود المكان والمادة » ، وقد جاءت فلسفته تدور على محاور تتضمن هذه المعانى الروحية فى سداها ولحمتها . فهو تارة يتحدث عن « نظرية الديمومة » ، وأخرى عن « التطور الخالق » ، وأخرى عن « الحدس والميتافيزياء » ، وأخرى عن « النفس والبدن » ، وأخرى عن « الحياة والمادة » ، وأخرى عن « التصوف والحب الالهى » (١) .

وفى الجملة أن برجسون ــ كما وصفه الأستاذ يوسف كرم ــ « يعد أكبر فيلسوف ظهر فى فرنسا من عهد بعيد ... ولعله أكبر فيلسوف على الاطلاق فى هذا النصف الأول من القرن العشرين . وقد كان نفوذه واسعا وعميقا فقد أذاع لونا من التفكير وأسلوبا من التعبير طغيا على سائر فروع المعرفة العلمية وتجاوزها الى الأدب . وكانت دلالته التاريخية أنه قصد الى انقاذ القيم التى أطاحها المذهب المادى . فهو يبدو من هذه الوجهة وكأنه واحد من أولئك الأبطال الذين أشاد بهم ، أولئك الذين يقومون فى الانسانية ليعلنوا ايمانهم بالروح وينبهوا اخوانهم الى أن الكون المادى ليس وطنا لهم ، وانما الكون آلة لصنع آلهة ... » (٢) .

هذا هو برجسون العظيم الذى انتهى الى الروحانية العلمية الأصيلة العميقة المفرطة فى أصالتها وفى عمقها ، بعد أن بدأ حياته ماديا صرفا على مذهب سبنسر كما قال هو عن نفسه ، وكان تحوله عن المادية

(١) راجع فيها كتاب « برجسون » تأليف د. زكريا ابراهيم .
(٢) عن « تاريخ الفلسفة الحديثة » ١٩٦٢ ص ٤٤٩ . وهو يحيل القارىء الى مؤلف برجسون « ينبوعا الأخلاق والدين » .

بفضل بحوثه التجريبية . فكان موقفه من هـذا العلم الناشىء أشـبه ما يكون بموقف وليـام جيمس فى أمريكا ، وكلاهمـا فى عصره أبرز فلاسفة بلاده .

عن قيمة أبحاث هذه الجمعية

وهـذا الكلام من برجسون فى صـدد نشـاط « جمعية البحث الروحى » قيل فى محاضرة ألقيت فى مقر هذه الجمعية فى ٢٨ من مايو سنة ١٩١٣ فهل وقفت هذه الجمعية عند القدر من البينات الذى كانت قد حصلت عليه خلال ثلاثين سنة من التحقيقات المتواصلة فى الظواهر الوساطية عن طريق جميع أبواب التجربة المعملية الممكنة التى تزخر بها محاضرها وجريدتها ؟

كلا فان هذه الجمعية تقوم حتى الآن بمقرها بلندن[١] بأبحاثهـا وتوالى نشر مضابط جلساتهـا — وجريدتهـا أيضا — مليئة بالمعلومات والمناقشات العلمية والفلسفية ، وبالظواهر الوساطية مؤيدة بالصـور والبيانات والاحصائيات والحقائق التجريبية الصرف .

ان عالمـا معـاصرا فى علم النفس وهو وليـام براون William Brown الأستاذ بأكسفورد — وهو فى نفس الوقت وسيط للكتابة التلقائية — وقف منذ سنة ١٩٣٧ يتكلم فى مدينة ليدز بانجلترا عن موت الجسد واصفا أبحاث هذه الجمعية بأنها « تضع حجر الأساس فى علم النفس الحديث » . وقد دفعته فى سنة ١٩٣٣ الى أن يقول — فى محاضرة له فى الاحتفال السنوى لهذه الجمعية — « بالاشارة الى البينات التى قدمتها لنا جمعية البحث الروحى خلال السنوات الخمسين المـاضية فانها كافية كيما تجعل الحياة بعـد موت الجسـد راجحة علميا الى أقصى

(١) عنوانها حاليا كالآتى : Society For Psychical Research
1 Adam & Eve Mews London W. 8 6UQ.
(Telephone : 01 - 938 - 8934).

الحدود » (١) . واذا كانت بحوث خمسين سـنة لها هذا الأثر فما هو أثر بحوث مائة سـنة بمعرفة نفس الجمعية وهـو عمرها حتى الآن ؟ وما هو ياترى أثر بحوث عشرات أخرى من المعاهد والجمعيات والهيئات العلمية الجادة تماما اذا جاءت كلهـا مؤيدة نفس الاتجاه ومطابقة له فى مقدماته ونتائجه ؟ !

ان نتائج هـذه البحوث دفعت أستاذا آخر لعلم النفس فى جامعة لندن هو الدكتور فلوجل Flugel لأن يصرح بأن علم النفس قد أصبح شيئا قديما وضعيفا أمام علم الروح الذى سيحتل مكانه ... « فلاشك اذن فى أن اطراد تقدم جنسنا البشرى ــ على حد قوله ــ يتوقف على قدرتنا فى التذرع بقانون المنطق .. وعلى شجاعتنا فى التخلص من عذاب التقاليد وترهاتها ، واسـتخدامنا الكامل للكشوف الحـديثة لاسـعاد الجنس البشرى وتقدمه ، ولهذا فقط توجد الحرية الداخلية الصادقة ، والتى بدونها لن تكون المقاييس السياسية والاقتصادية للتقدم الا عرضا زائفـا » .

---

(١) اشترك الدكتور وليام براون مع لجنـة من الأساقفـة الانجليز شـكلها الدكتور لانج كبير أساقفة كنتربرى وقـد انتهت بأغلبية سـبعة أصوات ضد ثلاثة الى ثبوت الاتصال بأرواح الموتى (راجع التفاصيل فى كتاب « قصتى العظمى » الترجمة العربية ١٩٧٢ ص ٣١٤ ــ ٣١٩) . وقد عالج الدكتور براون موضوعي الغيبوبة الوساطية والحياة بعـد الموت فى مؤلفه عن « العقل والطب وما وراء الطبيعة » Mind, Medecine And Metaphysics. الذى ظهـر فى سنة ١٩٣٦ (راجـع بوجه خاص ص ١٠٧ ــ ١٢٤ وص ٢٤٧ ــ ٢٦٦ من الطبعة الثانية التى ظهـرت فى فبراير من سنة ١٩٣٨) .

الفصل الثالث

موقف البيئات العلمية فى فرنســا من الباراسيكولوجى

عن آلان كاردك

سرعان ما انتقل الاهتمام بدراسة الظواهر غير المألوفة الى فرنسا فظهر على الفور بعض الاعلام ، وعلى رأسهم آلان كاردك الذى لا يزال معتبرا حتى الآن الأب الروحى للحركة الروحية الحديثة ليس فى فرنسا وحدها بل فى العديد من البلاد فى أوروبا وأمريكا ، خصوصا منها تلك البلاد ذات الثقافة اللاتينية .

وانتاجه لايزال يمثل حتى الآن مستوى من أرفع مستويات الانتاج الفلسفى فى نطاق علم الروح ، الى حــد أن غالبية من خلفوه فى فلسفة الحركة الروحية الفرنسية لم يضيفوا اليه شيئا يذكر ، فلا يزال معتبرا زعيما للفلسفة الروحية الفرنســية ، بل اللاتينية بوجــه عام ، ولاتزال بحوثه معتبرة أهم المراجع التقليدية لمن يريد أن يحيط من عــلم الروح ببعض جوانبه الفلسفية التى أولاها عناية خاصة .

وقد ولد هذا العلامة الفيلسوف ــ وكان اسمه الأصلى هيبوليت ليون دنيزار ريفاى Hippolyte-Léon Denizart Rivail بمدينة ليون فى ٣ أكتوبر سنة ١٨٠٤ من أسرة عريقة أنجبت كثيرا من القضــاة والمحامين . واتجه الى دراســة العلوم والطب والفلسفة ، وقضى جزءا من شبابه فى سويسرا لاتمام تعليمه ، ثم عاد الى بلاده ، واشــتغل فى التعليم ردحا من الوقت ، وترجم الى اللغة الألمــانية بعض مؤلفــات فرنســية فى التعليم وفى الأخلاق ، بالاضــافة الى أعمــال الفيلسوف فنيلون Fénelon

وله مؤلفات عـديدة فى التربية ، وفى التعليم ، وفى الرياضـة ، وفى اللغة الفرنسـية كفلت له موردا ثابتا للعيش ، لكنه كان فى الجملة يميل الى الاعتدال — وقد أنفق على الحركة الروحية كل ثروته تقريبا وظلت زوجته تسير على نفس الدرب حتى بعد انتقاله . وكانت شريكة له فى الدراسات التى كان ينظمها فى الفيزياء ، والفلك ، والتشريح .

وكان كاردك عضـوا فى بعض هيئـات علمية راقية من بينهـا « الأكاديمية الملكية » بمدينة أراس Arras التى منحته فى سنة ١٨٣١ جائزة أدبية عن أحسن بحث يوضع للاجابة عن السؤال الآتى : « ما هو أحسن نظام للتعليم ، وأكثرها التئاما مع حاجيات العصر » ؟ .

* * *

وعنـدما كانت ظاهرة الموائد المتحركة تشد انتباه الغرب فى سنة ١٨٥٠ ، وكذلك غيرها من الظواهر « فوق المألوفة » ، شدت انتباه آلان كاردك الذى قدر على الفور مدى أهميتها ، ومدى جدارتها بالملاحظة ، والتجريب ، والتحليل .

وكان الحاضرون يلاحظون أنه فى حضوره ترد رسائل جادة لهـا قيمة فلسفية أو علمية خاصة . وقيل له ان أرواحا من طراز رفيع قدمت من الأثير البعيد خصيصا للاتصال به ، وأنها على استعداد لمواصلة الحضور حتى تتمكن من مساعدته على انجاز مهمة جديدة خطيرة .

فأخذ كاردك يضع اختبارات عديدة يختبر بها ملكات هذه الأرواح ومعلوماتها فى صيغة أسئلة متنوعة متصـلة بالمشكلات الكبرى للحيـاة الانسانية ، وبمعميات الكون الذى نعيش فيه.ولاحظ على الاجابات — التى كان يتلقاها خلال جلسـتين أسبوعيا بانتظام مع وسيطتين كانتـا كريمتين لأحد أصدقائه — أنها تسمو كثيرا على مستوى الوسيطتين . وأنها تمثل اطلاعا واسعا على موضـوعات كثيرة ، مع ترابط واضـح فى المبادىء والأفكار .

واستمرت محاورات كاردك مع هذه الأرواح منتظمة ــ عن طريق نفس الوسيطتين ــ لمدة عامين تقريبا • وصرح بعدها بأن هذه المحاورات: « قــد أحدثت ثورة جذرية فى آرائى ومعتقداتى عن حيـاة الانسان ، وواجبـاته ، ومصيره ، لأنهـا تتضمن آراء منطقية تماما ، ومترابطة ، وواضحة بشكل رائع ، ومعزية ، وغزيرة الأهمية • واننى أفكر فى نشرها فى كتاب ، لأن ما يجتذب ــ فيما يبدو ــ عنايتى بعمق من الآراء لابد أن يجتذب عناية الآخرين أيضا » •

وقد ظهر أول مؤلف له وهو « كتاب الأرواح »(١) (أبريل سنة ١٨٥٧) ، ثم ظهر له « كتاب الوسطاء »(٢) (يناير ١٨٦١) ، ثم كتاب «الانجيل طبقا للروحية »(٣) (أغسطس ١٨٦٤) ، ثم كتاب « التكوين والمعجزات والنبوءات طبقا للروحية »(٤) (يناير ١٨٦٨) • كما أسس « المجلة الروحية » ــ شهرية منتظمة ــ فى نفس التاريخ ، وكان يطلق عليها أيضا « جريدة الدراسات النفسية » • ثم أسس فى أبريل سـنة ١٨٦٨ « الجمعية الباريسية للدراسات الروحية »(٥) وقد كانت لها عدة فروع فى الأقاليم •

وكانت حياته فى ذروة من النقاء والفضيلة ، متسمة بطابع التفانى فى أداء الواجب والخدمة المجانية ، فلم يجد أعداؤه ــ وكانوا كثيرين ــ أية شائبة فيها أو أى مأخذ يأخذونه عليها الى أن انتقل الى عالم الروح بباريس فى ٣١ مارس سنة ١٨٦٩ عن خمسة وستين عاما •

ولايزال اسم آلان كاردك معتبرا حتى الآن أبرز اسـم بين رواد الحركة الروحية اللاتينية ، ولايزال له أنصار يعدون بالملايين فى فرنسا

---

(١) Le Livre Des Esprits.
(٢) Le Livre Des Mediums.
(٣) L'Evangile Selon Le Spiritisme.
(٤) La Génèse, Les Miracles, Et Les Prédictions Selon Le Spiritisme.
(٥) La Société Parisienne d'Etures Spirites.

وخارجها ، فى بلجيكا ، وفى الهند الصينية ، وفى بلاد أمريكا اللاتينية خصوصا فى البرازيل حيث تحمل اسمه العشرات من المدارس ، والمعاهد ، والشوارع ، والمستشفيات ، وحيث أصدرت الحكومة طوابع بريدية عدة مرات تخليدا لذكراه .

ويبلغ عدد المجلات والجرائد التى تصدر الآن بانتظام فى أنحاء متعددة من العالم ، والتى تعالج موضوعات الفلسفة الروحية فى داخل اطار « مدرسة كاردك » والمبادىء التى نادت بها أكثر من أربعين مجلة وجريدة منتظمة ، وذلك الى الحد الذى دفع بعض المؤلفين الى ملاحظة أن اسم آلان كاردك انتشر فى العالم أكثر مما انتشرت أسماء فولتير ، وروسو ، وباستير ، ونابوليون ، والثورة الفرنسية أيضا ! ! .

وقد وصفه شارل ريشيه Ch. Richet — فى كتابه « فيما وراء الروح » (ص ٣٤) بأنه « بلا منازع أقوى من أحدث تأثيرا نفاذا ، وقد رسم أعمق الخطوط فى علم ما وراء الروح منذ تجارب وليام كروكس الشهيرة التى ترجع الى سنة ١٨٧١ » (١) .

كما وصفه الأديب البحاثة أندريه ديماس André Dumas بأنه « تناول دراسة جميع الأنواع الكبرى للظواهر فوق العادية ، وأحسن تقسيمها ، وشيد عليها أخطر المبادىء العلمية الحديثة . وهذا الجانب العلمى فى انتاج آلان كاردك هو الذى تولى تنميته وابرازه فيما بعد جابريل ديلان ، وكامى فلاماريون بين آخرين ، مسايرين التيار العظيم الذى بدأه الانتاج القوى لفردريك مايرز ، ووليام كروكس ، وممهدا بذلك الطريق أمام علم ما وراء الروح بمعناه الحديث ..» (٢) .

وقد نقل المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى فى « كتاب الأرواح »

---

(١) راجع ما ورد عنها فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول . ص ٤١٧ — ٥٥٠ .

(٢) عن « علم الروح » ص ٤٠٤ La Science de l'Ame. P. 404.

طرفا من بحوث آن كاردك مبينا كيف أن ما بها من تعاليم خلقية سامية ، ومن تفاصيل دقيقة عن الثواب والعقاب ، تتفق مع التعاليم الدينية ومدللا على ذلك بقدرة الفقه المتبحر ، صاحب التفاسير القيمة التى ينظر اليها بعين التقدير التام (١) .

عن شارل ريشيه

ولد شارل ريشيه Charles Richet فى سنة ١٨٥٠ ، وانتقل الى عالم الروح فى سنة ١٩٣٥ عن خمسة وثمانين عاما . وكان عالما وأستاذا للفسيولوجيا بكلية الطب بجامعة باريس منذ سنة ١٨٨٧ ، وعضوا فى أكاديمية الطب منذ سنة ١٨٩٨ (٢) . وحصل على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا فى سنة ١٩١٣ ، كما أختير عضوا فى أكاديمية العلوم فى سنة ١٩١٤ . وأختير فى سنة ١٩٠٥ رئيسا « لجمعية البحث الروحى » بلندن . ولم يكن ريشيه عالما فى الطب والفسيولوجيا فحسب ، بل كان عالما فى النفس أيضا ، وله مؤلف قيم فى « علم النفس العام » (٣) ، بقدر ما كان فى نفس الوقت شاعرا وأديبا مرموقا .

وقام ريشيه باجراء آلاف التجارب التى اقتضى بعضها استدعاء الوسيطة المعروفة أسابيا بلادينو Eusapia Palladino من بلادها . وسجل فى حضورها تحرك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية ظاهرة ، وعزف آلات ، والقيام بأعمال نحت عن بعد ، وهى نفس الظواهر التى شاهدها فى حضورها كل من العلماء دو كورويز D'Ochorowiez ومايرز Myers ، ولودج Lodge ، وهنرى سيدجويك H. Sidgwick

(١) للمزيد عنه راجع كتابا حديثا عنوانه «الشيخ طنطاوى جوهرى: دراسة ونصوص » للدكتور عبد العزيز جادو . القاهرة ١٩٨٠ . وطبعة حديثة لكتابه عن « الأرواح » القاهرة ١٩٧٧ .

(٢) بحث بوجه خاص فى القابلية للعدوى ، وتكون البولينا بواسطة الكبد ، والاستهلاك الأوكسيجينى ، كما بحث فى أمراض الربو، والارتكاريا، والالتهاب الرئوى ، والاستعداد الصرعى .

(٣) Essai De Psychologie Générale.

وكامى فلامايون Camille Flammarion وغيرهم (١) .

كما سجل بالتصوير انبعاث مادة بروتوبلازمية من الوسيطة كانت تصل بينها وبين الأجسام المتحركة . وسلم مع شرنك فون نوتزيج ودو كورويز أن علة هذه التحركات هى نوع من الاكتوبلازم . وسجل ريشيه صوت الطرقات العاقلة وغير العاقلة ، وارتفاع الوسيطة كمشكلة علمية حقيقية بغير ايجاد حل لها .

وفى سنة ١٨٩٠ اشترك مع الدكتور داربيه Dariex فى اصدار « التقويم السنوى للعلوم الروحية » (٢) . وظل يواصل بحوثه الروحية بعد ذلك مع عدة وسطاء ، وفى عدة بلاد . ومنهم بوجه خاص مارتا بيرو Marte Béraud (التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم ايفا) فى الجزائر ، ثم فى باريس ، وحصل فى حضورها على نتائج باهرة . كما قام بتحقيق وساطة عدد من كبار الوسطاء فى وارسو ، وداخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس .

وقد استعرض ريشيه ثمرة بحوث ثلاثين عاما فى المسائل الروحية فى مؤلفه الرائع « كتاب ما وراء الروح » (٣) الذى هو فى أصله عبارة عن تقرير أودعه فى « أكاديمية العلوم » بباريس فى ١٣ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وقد اعتذر فيه عن انكاره السابق فى عناد شديد لصحة هذه الظواهر . ولذلك فقد بدأه باهداء منه يؤكد اعتذاره هذا الى سير وليام كروكس (٤) ، وفريدريك مايرز (٥) ، « صديقىَّ وأستاذىَّ اللذين —

(١) راجع مؤلفه «قوى الطبيعية غير المعروفة» Les Forces Naturelles Inconnues

(٢) Annales des Science sPsychiques

(٣) Traité de Métapsychique.
واعتمادنا فى هذا الفصل على الطبعة الثانية منه (١٩٢٣) .

(٤) راجع ما سبق عنه فى ص ١٠٧ .

(٥) راجع ما سبق عنه فى ص ١٠٦ .

بعظمة شجاعتهما وأفكارهما ــ رسما الخطوط الأولى لهــذا العلم » •
وفى مقدمته يوضح للقــارىء أنه لا يعالج أعتبارات غامضة عن مصــير الانسان ، أو عن السحر ، أو عن الثيوصوفية ، بل انه يحاول عمل كتاب عن علم جديد لا أحلام فيه • وهــذا العلم هو علم « ما وراء الروح » الذى يتكون ــ فى رأيه ــ من دراســـة ثلاثة أنواع من الظواهــر الأساسية وهى :

أولا : الادراك عن غــير طريق الحواس La Crypthesthésie (أو الاستشفاف lucidité عند المؤلفين القدامى) ، وهو يمثل مقدرة على الوصول الى المعرفة تختلف عن السبل الحسية العادية •

ثانيا : تحريك الأجســام الصــلبة بغير وسيلة مادية La télékinésie أى تحريكها بدون ملامسة ، وعن بعــد ، وفى شروط معينة ، وقد تقع على أشياء أو على أشخاص •

ثالثا : الاكتــوبلازم L'ectoplasmie (أو التجســد بحسب المؤلفين القدامى) أى تكوين أشياء مختلفة تبدو فى أغلب الأحيان كما لو كانت منبعثة من جسم الانسان ، وتتخذ مظهر حقيقة مادية (مثــل الملابس ، والأقمشة ، والأجسام الحية) •

ويرى ريشــيه أن هذه الأنواع الثلاثة من الظواهر تمثل كل علم « ما وراء الروح » ، وأن مجرد الوصــول الى دراستهــا يمثل مرحلة متقدمة جدا ، أما تجاوزها فليس ــ بعد ــ من العلم • وأنه ينبغى على العلم بمعناه الحرفى الصارم أن يتقبل هذه الظواهر التى يرفض الاعتراف بها فى الوقت الحاضر (فى سنة ١٩٢٢) ، وأنه ــ بوضع كتابه هذا فى نفس الاطار العلمى للعــلوم الأخرى مثــل الفيزياء ، وعلم النبــات ، والباتولوجيا ــ يريد أن ينتزع المظهر فوق الطبيعى أو الغامض عن هذه الحقائق التى كان يطلق عليها فيما مضى وصف غامضة Occultes والتى فيها الكثير حقيقى بدون أدنى منازعة •

وقد تسم ريشيه مؤلفه الضخم هـذا (حوالى ثمانمائة صفحة الى ثلاثة كتب : عالج فى أولها موضوع « ما وراء الروح » بوجه عام مبينا تاريخه ، والمراحل المتتابعة التى مر بها : وهى المرحلة الأسطورية ثم المرحلة المغناطيسية ، ثم المرحلة الروحية ، وأخيرا المرحلة العلمية .

وعالج فى الكتاب الثانى الظواهر الشخصية لما واء الروح de la Métapsychique ، فتناول فيه موضوع الادراك عن غير طريق الحواس واعتبره من ضمن صور الشفافية الغامضة Cryptesthésie التى سلم بصحتها سواء بالنسبة لبعض الأمور الماضية أو الحاضرة أو المستقبلة ، كما تناول فيه موضوع الجلاء lucidité بوجه عام ، وعصا التخمين(١) Baguette divinatoire . واختتمه بفصل عن استشعار الأمور الحاضرة Monitions ، والتنبؤ الصحيح بالأمور المستقبلة Prémonitions ، وذلك سواء عن طريق التنويم المغناطيسى ، أم عن طريق الاتصالات الروحية Spiritiques

وعالج المؤلف فى الكتاب الثالث الظواهر الموضوعية Gbjectifs وأهمها تحرك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية télékinesies والاكتوبلازم ، وبوجه عام التجسدات materialisations متحدثا فيه عن تجاربه الخاصة بالاضافة الى تجارب عدد من العلماء الآخرين .

بعض الرواد الآخرين

بعد أن اشتعلت جذوة العناية بالبحث فى الظواهر غير المألوفة أخذ يظهر تدريجيا رواد عديدون تبنوا بحذر هذا البحث العلمى الجديد . نذكر منهم مثلا الكونت أجينور دى جاسباران Agenor de Gasparin (١٨١٠ — ١٨٧١) ، وبول جيبيه Paul Gibier مدير معهد باستير بنيويورك (١٨٥١ — ١٩٠٠) ، والكونت أوجين آلبير دى روشا

(١) العصا التى يستخدمها بعض الوسطاء فى الكشف عن المياه الجوفية والمعادن المخبوءة تحت الأرض .

Eugène Albert de Rochas الذى كان مديرا لمدرسة الهندسة العسكرية Ecole Polytechnique بباريس .

ومنهم أيضا الفيلسوف كامى فلاماريون Camille Flammarion (١٨٤٢ — ١٩٢٥) الذى كان عالما فلكيا ورئيسا « للجمعية الفلكية الفرنسية » . وليون دنيز Leon Denis (١٨٤٧ — ١٩٢٧) الذى كان مفكرا وفيلسوفا ، وجابريل ديلان Gabriel Delanne الذى كان مهندسا كهربائيا .

وبعد ذلك أخذ يظهر العديد من العلماء البارزين مثل الكونت سيزار دى فيزم Cesar de Vesme (ولد فى سنة ١٨٦٢) وادوار شيريه Edoward Schuré ، وبول جوار Paul Joire ، وكورنيليه Cornillier ، واميل بوارك Emile Boirac ، مدير أكاديمية ديجون Dijon ، وشارل لانسلان Ch. Lancelin ، ورينيه سيدر René Sudre وآخرون غيرهم(١) ...

موقف أكاديمية العلوم بباريس

لأكاديمية العلوم بباريس (٢) مقام رفيع بين الهيئات العلمية ذات السمعة الدولية . وفى سنة ١٨٥٤ وقفت هذه الأكاديمية موقفا عدائيا صريحا من جلسات الاتصال بالأرواح بوصفها تمثل محض خرافة ليس لها سند علمى ، وكان من أقطاب الأكاديمية فى ذلك عدد من المكابرين فى صحة أية ظاهرة غير مألوفة . وذلك لأن التجارب الروحية كانت فى مهدها لم تتكشف عن شىء يذكر من البينات التى تكشفت عنها

---

(١) للمزيد فى هذا الشأن راجع « مفصل الانسان روح لا جسد » المرجع السابق ج ١ ص ٤٥١ — ٤٨٣ .

(٢) Academie des Sciences.
وهى احدى أكاديميات خمس تضمها هيئة يطلق عليها Institut De France.

فيما بعد ، لأن كل حركة التجريب الروحى لا ترجع لأكثر من سنة ١٨٤٨ كما ذكرنا فى موضع سابق •

ولكن بَعد هذا الموقف العدائى تغير اتجاه الأكاديمية فى السنين اللاحقة فالتزمت موقفا محايدا لا اثبات فيه ولا انكار • ثم أخذ بعض كبار أعضائها — منذ مطلع القرن الحالى — يسهمون بنصيب وافر فى تحقيق الظواهر الوساطية ، ويؤسسون عليها أخطر النتائج العلمية • ومنهم بوجه خاص برجسون الفيلسوف العظيم ، وبيير كورى Pierre Curie وزوجته مارى كورى Marie Curie مكتشفا الراديوم ، وادوارد برانلى أحد مخترعى المذياع ، وديران دى جرو Durand de Gros ، العالم الفسيولوجى ، ودار سونفال d'Arsonval الأستاذ « بالكوليج دى فرانس » ورئيس « المعهد العام لعلم النفس » بباريس •

ومنهم من استعان بهم « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس بعد انشائه فى سنة ١٩١٩ فى تحقيق ظواهر الوساطة الروحية الى جانب علماء المعهد • ومن هذا النفر الأخير نذكر العلماء الكونت دى بوتوكى de Potocki ، ودى جرامون de Gramont ، وشارل ريشيه •

ومنهم أيضا الفيلسوف المعروف جابريل مارسيل الذى كان عضوا فى الأكاديمية ورئيسا لهذا المعهد الى حين وفاته فى سنة ١٩٦٩ • وهذا الفيلسوف كان وجوديا ، لكن الفلسفة الوجودية لها جناحان : جناح يميل الى الالحاد يتزعمه جان بول سارتر ، وآخر يرفض الالحاد يتزعمه جابريل مارسيل هذا •

بل لقد أخذت هذه الهيئة العلمية الراقية تمنح الجوائز عدة مرات لبعض المؤلفات الروحية القيمة ، وهى الآن فى تزايد مستمر ، تأكيدا منها لموقفها الجديد المحايد من هذا الموضوع ، وبغير أن ترتبط —

كهيئة ــ بأى رأى اثباتا أو نفيا ، وهذا موقف طبيعى لا تثريب عليه فان أية هيئة علمية راقية ترفض الارتباط ــ كهيئة ــ فى أى موضوع حتى يبقى باب الاجتهاد مفتوحا فى وجه كل باحث ، وانى أى اتجاه اتجهت نتائج بحثه ، فما بالك اذا تعلق الأمر بأخطر موضوع يبحث فى العالم العلمى الآن ، وهو فى نفس الوقت أكثرها اتصالاً بأدق مشكلات العلوم الأخرى ؟ !

شارل هنرى

هذا وقد بحث علماء فرنسيون من ذوى المكانة الكبرى موضوع خلود الروح . ومنهم من قام باثبات حقيقة الحياة بعد الموت عن طريق بحوثه فى علوم الأحياء ، وعن طريق معادلات رياضية شتى ، بالاضافة الى بحوث الظواهر الوساطية ، وهى تتضافر معها فى اثبات هذه الحقيقة .

ومن هذه الطائفة الأخيرة العالم الألزاسى شارل هنرى Charles Henry (١٨٥٩ ــ ١٩٢٦) الأستاذ بمدرسة الدراسات العليا بباريس الذى ظل يدير معمل «فسيولوجيا الانفعالات بالسوربون» لمدة خمس وثلاثين سنة . وقد وجد سبيلا علميا لاثبات الحياة بعد الموت قائلا : « اذا كانت دراسة الروح كما تكون عليه بعد الموت اعتبرت فيما مضى مما يدخل فى نطاق البحث فيما وراء الطبيعة فانها ستصبح غدا من البيولوجيا » . وهو واحد من هؤلاء العلماء الذين لا يمكن أن يفهم أعمالهم بالكامل سوى القليلين من أمثاله . وقد قادته مثابرته الى اكتشاف المواد التى تحدث التعادل البيولوجى ... كما وجد اثباتا رياضيا للحياة بعد الموت .

وكتب شارل أندرى بورجوا Charles Andry Bourgeois عنه قائلا انه طبق الرياضيات على دراسة الانفعالات فشيد علما حقيقيا عن الانفعالات من الوجهة النفسية الفيزيقية Psychophysique des

sensations ، وتأثير المواد التى تحـدث التعـادل فى بيولوجيا الروح[١] • وانتهى الى الاثبات العلمى للحياة بعد الموت ولوجود الله تعالى • وهو على اتفاق مع برجســون Bergson وهنرى بوانكاريه H. Poincaré الذى قرر أنه لا يوجد ما هو حق الا الروح ومظاهرها الخارجية ، ومع الدكتور جوستاف جيلى G. Geley فى مؤلفه عن « التفسير المثالى للعالم عن طريق عنصر واحد »[٢] •

ويستند شارل هنرى الى نظرية الكم بحسب ماكس بلانك Max Planck ، والنسبية بحسب أنيشتين Einstein ، وقانون عــدم التحدد لهيزنبرج Heisenberg • ويعطيها تطبيقات جديدة اكتشف عن طريقها وجود عوالم أخرى محيطة بنا غير خاضعة لحواسنا ، ولو خضعت لها لظهرت مغايرة لمـا ألفته حواسنا منها •

وعلم الذرة يسمح الآن بالتحرر من قوانين الطبيعة المـادية ، وهو يسمح فى تقديره بأن يفتح لنا مخرجا الى ذلك الكون الذى تعيش فيه بحسب تعبيره « الذرات الروحية » أو « ذرات الفكر » Atomes de Pensée وهكذا يضع أسسا رياضية لعلم جديد عن «فيزيقيا الروح»• وهوعلم يستهدف بحسب رأيه الى فهم المواكب العقلية لتحول الظواهر الخارجية الى حالة من حالات الوعى الفردى •

وهو يقيم معادلات مفرطة فى عمقها وتركيبها للوصول الى ما أسماه قانون المتممات Loi de Complèmentaires الذى يثبت أنه لا انفعـالات واعية الا ولها متمماتها المحتومة ، وأنه لابد أن توجد فى النهاية « ذرات للحياة » يطلق عليهـا وصف Psychone ويدرس خصائصها فى ضــوء « طبيعيات الكم » La Physique Quantique وينتهى من دراســته

(١) Réaction des resonnateurs biopsychiques.
(٢) Le Monisme Idéaliste.

الرياضية العميقة الى أن الموت مجــرد حادثة طبيعية ـ كيميائية تحرر الأجهزة البيولوجية من كل نسبية مادية •

فالموت يؤدى الى انفصـــال العناصر الروحية من عناصر الجسد • وهــذه العناصر الأولى سرعان ما تذوب فى هــذا « الاتزان المطلق » épuilibre absolu الذى يطلق عليــه وصــف « الوعى الشامل » وهــذه النظرية تجعله يفسر الظواهر الباراسيكولوجية ، وأيضا وجود الهـــالة الانسانية •

وهكذا يتوصل شارل هنرى عن طريق « طبيعيات الكم » الى أن يعطى للظواهر الروحية أسانيدها الرياضية والعلمية • ونظريته تعتبر من الأهمية بمكان من ناحيـــة انشـــاء حقيقة ، كانت لأزمان طويلة ضمن الافتراضات الفلسفية ، مع قبولها فى دائرة العــلم الحديث كمعادلات رياضية وهى عقيدة دوام الحياة بعد موت الجسد المـــادى(١) •

عن « المعهد الدولى لمـا وراء الروح » بباريس

ويتعذر أن نأخذ فكرة كافية عن بحوث الروح فى فرنســا الا اذا أفسحنا مكانا مناسبا « للمعهد الدولى لمـــا وراء الروح » ببـــاريس • فعلم ما وراء الروح Métapsychique هو ـ بحسب تعريف الدكتور شارل ريشيه ـ العلم الذى « يدرس جميع الظواهر التى تبدو مسندة الى قوى عاقلة غير معروفة ، وتدخل فيهـــا الظواهر الغريبـــة لعقلنـــا الباطن » • وهو بحسب دائرة معـــارف لاروس Larousse « عـــلم دراسة ظواهر الروح الانسانية التى تتجاوز علم النفس العادى » (٢) •

(١) للمزيد راجع Charles Henry :
Essai De Généralisation Du Rayonnement (1924).
L'homme Après La Mort. Vie Et Survie (1926).

(٢) Science des Phénomènes De L'Ame Humaine qui dépassent la psychologne ordinaire,

وقد تأسس هـذا المعهد فى سنة ١٩١٩ وكان أعضاؤه المؤسسون هم : شارل ريشيه الأستاذ بكلية الطب بباريس رئيسا شرفيا ، وسانتو ليكيدو Santoli Quido مستشار الدولة فى ايطاليا رئيسا (١) والمفتش العام ليكلاينش Leclainche ، والعالم النفسى الايطالى ارنستو بوزانو E. Bozzano ، والوزير جيل روش Jules Roche ، والدكتور ترسييه Treissier ، وأرنودى جرامون Arnaud De Gramont عضو أكاديمية العلوم ، والمفتش العام الدكتور كالمت Calmette والدكتور شارل رو Charles Roux ، والسناتور سيراولو Ciraolo وسينيو Cuneo الأستاذ بكلية الطب ، وسير أوليفر لودج العالم الانجليزى ، والدكتور ماكسفل Maxwell المحامى العام الفرنسى ، وارنست ماير E. Meyer مستشار الدولة بباريس ، والعالم الألمانى شرنك فون نوتزنج Schrenck Von Notzing وعدد آخر من العلماء والباحثين فى فرنسا وانجلترا وألمانيا وايطاليا .

وأطلق عليه اسم « المعهد الدولى لما وراء الروح » (٢) على اعتبار أن « ما وراء الروح » وصف عام يشمل كل الظواهر غير المألوفة وغير العادية التى قد لا يعرفها أو قد لا يعترف بها علم النفس العادى ، ومن بينها ظواهر الوساطة الروحية . فحين يطلق وصف « الاسبرتزم » أو علم التجريب الروحى على « الفقه المؤسس على وجود الأرواح وظواهرها وتعاليمها » بحسب تعريف الفيلسوف آلان كاردك ، يطلق وصف « ما وراء الروح » كما قلنا آنفا على كل بحث يتجاوز بحوث علم النفس العادى وينصب مباشرة على دراسة الظواهر غير العادية أو غير المألوفة المسندة الى قوى عاقلة غير معروفة ، بصرف النظر عما اذا كان

---

(١) من مؤلفاته : Observation D'un Cas De Mediumnité Intellectuelle.

(٢) Institut Métapsychique International.

(٣) وعنوانه : 1, Place Wagram Paris 17 e Tel. 924165-48.

مصـــدرها من عالم الروح أم من عالم المـــادة ، وبدون ارتبـــاط مبدئى بمصدرها من عالم آخر ، ولكن بدون انكار لهذا المصدر .

فعلم ما وراء الروح هو فى الواقع قطاع من العلم الروحى الحديث ينصب مباشرة على دراســة الظواهر الوساطية ، وتسجيلها بين ظواهر أخرى . أما التجريب الروحى أو الاسبرتزم Spiritisme فهـــو يطوى دراسة هذه الظواهر ، كما يطوى أيضا دراسة الكائنات العاقلة المحدثة لها ، من ناحية حقيقة أمرها كأرواح أشخاص انتقلوا الى عالم الروح أو غيرهم ، ومن ناحية اثبات شخصيتها ، ومن ناحية صلاتها بنا ، ووصف العالم الذى تعيش فيه ، هذا الى دراسة الآراء التى تنادى بها نقـــدا وتحليلا .

والموضوعات التى تبحث فى فرنسا تحت وصف « ما وراء الروح » هى نفس الموضوعات التى تبحث فى البلاد الأنجلوسكسونية وألمـــانيا تحت وصف « الباراسيكولوجى » .لذا يمكن القول بأن علوم التجريب الروحى « الاسبرتزم » ، والروح ، وما وراء الروح ، والباراسيكولوجى متكاملة ، تجمعها رابطة هامة واحدة هى بحث ما هـــو مرتبط بامكان استقلال الوعى الانسانى عن الجسد والشعور عن الحواس . ووصف علم الروح (بالفرنســـية Science Psychique بالانكليزيه Psychic Science) بالاضافة الى أنه يشمل دراسة الظواهر غير المألوفة ، فانه يشمل دراسة المشكلات الفلسفية والعلمية المتصلة باستقلال الوعى عن الجسد . فهو أكثرها شمولا ، ويعد الأصل العام للعلوم الثلاثة .

وكان علم « ما وراء الروح » يعد فى وقت من الأوقات منافســـا خطرا لعلم الروح ، لكن سرعان ما تبين أن الفصل بينهما متعذر ، بل لقد تراجع « ما وراء الروح » تراجعا واضحا لمصلحة العلم الروحى الذى

تفوق عليه مكتسبا أنصارا جددا على الدوام من بين أنصاره(١) . حتى ليمكن القول الآن انه لا يكاد يوجد باحث علمي جاد بدأ بحوثه الروحية تحت وصف علم ما وراء الروح (أو الباراسيكولوجى) الا وقد اتجه مع الوقت اتجاها واضحا وصريحا نحو تعليل الظواهر الوساطية بالروح، ونحو الاقتناع بالحياة بعد الموت كحقيقة علمية مؤكدة تكمن وراء هذه الظواهر في دلالاتها الواضحة ، والتي يتعذر أن يجد العلم المادي لها تعليلا آخر في قوة التعليل الروحي ، أو يمكن الاستغناء به عنه .

على أنه بين العلمين في النهاية وثيق صلة ، فلا يمكن للعلم الروحي أن يزعم ان كل الظواهر الوساطية تخضع لتأثير مباشر من عالم الروح أو من أرواح المنتقلين . فقد تبين أن ثمة ظواهر وساطية ــ وان كانت بذاتها تثبت استقلال الوعي عن الجسد المادي ــ وبالتالي امكان بقائه بعد تعطل هذا الأخير ــ الا أنها ليست خاضعة حتما لتأثير من عالم آخر .

وهذا التحفظ في اختيار اسم « المعهد الدولي لما وراء الروح » قصد به توسيع رسالة هذا المعهد ونطاق نشاطه ، كما روعي فيه عدم تقييده مقدما بأي اتجاه معين ، مع أن جل مؤسسيه كانوا قد انحازوا انحيازا صريحا الى جانب التعليل الروحي في بحوثهم للظواهر الوساطية . وبمجرد أن بدأ هذا المعهد أعماله في سنة ١٩١٩ تلقى اعترافا رسميا من الحكومة الفرنسية بأنه « مؤسسة ذات نفع عام » ، ومجلته تتضمن دراسات في ظواهر الجلاء المصري والسمعي ، والتجسد الكلي والجزئي ،

---

(١) راجع في هذا المعنى ايفون كاستلان Yvonne Castellan في مؤلفها : Le Spiritisme.

وهي أيضا باحثة في علم « ما وراء الروح » ولها فيه مؤلف عنوانه La Métapsychique.

وراجع أيضا مؤلفا عنوانه « ما وراء الروح بحسب ريشيه وبرجسون وأستي ؟ » .

Qu est-ce Que La Métapsychique D'aprés Richet, Bergson Et Osty ?

للمؤلف فردريك سيسيه F. Saisset باريس سنة ١٩٤٠ .

وتحرك الأجسام الصلبة ، والمنازل المسكونة ، والعلاج الروحى... وكافة المباحث الروحية وما يتصل بها .

دور جوستاف جيلى

ومن الدلالات ذات المغزى الهام أن مديره الأول وهــو الدكتور جوســتاف جيلى Gustave Geley (١٨٦٥ ــ ١٩٢٤) الذى تولى ادارته من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢٤ كان من الباحثين الروحيين الذين عنوا بوجه خاص بظواهر التجسد ودراسة مادة الاكتوبلازم .

وقد كان جيلى من قبل طبيبا ناجحا ذا سمعة ضخمة ، ولمـا اقتنع بصحة الموضـــوع ترك عيادته وانصرف بكليته الى البحوث الروحية ، وسرعان ما لمع اسمه فيها كباحث مدقق ذى نزعة علمية أصيلة .

وقد اقتنع تماما بالمصدر الروحى للظواهر المتنوعة التى خضعــت لتحقيقه ، كما اقتنع بدوام الحياة بعد الموت ، وبامكان الاتصال بأرواح المنتقلين ، كما اقتنع أيضا بالعودة للتجســد . وعرف عنه فى نفس الوقت الحذر الشديد فى الارتباط بأى رأى منعزل عن الاتجاه العلمى الصحيح .

وقد حاضر جيلى فى أرقى معهــد علمى فرنسى وهو « الكوليج دى فرانس » Collège De France عن تجاربه على الوسيطة الروحية ايفا وقد استمرت ثمانية عشر شهرا بين عامى ١٩١٧ ــ ١٩١٨ ــ تحت عنوان « الفسيولوجيا التى توصف بأنها فوق العادية (١) » . وشرح فى محاضراته بكل دقة ظاهرة التجسد الجزئى لأيد ولوجوده ولرؤوس غير منظورة عن طريق مادة الاكتوبلازم التى حللهــا مرارا ووصــفها وصــفا دقيقــا فى محاضراته .

* * *

---

(١) Physiologie Dite Supra-Normale.

وأهم مؤلفات الدكتور جيلى الروحية « الروحيتان » (١) (١٩٠٣) ، و « المثالية وعلم النفس » (١٩١٣) (٢) ، و « مساهمة فى دراسة المراسلات المتبادلة » (٣) (١٩١٣) ، و « الكائن الفوق الواعى » (٤) (١٩١٩) .

وفى هذا المؤلف الأخير يلاحظ جيلى أن جميع الظواهر الروحية — من المغناطيسية الى ظواهر الملكات الفوق العادية ، الى الظواهر الوساطية تترابط فيما بينها مثل حلقات السلسلة . وأن كل محاولة للتفسير الجزئى المنعزل لأية واحدة منها محاولة ضائعة ومخادعة ، وانما التفسير المقنع الصادق الوحيد هو التفسير العام المشترك لها .

وهو يعتقد أن هذا التفسير العام يفلت تماما من الفسيولوجية التقليدية ، اذ أنه لايوجد أى تماثل ممكن بين القدرات الحسية ، والقدرات الفوق المألوفة ، كما لا توجد أية رابطة علّية يمكن أن تقام منطقيا بين نشاط المراكز العصبية ، والظواهر الخارج الجسمية .

وانما النظريات الحديثة عن الوعى الأسمى ، أو عن الكائن الفوق الوعى هى تلك التى يمكنها أن تقدم مفتاحا لذلك اللغز الضخم الذى يقدمه علم النفس الفوق المألوف ، وبالتالى مفتاحا لجمع مشكلات علم النفس العادى . وهذه النظريات الحديثة المؤسسة على التحليل الدقيق للظواهر الفوق المألوفة نظريات مثالية بشكل موفور .

ومن مؤلفاته أيضا « من العقل الغير الواعى الى العقل الواعى (٥) » (١٩٢١) ، وهو دراسة فريدة لنظريات التطور الانسانى ونشوء الحياء على هذا الكوكب ، أو بالأدق للوعى الانسانى وتطوره نحو الاكتمال .

---

(١) Les Deux Psychismes.
(٢) Idéalisme Et Psychologie.
(٣) Contribution à L'Etude Des Correspondences Croisées.
(٤) L' Etre Subconscient.
(٥) De D'inconscient au Conscient.

ومنها كذلك « أدلة التحول وتعاليم نظرية التطور » (١) .

ومن أهم مؤلفاته أيضـا « الاكتوبلازم والجـلاء البصرى » (٢) (١٩٢٤) ، و « محاولة لفحص عام وتفسـير تركيبى للروحية » (٣) . وهذان الكتابان الأخيران يتضمنان العديد من اللوحات الحاسمة لتجسدات الأوجه والأيدى ، ولنماذج كثيرة من الشمع للأعضاء المتجسدة فى أوضاع شتى لها ، وقد صنعت كلها داخل « المعهد الدولى لمـا وراء الروح » ، وفى ظروف تتوافر لهـا كل الضمانات المطلوبة ، ومن مؤلفاته أيضـا « العودة للتجسد » (٤) .

وقد توفى جيلى فى حادثة سقوط طائرة كان قد استقلها من وارسو عائدا الى باريس بتاريخ ١٤ يوليه سنة ١٩١٤ ، وكانت احدى الوسيطات وهى السيدة بيروتيه Peyroutet قد تنبأت بالحادثة ــ بعبارات واضحة الدلالة على ما سيرد فيما بعد .

متابعـة عن المعهـد

ــ وبعد وفاة جيلى تولى ادارة هذا المعهد الدولى الدكتور أوجين أوستى Eugène Osty من سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٣٨ ، واشترك معه فى الادارة البروفسور شارل ريشيه Ch. Richet فى الفترة من سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٣٥ ، واشتركا معا فى اجراء أبحاث عديدة عن الادراك خارج الحواس P.E.S.

---

(١) Les Preuves Du Transformisme Et Les Enseign ements De La Doctrine Evolutionniste.

(٢) L'Ectoplasmie Et La Clairvoyance.

(٣) Essai De Revue Génerale Et D'intérprétation Synthétique Du Spiritisme.

وقد ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٨٩٧ ولكن أضيفت اليه فى طبعته الثالثة التى ظهرت فى سنة ١٩٢٥ وثائق جديدة حاسمة عن نتائج التجارب على الوسيطة ايفا كارير (فرنسية) وفرانك كلاسكى (بولونى) .

(٤) La Réincarnation.

— ثم تلاه الدكتور أوجين لينجليه Eugène Lenglet من سنة ١٩٤٠ الى سنة ١٩٤٦ .

— ثم تلاه الدكتور فرانسوا موتييه Francois Moutier من سنة ١٩٤٦ الى سنة ١٩٥٠ .

— ثم تلاه الدكتور رينيه فاركولييه René Warcollier من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٦٢ .

— ثم أصبح رئيسا لهذا المعهد الدكتور مارسيل مارتيني Marcel Martiny الأستاذ « بمدرسة علم الانسان » بباريس

— ثم أصبح رئيسا له الفيلسوف المعروف جابريل مارسيل Gabriel Marcel عضو الأكاديمية الذى توفى فى سنة ١٩٦٩ .

— ويديره حاليا الدكتور هيبير لارشيه Hubert Larcher أما رئيس مجلس الادارة فهو البروفسور ريمى شوفان Remy Chauvin وكان يساعدهما الدكتور رينيه ديفور René Dufour الذى توفى فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٧٧ .

ويصدر هذا المعهد مجلة دورية منتظمة اسمها « مجلة ما وراء الروح » Revue Métapsychique تتضمن عادة أبحاثا ومقالات ذات طابع علمى صرف لعلماء المعهد ، ولغيرهم من البحاث المعنيين بهذه الأمور من جنسيات مختلفة .

وعند زيارتى لهذا المعهد فى ديسمبر سنة ١٩٧٩ علمت من أحد المسئولين به أن المعامل نقلت الى خارج باريس حيث يتوافر الاتساع والهدوء اللازمين (١) كما علمت منه أيضا أن هذه الأبحاث بدأت تدخل

---

(١) وأصبح عنوان المعامل والمجلة (عدد كل ٣ شهور) كالآتى :
Etablissements Psychotechniques. 6 bis rue André Chenier — 92130 Issy — Les Moulineaux — France. Tel : (1) 645—38—12. Telex : 270105 F. TXFRA/ref.2.7.

الى الجامعات الفرنسية وبوجه خاص الى جامعة تولوز Toulouse حيث افتتحوا حديثا قسما خاصا بها •

كما علمت أنهم فى المعهد يتبادلون التقارير مع عدد من المعاهد الأجنبية الأخرى ، ومنها مركز خاص للأبحاث الروحية أنشأه بالفاتيكان البابا بولس السادس •

ولكن اهتمام البيئات العلمية فى فرنسا بهذه الأبحاث لا يصل أبدا الى مستوى انتشار الاهتمام بها فى انجلترا ، أو فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أو فى كندا ، أو البرازيل •••• وهى ظاهرة غريبة تستحق التسجيل على أية حال •

هذا ولو أنهم بباريس يجرون أحيانا بعض الأبحاث فى الظواهر غير المألوفة بداخل « المعهد السيكولوجى العام » بباريس ، وبداخل « معمل فسيولوجيا الانفعالات » بالسوربون ، ولكن ليس بطريقة مضطردة على النحو الذى يجرى فى بلاد أخرى •

الباب الثالث

الباراسيكولوجى

فى طوره الراهن

تمهيد

الحديث عن الباراسيكولوجى فى طوره الراهن متشعب النطاق • لكننا لسنا بحاجة للافاضة كثيرا فى أهم نواحى البحث فيه ، أو أهم النتائج التى سجلها فى حاضره ، أو فى ماضيه القريب •

وانما يعنينا هنا بوجه خاص أن تتناول من ناحية عامة بعض الآفاق الجديدة التى اقتحمها ، وبعض العلماء الذين أسهموا فى اقتحام هذه الآفاق ، وبعض الهيئات والمعاهد والجامعات المعنية • كما تلزم الاشارة الى التطور الذى ينادى به البعض بالانتقال من أسلوب الباراسيكولوجى الى أسلوب السيكوترونات •••• وصلة هذا كله بأخطر قضية ينقب فيها الباراسيكولوجى بأساليبه المتطورة وهى قضية الخلود بمفهوم دوام الحياة بعد موت الجسد المادى Survival وسنفرد لهذه الموضوعات كلها فصلا أولا اخترنا له عنوانا مميزا وهو « الباراسيكولوجى يقتحم آفاقا متجددة على الدوام » •

كما يعنينا أن نثير هنا الوضع المحزن للباراسيكولوجى فى بلادنا ، بل فى بلاد الشرق الأوسط كلها ، وما مصادر هذا الوضع ، وكيف أنها مصادر وهمية ترتوى من نزعة الجمود وحب الغموض • فلا صلة لها ، أو يلزم ألا تكون لها أية صلة ببعض مفاهيم الاعتقاد ، رغم رسوخ هذه المفاهيم عند بعض الرجعيين أو الجامدين • وهذا ما سنفرد له فصلا ثانيا عنوانه « ماذا عن وضع الباراسيكولوجى عندنا » •

الفصل الأول

الباراسيكولوجى
يقتحم آفاقا متجددة على الدوام

من الطبيعى أن تجد أبحاث الباراسيكولوجى نفسها منذ أول العهد بها فى مواجهة مباشرة مع مشكلات علمية لا حصر لها ، ذلك أن هذه الأبحاث وان كانت قد بدأت تاريخها بوصفها مجرد دراسة للظواهر غير المألوفة ، الا أنه تبين مع الوقت أنه لا توجد حواجز حقيقية بين الظواهر المألوفة وغير المألوفة . كما تبين أن كل مشكلات الوعى الانسانى والسلوك تربض متخفية وراء هذه الظواهر ، تنتظر من يتقدم للكشف عن خباياها فى روية وهدوء .

ومن المحال فى المقام الحالى أن نستعرض الدور المتعدد الجوانب الذى قامت به هذه الأبحاث فى الكشف عن العديد من الزوايا الخفية فى مشكلات الوعى والسلوك . وذلك لأن مثل هذه المحاولة تقتضى تناول كل جوانب الباراسيكولوجى وهى مفرطة فى تنوعها وتشعبها ، بل تكفى هنا المتامة سريعة بها ، مع بيان سريع لبعض العلماء المعنيين بها ، والهيئات العلمية المتخصصة فيها ، وذلك حتى تكون تحت تصرف من يريد من الناطقين بالضاد أن يبدأ اتصاله بهذه الأبحاث الهامة الجديدة على دوائر العلم المختلفة .

على أنه يبغى قبل الدخول فى صميم موضوعات هذا الباب أن ننبه القارىء الى أن الباراسيكولوجى لا يمثل أكثر من اسم جديد للبحث الروحى Psychical Research ، وهو علم يقوم على الملاحظة المعملية للظواهر عندما تحدث أكثر مما يقوم على اختبار الظواهر عن طريق التدخل على نحو أو آخر فى محاولة احداثها . وكان مكدوجال وراين

يتبعان بالأكثر منهج محاولة التدخل فى حدوث الظواهر للتمكن من اختبارها ، أما منهج ستفنسون Stevenson ورول Rolll فهو بالأكثر منهج مراقبة للظواهر واستخراج لدلالاتها بغير حاجة لمحاولة التحكم فيها، لأن التحكم فيها اما محال واما يحولها عن أهدافها الجديرة بالاختبار والتحليل •

وفيما يلى سنتابع موضوعات الفصل الحالى فى مبحثين : نعالج فى أولهما نطاق الباراسيكولوجى حاليا ، وفى ثانيهما نوضح الاهتمام المعاصر فى الخارج بأبحاث الباراسيكولوجى •

المبحث الأول

نطاق الباراسيكولوجى

لم ينشأ الباراسيكولوجى عن رغبة فى دراسة سر الحياة الانسانية نبتت لدى أى عالم ، بل نشأ عن محض دراسة معملية لظواهر تعرف الآن باسم الظواهر الوساطية ، أو فوق العادية أو غير المألوفة ، وهى لاتخضع لسلطان أى انسان كما قلت • بل ان الوسيط نفسه لا يعلم كيف تحدث ولا متى ، أو لماذا تحدث أحيانا ولا تحدث أحيانا أخرى • وليس لظهور الوساطة سن معينة ، فقد تظهر مبكرة وقد تظهر متأخرة ، وقد تتطور مع الوقت ، وقد تنمو وقد تضعف • وقد يفقد الوسيط موهبته الطبيعية لسبب لا يعلمه ، وقد تعود اليه هذه الموهبة بعد وقت طويل أو قصير ، وقد لا تعود اليه أبدا •

كما لا تخضع لسلطان أى عالم أو مجرب ، لأن دور العالم مقصور على التحقق من حدوثها اذا ما حدثت وتدوين مشاهداته بشأنها • فدراسة هذه الظواهر هى أشبه ما تكون بدراسة ظواهر الطبيعة المختلفة التى يقتصر دور المعلم المادى على تسجيلها ، ومحاولة البحث عن أسبابها وترتيب نتائجها ، مثل تجمع السحاب وتكاثفه ، أو تكون قوس قزح ،

أو هبوب الريح ، أو نمو زهرة إو شجرة ، أو شروق الشمس أو غروبها ، أو كسوفها ، أو البقع الشمسية ، أو خسوف القمر ...

وكل ما يملكه الوسيط أو العالم بشأن هذه الظواهر هو تهيئة الظروف التى قد تبدو مناسبة لتيسير حدوثها ، اذا ما توافرت له باقى الأسباب المطلوبة . ومن هذه الظروف الهدوء ، والتنظيم فى مواعيد معينة، والمواظبة ، وأحيانا الظلام التام ، أو الضوء الخافت أو الأحمر ، بالاضافة الى وجود الوسيط أو الوسطاء مجتمعين فى انتظار حدوثها ، ويلزم لها جو من التوافق فى الغرفة تبين أنه قد تساعد على تحقيقه الصلاة ، أو الموسيقى الهادئة ، أو الأناشيد .

ونجاح الجلسة قد يتوقف على الأشخاص الموجودين فيها ، اذ قد تنبعث من أحدهم طاقة تعطل الطاقة المنبعثة من الوسيط . أو بعبارة أخرى أن جميع الموجودين فى الجلسة ــ ومنهم الوسيط أو الوسطاء ــ يكونون أجزاء فى « بطارية وساطية » واحدة يتوقف على نوعها وعلى قوتها نوع الظواهر الوساطية التى قد تحدث وقوتها ، بل نجاحها أو فشلها فى النهاية . ومع مراعاة أن بعض الجالسين قد تصدر منه طاقة ايجابية ، والبعض الآخر سلبية ، وكل ذلك قد يسهم فى نجاح الجلسة أو فشلها .

والظواهر الوساطية التى خضعت للتحقيق العلمى متنوعة تنوعا كبيرا ، وقد جرى الرأى على التمييز بين نوعين منها : عقلية intellectual وفيزيقية Physical . والأولى منها ليس لها كيان مادى خارجى ، فهى عبارة عن قدرات عقلية غير عادية يتمتع بها بعض الأشخاص النادرين تمكنهم من الانباء عن أمور صحيحة تصل الى علمهم عن طريق الحواس الخمس . لذا يطلق عليها عادة « ظواهر الادراك عن غير طريق الحواس » Extra Sensory Perception . أما الثانية أى الفيزيقية فان لها مظهر مادى محسوس ومستقل ــ ولو بحسب الظاهر والى حد ما عن عقل

الوسيط أو الوسيطة • وأحيانا قد تجمع الظاهرة الواحدة بين خصائص النوعين معا ، وعندئذ يحسن ادراجها فى الجانب الأقوى الذى تنتمى اليه من بينهما •

وكل الظواهر الوساطية يمكن أن توصف بأنها « غير مألوفة » أو « فوق المألوفة » Supernatural ، لأنها جميعها تمثل قدرات تنتمى الى ملكات غير عادية ، ولكن لا يصح وصفها ابدأ بأنها « فوق الطبيعية » Supernormal كما يفعل بعض الباحثين ، لأنه لا يوجد فى الوجود كله أمر واحد يصح وصفه بأنه « فوق الطبيعى » فكل ظواهر الحياة خاضعة خضوعا تاما لنواميس الطبيعة ، ولا يعلو الى مستوى « فوق الطبيعى » سوى الأوهام الجوفاء ، والخرافات الباطلة وحدها •

بيان عن أهم الظواهر العقلية

والنوع الأول من الظواهر الوساطية يطلق عليه وصف ظواهر عقلية Mental, Intellectual Phenomena لأنه أوثق صلة بعقل الوسيط أو الوسيطة من الظواهر الفيزيقية ، ولأنه من جانب آخر قد لا يكون له مظهر مادى يخضع للحواس كما هى الحال فى شتى الظواهر الفيزيقية • ولوثيق صلة هذا النوع من الظواهر بعقل الوسيط فهو يتأثر حتما بحالته العقلية والخلقية ، وبعضه قد يختلط اختلاطا يتفاوت حتما فى مداه ببعض الظواهر النفسية الصرف ، مثل انتقال الأفكار (أى التلباثى أو التخاطر) والايحاء Suggestion ، والايحاء الذاتى Auto-Suggestion ، والأشكال العقلية Thought—Forms التى قد ترتبط بعقل الوسيط أو الوسيطة • ولكن بعضها الآخر يشير بشكل حاسم من جهة الى توافر ملكات نادرة لبعض الأشخاص لا تنتمى بأية صلة الى ملكات الاحساس المادى ، كما قد يشير من جهة أخرى الى ثبوت دوام حياة النفس بعد انفصالها عن الجسد المادى بالموت •

وأهم هذه الظواهر العقلية ما يلى : ـــ

أولا : الاستشفاف أو الجلاء البصرى Clairvoyance وهو تعبير ينصرف الى ملكة رؤية ما لا يمكن للعين رؤيته بحاسة النظر العـادية • ويتضمن الرؤية الصحيحة عن بعد للأشياء المـادية ، كما يتضمن الرؤية الصحيحة لأشياء موضـوعة داخل علب أو مظاريف مغلقة ومختومة • ويتضمن بطبيعـة الحال ملكة رؤية الكائنات غير المنظورة داخل غرف الجلسات ، واعطاء أوصاف صحيحة لها ، مع أنها قد تكون أجنبية تماما عن حياة الوسيط ، وقد لا يكون شاهد لها صورا من قبل •

وقد تبين ظهور حالات معينة لجلاء بصرى صحيح عند بعض وسطاء التنويم المغناطيسى للأشياء البعيدة عن متناول بصرهم العادى ، وللأشياء الروحية أيضا فى بعض الدرجات العالية لهذا التنويم ، حتى ليمكن القول بأن موهبة الاستشفاف ، أو الجلاء البصرى ، مشتركة بين بعض الوسطاء الروحيين وبعض وسطاء التنويم المغناطيسى • وهى تشبه فى هذا الشأن موهبتى الجلاء السمعى ، والتلباثى أو انتقال الأفكار عبر العقول وبغير طريق الفم والأذن •

ثانيا : ومن هذه الظواهر الوساطية موهبة الاستشفاف أو الجلاء السمعى Clairaudience وهو تعبير ينصرف الى ملكة سماع ما لا يمكن للأذن العادية سماعه • ويتضمن احتمال التقاط الانطباعات العادية عن بعد، كما يتضمن احتمال انتقال الأفكار عن طريق التلباثى من مستوى مادى ، وعن طريق الالهام Intution, Inspiration من مستوى غير مادى •

ثالثا : ومما يتصل بموهبتى الجلاء البصرى والسمعى موهبة الجلاء الحسى التى يملكها بعض الوسطاء بجانب الموهبتين السابقتين أو بدونهما ، اذ يوجد وسطاء يقتصر دورهم على مجرد الاحساس بوجـود كائن الى جوارهم يكون فى المعتاد قد أحضره الروح المرشد • وهذا الأخير يمكنه

أحيانا أن يحدث تأثيرا فى عقل الوسيط الى مدى أو الى آخر بما يرغبه فى قوله ، وغالبا لا يروح الوسيط هنا فى أية غيبوبة •

رابعا : وهناك موهبة الكتابة التلقائية Automatic Writing التى قد تجىء عن طريق الجلاء السمعى والالهام ، كما قد تجىء عن طريق هيمنة مباشرة من كائن غير منظور على عقل الوسيط أو الوسيطة Spirit Controlled Writing قد تمكنه أن يكتب بخط ليس خطه أفكارا ليست أفكاره • وقد تكون أعمق منها بكثير ، وقد تكون بلغة لا يعرفها ، وقد تكون فى موضوعات عويصة ليس له بها أى المام • وقد تكون شعرا راقيا أو أدبا عميقا وهو ليس بشاعر ولا بأديب •

خامسا : وكما توجد كتابة تلقائية توجد أيضا أعمال فنية تلقائية قد تقع بارشاد روح مهيمنة ، مثل الرسم والنحت والعزف على آلات موسيقية بمهارة قد تتجاوز كثيرا مهارة الوسيط المألوفة • وكما قد يتم ذلك كله بطريقة تلقائية ، قد يتم أيضا بطريقة مباشرة من الروح نفسها ، وعندئذ تدخل هذه الظواهر فى عداد الظواهر الفيزيقية لا العقلية •

سادسا : ومن الظواهر التى يغلب عليها الجانب العقلى الطرح الروحى أو طرح الجسد الكوكبى Projection of Astral Body or Astral Projection • وهى ظاهرة تجمع بين الجانب العقلى من ناحية أنها قد تستتبع القدرة على الجلاء السمعى أو البصرى وقد تستتبع القدرة على الكتابة التلقائية ، كما تجمع بين الجانب الفيزيقى من ناحية أن الجسد الكوكبى المطروح خارج الجسد المادى قد يكون منظورا لبعض وسطاء الجلاء البصرى ، بل قد يمكن تصويره بالاستعانة بالأشعة دون الحمراء وهو يستدعى دائما غيبوبة الوسيط • ولا يكون صحيحا الا اذا جاء الوسيط ببيانات صحيحة ودقيقة عن المكان الذى كان فيه ، وأمكن

التحقق من صحتها بأساليب التحقيق العادية ، المحايدة • وفى كثير من الأحيـان يكون مجـرد توهم أو خـداع حواس ، أى مجرد خطـرنة Hallucination لا دليل على صحتها • ولنا عودة أيضا الى موضـوع الجسد الأثيرى ، أو الكوكبى هذا ، والى ثبوت وجوده ، وامكان طرحه خارج الجسد المـادى متى توافرت الشروط المواتية •

سابعا : ومن الظواهر العقليـة تفوهات الغيبوبة التى تختلف عن ظاهرة الصوت المباشر فى أن التفوهات تكون هنا بحنجرة الوسيط وبصوته المألوف ، وبلغته المعتادة • ولكن يبدو أنه قد توجد ـ أحيانا ـ هيمنة بصورة من الصور على وعيه ، وهى فى الغالب هيمنة جزئية تجعل الوسيط يروى أحيانا بعض وقائع صحيحة ، عن أمور لا يعلم عنها شيئا من قبل ، أو ربما يلقى بنبوءات عن أمور مستقبلة قـد تصدق ـ أحيانا ـ وقـد لا تصدق أحيانا أخرى •

ثامنا : ومنهـا ظاهرة امكان التنبؤ الصحيح بأمور مستقبلة عن طريق سبل متنوعة لا تخضع لسيطرة انسان ما • وقد يكون التنبؤ عن طريق هاتف خفى ، أو احسـاس مجهول ، أو عن طريق حلم من أحلام النوم أو اليقظة ، وقد يتجاوز التنبؤ الصحيح دور قوانين الصدفة فيصبح ظاهرة روحية جديرة بالدراسة وبالبحث عن التعليل • أما اذا لم يتجاوزها فان«الصدفة» نفسها تتضمن هذا التعليل عند من يؤمنون بدور «الصدفة» • ويطلق على الاحسـاس السابق بالأمر المستقبل وصف Precognition فاذا كان الاحساس بنذير سوء يطلق عليه وصف Premonition .

وهذا الاحساس بالأمور المستقبلة يتفاوت حتما فى قوته وفى وضوحه• وقد يخطىء صاحبه وقد يصيب صوابا كليا أو جزئيا ، وكما قد يتميز به وسيط روحى قـد تتميز به أيضا روح متحررة من الجسد المـادى ، وقد تصيب هذه بدورها كما قد تخطىء ، ولنا الى كل ذلك عودة فى موضع

لاحق ، لأن هذا الموضوع وثيق صلة بموضوعين مفرطين فى دقتهما ، وهما معنى الزمان والمكان من جانب ، ومـدى توافر الارادة فى تصرفات الانسان من جانب آخر .

تاسعا : ومن أهم الظواهر العقلية ظاهرة السيكومترى Psychometry أى تعقب الأثر الروحى ، ويطلق عليها أحيانا « القياس الروحى » ، وهو تعبير يشير فى النطاق الروحى الى قدرة قد تصل عند بعض الوسطاء الى الارشـاد الى معلومات صحيحة عن طريق الامساك بسلعة من السلع المملوكة لشخص معين . وهى ظاهرة وساطية بحثت بأساليب علمية شتى ، ويتعذر تعليلها الا بوجود اهتزازات تنبعث من شتى السلع ، وقد تظل عالقة بها لآماد مختلفة . وهذا التعبير ـ سيكومترى ـ يعرفه أيضا علماء النفس بمعنى آخر يغاير معناه عند الروحيين ، فهو عندهم يشير الى قياس مدة الحالات العقلية ومدى قوتها .

ووسيط السيكومترى عندما يمسك بسلعة مملوكة لشخص معين ، مثل قلم أو ساعة أو منديل أو صورة ... قـد يشعر بانطباعات ذهنية خافتة تتراوح فى مدى وضوحها ، وفى دلالتها ، ويأخذ فى رواية هـذه الانطباعات التى تبين باحصائيات دقيقة أنها قد تصيب وقـد تخطىء . ولكن نسبة الصواب تجاوزت فى بعض الأحايين النسبة التى تسمح بهـا قوانين الصدفة المعروفة عند الرياضيين . كمـا تبين من بعض الجلسات الروحية أن هناك أرواحا تتمتع بملكة السيكومترى هذه بشكل أوضح مما قد يحوزه بعض الوسطاء (١) .

* * *

(١) يراجع : كتاب « أصوات من الفضاء » Voices From The Void للسيدة هستر ترافرز شميث H. T. Smith تقديم سير وليام باريت بجامعة دبلن وعضو « الجمعية الملكية » وبوجه خاص الفصلين السادس والسـابع .

وله ترجمة عربية للأستاذ رمسيس جبراوى المحامى (١٩٧١) .

وجل الظواهر الوساطية العقلية يمكن أن يدخل تحت وصف شامل هو الادراك عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception وقد يختزل فى المراجع الانكليزية الى الحروف الأولى فقط E. S. P. (وبالفرنسية P. E. S.) (١) .

وقد يجتمع للوسيط الواحد نوع أو أكثر من الظواهر الفيزيقية أو العقلية . والوساطات العقلية معتبرة بطبيعتها أسمى من الوساطات الفيزيقية ، وتتطلب مستوى عال من التطور العقلى ومن الاحساس المرهف ، وهى لا تتطلب — غالبا — غيبوبة الوسيط ، حين تتطلب أغلب الظواهر الفيزيقية غيبوبة تامة أو جزئية Semi Trance ، واعية أو غير واعية . ويبدو أنه بقدر ما يكون الاستحواذ قويا بقدر ما يتطلب عادة غيبوبة الوسيط ، وبقدر ما يكون أدعى عندئذ للاعتقاد بوجود وعى أجنبى عنه أمكنه أن يوقعه فى هذه الغيبوبة التى تشبه فى مظهرها ، وربما فى بعض جوانبها ، غيبوبة التنويم المغناطيسى ، الا أنها تجىء من تأثر عقل الوسيط بعقل كائن متجرد عن جسده المادى discarnate على عكس غيبوبة التنويم المغناطيسى التى تتطلب منوما لم يتجرد بعد عن هذا الجسد .

بيان عن أهم الظواهر الفيزيقية

الظواهر الفيزيقية للوساطة الروحية Physical Phenomena متعددة ، وهى أندر حدوثا من الظواهر العقلية . ولكن أنواعها أكثر منها ، وأوضح استقلالا منها عن عقل الوسيط أو الوسيطة . ومن ثم فهى أدعى

---

(١) من أحسن المؤلفات فى هذا الموضوع كتاب حديث عنوانه « العلم والادراك عن غير طريق الحواس» Science And E. S. P. أسهم فيه عدد من أبرز العلماء وهم :—

J. R. Smythies, Gilbert Murray, H. H. Price, Rosalind Heywood. Cyril Burt, Alister Hardy. C. D. Broad, C. W. K. Mundle, Henry Margenan, Adrian Dobbs, Emilio Servadio, Aniela Jaffé, Francis Huxley, John Beloff.

ومن أحسنها أيضا كتاب آخر من تأليف ألفرد دوجلاس Alfred Douglas عنوانه « الطاقات خارج الحواس : قرن من البحث الروحى»:

Extra Sensory Powers :
Century of Psychical Research London 1976.

للاعتقاد بوجود وعى أجنبى عن وعى أيهما فى حالة نشاط ما ، وهى فى نفس الوقت أضعف تأثرا بالحالة العقلية لأيهما من الظواهر العقلية • وتوصف أحيانا بأنها ظواهر موضوعية impersonal, objective . •

وللظواهر الفيزيقية عدة أنواع يمكن اجمالها فيما يلى :

أولا : تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية Telekinesis وهى ظاهرة تعتبر مظهرا فيزيقيا لحقيقة موضوعية أعم منها ، وهى امكان تأثير العقل أو الروح فى المادة الصلبة تأثيرا مباشرا Psycho Kinesis (P K.) وكثيرا ما تتخذ هذه الظاهرة فى غرف الجلسات صورة رفع منضدة الى أعلى levitation بدون أية وسيلة مادية ، وقد يرتفع الوسيط نفسه الى أبعاد مختلفة ، كما قد يتحرك أى جسم صلب من مكانه تحت بصر الموجودين بالمكان •

ثانيا : الكتابة المباشرة Direct Writing والأعمال الفنية المتنوعة ومعنى هذه الظاهرة أن يتحرك القلم على القرطاس تلقائيا وهو فى غير متناول الوسيط أو الوسيطة • ومن الواضح أن هذه الظاهرة تعتبر من قبيل تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية ، الا أنه يظهر هنا وجود قدرة عاقلة نشطة ، أجنبية عن عقل الوسيط أو الوسيطة ، قد تقوم بالكتابة المباشرة على مستوى من الأدب أو الاطلاع يفوق مستوى أيهما ، كما قد تقوم بأى نشاط علمى أو فنى آخر مثل الرسم ، أو النحت ، أو نحو ذلك من أمور غريبة •

وهذه القدرة العاقلة قد يكون صاحبها معروفا أو مجهولا وقد تتم هذه الظواهر تلقائيا وفى أوقات وظروف غير متوقعة ، لكنها قد تتم أيضا فى جلسات البحث الروحى اذا توافرت الوساطة المناسبة ، وتوافرت فى نفس الوقت الرغبة والقدرة على التنفيذ •

وكما قد يحدث رسم مباشر بهذا الأسلوب أو بغيره من أساليب « الرسم المباشر » أو « الرسم تحت الهيمنة » بالألوان ، أو بالفحم ، أو

بالقلم ، قد يحدث نحت مباشر على قطع من الصلصال أو الجبس الرطب ، أو غيرهما . وقد حدثت أعمال نحت كثيرة فى حضور الوسيطة أسابيا بلادينو Eusapia Palladino حققها علماء كبار فى ظروف تنفى كل شبهة خطأ أو غش .

ثالثا : الصوت المباشر Direct Voice ومعناه ظهور صوت مسموع بالأذن العادية متميز تماما عن صوت الوسيط أو الوسيطة . وقد يختلف عنه من حيث الذكورة أو الأنوثة ، والبلوغ أو الطفولة ، كما قد يختلف عنه من حيث اللغة ، بالاضافة الى طريقة الحديث ، واللكنة ، وكيفية النطق ، وكافة الصفات المميزة الأخرى ، بالاضافة الى اختلاف الأفكار والاتجاهات ، وسائر المميزات الشخصية التى قد تشير مجتمعة الى وجود شخصية أخرى فى المكان غير شخصية أيهما ، وقد تكون هذه لشخص « منتقل » معين بالذات معروف لبعض الجلساء .

وقد يحتاج الأمر الى وجود بوق Trumpet قد يتحرك فى الهواء من تلقاء نفسه فى شتى الاتجاهات . وقد يتحرك بوقان أو أكثر فى اتجاهات مختلفة فى وقت واحد . وقد يكون الصوت المباشر واضحا أحيانا حتى بدون وجود هذا البوق . وقد يكون هذا الصوت المباشر عبارة عن مجرد طرقات مسموعة taps قد تصلح أحيانا وسيلة لتلقى رسائل كاملة مميزة لشخصية بعض الأرواح ، اذا أمكن التفاهم معها على التعبير عن كل حرف من حروف اللغة بعدد معين من الطرقات .

رابعا : وغير الظواهر الفيزيقية التي أسلفنا ذكرها هناك ظاهرة المجلوبات والمأخوذات الروحية Teleports ، ومعناها انتقال الأجسام الصلبة عبر الجدران والأبواب المغلقة والعلب المختومة . وقد يكون الانتقال من مسافة قريبة ، كما قد يكون عبر المسافات البعيدة .

والمجلوبات الروحية Psychic Apports تعبير ينصرف الى احضار هذه الأجسام الصلبة من الخارج الى داخل غرف الجلسات ، والمأخوذات

الروحية Psychic Exports تعبير ينصرف الى أخذ هذه الأجسام من مكان وجودها الى مكان ما فى الخارج • وقد تمت جملة تجارب ناجحة للظاهرتين معا على يد عدد من الوسطاء المعروفين مثل السيدة ديسبرانس (مسز هوب) ومثل جاك وبر • وتمت تحقيقات ناجحة داخل « الكلية البريطانية للعلم الروحى » تحت أدق رقابة علمية • وقد أكد صحة هذه الظاهرة عدد كبير من الباحثين الثقات •

ولا يزال العلم المادى عاجزا عن تعليل هذه الظاهرة تعليلا شافيا ، ولكن العجز عن تعليل أية ظاهرة لا ينفى احتمال صحتها من الناحية المنطقية • والتعليلات فى هذا الصدد متعددة ترتكز كلها على القول بضرورة وجود جسم أثيرى فى مقابل كل جسم مادى يشغل معه نفس الحيز من الفراغ (١) ، والمشكلة الكبرى هنا هى أن هذا التحول يحدث سريعا وبوسائل عقلية يجهلها تماما العلم المادى • وقد لوحظ فى بعض المجلوبات الروحية أنها تجىء الى غرف الجلسات ساخنة ثم تبرد تدريجيا • كما قرر بعض الكائنات المهيمنة أن تحويل الجزيئات قد يحدث أحيانا فى مادة جدار العلبة المغلقة أو الغرفة أو سقفها ، بالقدر اللازم لمرور المجلوب أو المأخوذ الروحى •

وهذا هو نفس التعليل الذى يقال بالنسبة لاختفاء بعض السلع

---

(١) فلكل جسم مادى مقابل اثيرى . وبعبارة أخرى أن هناك « قالبا سيالا » Forme Fluidique لكل جسم سواء أكان حيا أم غير حى . وعندما ترغب روح فى نقل جسم صلب من مكان الى آخر تقوم بعمل أشبه ما يكون بتحويل الماء الى بخار عندما تحول جزيئات الجسم المادى الى جزيئات غير مادية ، وتنقل القالب السيال معها ، وبعدئذ تعيد جزيئات المادة الى تجمعها الأصلى فى قالبها السيال بغير أدنى تغيير فى صيغتها وشكلها ، وهذا لا يمكن تحقيقه الا اذا توافرت قدرة معينة عند الروح المرشدة ، وخبرة خاصة ، مع وجود مائع أو سيال حيوى Fluid vital يؤخذ من جسم الوسيط أو الوسيطة بتأثير مباشر من العقل فى المادة ، هذا ولنا عودة تفصيلية الى موضوعات تأثير العقل المباشر فى المادة ، ووجود الجسد الأثيرى المقابل لكل جسم مادى ، وحقيقة المادة والطاقة فى بعض مواضع لاحقة .

وعودتها ثانية الى مكانها بعد وقت طويل أو قصير • وبعض هذه السلع قد يكون ضخما بحيث يتعذر القول باخفائه عن طريق حيلة من الحيل(١) •

خامسا : ومن الظواهر الفيزيقية الهامة ظواهر العلاج المعجز لأمراض شتى جسمية وعصبية ، وقد استعصى بعضها على وسائل العلاج المألوفة واستجاب للوسائل الوساطية •

سادسا : وظواهر العلاج الروحى كثيرا ما يصاحبها ظهور أضواء مجهولة المصدر Mysterious Lights تتطاير فى جو الغرفة ، وقد سجلتها أجهزة الكاميرا فى عدة بيئات علمية • خصوصا فى ظواهر الشفاء المعجز بوجه عام ، هذا ولو أنها غير ملازمة بالضرورة لهذه الأخيرة ، اذ قد تظهر الأضواء بدون علاج ، كما قد يحدث العلاج بدون ظهور أضواء • ويبدو أن هذه الأضواء — التى لا تنتمى الى أى مصدر مادى — هى مجرد وسيلة واحدة من بين وسائل هذا العلاج بالسبل الوساطية •

سابعا : ومن الظواهر الفيزيقية احتمال حدوث تغيرات للجو وللوسيط فى بعض الجلسات الروحية قد تتناول أحيانا درجة الحرارة ، والضغط الجوى ، بل قد تتغير درجة حرارة الوسيط وسرعة النبض الى مدى واضح ، كما قد يتغير وزنه ، وربما أوزان بعض الجلساء ، وأوزان بعض الأشياء المادية ، بدون توافر أسباب مادية لهذه التغيرات • وقد تنبعث أحيانا رائحة نفاذة غير معروفة المصدر ، أو قد يسمع صوت آلة موسيقية غير مرئية ، أو مرئية من وسطاء الجلاء البصرى وحدهم • وقد سجلت عدة هيئات ظواهر كثيرة من هذه الأنواع تحت ظروف رقابة دقيقة •

---

(١) راجع نماذج عديدة من هذه الظاهرة فى كتاب « الاتصال بين عالمين » لماثيو ما ننج Matthew Manning . التعريب بمعرفتنا سنة ١٩٨٠ ، وفيه تجد تحقيقات هذه الظاهرة بمعرفة الدكتور جورج أوين George Owen الأستاذ بكامبريدج ومدير « معهد الآفاق الجديدة » بمدينة تورونتو بكندا •

ثامنا : ومن الظواهر الفيزيقية ظهور رسومات وكتابات على الألواح الحساسة عن طريق بعض وسطاء نادرين باستخدام كاميرا أحيانا ، وبدون استخدامها أحيانا أخرى ، بل بمجرد وضع اللوح الحساس بين يدى الوسيط ، وأحيانا على جبينه . كما قد يحتاج الأمر أحيانا الى جهاز للأشعة فوق البنفسجية أو دون الحمراء ، وأحيانا أخرى يتم التصوير بدون هذا الجهاز . وهذه الرسومات والكتابات يطلق عليها بالانكليزية أوصاف شتى مثل Thoughtographs, Skotographs, Psychographs .

تاسعا : لعل أخطر الظواهر الفيزيقية اطلاقا ظاهرة انبعاث مادة فريدة فى خصائصها ، وفى قابليتها للتشكل وللتلون هى مادة الاكتوبلازم Ectoplasm ، وهى مادة جديدة نسبيا على المعارف الانسانية . ولها أوضاع وألوان متعددة تتراوح بين الأبيض والرمادى (بين فاتح وغامق) والأسود . كما تتراوح فى كثافتها بين كثافة الضباب أو بخار الماء ، وبين الصلابة التى قد يمكنها أن ترفع جسما صلبا ثقيلا كالمائدة . ولكنها تكون دائما عند انبعاثها من جسم الوسيط فى شكل الضباب الباهت ، ثم تأخذ فى التماسك والتشكل التدريجى بحسب الغرض منها . وينبغى أن تنبعث وأن تعود فى ظلام تام أو فى ضوء أحمر باهت ، والا قد يتعرض الوسيط لأضرار جسيمة وصلت فى احدى الحالات الى الموت المباغت ، بسبب صدمة ارتداد الاكتوبلازم بغتة الى الجسم .

وينبعث الاكتوبلازم عادة من فتحات الجسم ، وبوجه خاص من الفم والأنف والأذنين ، وأحيانا من مسام البشرة ، ومن القدمين . وقد أمكن تصويره مئات من الصور موجود بعضها فى أى مؤلف أو مرجع من المراجع التى قام بوضعها علماء ثقات من بلاد متعددة خصصوا جزءا كبيرا من بحوثهم لدراسة هذه المادة التى أثارت كل صنوف التساؤل العلمى ، ومنهم الدكاترة شرنك فون نوتزنج Schrenck Von Notzing وأوكسلى Oxley ، وريمرز Reimers ، وجوستاف جيلى

Gustave Geley (١) وسير الفريد رسل والاس A. R. Wallace
وسير وليام كروكس W. Crookes وكروفورد W. J. Crawford
وكارنجتون Carrington وجلين هاملتون Glen Hamilton وهاري
بودينجتون H. Boddington وغيرهم ...

وقد سماها بهذا الاسم الدكتور شارل ريشيه Charles Richet عضو أكاديميتي الطب والعلوم بباريس ، وهي تتكون من مقطعين : أولهما ecto باللاتينية أي خارج ، وثانيهما plasma أي مصل الدم ، لأنها تنتزع من مصل الدم ومن خلايا الجسم بوسائل لا يزال يجهلها العلم المادي ، كما يطلق عليها أحيانا وصف سيكوبلازم Psychoplasm أي بلازما الروح . واتضح من تحليل مادة الاكتوبلازم أنها تتكون من خلايا آدمية ومن كلوريد الصوديوم وفسفات الكالسيوم ، وهي لا غنى عنها لاحداث كثير من الظواهر الفيزيقية (٢) .

رمزها العلمي

وليس من اليسر في شيء تحديد نطاق محدد لأبحاث الباراسيكولوجي الا بالقول بأنها تتضمن دراسة جميع الظواهر غير المألوفة سواء أكانت من فصيلة الظواهر العقلية أم الفيزيقية .

وقد أصبح يرمز الى هذه الظواهر العقلية والفيزيقية في مجموعها — في العديد من المراجع — برمز علمي شائع ومشترك بينها وهو P. S. I.

---

(١) وكل تجاربه في شأنها جرت داخل « المعهد الدولي لما وراء الروح بباريس » وقد وقع على صحة تجاربه حوالي مائة شخص من غير رجال المعهد . وفي سنة ١٩٢٣ حضر ثلاثون شخصا بارزا — بينهم ثمانية عشر طبيبا — تجاربه ووقعوا شهادة بصحة ما شهدوا . وقال جيلي في شأنها « انني لأؤكد أنه ليس ثمة خداع ، بل لا توجد أية طريقة للخداع » .

(٢) اتضح من تحليل هذه المادة بمعرفة M. Lebiedzinski انها تحتوي أيضا على Cellules épithéliales. des leucocytes. de la matiére grasse. راجع « مجلة ما وراء الروح » Revue De Métapsychique التي يصدرها « المعهد الدولي لما وراء الروح » بباريس سنة ١٩٢١ ص ٣١٧ — ٣٢٥ .

وهي كلمة اغريقية أصبحت تعبّر مبدئيا عما يطلق عليه « موجة الاحتمال » .
وكان أول من استخدم هذا الرمز عالم الطبيعيات اروين شرودنجر Erwin Schroedinger .

وفي هذا الشأن يكتب تشارلزميوز Charles Muses العالم في الرياضيات والفلسفة ورئيس تحرير مجلة « دراسات في الوعي » قائلا « ان شرودنجر Schroedinger » (١) كان — دون أن يدري — يتنبأ بالاتجاه الجديد الذي ستتطور اليه العلوم في قرننا الحالي . وربما سارت الأمور في هذا السياق عندما استعير هذا المفهوم الجديد وألصق بعلم النفس ليرمز الى عالم يقع خارج دائرة علم النفس : عالم الباراسيكولوجي - عالم الدالة Psi .

ولكن الحق يقال انه لا توجد علوم خارج دائرة العلم ، أو تقع على هامش العلم ، فكلها علوم ومن العلوم . أما ما يدعى « الباراسيكولوجي » أو « البارافيزياء » (أي ما وراء النفس أو ما وراء الطبيعيات) فأسماء على غير مسميات . ومن ذلك يمكن — بل هو ما يحدث بالفعل — أن يضاف الى كل علم بعد جديد هو بعد الدالة Psi أو البعد الوجداني ، أو حالة الوعي الجديد . وحصيلة هذه الاضافات لابد أن تنتهي الى نتيجة خطيرة لا تقل عن كونها نظرة جديدة وشاملة للعالم الذي نعيش فيه .

وكانت الفيزياء أول علم يتجه نحو البعد الجديد (بُعد أل Psi) مع أن قراءة الأفكار ، والتنبؤات ، والغيبيات ، وما اليها من الحقائق الخارقة للمألوف ، وان لم تدرج رسميا في سلك العلوم المعترف بها كانت كلها موضع اهتمام وملاحظة الناس منذ قرون ...

وقد قطع علماء علمي الأحياء والنفس نحو ثلاثين عاما من عمرهما للحاق

(١) عالم معروف في الطبيعيات كان معنيا بهذه الأمور .

في هذا المجال بالفيزياء وما فيها من أسس متغيرة وغير مستقرة بادخال عامل الدالة رسميا فى حساباتهما • ومن المثير للاهتمام أن الرياضة كان لها وبوعى تام بعد الدالة الخاص بها منذ أيام فيثاغورس وأفلاطون • وكان هـذا البعد جزءا لا يتجزأ منها منذ البـداية • وهذا أمر طبيعى فى الرياضة التى تعكس دائما طبيعـة العقل الانسـانى وطبيعة الواقع الخارجى معا ، وبصورة مثيرة توحى بالانسجام بل بالتطابق بين الطبيعتين•

وتحدث نيتشة عن مرحلة يتسامى فيها الانسان فوق القيم ، وطافت أحلامه حولها • واليوم نحن نعيش فى مرحلة شبيهة بتلك تماما ، وهى مرحلة رائعة ومؤلمة معا ، لكنها فوق كل شىء آخر تفرض علينا التزامات وأعباء هائلة ، وتمتحن استعدادنا لاستيعاب مجالات واسعة مترامية للرؤية والبصيرة والوزن تبدو بارزة جلية ••• خاصة أن أوضاع العلم وأسسه وقواعده المقررة لم تتعرض حتى الآن لأى نقد جذرى فى العالم الغربى منذ عهد طويل ، منذ ما بعد عصر النهضة على الأقل •

وهكذا يحدث اليوم ما حدث فى أيام كوبرنيكرس وبرونو ، فنرى أن الأوضاع والأسس والقواعد التى يرتكز اليها العلم يعاد من جـديد ترتيبها ، وتبرز الآن حاجتنا الملحة الى علم جـديد ، علم أعرض وأعمق من العلم الذى عهـدناه حتى الآن ، علم قادر على أن يتـلاءم مع أعمق تركيب داخلى للمادة ، ويتلاءم أيضا مع أعمق وظائف العقل » •••

كما يقول ميوز « لا يزال البرهان ثابتا ومتواترا بكثرة ساحقة على أن وراء الأبعـاد المعروفة للزمان والمكان عالمـا آخر له ظواهره وطاقاته الخاصـة به • وهو عالم يتفاعل طول الوقت بالعـالم الطبيعى المعروف ويؤدى وظائفه بأفعال تبلغ حد البساطة ••••

والآن نحن نقف على عتبة مرحلة جديدة من مراحل العلم • مرحلة تبدأ بالاعتراف بوجود البعد الجديد بعد الدالة أو أل Psi وامكانيات

الوعى الانسانى . وفى المــاضى عرضت المؤسسات العلمية نفسها للمهانة عندما اضطرت الى اصــدار بيانات متناقضــة أوقعتها فى الحرج . ففى سنة ١٨٧٨ مثلا قدمت « اللجنة العلمية البريطانية » تقريرا الى البرلمــان البريطانى عن اختراع المصباح الكهربائى قالت فيه ان الاختراع الجديد « ... غير جدير بالتفات رجال العلم أو رجال الأعمال . ومن المستحيل ادخال النور الكهربائى فى البيوت . وأية محاولة للاقدام على هذه الفعلة هى محاولة غير مجدية تماما لأنها تتحدى قوانين الكون . على هذا يشهد ويجمع أكبر العلماء وأبرزهم » ! ! ...

والظاهر أن قوانين الكون الحقيقية تستعصى بصــورة عجيبة على أفهام أناس غير أكفاء لأداء واجبهم مهمــا كانوا بارزين أو مشهورين ، وذلك بسبب الانطباع الجامد الراسخ الذى استقر فى أذهانهم عن هــذه القوانين وما ينبغى أن تكون عليه . وحسبنا هــذا عن القيود والحوائل التى وضعت فى المــاضى عن الدالة ، وبعدها الجديد ، واثبات صحتها .

وبعد ، فلم أتعرض فى مقالى هذا الى أعظم مغزى للبعد الجديد على الاطلاق ، ألا وهو استقلال الوعى عن المــادة ، الذى يعنى أيضا الوجود المستقل للفرد بعد تحلل الجسد ، ولكنى أترك هــذا الموضوع الواسع لمناسبة أخرى » (١) .

وهذا الموضــوع الواسع وهو الوجود المستقل للفرد بعــد تحلل الجسد لم يتناوله صاحب التقرير بسبب اتساع نطاقه الى مدى لا يمكن أن تتصور حدوده الآن . ولكن تقريره خطير فى كل حرف منه خصوصا

---

(١) عن مجــلة « العلم والمجتمع » التى يصــدرها مركز مطبوعات اليونسكو عــدد يونية ــ أغسطس ١٩٧٥ ص ٤٦ ــ ٥٥ . ومما يسترعى الانتباه فى هــذا العدد أنه عندما طلبت آراء كبار المشتغلين ببحث هــذه الظواهر الخارقة للمألوف جاءت آراؤهم كلها ايجابية ، فلم ينكر صحتها أى واحد منهم ، كمــا لم ينف أى واحــد منهم دلالتها فى اثبات استقلال الوعى عن الجسد المــادى .

هذه العبارة وهى أن « أعظم مغزى للبعد الجديد على الاطلاق هو استقلال الوعى عن المـــادة » ، أو بتعبير آخر استقلال العقل عن المخ ، وهى حقيقة تستحق وقفة قصـيرة هنا ، وذلك بالقـدر اللازم لتفهم موقف المدارس اللاحقة لفرويد من هذا الموضوع البالغ الأهمية فى الكشف عن العـديد من نواحى السـلوك الانسانى ، ناهيك باضـاءة بعض جوانب قـدره ومصيره ، والذى يمثل — بلا أدنى ريب — أخطر نتائج الباراسيكولوجى ، وألزمهـا لتطور كل المعارف الانسـانية ، رغم كل الشوط البعيد الذى قطعته لغاية الآن •

موقف بعض الأعلام من أبحاثها

فقـد أظهرت الأبحاث العلمية المتواصـلة فى هذه الظواهر انتفاء الارتباط المحتوم بين نطاقى العقـل والمخ ، وسـيادة العقـل على المخ لا العكس • وهى تشير الى عمق ارتباط بحوث الباراسيكولوجى بأخطر الحقائق التى وصلت اليها العلوم الحديثة فى كافة جوانبها ، وبخاصة فى جوانب علوم النفس ، والحياة ، ووظائف الأعضاء فى الانسان • وفى هذا كله ما يدعو الى الاطمئنان الى صحة نتائج هذه البحوث ، بالاضافة الى الإطمئنان المستمد من بحث ظواهرها وتمحيصها بمعرفة علمـاء ثقات ، وتحت أدق سبل الرقابة العلمية لمدى قرن وربع من الزمان •

وما ذكرته عن ثبوت انتفاء الارتباط المحتوم بين المخ والعقل لا ينفى أن التفكير مرتبط أساسا بالمخ ، بل معناه فحسب أن المخ هـو جهـاز التفكير لا مصدره ، فاذا فسد الجهاز فسد — بحسب الأصل — التفكير ، ولكن ليس المخ هو مصدر التفكير ، كما أن العقل لا يخضع خضـوعا محتوما للمخ ، لأ نالمخ خاضع لنوعين من العوامل : أولهما تأثير العقل فيه ، وبالتالى فى وظائف الأعضاء ، وثانيهما عوامل الصحة والمرض فيه ، وهى وثيقة صـلة بقوانين البيولوجيا والفسـيولوجيا التى تلعب دورها الطبيعى فى صحة الجسد المادى وأمراضه وفى سلوك الانسان وتصرفاته •

فمن المتصور فى حالات نادرة أن يظل التفكير سليما حتى مع فساد الجهاز الذى يستخدمه لمرض عضوى فيه ، اذا عرف العقل ، وهو مصدر كل عاطفة وذاكرة ، كيف يتغلب بصورة من الصور — التى لا تزال مجهولة من العلم المادى — على ضعف جهازه المادى المؤقت وهو المخ .

* * *

ومن المعروف عن مكدوجال أنه هاجم مفهوم فرويد للعقل الباطن « باعتباره جزءا من العقل يتميز تماما عن العقل الواعى الذى يعمل عن طريق المخ ، وتفصله عن هذا الأخير منطقة ثالثة كاملة هى مقدم العقل أو جبهته ، وذهب الى أن العقل الباطن يشتمل على قسمين ظاهرين : أولهما جميع تلك الأجزاء من بناء العقل التى حرمها الكبت من اظهار نفسها فى الوعى ، وثانيهما جميع المناشط غير الواعية . أى أنه تحت مصطلح واحد هو العقل الباطن قد امتزجت بضعة أجزاء من البناء العقلى ببعض وسائل العمل أو النشاط العقلى ... فالمعنى المزودج لمصطلح العقل الباطن كان العيب الذى « اعترضت » عليه منذ عرفت العقل الباطن من نحو ثلاثين سنة .

وفى محاضرات فرويد الجديدة نراه يقول : اننا لن نستعمل بعد الآن عبارة العقل الباطن بمعنى انه مجموعة ، ولكنا سنطلق اسما آخر على ما سميناه الى اليوم بهذا الاسم . نعم سنسميه الاد Id (ويراد به مخزن جميع الغرائز الفطرية) ... ولكن يا لهذا « الاد » ! انه لا يزال عقدة كبرى يتخبط ازاءها فرويد ، فكأنما هو حوت كبير اقتنص فى شبكة من صنعه وابداعه ، فهو يقول فى صراحة ووضوح : « ان الذات العليا ، والذات ، والاد ، عبارة عن ثلاث دول أو أصقاع أو أقاليم انقسم اليها الجهاز العقلى عند الفرد ...

وواضح أن فى هذا تفريقا ظاهرا بين الذات والاد ، لكنه لا يضاهى على الاطلاق التفريق بين العقل الواعى والعقل الباطن ، لأنه على الرغم من أن الذات تتضمن الشعور فانها بعد ذلك قسم من الاد . واذن فالذات

العليا وظيفة فى الذات ، ومن ثم يتضمن الاد غير الواعى فى دخيلة نفسه كلا من الذات والذات العليا . وقد أكد فرويد أن هذين جزءين منفصلان تماما عن ألاد بقوله أن الثلاثة عبارة عن دول أو أصقاع أو أقاليم انقسم اليها الجهاز العقلى » (١) .

هذا وقد سلم مكدوجال بوجود جسد أثيرى أو لا مادى للانسان ، وذلك الى حد أن أعلن بكل حزم ووضوح ـ أسوة بعلماء كبار آخرين ـ أنه بعد بحوثه فى الباراسيكولوجى يفضل أن يستخدم تعبير الجسد الأثيرى أو الروحى للانسان بدلا من الحديث عن العقل الباطن .

* * *

وحذا حذوه السويسرى كارل جوستاف يونج C. G. Jung وهو أبرز علماء علم النفس الحديث بغير ريب ، وكان عضوا « بجمعية البحث الروحى » بلندن وقد وصل الى أن الروح حقيقة قائمة بذاتها ، ومستقلة عن كل ما هو فيزيقى(٢) . كما اقتنع بعد بحوث مضنية فى الباراسيكولوجى بوجود هذا الجسد أيضا ، واستعمل فى التعبير عنه وصفا أصبح شائعا الآن وهو The Archetypal أى النموذج أو المثال الأصلى ، أسوة بعدد من العلماء الآخرين (٣) . ووصفه يونج بأنه « الانسان السماوى » للاشارة الى أنه يمثل العنصر الخالد فى الانسان ، والذى يعده لحياة السماء لا لحياة الأرض .

وقال يونج عنه انه من طبيعة روحية وانه بالتسليم به لا يعارض

---

(١) راجع وليام مكدوجال فى « التحليل السيكولوجى والسيكولوجيا الاجتماعية » ١٩٣٦ . وأحمد فهمى أبو الخير فى « السيكولوجيا والروح » ١٤٩٥ ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) راجع فى هذا الموضوع مؤلفا لبرنارد بروماج Bernard Bromage عنوانه : C. G. Jung. Grand Prétre De La Psycologie Occulte.

(٣) راجع مجلدات Eranos-Jahrücher (بالألمانية ولها ترجمة كاملة بالانجليزية) فى الجزء الثانى عشر (سنة ١٩٤٥) وعنوانه « دراسات فى مشكلة النموذج أو المثال الأصلى » . Studies On The Problem of the Archetypal.

آراءه السابقة فى علم النفس ، لكنه يدفع بهــا قدما الى الأمام للوصول الى تعاريف أكثر دقة ، بعد أن وجد نفسه مضطرا الى القيام بتحليل عام لطبيعة النفس ولايضاح الخصائص الأولية المتعلقة بها ، والصــلات بين بعضها والبعض الآخر .

ويقول يونج « ان النفس البيولوجية التى تحمل الغرائز — شأن الأشعة الروحية دون الحمراء The Psychic infrared تتخلل تدريجيا الى فسيولوجيا الأعضاء ، ومن هنا تنتشر بظروفها الكيميائية والطبيعية .

وكذلك أيضا هذا النموذج أى المثال المطابق أو « الاشعاع فوق البنفســجى الروحى » The Psychic Ultraviolet أو النفس البيولوجية التى تحمــل الغرائز يمثــل حقــلا لا يبرز أيا من الخصائص الفسيولوجية . ومع ذلك لا ينبغى أن ينظر اليه فى نهاية التحليل بوصفه انه محض أمر روحى ، لكنه عبارة عن مجموعة وظائف فسيولوجية تتم بنفس طريقتها .

واذا كان الأمر كذلك فينبغى تحــديد مركز النموذج أى المثــال الأصلى تحديدا مشــابها لتحديد الغريزة الفسيولوجية من ناحية وجوب اعتبار هذا النموذج بطبيعته الروحية بمثابة القنطرة الى المــادة بوجه عام ثم يقول انه فى النظريات القائمة عن هــذا النموذج أو المثــال المطابق (للجسد المــادى) تواجه الروح والمــادة كل منهما الأخرى على المستوى الروحى ، فالمــادة أسوة بالروح تبــدو فى مملكة النفس ذات صــفات متميزة .

وينتهى يونج الى أن هذا النظر يتطلب وجود نفس مرتبطة بالمــادة فى وقعة ما ، أو بعبارة أخرى مادة لهــا روح خامدة ، ولا تبعد طبيعتها كثيرا عن بعض الصيغ التى صاغها علماء الفيزياء المعاصرون عن المــادة الصرف من أمثال ادنجتون وجينز وغيرهما (أى أن لهذا النموذج كيانة

لا يختلف فى طبيعته عن الكيان المـادى) • ثم يضيف بكل وضوح أنه بهـذا الارتباط « يجب أن يذكر القـارىء بوجود ظواهر وراء روحية Parapsychic Phenomena لا يقدر قيمتها الحقيقية الا أولئك الذين أتيحت لهم فرصة الاقتناع بها عن ملاحظة شخصية ••• » (١) • وهـذه هى نفس الظواهر التى يطلق عليها أيضا وصف « الظواهر غيرالمألوفة » •

المبحث الثانى

الاهتمام المعـاصر بابحاث الباراسيكولوجى

تلقى أبحاث الباراسـيكولوجى فى العصر الحاضر اهتماما متزايدا فى جميع الدوائر العلمية ، ومنها بوجه خاص دوائر المعنيين بكشف أغوار النفس الانسانية الى أبعد مدى ممكن ، والذين أدركوا بسرعة أنها قد ألقت أضواء جمة على أعماق النفس الانسانية وملكاتها الحقيقية تتجاوز — بمراحل عديدة — تلك الأضواء التى جاءت عن طريق منهج التحليل النفسى الذى ابتكره فرويد ، رغم وفرة هذه الأخيرة •

كما ألقت أضواء جديدة عن مصادر العديد من الأمراض العصبية التى وقف التحليل النفسى حائرا ازاءها ، ولم يجد لها تعليلا سوى المغالاة فى تغليب عامل الكبت الجنسى على ما عداه •

وكشف عن وجود ملكات — شعورية ولا شـعورية — عند بعض

---

(١) راجـع البحث بأكمله وعنوانه « الروح بحسب علم النفس » The Spirit of Psychology بقلم يونج فى مجلد عنوانه « الروح والطبيعة » Spirit and Nature
صدر فى سنة ١٩٥٥ مترجما عن المجموعة الألمـانية الآنف الاشارة اليهـا ص ٣٧١ — ٤٤٤ وجوهره يدور حول هذا النموذج أو المثال الأصلى .
وللمزيد راجع :
Marie Louise Von Franz : C. G. Jung : son mythe en notre temps, Trad. fr. Par Etienne Perrot 1975 p. 210—211.

الأشخاص لا تمت بصلة الى أى مرض عصبى ، بل بالعكس لا يتمتع بها عادة سوى الأشخاص ذوى الصحة العضوية والنفسية الجيدة التى يفتقدها حتى بعض الأشخاص الأسوياء •

وبالتالى ألقت هذه الأبحاث المكثفة أضواء جديدة ساطعة على صلة الانسان بنواميس الكون ــ هذه الصلة التى تقع فى الأساس من علم المنطق ــ وهى أضواء لم ترد ببال فرويد ، أو أى واحد من أتباعه ،و هى كفيلة وحدها بتحطم تلك الحواجز المادية الوهمية الكائنة بين الانسان بوصفه كائنا روحيا وبين الكون الذى يحيط بحواسه المادية •

ولهذا كله فانه سرعان ما تبين للعلماء أن أبحاث الباراسيكولوجى بمقدورها أن تقدم أجل الخدمات الى نتائج منهج التحليل النفسى ، وان الربط بين هذه وتلك أصبح ضرورة لا غنى عنها الآن • وعن طريق هذا الربط ــ وحده ــ يمكن أن تقفز الدراسات الانسانية عدة قفزات متلاحقة الى الأمام فى تخفيف آلام بنى البشر وانقاذهم من بعض مصادر شقائهم التى يبدو أنها بلا نهاية •

ويستوى فى ذلك أن تكون هذه الدراسات مسندة الى هذا الفرع من العلوم أم الى ذاك ، ما دامت تجرى على منهج علمى صحيح ، ولايسيطر على أصحابها سوى رغبة تسجيل الحقائق فى حياد وفى حذر ، لاستخلاص نتائجها الحتمية بعد توسيع رقعة البحث الى أوسع نطاق ممكن لاستخلاص العنصر أو العناصر الثابتة فيها •

والاهتمام بالباراسيكولوجى أى بدراسة الظواهر غير المألوفة ــ مع محاولة تحليلها تحليلا صحيحا عن طريق اخضاعها لأساليب التحليل المنطقى والرياضى المألوفة فى كشف مساتير الطبيعة ــ ليس حديثا ، بل يمكن ارجاعه بالأقل الى مستهل هذا القرن •

لكن هذا الاهتمام بلغ شأوا بعيدا منذ نصف قرن ، وهو فى تزايد مستمر ، مع تطـور ضخم بسبب التقـدم السريع الذى لحق الأجهزة الحديثة ، وايضا بسبب تقدم آساليب التحليل المنطقية والرياضية تقدما فاق كل التوقعات .

وتكشف ذلك كله عن نتائج بالغة الأهمية مرتبطة وثيق ارتباط بكل جـوانب العـلوم المـادية والانسـانية . وعلى رأس الأولى الفيزياء والبيولوجيا والطب ، وعلى رأس الثانية النفس والفلسفة والأخلاق .

وهـذه النتائج تستخدم الآن على أوسع نطاق فى تشييد معطيات جديدة لكل هـذه العلوم تتميز عن معطيات المـاضى البعيد آو القريب بأنها لاتعتمد فى شيء على محض الارتجال ، أو الافتراض،أو الاعتراض.. بل تعتمد على الحقائق الوضعية للوجود كما تكشفت عنها جهود العلماء بعد لأى وطول عناء .

ولا يتأتى الآن تجاهل أية نتيجة منها الا للتورط من جديد فى أخطاء المـاضى البعيد ـــ أو القريب وأوهامه . وتجاهل أية نتيجة منها يعادل فى فداحته أن يتجاهل طب الجراحة مثلا اكتشاف دورة الدم ، أو التخدير، أو التعقيم ، أو أن يتجاهل الطب الباطنى اكتشاف الميكروبات ، أو المضادات الحيوية ، أو تأثير المئات بل الآلاف من العقاقير الحديثة الفعالة .

وهكذا الشأن أيضا فى الطب النفسى الذى أخذ يربط نفسـه ربطا سريعا بنتائج الباراسيكولوجى لأنه لا يمكنه أن يفعل غير ذلك اذا ما أراد أن ينتقل من طور الافتراضات النظرية الواهية الى طور الحقائق الوضعية الثابتة . وهذا التحول الخطير هو العلامة المميزة لعلم النفس فى طوره الراهن ، ومعه بطبيعة الحال علم النفس الجنائى والعقابى . وعلم النفس يجب أن يكون هو العمود الفقرى فى أية محاولة لتفسير الظاهرة الاجرامية ولمواجهتها ان لم يكن فى أول المطاف فبالأقل فى نهايته .

* * *

وتتيجة تنوع هــذه الظواهر وتشعبها وتغلغلهــا فى أرجاء كافة المعارف اتسع نطاق هذه الدراسات اتساعا هائلا سريعا لم يتوقعه من قبل العديد من الباحثين • بل ان هذا العلم الذى بدأ متواضعا مثل سندريلا فى قصتها المعروفة ، ثم أخذ يشق طريقه بصعوبة وسط أرستقراطية العلوم الأخــرى ، أصبح يعرف فى البيئات العلمية الآن بأنه « علم العلوم » Science of Sciences ، أو علم المستقبل ، أو العلم الآتى ، بعد أن تبين أنه أجل شأنا بكثير من أن يكون مجرد دراسة تجريبية لبعض الظواهر الوساطية « غير المــألوفة أو فوق العادية » كما يسمونها أحيانا •

فأصبح يشمل دراســة كافية للمــادة الصلبة فى تكوينها الذرى والجزيئى ، وللطاقة ، ولنظرية النسبية ومعادلاتها الرياضية ، ولنظريات الاهتزاز والكهربائية والمغناطيسية وأمواج الأثير ، وهى أساس دراســة الفيزياء ، كما أنهــا أساس دراسة علم الروح • بل ان ثمة علوما كثيرة جديدة ناشئة داخل نطاق العلم الروحى بمعناه العــام : منهــا الفيزياء الروحية Psychical Physics ، والاشعاعات الحيوية غــير المنظــورة Radiesthesie ، وتصوير الأفكار Ideography ، Thoughtography والكيمياء الروحية Psychical Chemistry ، والبيولوجيا الروحية ، وتأثير العقل فى المــادة Psycho-Kinesis ، والادراك عن غير طريق الحواس •

وبالتالى أصبح الباراسيكولوجى — فى مفهومه الحديث — يتطلب المــاما كافيــا بقوانين كثيرة فى الفيزياء والكيمياء والرياضــة والنفس وما وراء النفس والبيولوجيا والفسيولوجيا والفلك ، ومعلومات وافية فى مبادىء الفلسفة — وقــد عالجت الروح قبــل أن يعالجهــا البحث التجريبى — والأديان المقارنة ، وكلاهــا تقوم على التسليم بوجود الروح وبالحياة بعد الموت • كما أصبح يتطلب المــاما كافيا بما وراء الطبيعة منذ بدأه أرسطو الى الحد الذى وصل اليه فى ضوء الكشوف الروحية هذه •

والالمــام بشتى العلوم والمعارف ، كالتاريخ وكاللغات القديمة ،

كثيرا ما يساعد الباحث الروحى على تحقيق مدى صحة رسائل شتى • فالباحث العلمى فى الروح يجد مشقة كبرى الآن فى هذا البحث ان لم يكن مزودا بقدر كاف من الثقافة الصحيحة فى نواح شتى من المعرفة •

بعض المعاهد والجامعات المعنية

فلا غرابة لما سلف من اعتبارات أن ينمو هذا العلم الى أن يصبح — من زاويتيه العلمية والفلسفية معا — بحثا يجرى الآن على أقوى صورة وفى كل مكان فى العالم أجمع • فبالاضافة الى الجمعيات الروحية التى بدأت فى التكاثر منذ أواخر القرن الماضى ، أخذت تظهر معاهد راقية كثيرة متخصصة لبحثه منذ مطلع هذا القرن ، ومنتشرة فى بلاد كثيرة من أهمها :

فى امريكا : —

« المعهد الأمريكى للبحث العلمى » (١) ، وقد أسسه فى سنة ١٩٠٦ الدكتور جيمس هايسلوب — أستاذ المنطق والأخلاق بجامعة كولومبيا — بمدينة نيويورك ، وهو مكون من قسمين (ا) و (ب) ، وقد ضم القسم الأخير الى « جمعية البحث الروحى الأمريكية » (٢) A. S. P. R. التى تأسست منذ سنة ١٨٨٩ •

— « المعهد الروحى الأمريكى ومعمله » (٣) ، وقد أسسه فى سنة ١٩٢٠ الدكتور هيروارد كارنجتون ، وأعيد تنظيمه فى سنة ١٩٣٣ • وله مجلس استشارى مكون من عدد من الشخصيات العلمية ذات السمعة العالمية فى شتى نواحى العلوم ويصدر نشرات دورية منتظمة بأعماله •

— « الكلية الأمريكية للعلم الروحى والبحث » (٤) ، والتى كان يديرها الدكتور آرثر • ج • ولز Arthur J. Wills .

(١) American Institute For Scientific Research.
(٢) American Society For Psychical Research.
(٣) American Psychical Institute And Laboratory.
(٤) United States College Of Psychic Science And Research.

ـ وبالاضافة الى ذلك دخلت بحوث الظواهر الوساطية المختلفة الى عدة جامعات أمريكية ، وتعنى بهــا بوجه خاص منذ نصف قرن بالأقل « معامل الباراسيكولوجى بجامعة ديوك » وقد أسسها عالم النفس المعروف الدكتور وليام مكدوجال W. Mc Dougall ، ثم تولاها من بعده الدكتور جوزيف بانكس راين J.B. Rhine ، وواصل فيها تجاربه لمدى أربعين عاما متتابعة ـ ويديرها حاليا الدكتور هلموت شميدت Helmot Schmidt يعاونه عدد من كبار العلماء •

ـ وفى سنة ١٩٦٨ أنشىء قسم للباراسيكولوجى أيضا فى مدرسة الطب بجامعة فيرجينيا بشارلوتسفيل (١) ويرأســه حاليا الدكتور أيان ستفنسون Ian Stevenson أستاذ التحليل النفسى بها ، ويعتبر من أعلام البحث الروحى هناك ، يعاونه الدكتوران جـ • جـ J. G. Pratt وركس ستانفورد Rex Stanford • وقد فتح له اعتماد ضخم ينص على أن نصــفه مخصص لأبحــاث التحليل النفسى ، والنصف الآخــر « لأبحاث الباراسيكولوجى • وأيضا لمشكلة دوام حياة الانسان بعــد موت الجسد » • كما ينص أيضا على أن « هذه البحوث ينبغى أن تستمر لمدى عشرين عاما بالأقل بعد موت أول أستاذ باحث أو رحيله » (٢) •

وقد أعلن القسم عن ترحيبه بالوسطاء الذين يرغبون فى المعاونة معه فى دراسة الغيبوبة ، والطرح الروحى out-of-the-body experiences والرؤى apparitions ، وحالات العودة للتجسد •

ـ ومن الجامعات الأمريكية التى لها اهتمامات خاصة بالباراسيكولوجى جامعة كورنينجن Corningen ، ونيذرلاندز Netherlands ، وكولورادو Colorado وكلية هنتر Hunter ، وسيتى كوليج بمدينة نيويورك •

---

(١) The University of Virginia, School Of Medicine, Charlottesville.

(٢) ولعل الحكمة فى هذا هى أن يظل البحث متصلا بعد انتقاله بمدة كافية لمحاولة تسجيل نتائج يقينية عن طريق الاتصال بروحه على النحو الذى جرى فى « جمعية البحث الروحى » بلندن S. P. R. من قبل .

وفى بريطانيا تعددت أيضا الكليات والمعاهد الروحية ، وأهمها : ـ

ـ « الكلية البريطانية للعلم الروحى » (١) التى أسسها سير وليام باريت عالم الفيزياء ، وعضو المجمع العلمى ، بالاشتراك مع سير آرثر كونان دويل وآخرين منذ سنة ١٩٢٠ .

ـ « كلية العلم الروحى » (٢) ، وهى غير سابقتها وأحدث منها .

ـ « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن (٣) ، وقد أسسه الأديب الأرلندى المعروف شو دزموند Shaw Desmond . وكان يديره العالم الروحى جـ آرثر فندلاى J. Arthur Findlay الى حين وفاته فى سنة ١٩٦٤ .

ـ « ومعهد جيمس بيرنز الروحى » (٤) .

ـ ثم هناك أيضا « معهد ماجنا جوبسون للبحث الروحى » (٥) .

ـ و « كلية أدنبرة الروحية (٦) .

ـ « كلية آرثر فندلاى » (٧) ، وقد أسسها فى سنة ١٩٦٧ « اتحاد الروحيين الوطنى » بلندن تخليدا لذكرى جيمس آرثر فندلاى هـذا ، ولخدماته المتواصلة للعلم الروحى .

وبالاضافة الى المعاهد المتخصصة فى البحوث الروحية ، فان هذه

---

(١) British College of Psychic Science.

(٢) The College Of Psychic Science.

وعنوانها حاليا كالآتى :

16 Queensberry Place S. W. 7 Near Kensington : Station, London.

(٣) International Institute For Psychical Research.

(٤) James Burnes Spiritual Institution.

(٥) Magna Jobson Institute For Psychical Research.

(٦) Edinburgh Psychic College.

(٧) The Arthur Findlay College. Stansted Essex, England.

البحوث قد تبوأت مكانها فى عدد من الجامعات العريقة هناك فأصبحت تحتل مكانا واضحا فى نشاطها العلمى ، ومن ذلك مثلا : —

— دخولها الى جامعة لندن ، التى أصبحت تمتلك الآن وتدير أكبر معمل للبحث هناك وهو « المعمل الوطنى للبحث الروحى » (١) ، الذى أسسه الدكتور هاريس برايس Harry Price منذ سنة ١٩٢٥ ثم ضمته الجامعة اليها . وهو يصدر الآن مضابط Proceedings وجريدة ، ونشرة منتظمة Bulletin بأعماله .

— كما أنشئت فى جامعة كامبريدج بحوث روحية منذ سنة ١٩٤٠ ، وحدد موضوعها بأنها « تتضمن بحث الظواهر العقلية والجسمية التى تبدو لأول وهلة كأنها تشير الى وجود قوى أو أفعال خارقة للعادة فى الانسان خلال حياته ، والى بقاء عقل الانسان بعد الموت الجثمانى » . وهذه البحوث منتظمة فى كامبريدج منذ انشائها .

— وبعد هذا التاريخ دخلت هذه الدراسة الى جامعة اكسفورد ، فأنشىء بها « معمل للبحث الروحى » ، كما تأسست بها « جمعية للبحث الروحى » منذ سنة ١٩٤٣ .

— وفى سنة ١٩٦٧ دخلت البحوث الروحية الى جامعة اكستر Exeter تخليدا لذكرى جاكسون نايت Jackson Knight أحد أساتذة الجامعة (من سنة ١٩٣٦ — ١٩٦١) ، وكان من أعلام البحث الروحى هناك .

* * *

وفى فرنسا تقوم ببحوث الظواهر الوساطية عدة هيئات منها « المعهد السيكولوجى العام » (٢) بباريس ، و « المعهد الدولى لما وراء الروح » (٣) ، الذى أنشىء منذ سنة ١٩١٩ خصيصا لبحوث الظواهر غير

(١) National Laboratory Of Psychical Research.
وعنوانها كالآتى : 13 Roland London S. W. 7.
(٢) Institut Général De Psychologie.
(٣) Institut Métapyschique International,

المـألوفة ، وتلقى منذ تأسيسه اعترافا رسميا من الحكومة الفرنسية بأنه « مؤسسة ذات نفع عام » ، ولنا عودة الى بعض نتائج بحوثه فى مناسبة لاحقة • بالاضافة الى وجود لجنة دائمـة متخصصة فى هذا النوع من الأبحاث بداخل « المعهد السيكولوجى العام » بباريس •

ثم أنشىء فى بلجيكا معهد مماثل يحمل أيضا اسم « المعهـد الدولى لمـا وراء الروح » مقره ببروكسل ، ويقوم بنفس نشاط معهد باريس •

كمـا عرفت البحوث الروحية سبيلها الى ألمـانيا فى جامعتى بون وفرايبورج ، والى هولندا فى جامعتى أوترخت وجروتنجن •

وأنشئت لها فى أمريكا الجنوبية — خصوصا فى البرازيل — بعض كراس للأستاذية بعدة جامعات ، فضلا عن بعض الأكاديميات المتخصصة فى البحث الروحى •

* * *

ومن أهم المنظمات الدولية لبحـوث الباراسيكولوجى « جمعية الباراسيكولوجى » The Parapsychological Association وهى جمعية دوليـة أسست فى سنة ١٩٥٧ لكى تعقـد مؤتمرات عامة لتبادل الرأى فى هذه الموضوعات • وعضويتها غير مفتوحة للجمهور •

وقد ضمت هذه الجمعية منذ سنة ١٩٦٩ الى المجمع العلمى الأمريكى « الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم » (١) التى استوجبت ألا تضم هـذه الجمعية الا أرفع مستوى من الباحثين • ويعتبر تنظيم هـذه الجمعية وأسلوبها العلمى الصارم ، ومنهجها الدقيق الناقد من أحسن المعـالم لتحول البيئات العلمية نحو المزيد من الاهتمام بالظواهر غير المـألوفة ، ومن التعاطف معها ومع نتائجها •

وهى تصـدر مضابط منتظمـة (٢) ، ومقرها الحالى مشترك مع

---

(١) American Association for the Advancement of Science.

(٢) Proceedings of the Parapsychological Association.

« مؤسسة البحث فى طبيعة الانسان » (١) التابعة لجامعة ديوك Duke بكارولينا الشمالية North Carolina بالولايات المتحدة الأمريكية .

والى جانبيهما توجد « مؤسسة البحث الروحى » (٢) وهى متخصصة فى تحقيق الظواهر غير المألوفة ، وتصدر نشرة ربع سنوية اسمها Theta - وهى أيضا من أهم التنظيمات ذات السمعة الدولية .

ومن هذه المنظمات الهامة أيضا « مؤسسة الباراسيكولوجى » (٣) ولها نشاط متواصل فى هــذه الموضوعات وتصدر مجلة منتظمة نصف شهرية (٤) . وتتضمن عادة بحوثا متنوعة فى هذه الموضوعات . وتوجد الآن العشرات من المجلات الدورية المنتظمة التى تعالج شتى موضوعات الباراسيكولوجى وبوجــه خاص موضــوعات الادراك عن غــير طريق الحواس من زواياها العلمية المختلفة .

* * *

وعلى أية حال فان أبحــاث الباراسيكولوجى تجرى الآن فى كل مكان فى العــالم على قــدم وساق ، واعترفت بهــا شتى الدول رسميا مما دفعها الى فتح المعاهد المتخصصة ، وعقد المؤتمرات الدولية بها من آن الى آخر .

ونفس الأبحاث تجرى الآن على قــدم وساق حتى فى الهند ، وفى اليابان ، وفى غــيرهما من البلاد الأسيوية ، ذات الأنظمــة السياسية والاقتصادية المتباينة ، ولذا فقد ورد فى تقرير « للمعهد البرازيلى لبحوث علم النفس الطبيعية البيولوجية » I. B. P. P. : « أننــا نتراســل

---

(١) Foundation for Research on the Nature of Man.

(٢) Psychical Research Foundation.

وعنوانهــا : Duke Station, Durham, North Carolina 27708.

(٣) Parapsychology Foundation.

(٤) Parapsychology Review.

وعنوانهــا : 29 West 57 the street, New York, 1019.

- دائما وبانتظام - مع الباحثين فى ستة وعشرين من أقطار العالم فى الأمريكتين وأوروبا وآسيا ••• ونحن نؤمن بقوة أنه بالتعاون الدولى الوثيق وحده يستطيع الباراسيكولوجى كأى علم آخر أن يأخذ مكانا يمكن أن يعتبر فيه مفيدا نافعا ، بل أساسيا بدلا من أن يكون ممتعا فقط ••• فلنتعاون جميعا لنساعد على تحقيق هذه القوانين التى بقيت مختفية طويلا فى عناد » (١) •

ثم يقول مدير هذا المعهد - فى نفس التقرير - ان لمعهده «اتصالات وثيقة - سواء شخصية أم بالمراسلة - مع أمريكا الشمالية والجنوبية ، والاتحاد السوفيتى ، وتشيكوسلوفاكيا ، والهند وغيرها » (١) •••

فهذه المعاهد اعتادت أن تتراسل فيما بينها وتتبادل التقارير الايجابية عندما تكون جديرة بالتبادل • وقول مدير المعهد فى تقريره الآنف الاشارة اليه أنه يتبادل التقارير مع الباحثين فى معاهد ست وعشرين دولة ليس معناه أن عدد هذه المعاهد المعنية بالباراسيكولوجى لا يتجاوز هذا القدر ، بل انه يتجاوزه بكثير ، وهو فى تزايد مستمر خصوصا منذ عشرين عاما ، حيث دخلت أبحاث الباراسيكولوجى الى غالبية جامعات الخارج ، ناهيك بالمعاهد المتخصصة التى تحمل أسماء شتى •

بين الباراسيكولوجى والسيكوترونات

بعد أن قطع العلم مرحلة متقدمة فى دراسة الظواهر غير المألوفة بكافة أنواعها بوصف أنها « باراسيكولوجى » أى ما وراء النفس بدأ نفر من الباحثين يوجه نقدا الى هذه التسمية التى أصبحوا يعتبرونها قاصرة وضيقة الأفق بلا داع ، وأحلوا محلها فى بعض دوائر العلم وصف « السيكوترونات » •

---

(١) عن مجلة « العلم والمجتمع » التى تصدرها عن مجلة رسالة اليونسكو - وهو ادارة ثقافية تابعة لهيئة الأمم المتحدة - عدد يونيو - أغسطس ١٩٧٥ صفحة ١٢٠ - ١٢٦ •

وفى تعليل هـذا التحول يقـول زدنيك رجداك Zdenek Rejdak ــ وهو عالم ظل طوال عشرين عاما يعمل فى مجال السيكوترونات وكتب فيها أكثر من مائة مقـال كما ألف كتابا مستقلا عن « التخاطر والجلاء البصرى » (1) (١٩٧٠) ــ : « غنى عن البيـان أنه فى العصر الذى يتقـدم فيه العـلم بخطـوات جبارة يصبح القـول بمنهج مشترك بين المباحث العلمية المختلفة مسألة أساسية لبحث الظواهر السيكوترونية • ذلك لأن هذا المنهج هو السبيل الوحيد لانقاذنا مما نراه اليوم سائدا من تخمينات وريب وشكوك وخلافات • وعلى أن يجمع المنهج العلمى بين خصائص مناهج البحث فى الفيزياء ، وتكنيك الاتصال ، والرياضيات ، والسوبر ناطيقا Suprnatic وعلم النفس ، والطب النفسى ، والطب ، وفسيولوجيا الأعصاب ، والفسيولوجيا ، وعلم الحياة ، والجيولوجيا ، والأنتروبولوجيا ، وعلم الاجتماع ، وبيولوجيا الفضاء •

وبات واضـحا أنه لم تعـد ثمـة حاجـة للاحتفـاظ بمصطلح « الباراسيكولوجى » ، ذلك لأنه فشل فى أن يعكس لنا الطابع المبحثى المتعدد لهذا المجال ، بل فشل أيضا فى أن يكشف عن وجود عنصر الطاقة الذى لا يمكن بدونه تصور أية ظاهرة من الظواهر موضوع البحث • وسبق أن أشار علماء كثيرون الى ضرورة الجمـع بين العنصر النفسى وعنصر الطاقة • ومن هؤلاء عالم الفيزياء الروسى كوتيك (١٩٠٨) وبعده هانز برجر فى العقدين الثالث والرابع من هذا القرن ، وعالم الجيولوجيا الهولندى ترومب فى عام ١٩٤٩ •

وقد عزمنا نحن الاخصائيين فى هذا المجال أن نلتزم بمصطلح جديد هو « السيكوترونيا » الذى اقترحـه المهنـدس الفرنسى فرناند كليرك Fernand Clerc وهكذا أصبح مصطلح « الباراسيكولوجى » شأنه شأن المسمرية أو ما وراء النفس Metapsychology يشـير الى مرحلة من مراحل نشوء السيكوترونيا •

---

(1) Telepathy and Clairvoyance.

والمهمة الأساسية التى تواجه السيكوترونيا اليوم هى التنسيق بين القوانين التى تحكم عالم الحياة وعالم المادة غير الحية وتكملتها باضافات جديدة من المعارف التى تيسرها لنا علوم البيولوجيا ، والفيزياء ، وعلم النفس • وسوف يتم استخلاص هذه المعارف من المظاهر الخاصة المميزة للنفس الانسانية ••••

لقد كانت الباراسيكولوجى تعالج أساسا ظواهر نادرة الوقوع وتحاول على حياء الاشارة الى أن هذه الأحداث قد تؤثر فى كل انسان بدرجة بسيطة • ولكن السيكوترونيا تحاول من خلال منهجها المتداخل والمترابط مع المباحث العلمية المختلفة أن تؤكد أن الظواهر السيكوفيزيائية تؤثر فى ٩٠٪ من البشر • وتنأى السيكوترونيا عن دراسة المعجزات وبحثها ، ومن ثم فانها تحدذ عن عمد حدود ومعالم تجاربها على نحو يسمح باعادتها وتكرارها فى أى وقت •

ولن تكون نتائج الاختبارات بالضرورة حسية ، ولكنها ستكشف عن قدر من الثبات • ونحن ندرك اليوم أننا جميعا نلاحظ ظواهر سيكوترونية (مثل حالات التخاطر التلقائية بين الأم وطفلها فى حياتنا اليومية ، وأنها مرتبطة بالانسان ، بل بالمادة الحية منذ زمن سحيق » (١) •

* * *

وازاء هذه الاعتبارات مجتمعة يبدو لى واضحا أن موضوع الباراسيكولوجى لا ينبغى تضحيته فى مقابل موضوع السيكوترونات لأن موضوع الباراسيكولوجى هو دراسة الظواهر غير المألوفة التى تتجاوز نطاق علم النفس بمفهومه التقليدى ، وهو فى هذا يختلف عن نطاق السيكوترونات الذى ينبغى ألا يتجاوز بحسب وجهة النظر هذه نطاق الظواهر الحيوية المألوفة التى تؤثر فى ٩٠٪ من البشر كما يقول المؤلف ••

(١) عن « العلم والمجتمع » المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٤ •

واذا كان لابد من مصطلح لبحث يستهدف دراسة هـذه الظواهر غير المـألوفة بكل أصنافها ، ويكشف فى نفس الوقت عن وجود عنصر الطاقة الذى لا يمكن بدونه تصور أية ظاهرة من الظواهر موضوع هذا البحث ، فهو مصطلح « البحث أو العلم الروحى » Psychic Science لأن هـذه الطاقة ـ المطلوب الكشف عنها ومحاولة دراسة أبعادها ـ طاقة روحية بحسب أصلها ومصدرها ، وهـذا ما تنبه اليه الباحثون فى الجزر البريطانية بوجه خاص منذ أوائل روادهم ، وهو الأمر الذى يعلل تمسكهم حتى الآن بهذا المصطلح لدراسة الظواهر فى ذاتها بالاضافة الى محاولة تعليلها وتأصيلها بالطاقة الخطيرة التى تكمن وراءها .

وقد حذا حذوهم ولا يزال العدد الأكبر من الباحثين فى خارجهـا أيضا ، واعتقد أنهم بهذا الوصف الواضح البسيط قد لمسوا كبد الحقيقة فى التعبير عن موضوع بحوثهم . ثم ما قيمة أى بحث علمى فى الانسان اذا كان ينأى عن دراسة المعجزات ـ أى الظواهر الخارقة للمألوف ـ ويعتقل نفسه من جديد فى قفص من دراسة الظواهر المألوفة ، ولو بأساليب متقدمة نسبيا كما تريد السيكوترونيا أن تفعل ؟ ! ...

ويمكن القول على أية حال ان السيكوترونيا ـ على هذا المفهوم المحدود ـ أضحت ذات موضوع متميز ـ الى حد ما ـ عن موضـوع الباراسيكولوجى أو ما وراء النفس بمدار ما هو متميز ـ الى حد ما ـ عن موضوع « العلم الروحى الحديث » الذى يتضمن دراسة الظواهر غير المـألوفة فى جانبيها الوصفى والتحليلى ، بالاضافة الى ما قد يرتبط بها من علوم انسانية متنوعة مثل الأخلاق ، والاعتقاد ، والفلسفة الأخلاقية والعامة .... وذلك بالقدر اللازم لمحاولة الوصول الى تحليل وتأصيل صحيحين .

الباراسيكولوجى يصبح موضوعا لتخصصات عديدة

ولذا فلم يعد الباراسيكولوجى موضوعا لتخصص واحد ، بل أصبح موضوعا لتخصصات عديدة ودقيقة ، متصل بعضها بالعلوم الانسانية وبعضها الآخر بالعلوم الطبيعية كلها ... بكل ما يتصل بها من أبحاث متشابكة لا تنتهى عند حد فى تعددها ودقتها .

وأصبحت هذه الأبحاث موضوع بحوث معملية ورياضية تجرى الآن فى كل مكان ، وبدون ارتباط مسبق بأية مدرسة ، أو بأى بند من بنود الرجاء أو الايمان . وهى تدور فى جوهرها حول دراسة جميع الظواهر غير المألوفة وتوسيع رقعة البحث فيها الى أوسع نطاق ممكن لاستخلاص العنصر أو العناصر الثابتة فى كل ظاهرة منها .

وعلى هذه العناصر يعاد من جديد بناء معطيات جديدة لكل معارف الإنسان التى هى فى تطور مستمر ، وتمر فى الوقت الراهن بتحولات جذرية ، نحو المزيد من الثراء فى معرفة الانسان بنفسه ، وبحقيقه روابطه بنواميس الكون الظاهرة والخفية ، وهذا هو أساس علم المنطق بحسب تعريفه الشائع .

وقد ازدهرت هذه البحوث فى العالم كله ازدهارا لايمكن أن نتصوره فى شرقنا الأدنى لأننا اخترنا لأنفسنا طريق الاغلاق الكامل ، وهنا الكارثة الحقيقية التى تتهدد تطور الشرق الأدنى بالنسبة لكشوف الذات الانسانية ، بعد أن جنت على تطوره بالنسبة لكشوف المادة فى حاضرنا ، وفى ماضينا القريب أيضا .

وساعد على ازدهار هذه البحوث فى العالم تقدم الأجهزة الحديثة ، وتطور أساليب التحليل الرياضى ، التى بلغت مستوى رفيعا فى امكانيات الكشف عن الخطأ والصواب ، والتمييز بين الممكن والمستحيل ، وما يمت الى الصدفة بسبب ، وما لا يمكن أن يمت الى معادلات الصدفة بأية

وأصبح لهذه الأبحاث المتشعبة معاهد ومعامل ضخمة متخصصة تعد بالعشرات ، ناهيك بجهود الجامعات التى تبنت بحوث هذا العلم ووجدت فيه حجر الأساس لدراسة حقيقة موضع الانسان من نواميس الكون ، ولدراسة حقيقة ملكاته ، ودوافعه ، وغرائزه ، وظواهره المألوفة وغير المألوفة ، وتاريخه العريق الذى يمتد الى ماضيه السحيق ، والمصادر الحقيقية لمتاعبه وأمراضه . والسبل الصحيحة لمواجهة مخاوفه ، ودرء جانب ضخم من أهواله وويلاته .

فالمشكلة ليست فحسب مشكلة دراسة للخلود ، بمعنى دوام الحياة بعد الموت اثباتا أو نفيا . بل هى مستقلة عن ذلك الى حد كبير ، لأنها قبل كل شىء آخر مشكلة توسيع للدراسات المتعلقة بكل ظواهر الوجود ، واستخلاص جميع نتائجها الممكنة والمحتومة ، التى قد يكون الخلود أحدها فحسب .

ولذا نجد أن عددا كبيرا من الباحثين العلميين فى الباراسيكولوجى يتحفظ جدا فى كل أقواله ، وفى استخلاص نتائجه ، ويصر على دراسة جميع الظواهر غير المألوفة على أسس مادية صرف بالأقل كنقطة بداية لا غنى عنها ، تاركا مشكلة الخلود جانبا . وذلك على أساس أن هذه الأخيرة ستنحل نفسها بنفسها بعد توسيع رقعة البحث الى أبعد مدى ممكن وتسجيل العدد الذى لا يحصى من النتائج فى ظروف معملية متعددة ومتنوعة .

* * *

هذا وقد أتاحت لى ظروفى فى هذه الأعوام الثلاثة الماضية أن أتابع عن قرب مدى ازدهار حركة البحث فى الظواهر غير المألوفة فى الخارج ، هذا الازدهار الذى ينم عنه تدفق الآلاف من المؤلفات الجديدة الى جميع المكتبات ودور النشر ، والاهتمام المتزايد من القراء باقتنائها . الى حد أنه لا تكاد تخلو مكتبة فى الخارج الآن من قسم خاص بمؤلفات البحث الروحى ، والباراسيكولوجى ، وكافة الموضوعات المتصلة بها .

كما انتهزت فرصـــة سفرى للاستجمام ولبعض المهام العلمية كيما أزور بعض المعاهد المعنية بالباراسيكولوجى بباريس فى شـــهر ديسمبر ســـنة ١٩٧٩ ، وبعض الجمعيات فى لندن وأحضر بهـــا أحد المؤتمرات الدولية فى أغســـطس ســـنة ١٩٧٨ ، فلمست بنفسى ما يعطونه لهـــذه الموضـــوعات من عناية ومن اعتبار ، بقـــدر ما نعطيها نحن من ازدراء وانكار ! ! ...

وآلمنَى بطبيعـــة الحال أن أرى الوفود الضخمة من العلمـــاء تجىء الى مؤتمر فى لندن من عشرات من الدول كى تسهم بجهودها البنّاءة فى هذا الميدان الهام من ميادين العلم والعرفان ، وكان بعض هذه الوفود مكونا من عشرين أو ثلاثين عضوا فى الوفد الواحد ، ولا يجىء من الشرق العربى كله مندوب واحد ، ولا وسيط واحد ! ! فهل أصـــبحنا أعداء غير واعين لتطور العلم ، ولتقدم العرفان ؟ !

وهل من نهضة تعيد الى الشرق مكانته ، وتذكر الناس بأنه مهبط الرسالات الســـماوية ، ومصـــدر الايمان بالروح والخلود منذ أقـــدم الأزمان ؟ ! ... وهل من صيحة تصرخ فى الشرق ــ كما صرخ أحـــد الباحثين فى الغرب قائلا « بأن العائلة الانسانية فى تمردها على القوانين الالهية تندفع بسرعة نحو أزمة حادة ، فاما اختارت الطريق نحو الروحية النبيلة ، واما استحالت المدنية الى رماد » ؟ ! (١) .

عن تطور الحقائق الوضعية

والحقائق الوضعية تبدو ــ بغير ما ريب ــ متطورة نامية بمقدار نمو معارف الانسان وتطورها . ولذا فان بعض الجوانب التى كانت تنتمى فى المـــاضى الى اللاهوت أو الى ما وراء الطبيعة أصبحت تنتمى الآن الى أساليب متنوعة من البحث المعملى بأساليب رياضية . وذلك حتى ليمكن

---

(١) هو الباحث الأمريكى جون ريمرز. John Remmers
فى مؤلفه عن « الحقيقة العظمى » (١٩٦٧) The great Reality

القول بأن أمنية أفلاطون فى جعل الرياضيات أساس كل دراسة آخذة فى التحقق التدريجى • فقد كان هذا الفيلسوف العظيم يؤمن بأن العلوم الطبيعية ناقصة لا تؤدى الى الحقائق لأن موضوعها وهو العالم المادى ناقص فى طبيعته ، والانسان وهوالباحث عن الحقيقة فى هذا العالم المادى ناقص أيضا فى طبيعته • فلا مناص اذن من اللجوء للرياضيات التى تمثل عنده السبيل الكامل للوصول الى الحقائق •

ومثل هذا الرأى نجد عند الفيلسوف الرياضى المعروف برتراند راسل Bertrand Russell الذى يقول : « ان الفلسفة الرياضية تمثل نوعا من العلم الحقيقى اليقينى الممكن التطبيق على حياة الانسان فى جوانبها العملية والعقلية • بل ان الفكر الخالص يستطيع أن يتوصل الى الالمام بها والى استيعابها خلال نفسه فى غير ما حاجة الى الملاحظة ، لذا فقد نظروا اليها كيما تشجع نزعة عقلية لا تستطيع فلسفة أى علم من العلوم التجريبية الأخرى أن تحققها ، ولقد ثبت على أساس من المعرفة الرياضية أن العقل أسمى من الاحساس وأن الالهام أسمى من التأمل • ومن ثم فقد قادت هذه الفلسفة الرياضية العقل الى ما وراء الطبيعة ، والى وضع نظرية عقلية فى المعرفة (١) •• » •

وهذه الفلسفة الرياضية التى يمكن تطبيقها على حياة الانسان فى جوانبها العملية والعقلية ، والتى قادت العقل الى ما وراء الطبيعة أصبحت هى الأساس المستخدم الآن فى كشف حقائق جديدة عن كل شىء ، حتى عن قوة الصلاة وعن أثرها فى شفاء الأمراض ، فمن كان يتصور أن هذه الأساليب تصلح حتى فى هذا النطاق وتأتى بنتائج لم تكن فى الحسبان ؟ ! وهذا ما سنفرد له أكثر من موضع فيما بعد •

ويكفى أن نذكرها هنا كيف أن الأساليب الرياضية يمكن أن تستخدم

---

(١) فى مؤلفه « تاريخ الفلسفة الغربية » ص ١٧
History of Western Philosophy

فى أمور كثيرة كانت لا تستخدم فيها فيما مضى ، خصوصا بعد أن عرفت قوانين ثابتة لما يصح أن يعزى للصدفة ، أو بالأدق لما يصح أن يفلت من نطاق النواميس المادية المعروفة ، وذلك فى شأن دراسة ظواهر كثيرة ذات طابع روحى ونفسى كان يهرب العلم المادى من دراستها فيما مضى نتيجة اعتقاد خاطىء بأنها لا يمكن أن تخضع للدراسة العلمية المنتجة ، أو انها غير صحيحة من أساسها .

وكما أنه لا مناص من اللجوء للرياضيات ، فانه لا مناص من اللجوء الى أحدث الحقائق عن الفيزياء ، والفضاء ، والفلك ، والروح ، والنفس ، والبيولوجيا ، والطب ... وغيرها للوصول الى فكرة أصح من غيرها عن علاقة الانسان بهذا الكون ، وذلك الى المدى الذى قد يسمح أكثر من غيره باجابة أكثر تحديدا ووضوحا من غيرها عن العديد من الأسئلة التى حيرت العلماء حتى الآن .

وعلماء العصر الحديث يفضلون الاستعانة بحقائق الرياضة الحديثة للتمييز بين ما ينبغى الاحتفاظ به من الأمور وما ينبغى استبعاده منها وذلك بداهة فى نطاق المعارف المختلفة المتطورة دواما بسبب تقدم الأساليب الحديثة فى البحث والاستقصاء . وعلى هذه الأساليب شيدت حقائق كثيرة حديثة مفرطة فى خطورتها ، ولا نبعد اطلاقا عن الحقيقة عندما نصفها « بالوضعية » . فشتان بين ما يمكن أن يوصف بهذا الوصف فى عصرنا وما كان يمكن أن يوصف به منذ خمسين عاما مضت ! ... ولا ريب أن دراسة كل ما يتصل بالنفس والروح يتطلب جهودا تتجاوز بكثير ما تتطلبه سائر العلوم الأخرى ، ويحتاج تريثا أشد فى ترتيب المقدمات ، وفى تحليلها ، وفى استخلاص نتائجها .

ولا ريب أن هذه الحقائق أصبحت تمثل فى جوهرها بنيانا وضعيا بمقدار ارتباطها بحقائق العلوم الأخرى ، وبصرف النظر عن موقف الاعتقاد منها . وسواء أوقف منها موقف التسليم أم المعارضة ، فان موقف الاعتقاد

يتسم دائما بمقدار من الغلو الضار ، هذا الغلو الذى يسود مشاعر المعتقدين فى كل مكان وزمان ، ولا يمكن أن تخفف منه الا رغبة تعقل الأمور وفهمها على حقيقتها حبا فى المعرفة الصحيحة لذاتها ، لا حبا فى الاعتداد بالرأى وبالذات ، وهى رغبة هيهات أن تتوافر الا لنبدرة من المفكرين المعتدلين المتعمقين ، ومن العلماء الجادين المثابرين .

وهذا البنيان الوضعى قد أثبت — على أية حال — أن المسالك الفكرية التى سلكها أفضل فلاسفة التاريخ — بل أبرز علمائه أيضا — فى بحثهم عن حقيقة النفس الانسانية وقيمها اللازمة لتهذيب العقل والوجدان وللوصول بالانسانية الى أعلى مراتبها — كثيرا ما تتضارب فى المظهر أكثر منها فى الجوهر ، وفى التعبير أكثر منها فى التقدير ، وفى الأسباب أكثر منها فى النتائج ، وبينها من الوشائج القوية ، الظاهرة والخفية ، أكثر مما يكفى لاستخلاص نظرية مترابطة تكاد تغطى بذاتها أهم ما يلزم للشعور الانسانى من دواعى الاطمئنان الى الحياة ، وبالتالى الى عدالة التقدير والمصير ، وأهم ما يلزمه للتخلص من شكوك رهيبة مدمرة لأثمن ما فى الوجود كله ، وهو راحة العقل والضمير ...

صلة الباراسيكولوجى بموضوع الخلود

والأمر المؤكد — على أية حال — هو أن هذه العلوم كلها ليست منقطعة الصلة بتلك القضية الكلية الكبرى ألا وهى قضية التقدير والمصير . وقد أكد هذه الحقيقة عالم من علماء النفس ذوى السمعة العالمية وهو وليام مكدوجال William McDougall — أحد الرواد — عندما عرّف موضوعات الباراسيكولوجى منذ سنة ١٩٢٠ بأنها « المحاولة المنظمة لتطبيق طرائق البحث العلمى فى هذه المسائل القديمة الجليلة : مسألة القوى فوق العادية للادراك والتراسل ، والحالات الخاصة بالنشاط والتأثير الحاصلة فى العالم الفيزيقى والتى لم يدرك كنهها لغاية الآن ، وأخيرا مسألة المسائل وهى استمرار الحياة بعد الموت » (١) .

(١) فى حديث له مع جريدة :
New York Everning Post No. 30 Oct. 1920.

وبطبيعة الحال فان موضوع المؤلف الحالى ليس هو تقديم بينات معينة على دوام الحياة بعد الموت ، فقد خصصت لهذه القضية الكبرى عدة كتب أخرى ، آخرها كتاب « الاتصال بين عالمين » من تأليف مؤلف بريطانى شاب يدعى ماثيو مانتج Matthew Manning ، وقد عربته بعد أن أضفت اليه أجزاء كثيرة جديدة لتوسيع رقعة البحث عن طريق اضافة وقائع أخرى عديدة للمقارنة وللمضاهاة فيما بينها وبين الظواهر الواردة فى الطبعة الانكليزية من الكتاب .

وليثق القارىء أن المؤلفات فى موضـــوع دوام الحياة بعد الموت أصبحت الآن تعادل فى عـــددها ونوعيتها المؤلفات فى أى علم آخر من العلوم التى ألفها الانسان ، وتحوى من البينات على دوام الحياة بعد الموت مثلمـــا تحوى كتب الفلك والجغرافيـــا من بينات على كروية الأرض أو دورانها حول نفسها وحول الشمس .

فالمقام الحالى لا يتسع أبدا للوقوف طويلا عند « مسألة المسائل » — بحسب وصف مكدوجال — وهى ثبوت دوام الحياة بعـــد الموت ، لكن لامانع من أن أقدم ثلاثة نماذج من أحدث هذه البينات كيما تكون تحت بصر القارىء للحكم لها أو عليها ، ولتقدير دلالتها المنطقية بنفسه .

ومن هذه البينات تلك الوقائع التى يرويها صاحبها الشاب ماثيو مانتج فى كتاب « الاتصال بين عالمين » . فهو يقول ان ثمة ظواهر تلقائية كانت تحدث فى منزل أسرته على مدى سنين عديدة وفى مدرسته الداخلية بسبب وجوده . وقد اشترك فى تحقيقها الدكتور جورج أوين George Owen الأستاذ بجامعة كامبردج ومدير «مؤسسة البحث فى الآفاق الجديدة» (١) بكنـــدا .

ومن هذه الوقائع أيضا أنه كان يتلقى عن طريق الكتابة التلقـــائية

(١) The New Horizons Research Foundation, Toronto, Canada.

رسائل عديدة من مراسلين روحيين مختلفين بخطوط متباينة وبلغات شتى منها الانكليزية التى يعرفها ، ومنها لغات أخرى لا يعرف منها حرفا : مثل الروسية ، والألمانية ، والاغريقية ، والعربية ... ويكتب ماثيو فى هذا الشأن ما يلى :

هل هى رسالة من روح برتراند راسل ؟

« كانت الرسائل التى أدونها تتفاوت بشكل صارخ بين رسائل راقية وأخرى توجب السخرية . ولعل السبب فى ذلك يرجع الى هذه الحقيقة وهى أن هذه الرسائل مسندة الى مستويات متفاوتة من الأشخاص من جو بلوجز Joe Bloggs (١) الى برتراند راسل Bertrand Russell (٢) .

ويبدو أننى ما لم أتطلب اجابة عن سؤال محدد فان محتويات الرسائل كانت غير واضحة ، أو تافهة ، أو لا معنى لها .

وأحط هذه الرسائل يبدو قادما من منتقلين سبق أن أدمنوا الخمور ، فراحوا ضحايا حوادث سيارات ، لذا أرسلوا خطابات يقولون فيها أن الخمر قتلتهم ، أو أنهم لا يشعرون بألم ، أو أن موتهم كان سريعا وبدون ألم . أما أرقى هذه الرسائل فيبدو أنه صادر من أشخاص مثل برتراند راسل الذى وضعت له السؤال الآتى :

---

(١) يبدو أنه شخص نكرة اتصل المؤلف بروحه ، ولم يوضح أية بيانات تكشف عن هويته .

(٢) هو الفيلسوف الرياضى المعروف (١٨٧٢ — ١٩٧٠) وهو صاحب مذاهب علمية المنهج الفلسفى ، والذرية المنطقية ، ونظرية الواحدية المحايدة التى مقتضاها أن العقل والمادة مشتقان من هيولى محايد لا هى عقل ولا مادة . وهو من أبرز فلاسفة القرن العشرين . وكان ينكر المادة كما ينكر الروح والخلود . لكنه بعد أنتقاله عنى — فيما يبدو — بتصحيح آراء فى هذا الشأن على يد هذا الغلام الوسيط بنفس أسلوبه ومنهجه المعروفين — بل بنفس خطه أيضا .

« هل تغيرت آراؤك عن الحياة بعد الموت منذ أن متّ ، أم أنك لا زلت تعتقد بأنه لا توجد حياة بعد الموت ؟ »

ولأمر ما كنت أتصور دائما أن أسمه الصغير برترام Bertram (بدلا من برتراند) ، ولذا فقد دونت اسمه على هذا النحو على رأس الورقة كما تعودت أن أفعل دائما ، اذ أدوّن اسم الشخص الذى أرغب فى التراسل معه • وبعد أن دوّنت السؤال تلقيت الجواب التالى :

« تعود الحياة الى طريقها من داخل ضباب ، وسرعتها هى استقرارها من جديد : ووجود هذا العالم للأشياء وللأشخاص انما يجدد فى النهاية حاجتهم المنتفية لأن يوجدوا • المعرفة ستدرس الآخرين من جديد ، والحكمة كائنة فى معرفة الذات • العضلات تتحكم فى الآخرين ، أما التحكم فى الذات فلم يعد له وجود • القناعة لا يمكن أن تحتاج للاقتراض ، والطموح يتجول أعمى •

وبقدر ما تشق الحيوية طريقها الى الأعماق فانها تترك الموت وراءها • والكون غير قابل للفناء لأنه ما دام لا يملك ذاتا غير متناهية فانه يظل غير متناهٍ • ولقد تجلّى لى الوضوح فى السماء ، والنقاء فى الروح ، فليس للانسان موت يموته » • برتراند راسل •

وكان التوقيع بالاسم الصحيح ، مع أننى لو كنت أنا كاتب هذه الرسالة لوضعت الاسم خاطئا كما تعودت • ومن حق القارىء أن يحكم ما اذا كانت هذه الرسالة قادمة فعلا من المصدر المنسوبة اليه • فاذا صح أنها منه فانه يكون قد لحق آراءه تغيير نتيجة اختباراته اللاحقة للموت ، ومن الغريب أن يستخدم تكوين الجسم الانسانى للتشبيه ، مع أنه يكتب عن موضوع روحى •

Bertram Russell.

Have your views on life after death changed since you died? Or do you still believe that there is no life after death?

Life returns on its way into a mist, its speed is its quietness again existence of this world of things and men renews ultimately their never needing to exist. Again knowledge will study others – wisdom is self-knowledge and muscle makes brothers, self mastery is bone; content may never need to borrow ambition with ... and as vitality ... to the ... leaving death behind. The universe is deathless because having no infinite ... it stays infinite. Clarity has been manifest in heaven and purity in the spirit. Man has no death to die.

Bertrand Russell

صورة بالزنكوجراف لهذه الرسالة

ماذا عن مضاهاة الخطوط والأساليب ؟

وقد يثار تساؤل طبيعى — فيما يتعلق بالكتابة التلقائية أو المباشرة بحسب الأحوال — عن مدى مطابقة خط الرسالة القادمة من الغيب عن طريق الوسيط أو الوسيطة لخط الروح المراسل عندما يكون شخصا معينا بالذات ، وبالتالى عندما تكون المضاهاة ممكنة بين الخطين ؟

والجواب أنه هناك نقطة بالأقل ليست محل خلاف فى هذا الشأن وهى أن الكتابة التلقائية تؤدى الى حدوث تغيرات فى خط الوسيط عن خطه الأصلى الى مدى قريب أو بعيد . أى ان التغير لابد أن يحصل ، وفى ذلك ما يميز ظاهرة الكتابة التلقائية عن الكتابة بالتلباثى ، أو بالتخاطر ، حيث لا يحصل أى تغيير فى الخط فى هذه الصورة الأخيرة من الوساطة .

انما هل تكون كتابة وسيط الكتابة التلقائية حتما مطابقة تماما لخط الروح المراسل وتوقيعه أم لا ؟ ان الأمر عندئذ يتوقف على مدى احكام الهيمنة على وعى الوسيط أو على يده ، فكلما كان الاحكام قويا كلما اقترب خط الوسيط اقترابا واضحا من خط الروح المراسل وتوقيعه . وكلما كان احكام الهيمنة ضعيفا كلما ظهر وجود بعض فروق قوية أو ضعيفة بين الخطين وبين التوقيعين .

ومن ثم فلا يصح ان نستنتج من وجود بعض فروق — طفيفة أو جسيمة — فى المميزات بين خط « الرسالة التلقائية » وخط الشخص المسندة اليه انتفاء هذا الاسناد حتما ، اذ أن اليد الممسكة بالقلم هى فى نهاية المطاف يد الوسيط ، ومن ورائها جهازه العصبى الخاص به ، وليست يد الكائن المراسل وجهازه العصبى . ولذا كثيرا ما تجمع « الرسالة التلقائية » بين بعض خصائص خط الشخص المراسل مضافة الى بعض خصائص خط الوسيط نفسه ، أى تكون مزيجا مركبا من خصائص الخطين معا .

ويتعذر أن يكون التطابق فى الخطوط تاما أو شبه تام حتى فى حالة وقوع الوسيط فى غيبوبة تامة ، لأن الغيبوبة وان كانت تؤدى الى تعطيل جزئى للجانب الواعى من عقل الوسيط الا أنها لا تؤدى طبعا الى تعطيل الجانب غير الواعى منه (اللاشعورى) بل الى تنشيطه وبالتالى لا تؤدى الى الغاء كل تداخل من يده أو أعصابه فى خط الرسالة التلقائية وتوقيعها .

ولأن الجهاز العصبى للوسيط يعمل فى مثل هذه الحالة فى ظروف مغايرة للمألوف الانسانى ، فانه لا يشترط أن يكون التطابق تاما ، بل يكفى توافر نسبة كافية من السمات المشتركة بين الخطين لامكان القول بحدوث هيمنة ما على وعى الوسيط (الشعورى فى اليقظة واللاشعورى فى الغيبوبة) أو على يده .

وفى حالات « الكتابة المباشرة » بواسطة شخص مراسل من المتوقع أن تكون نسبة أوجه التقارب بين خط هذا المراسل حاليا ، وخطه السابق قبل الانتقال أقوى وأظهر من حالات الكتابة التلقائية بالنظر الى أن تداخل وعى الوسيط (الشعورى أو اللاشعورى بحسب الأحوال) لا يكون لازما فى هذه الحالة الأخيرة ، بل كل ما قد يلزم لتحقيق التراسل بهذا الأسلوب النادر هو انتزاع طاقة معينة من الوسيط تتراوح بين نصف فيزيقية ونصف روحية ، نابعة مما يطلق عليه وصف « السيال الحيوى » Fluid vital .

ولكن لابد على أية حال من حدوث اختلاف — ولو على نحو ما — بين خط الوسيط العادى وخطه عندما يكتب بأى أسلوب وساطى فيما عدا أسلوب التخاطر أو التلباثى ، حيث يدوّن الوسيط كل شىء بيده وبأعصابه الخاصة وهو فى كامل وعيه وبخطه المألوف ، وبدون أن يروح فى أية غيبوبة أو شبه غيبوبة .

* * *

هذا وقد قام خبير خطوط متمكن بعملية مضاهاة دقيقة بين خط ماثيو ماننج والخطوط المستخدمة فى بعض الرسائل التلقائية التى كتبها . وخبير الخطوط هذا يدعى دافيد فروست David Frost بتكليف من « التليفزيون البريطانى » قبل عمل برنامج تليفزيونى لماثيو ، فكانت نتيجة المضاهاة ايجابية . وكأن الرأى صريحا وقاطعا فيما يتعلق — بوجه خاص — بالرسالة المسندة الى برتراند راسل ، لأن هذه الرسالة تحمل أكثر من وجه للشبه الدقيق مع خط هذا الفيلسوف الراحل قبل انتقاله والخط المسند اليه بعد « الانتقال » على حين أنها لا تحمل من خصائص خط ماثيو الا الحد الأدنى لما يمكن أن يوجد فى مثل هذه الظروف .

ويكفى فى هذا الشأن أن يراعى أن ماثيو كتب الرسالة فى ثلاث دقائق فقط على حين أننا لو وضعنا أمامه خطابا واردا من صاحبه لتقليد خطه لوجب أن يكون التقليد بطيئا جدا ، ولاستغرقت عملية كتابة الرسالة

المقلدة حوالى عشر ساعات ، ولما جاء الخط بمثل هذا الاتقان ، لأن تقليد خط انسان آخر فى خطاب كامل هو فى ذاته من الأمور المشكوك فيها ، حتى ولو جرى التقليد ببطء شديد (١) .

وبالاضافة الى تشابه الخطوط فان الباحثين العلميين يفضلون التعويل فى هذا الشأن على منهج الكائن المراسل ، وأسلوبه فى التفكير وفى التعبير ، وفى نوعية معلوماته وثقافته ، ومستواه الذهنى ، وميوله ، واتجاهاته الوجدانية ، والعقلية ، والأخلاقية ... وكافة الخصائص المميزة « لشخصيته الوجدانية » أكثر مما يعوّلون على مدى تطابق الخطوط فى الرسائل التى قد ترد بالطرق الوساطية ، وذلك لما أسلفناه من أسباب ومن اعتبارات عملية من المحال تجاهلها أو التغلب عليها .

وقام باحث فى الفلسفة بتحليل الرسالة المسندة الى برتراند راسل من ناحية المنهج الذى جرت عليه لمضاهاته بمنهج راسل فى التفكير ، فعثر على وجود عدة أوجه دقيقة للتطابق بين المنهجين ، وهى أوجه يتعذر على الفتى الناشىء ماثيو أن يكون قد أحاط بها بالطرق المألوفة لحداثة سنه ، ولانقطاع كل صلة له بالفلسفة (٢) . ثم هل يمكن أن يحدث تقليد المنهج الفلسفى بغتة وفى دقائق معدودة ؟ !

وشرح هذا المنهج بأسانيد كافية أحد الباحثين وهو يدعى تيرى هيكسون Terry Hickson فى خطاب بعث به الى المؤلف بعد أن قرأ كتابه هذا شارحا له فيه — بتفصيل كافٍ — بعض خفايا المنهج عند برتراند راسل التى اكتشفها فى هذا الخطاب المسند اليه بعد انتقاله ، مما جعله يطمئن تماما الى صحة هذه المبيّنة عن دوام الحياة بعد الموت

---

(١) راجع التقرير برمته فى جريدة « الأنباء الروحية » Psychic News البريطانية عدد ٢٣٢١ فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٧٦ ص ٨ .

(١) وذلك الى حد أنه لم يكن يعرف اسم الفيلسوف وكان يتصور خطأ أنه يدعى برترام Bertram لا برتراند Bertrand .

بل فحص هــذا الباحث الرسالة من زاوية « علم فقه اللغــة » Philology وانتهى الى نفس النتيجة الايجابية •

كما فحصــها من ناحية طريقة برتراند راسل فى التعبير بالكنايات والاستعارات الشعرية فى مناسبات عديدة بكيفية معينة لا يعرفها سوى الراسخين فى الالمــام بأسلوبه وطريقته فى التعبير • هــذا الى اهتماماته بموضوعات الحياة والمــادة والعقل والفناء ••• حتى ولو كان قد غيَّر رأيه تغييرا جذريا متوقعا من انكار الخلود ، وهو ما كان متشبثا به قبل وفاته ، الى التسليم به بعد أن لمس بنفسه صحته بعد الوفاة ، أو بالأدق بعد ذلك التحول الطبيعى الذى نطلق عليه خطأ وصف « موت » ونعتقد أنه محض فناء أو اختفاء ! !

واقعة أخرى أمام شهود ثقات

وهذه واقعة حدثت فى سنة ١٩٣٧ أمام شهود ثقات مضمونها أن الموسيقار الألمــانى المعروف شومان Schumann قد أملى رسالة روحية فى لندن للارشاد عن مكان قطعة كونسرتو كانت مخفاة ولا يعلم أحد عنها شــيئا •

ففى ٢٣ سبتمبر ١٩٣٧ اتصل مراسل جريدة بارى ــ سوار Paris Soir الفرنسية بالتليفون مع ادارة جريدته وأملاها الخبر الآتى الذى نشر فى العدد الصادر فى ٢٤ سبتمبر ١٩٣٧ : حدثت معجزة سوف يفرح لها الروحيون فى العالم أجمع اليوم • وهى معجزة جادة الى حد أن شهد بصحتها مندوب الاذاعة البريطانية ، وسفير السويد فى لندن (١) ، وعازفة الكمان المعروفة الوسيطة السيدة جيللى دارانى Jelly d'Aranyi الذين يؤكدون أن شومان قد أرسل رسالة من العالم الآخر •

---

(١) وسفير الســويد فى لنــدن عالم فى الطبيعيات معنى بالظواهر الروحية يدعى الكونت أريك بالمستيرنا Eric Palmastierna

فقد شرح روح الموسيقار أين يوجد انتاج مجهول له كان من المعتقد أنه أصبح بعيد المنال • وبالبحث عن هـذا الانتاج المفقود ، عثروا عليه فى المكان الذى حدده •

واليك البيان عن كيفية سير الأمور : كان يوجد منذ وقت طويل فى « أرشيف برلين » كونسرتو لشومان لا يعلم عنه أحد شيئا • وفحسب بعد مائة عام من وفاة الموسـيقار ، أى بعد عشرين عاما فقط كان يجوز عزف هذا الكونسرتو لأول مرة (بحسب الرغبة التى أبداها صاحبه قبل وفاته عند ايداعه فى أرشيف برلين) •

ففكرت جيللى (وهى وسيطة روحية وعازفة معروفة للكمان) أنه من الجائز أن تجد نسخة من الكونسرتو مخفاة فى مكان آخر (غير أرشيف برلين) وقدرت أنه لا يوجد أحد أفضل من شومان نفسه لارشادها عن مكانها اذا شاء •

ولذا جلست فى ليـلة بجوار لوحة الحروف الهجائية Ouija Board (وهى من وسائل الاتصال بالأرواح) ووضعت عليها كأسا مقلوبا ••• فحدث شىء غريب ، وهو أن شومان اتصـل بالحاضرين وأخذ يحادثهم باللغة الانكليزية (رغم أنه ألمـانى) • وعندما سأله أحدهم عما اذا كان هو شومان نفسه الذى يتحدث أجاب بالألمـانية قائلا « نعم أنا نفسى » •

وعندئذ أراد أن يؤكد شخصيته من جديد فقال انه ترك ٤ نسـخ من هذا الكونسرتو المجهول كاملة لا ينقصها شىء ، منها نسخة موجودة حاليا فى لندن وأرشد عن مكانها ، فعثروا عليهـا بالفعل فى المكان الذى حدده بالضبط •

وللاحتفال بالعثور عليها من جانب ، ولشكر شومان على ارشـاده من جانب آخر ، فقـد قرروا عدم انتظار الميعاد الذى حدده قبـل وفاته لعزف هذا الكونسرتو لأول مرة (وهو بعد مضى مائة عام على وفاته)

بل سيجرى فى لندن يوم ٢٠ أكتوبر المقبل (من سنة ١٩٣٧) ـ أى بعد ثمانين عاما فقط من وفاة هذا الموسيقار العبقرى ـ عزف هذا الكونسرتو الذى تم العثور عليه بطريقة اعجازية (١) .

والتحقيقات الروحية الجادة حافلة الآن بالآلاف من الوقائع المماثلة التى حدثت فى حضور شهود ثقات ، والتى لا يمكن تعليلها أبدا بقراءة الفكر Telepathy ، لأن أحدا فى العالم كله لا يعرف أين كان يوجد هذا الكونسرتو الكامل الذى أرشدهم عنه ، والذى عزفوه فعلا ، بغير حاجة الى النسخة الأخرى التى كانت مودعة بمعرفته فى أرشيف برلين ، والتى كان من المفروض ألا ترى النور قبل سنة ١٩٥٧ أى بعد مضى مائة عام على وفاته كما طلب . ولا ريب أنه قد عدل عن هذه الرغبة الغريبة التى بدت له بلا أى داع فيما بعد (٢) .

واقعة حديثة حققها راين

وهذه واقعة أخرى لهـا دلالة واضحة فى استمرار دوام الحياة بعد الموت . وقيمتها مستمدة من أن جوزيف ب. راين Joseph B. Rhine قام بتحقيقها والتثبت من كل تفصيلاتها . وراين هذا كان الى حين وفاته فى سـنة ١٩٨٠ رئيسا لقسم الباراسيكولوجى بجامعة ديوك Duke بولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية ، ثم أصبح مديرا « لمؤسسة البحث فى طبيعة الانسان » (٣) التابعة لنفس الجامعة . وقسم الباراسيكولوجى هـذا أسسه وليـام مكدوجال العالم النفسى الذائع الصيت .

---

(١) راجع بارى سوار Paris Soir عدد ٢٤ سبتمبر ١٩٣٧
وأيضا : Paul Alex . Ce Mort que vous pleurez est vivant. 1946 P. 117 — 118.

(٢) ومن يدرى ، فلعل أرشيف برلين هذا قد تم تدميره فى الحرب العالمية الثانية ، ولولا هذه الرسالة الروحية لما أمكن العثور على هـذا الكونسرتو ، ولضاع الى الأبد .

(٣) Foundation for Research on the Nature of Man.

وراين رغم أنه أخذ يواصل تحقيقاته فى اطار الباراسيكولوجى على مدى أكثر من أربعين عاما الا أنه ظل متحفظا جدا فى نتائجها ، الى أن سلم بثبوت دوام حياة الانسان بعد الموت بعد تحقيق العديد من الوقائع الصارخة • منها على سبيل المثال واقعة بطلها طفل فى الرابعة من عمره توفى والده ، وبعد « وفاته » بأسبوعين لاحظت أمه أنه أخذ تلقائيا يسوّد صفحات « كراسة » وقعت فى يده بخطوط عجيبة •

وما أن ينتهى الطفل من تسويد صفحة حتى يقلبها ويسوّد الصفحة التى بعدها وهكذا حتى انتهى من شغل ثلاث صفحات كاملة قطعها من الكراسة وطواها • واتضح أن الكتابة التى خطها الطفل عبارة عن رموز اختزال عتيقة لا تستخدم الآن • وبعد فك هذه الرموز اتضح أنها عبارة عن رسالة قادمة من والده المتوفى الى والدته تحتوى على عبارات حب ، واشارة الى أن جانبا من الأوراق الهامة التى تتضمن بعض الايصالات ووثائق التأمين توجد فى خزانة خاصة بأحد مصارف نيويورك •

وبعد أن تحرت الزوجة الوقائع الواردة فى هذه الرسالة الفريدة اتضح لها صحتها كلها • حيث وجدت جميع الأوراق الهامة المنوه عنها فى خزانة المصرف ، وكانت سبيلها إلى ازالة بعض المتاعب المالية التى طرأت نتيجة الوفاة المفاجئة للزوج • كما اتضح أن الوالد المتوفى كان يعمل قبل زواجه كاتبا للاختزال ، وأنه كان يستخدم نفس هذه الطريقة الفريدة فى الاختزال التى سوّد بها ابنه الطفل ذو السنوات الأربع ثلاث صفحات كاملة •

فهل يعرف علم النفس التقليدى أى تعليل لهذه الوقائع الثابتة ؟ وهل بمقدور أى عالم نفس تقليدى أن يقدّم الينا أى تعليل يروى الغليل ؟ !

* * *

والتعليل الواضح لهذه الظواهر كلها هو ذلك الذى أقنع الآلاف

من العلمــاء الجادين الذين بدأوا منكرين اياها من أساسها : وهو دوام الحياة الانسانية بعد تخليها عن الجسد المــادى . وهذا التعليل الواضح البسيط يلتئم مع كتلة معارف الانسان فى شأن الطبيعيات ، والبيولوجيا ، والتطور ، واللاشعور ، والادراك خارج الحواس ، والصــلة بين العقل والمــادة ، والنمو وتجدد الأنسجة والخلايا ...

ناهيك بسائر المعتقدات والقيم الأخلاقية التى ترجع للوراء منذ بدأ ظهور الضمير ، وظهور التفكير المستنير . أى الى بدأ ظهور ما يطلق عليه « الانسان المتحضر » أو « الانسان الأخلاقى » ، كما ينبغى أن يكون . وهذا التعليل المفرط فى وضــوحه ، بقــدر ما هو مفرط فى خطورته ، تناوله بالتحليل وبالدراسة الموضوعية الناقدة عدد لا يحصى الآن من قمة علماء القرنين المــاضى والحاضر .

لذا فقد كانت أبحاث هذه الظواهر غير المــألوفة هى التى نجحت فى تحويل مفكرين وفلاسفة عديدين من الالحاد غير المدروس الى الايمان المدروس بوجود القدرة الخالقة ، ودوام الحياة بعد الموت ، وســلطان النواميس الخلقية على تسلسل الأحداث . وهذه هى — فى جوهرها — ركائز الايمان النقى ، وأركانه ، وأسانيده المطلوبة منذ عرف الانســان طريقه نحو الايمان عن طريق الالهام غير الواعى قبل طريق الاســتدلال الواعى .

الفصل الثانى

ماذا عن وضع الباراسيكولوجى عنـــدنا ؟

كلنـــا نعلم أن الأبحاث العلمية فى الباراسيكولوجى لم تبدأ عندنا بعد ، بل هى لم تبدأ بعد فى الشرق الأوسط كله ، رغم أننا ألفنا محاولة اللحاق بالركب العلمى العالمى فى سائر المجالات الأخرى ، خصوصا منها ما يتصل بالطب ، والطب النفسى ، وليس لهذا الجمود العلمى من سبب واحد كيمـــا يبرره ســـوى أن العديدين لا يزالون يجهلون موضـــوعه الحقيقى ، لذا يقاومونه بلا اطلاع ولا دراسة ، لأن الناس بطبيعتهم أعداء لمـــا جهلوا ، حتى ولو كان هذا الأمر الذى يجهلونه بمقدوره أن يقدم لهم أجل الخدمات المعنوية والمـــادية •

وأبحاث هـــذه الظواهر تكشفت تدريجيا عن نتائج متزايدة مفرطة فى خطورتها ، حتى لقد أصبحت هذه النتائج هى الركيزة الأساسية لتطور الحياة نحو مفاهيم اجتماعية وفلسفية أرقى مما عهدناه فى المـــاضى وأنبل وأجدى • وهى مفاهيم كفيلة وحدها بأن تسد ذلك الفراغ الذى يتهدد تطور الحياة بأفدح الأخطار •

وكل ذلك لا يمكن بطبيعـــة الحـــال أن تدحضه تلك الأســـاليب الانشائية ، ولا العبارات الرنانة ولا تلك الشعارات المتعالية الجوفاء التى ألفناها فى شرقنا الأدنى ، والتى جنت ـــ ولا تزال تجنى ـــ على كل تطور علمى أو حضارى فيه ، سواء أكان ماديا أم روحيا • حتى لقـــد أصبحنا فى هـــذه المنطقة ضحايا الحناجر العالية ، والشعارات المتعالية !

وهذه الشـــعارات تجد استجابة سهلة سريعة من الجماهير لأنهـــا بطبيعتها تحب التطرف والغلواء ، ومعهما الجمود والانطواء ••• وكأنه

لا يوجد أبدا ناموس طبيعي بدعه الاله تعالى يدعى ناموس التطور والارتقاء !! مع أن هذا الناموس يحكم تطور الأحداث بلا تعثر ولا التواء ، سواء عرفناه أم جهلناه ، وقبلناه أم رفضناه !!

جناية الجمود على التطور العلمى

وهذا التوقف عن التطور هو الاعتبار الأساسى الذى يعلل ذالك الفراغ الضخم الكائن فى مشاعر فئات عديدة من الشباب ، من جميع الميول والاتجاهات الذى يتحدث عنه الكتاب كثيرا بغير أن يجدوا له تعليلا سديدا ، ولا لمواجهته دواء مفيدا .

فبسبب التوقف عن التطور أصبحنا فى صراع عقيم فاشل مع حضارة العصر ، وقيمه ، ومفاهيمه السائدة ، وكلها متطورة دواما . وهى قيم ومفاهيم تغاير تماما ما ألفناه منها ، ولذا يجد العديدون أنفسهم عاجزين عن متابعتها ، وغير قادرين على التغاضى عنها . فتندلع صور شتى من الصراع الطويل المرير معها ، والتى قد تأخذ أحيانا صيغة الانطواء والهرب من واقع الحياة المتطورة ، أو صيغة الصراع العنيف اليائس معها ، ومع العصر ، ومع المجتمع كله ...

وليس العلاج طبعا فى التمسك الانفعالى بصحة كل المفاهيم والقيم المتوارثة البالية ، مع محاولة فرضها على الآخرين فرضا ، بل هى فى محاولة متابعة التطور الحضارى ، واقتباس ما يناسبنا وما يلزمنا منه ، وبشرط أن تتقبل مبدأ التطور فى ذاته بوصفه أخطر ناموس من نواميس الله تعالى التى تحكم الوجود كله ، والتى لاغنية عنها لارتقاء الحياة فى نفوس الناس وعقولهم ، قبل أن يكون الارتقاء فى المظاهر الجوفاء والصيغ المادية للحياة التى لا تعنى فى نطاق التطور شيئا ولا تغنى فتيلا .

وهذا التطور يتفاعل دائما مع ارتقاء النفوس وتهذيب انفعالاتها وغرائزها . ولعل أخطر هذه الغرائز وأعمقها أثرا فى توجيه سلوك الانسان

وانفعالاته هى غريزة الاحســـاس بالمجهول التى لا نزال نتجاهل خطورة دورها ، وقيمة انفعالاتها ، ونتصور أنها ينبغى أن تبقى على حالها ، وأن تفلت حتما من ناموس التطور والارتقاء ، وأن على انفعالاتها أن تتشبث بالمــاضى دائما ، وتتراجع الى الوراء أو تتوارى فى الخفاء ! ! ..

ولا توجد وســيلة لتهذيب انفعالات هذه الغريزة ، وملء الفراغ الشاغر فى انفعالاتها ، وفيما يرتبط به امن ردود فعــل عقلية ووجدانية أفضل من الركون الى حقائق العلم — وهى فى تطور دائم نحو الأمام — لايضاح الأمور ، ووضع المفاهيم والقيم على أسس علمية واقعية نقية من شوائب الغلو ، والغموض ، والارتجال ، والخرافة ...

واتباع هذا المنهج الســليم كفيل وحده بتخفيف الحواجز النفسية التى تفصــل بين مكان وآخر ، وجيل وآخر ، واعتقاد وآخر . وهــذه الحواجز راسخة فى النفوس منذ القدم عندما كانت الفواصل والمسافات بعيدة ورهيبة لتخلف وسائل الانتقال المــادية والذهنية ، بل انعدامهــا فى أغلب الأحايين . وكانت تسندها مخاوف عديدة ، تتراوح بين حقيقية ووهمية ، لكنها كلها لا تمثل أى نمو فى الأخلاق والوجدان ، ولا أى نضج فى العقل والعرفان . فهذه الفواصل هى فى الواقع ميراث الانسانية من ماضيها السحيق الملىء بأسباب الصراع والبغضاء .

وهذه المخاوف ، ان كانت أسبابها قد تراجعت الى حد ما فى العصر الراهن الا أن لها أسبابا أخرى لا تزال قائمة مستمدة من غرور الانسان ، وجهالته ، وحبه للتسلط وتفاهته ، عند محاولة تكييف علاقته بنفسه ، وبالآخرين ، وبالعصر الذى معه يتعامل ، وبالكون الذى فيــه يعيش .. وعن هذا الطريق بوجه خاص لا يزال ينشب كل صراع يائس مع النفس، ومع العصر ، ومع الأقدار .. بل ينشب أيضا كل صراع مرير مع الفضيلة والحب والوداعة بنفس المقدار .

ولا شيء بمقدوره أن يوقف مخاوف الخائفين من التطور واندفاعاتهم ، سوى جهود الباحثين العلميين وتضحياتهم ... وعن هذا الطريق حقق التطور — كناموس طبيعي — بعض أهدافه ، رغم كل العقبات الكأداء التي وضعت ولا تزال توضع في طريقه بمعرفة الجامدين الكارهين لكل تطور مهما كانت قيمته ، ومهما كانت منافعه واضحة جلية للعيان .

والانسان بوجه عام يؤلمه التطور في آرائه ، أو في قيمه ، ومفاهيمه الراسخة مهما كان طفيفا ، وان تفاوتت درجات الألم تفاوتا طبيعيا ضخما بين انسان وآخر وشعب وآخر . فلا يوجد — كما يقول الفيلسوف وليام جيمس — « أكثر ايلاما في العالم لأي انسان من قبول رأي جديد » .

وهذه النزعة تقع وراء تزايد المقدرة على كراهية التطور التي جنت على حضارة الشرق كل هذه الجناية الرهيبة ، والتي يلزم أن نلمسها بأنفسنا وأن نقر بها ، وأن نعالج أسبابها ودوافعها ، قبل أن يلمسها الآخرون اذا ما أردنا أن نستعيد للشرق العريق مجده التليد ، ودوره المجيد .

وبطبيعة الحال كلما رسخت أقدام الجمود والتخلف كلما ازداد الألم من التطور . فهو يدور معه في حلقة مفرغة لا تتوقف عن الدوران ما لم يستخدم الانسان جهدا ضخما في تزوده بالعرفان ، وفي استخدامه الكامل لحريته المحدودة في الاختيار .

فهذه المقدرة على كراهية التطور تجيء أيضا من ناحية سوء استخدام حرية الاختيار ، التي نملك ولاريب قدرا ما منها ولوكان محدودا . فكما أن التطور يمثل ناموسا طبيعيا للحياة ، فان حرية الاختيار تمثل ناموسا طبيعيا آخر .... والويل للانسان عندما يسيء حريته في الاختيار على

نحو أو آخر فى مقاومة نواميس الحياة ، التى تطالبه دائما بالمزيد من التطور فى الاتجاه الروحى الصحيح .

* * *

ولا شىء بمقدوره أيضا أن يفتح الباب لاحتمال تطور العقل ، وثراء المعرفة سوى توافر قدر وفير ولازم من « فضيلة الدهشة » التى يصفها الدكتور يحيى الرخاوى أستاذ علم النفس بأنها « نافذة على المعرفة » ويقول فيها بحق « ان الدهشة الخلاقة ، والتقبل الابداعى ، والاستطلاع اليقظ قد أصبحت جميعها من أقل الصفات التى تصف حياتنا العقلية .

ولعل فى هذه الظاهرة المتواترة (ظاهرة الدهشة) ما ينبهنا بشدة الى ضرورة اعادة النظر فيما حدث فى عقولنا حين كانت تستسلم تماما للمعلومات المصقولة من كل مصدر ، حتى أصبحت مخزنا للمعلومات أكثر منها مصنعا للأفكار . كما لعله ينبهنا الى أننا نلتقى ونجتمع لندافع عما نعرف ، لا لنحاول أن نعرف ما لا نعرف ، كما لعله ينبهنا أخيرا الى أننا نقرأ لنؤكد ما نؤمن به لا لنفحص ونراجع ما نؤمن به .

والثقافة ليست موقفا من الحياة فحسب ، وانما هى قدرة على الحياة ، وتنبع هذه القدرة من الاحتفاظ بأبواب العقل مفتوحة لكل جديد ، مندهشة لكل اختلاف ، سامعة لكل رسالة ، وحتى يتم ذلك لابد أن نبدأ فى اعادة النظر فى موقفنا من كل شىء . وأن نعلم أن العقل البشرى هو كيان مندهش بالطبيعة ، لأن غريزة الدهشة هى الدلالة الأولى على أن شيئا جديدا يصل اليه ....

وأخطر الخطر على عقولنا هو أن تتبادل المعلومات من موقع اليقين المستتب ، فا نهذا اليقين ليس الا صفة الله وحده ، أما ونحن مازلنا بشرا فلابد من مساحة كبيرة من الجهل المعرفى (ليس هناك تناقض فى التعبير) الذى من خلاله يمكن أن نواصل مرونة تواجدنا متزايدة الاتساع ، متمتعين بما أحب أن أسميه هنا « فضيلة الدهشة » وبيان ذلك :

أن تندهش حين تقرأ ما يخالف رأيك ، وتعيد النظر فيه ، وتحاول تقصيه ، وتتصور امكان صحته ... هذه فضيلة .

وأن تلتقى بانسان آخر مختلف تماما عنك فتنصت له ، ويرتفع حاجباك دهشة وتقديرا لبعد المسافة بينكما ، ولكن بدلا من أن تزيدها بعدا هربا من الاختلاف تتقدم بشجاعة تتعرف على ما كان يمكن أن تكونه ... وتتشجع أكثر فتوقن أنه « ربما » ... وأنك « ربما » فهذه هى روعة التفكير وكرامة العقل ...

يا ترى كم منا يستطيع أن يعيد النظر فى حكاية « يحيا الثبات على المبدأ » حتى ليخجل من نفسه — ولو سرا — وهو يفخر بهذا الزعم ؟ لأن الثبات على المبدأ قد يشير ضمنا الى الجمود أو البلادة أو الرعب الدفين ...

وان حيوية أمة من الأمم يمكن أن تقاس بمدى وفرة هذا النوع الجيد من البشر (الذى يتمتع بفضيلة الدهشة) ، ولعل فائدة الديمقراطية الوحيدة هى أنها تتيح قدرا من الأمن والأمان خليقا بأن يسمح للعقل البشرى بالتجول مع العقول الأخرى ، والتنقل بين الأفكار الأخرى ، والانصات للاحتمالات الأخرى ...

ومن هذه الرحبة يمكن أن تهب علينا نسمات المعرفة الحقة ، المحملة بلقاح الحياة المتجددة ، واذا بنا نتمطى متألمين بعد طول التجمد والقرفصة لنكتشف برود رخام القبر الذى ترقد فيه عقولنا ، لا يخفف منها جمال نقوش الرثاء على جدرانه » (١) .

وهذا القول الصحيح فى جملته وتفصيلاته يلزمنا أن نعيه جيدا ، وأن ندخله الى حيز التطبيق العملى بدلا من مجرد التأكيد النظرى ، لأن

---

(١) عن مقال له عنوانه « فضيلة الدهشة ... نافذة على المعرفة » بجريدة الأهرام عدد الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٨٠ .

التأكيد النظرى عليه لا يجدى فتيلا ، بل من شأنه « أن تصبح عقولنا مخزنا للمعلومات أكثر منها مصنعا للأفكار » ... وتستوى فى ذلك عقول العلماء مع عقول سواد الناس ، لأن ما يميز العالم الصحيح قدرته على أن يصنع الأفكار لا على أن يختزنها .

وكيف يتأتى أن نصنع الأفكار اذا كنا قد ألفنا فى الشرق تماما حكاية « يحيا الثبات على المبدأ » وتولت فئات عديدة من « العلماء » و « المفكرين » تثبيت هذه الحكاية ، أو بالأقل الالتزام بها ، والعمل بما تقتضيه ، لمناهضة أى تطور علمى أو اجتماعى ؟ ! وذلك بلا بحث ولا دراسة ، بل غالبا من « موقع اليقين المستتب » .. والكل يتصور أن هذا الموقف أو ذاك حق ما دام من الحق دائما معاداة كل تطور رغم صحة سبله ونبل أهدافه ! ! .

التفاعل بين الجمود والغموض

ومن يرفض التطور يرفض التفوق والسبق فى مضمار الحياة لأن التطور هو السبيل الأوحد للتفوق والسبق . ومن يتخلف عن التطور يدفع الثمن غاليا من سعادته ، واطمئنانه ، وسلامه مع نفسه ومع الآخرين. ويشترك معه فى دفع هذا الثمن الباهظ كل المجتمع من حوله بحكم ناموس طبيعى آخر لا يقل صرامة عن ناموس التطور ، وهو ناموس التضامن الاجتماعى . فالفرد — خصوصا اذا كان ناميا فى مستوى الوعى والأخلاق — مسئول ازاء المجتمع ، كما أن المجتمع مسئول ازاء الفرد خصوصا اذا لم يكن ناميا . والنضال للتطور فى الاتجاه الصحيح واجب مقدس يقع على عاتق الفرد بقدر ما يقع على عاتق المجتمع .

والجماهير بوجه عام لا تدرك مسئولياتها ازاء التطور — بمفهوم البحث عن المزيد من عناصر نمو الوعى والأخلاق ، ومعه ارتقاء القيم والمفاهيم — بل انها تعيش دائما فى تكيف تام مع تاريخها ، وظروفها ، وقيمها ، ومفاهيمها الراسخة ، ولو كانت منحدرة ، وبعيدة كل البعد عن

نمو الوعى والأخلاق • ومن ثم فان دفع هذه الجماهير الى طريق التطور الصحيح أمر شاق جدا لا يقدر على تحمل تبعاته سوى صفوة قليلة — بل نادرة — من المصلحين الذين يعايشون حقائق الأمور ولايعرفون للحياة رسالة أسمى من النضال فى سبيل هذه الحقائق نفسها مهما كبدهم النضال من تضحيات جسام يتطلبها الصدام الحتمى بمشاعر الجهال والأدعياء •

ويؤسفنى أن ألاحظ أن مجتمعنا بوجه عام لا يزال يفتقد هذه الصفوة من المصلحين المناضلين بنبل وشجاعة عن حقائق الأمور ، الذين لا يعنيهم أبدا التضامن مع أخطاء الجماهير وترهاتها ، أو ارضاء انفعالاتها وأهوائها ، وهو أسلوب شائع خصوصا عند سواد الوصوليين الأذكيا رغم جنايته البالغة على مسيرة التطور والارتقاء •

فحين تجد العالم الحقيقى فى الخارج يشعر بنفسه مسئولا عن دفع مسيرة التطور العلمى والاجتماعى للأمام بلا هوادة ، وعلى أسس هادئة مدروسة ، موضوعية ، يشعر العالم فى هذا الركن من الأرض نفسه مطالبا بوضع العراقيل الكأداء فى طريق التطور ، وابتكار الأسانيد والذرائع الوهمية للدفاع عن كل جمود ، وكل انفصال عن روح العصر ، وعن حقائق الوجود التى ينبغى أ نتغذى العرفان وتنمى الوجدان •

واذ كان هذا القول صحيحا حتى بالنسبة للعديد من القيمم والمفاهيم الأخلاقية والاجتماعية السائدة ، فهو هنا أصح وأوجب ، حيث يلزم بذل جهود ضخمة متواصلة لتوعية الجماهير عن حقائق الروح والخلود ، والفضيلة الحقة وأين توجد وكيف تكون ، والرذيلة الحقة وأين تنمو وكيف تسود •••• وقبل كل شىء آخر يلزم اتباع أسلوب المنطق الموضوعى الناقد ، الذى تؤيده الحقائق العلمية ، والا فانه من المحال أن يتخذ التطور مساره الصحيح نحو نمو الوعى والأخلاق على حساب تراجع الترهات والأوهام ، رغم رسوخها التام فى المشاعر والأفهام •

* * *

وأسلوب المنطق الناقد ، الذى تؤيده الحقائق العلمية ، كفيل بأن يواجه أيضا كارثة أخرى غير الجمود تسىء الى العقل والأخلاق تدعى كارثة الغموض . والغموض هو مصدر كل تطرف فى المفاهيم العقيدية ، وبالتالى مصدر كل الحواجز المفتعلة التى وقفت ولا تزال تقف بين الانسان وأخيه الانسان . فبالعلم وحده يمكن أن يتراجع الغموض ولو بعض التراجع ، ومعه التطرف وهو آفة كل اعتقاد ..

وفى هذا الشأن يقرر الدكتور زكى نجيب محمود « ان التطرف لا وجود له فى مجال العلوم ، فليس هناك فى الفيزياء أوالكيمياء ..الخ ما يصح أن يقال عنه أنه تطرف . وبعبارة أخرى فانه اذا كان المعنى الذى يدور حوله الحديث واضحا وضوح العلم لما كان هناك موقف يوصف بالتطرف أو الاعتدال .

واذن فمفهوم التطرف أو الاعتدال لا ينصرف الا الى المعانى أو المعتقدات الغامضة ، ومن العجيب أنه برغم غموض هذه المعانى أو المعتقدات فاننا نراها ذات سيطرة على الانسان لدرجة أنه يقاتل فى سبيلها مع أنه لا يستطيع تحديد معناها .

أقول هذا لأمهد به الفكرة الرئيسية فى التطرف الدينى أو غير الدينى كالتطرف فى مجال السياسة أو مجال الحياة الاجتماعية ، وتلك الفكرة الرئيسية عن التطرف الذى نراه بصفة خاصة فى مجموعات من شبابنا اليوم هى غموض الأفكار التى تشبث لهم فى أدمغتهم . ولو أننا نحن الكتاب أو الجامعيين أو كل من يملك القدرة على التعليم بجميع صوره ، أقول لو كنا نتصدى للتوضيح العلمى ، أو ذلك الذى يقرب من العلم للأفكار التى تتخذ صورا متباينة لخلصنا هؤلاء الشباب من كثير مما يوجدون فيه بحيث يندفعون الى التطرف وهم لا يشعرون .

فليس التطرف فى الرأى الا نوعا من العجز عن رؤية الجوانب الأخرى من الفكرة الواحدة بحيث يظن المتطرف أن الزاوية التى يرى

منها هى الزاوية الوحيدة للنظر ، وأن كل ما عداها باطل • واذن فالذى ينقص هؤلاء الشباب هو مزيد من التدريب على المنهج العلمى •

وهنا نسأل : وهل المجتمع مسئول عن هذه الظاهرة ؟ •• اذا أردنا بالمجتمع أنظمته المختلفة بما فى ذلك التعليم بكل درجاته فنقول نعم ان نظام التعليم مسئول الى حد كبير لأنه أخرج لنا شبابا بغير منهج فى التفكير كما أسلفنا منذ حين •

وقد يسأل سائل : وما عيب التطرف اذا كان تطرفا فى الحق ؟ وأجيب على هذا السؤال بأنه اذا كان هذا الحق حقا علميا لما كان تطرفا كما أشرنا فى أول الحديث • وانما يحدث التطرف فى الأفكار اللا علمية لأنها معرضة للغموض •

ونحن اذا تركنا المتطرفين يمضون فى طريقهم كان فى ذلك خطر على حياتنا الفكرية اليوم وغدا ، لأننا بمثابة من يترك جماعة من المواطنين على غموض من الأفكار والمعتقدات لا هو ينفعهم ، ولا هو ينفع أحدا من الناس • والخير كل الخير فى أن تلقى لهم الأضواء على الحقائق بمنهج علمى سليم فيذوب الضباب كما يذوب تحت أشعة الشمس » (١) •

وفى هذا الميدان بالذات — وهو ميدان الحديث فى خلود النفس ، بكل جوانبه المتشعبة التى لا تقف عند حد فى تشعبها وتنوعها ونفعها — من المحال أن يترك الأمر فيه لاجتهادات المفسرين الغامضين من كل ملة ودين يصولون ويجولون وحدهم فيه • وكأنه ليس للعلم هنا أى دور يؤديه ولا أية كلمة يقولها • وكأن الأمر كله يجب أن يترك لتلك الحلول المتناقضة المغالية فى غموضها وفى ارتجالها •

(١) عن مقال له عنوانه « ظاهرة التطرف ... مسئولية من ؟ » بجريدة الأهرام فى ١٩٨٠/٢/١٣ صفحة ١١ .

بل ان الميدان قد أصبح — بالأقل منذ قرن مضى — ميدانا للفحص والتحليل فى وضوح وابانة ، وللتحقيق والتأصيل فى جـلاء وترابط . وتكشف اتباع المنهج الوضعى عن حقائق خطيرة بكل معنى الكلمـة ، وهى حقائق متنوعة ، متصلة بعدة قضايا كبرى ، دخلت — فى تقـدير أحسن الباحثين العلميين وأنباهم — الى نوافذ العـلم الواضح الأمين كيما تنير سبل الحيارى المتسـائلين ، وتبدد جوانب الغموض العـديدة التى كانت فى المـاضى تكتنف مسالك العلوم المختلفة .

وكان الغموض يكتنف أيضا مسالك تلك الأنظمة الفلسـفية التى ارتبطت بالاعتقاد ، أو تلك التى حاول أصحابها ربطها بالاعتقاد ، على أساس أو على غير أساس من حق ولا من صواب . بل فحسب — على أساس من نزوعهم الفطرى الى الجمود ، وتشبثهم الفطرى بعظمة كل مفاهيم المـاضى . ولذا فهم يرفضون التطور بكل خلجاتهم ، وتعـلو أصواتهم قائلة : أنا أكثر النـاس تطورا ، وأبعدهم عن مقاومة التطور لو كنتم تعون وتعقلون أيهـا الداعون الى التطور والمنـادون بضرورة التقدم والارتقاء ! !

الخوف على مفاهيم الايمان ذريعة باطلة

واذا رفضنا التطور بمعنى الركون الى حقائق العلم المتطورة كيما تنير لنـا سبيلنا ، وترشدنا الى حلول صحيحة لمواجهة مشكلاتنا وهى بدورها متطورة مع تطور الحياة ، فماذا يتبقى لنا اذا من سبيل ؟ !

ان الحلول العقيدية ، أو تلك التى قدمت باسم الاعتقـاد ، اتسعت فى جميع الأزمان والأرجاء لتبرير أى وضـع سـياسى أو اجتمـاعى أوتشريعى ونقيضه أيضا !! فهى أبدا حلول مرنة فضفاضة . ولذا اتسعت لتأييد جميع الحركات والاتجاهات وضربها ، ولا تزال تتسع لتأييد أى اتجاه واضربه أيضا ، لأن لكل شخص مفاهيمه العقيدية الخاصة ، كما أن له مفاهيمه الاجتماعية والسياسية الخاصـة به النابعة من نفس المذهب ونفس الاعتقاد .

فكل يستند الى النصوص والآراء والشروح والسوابق التاريخية.. التى تعزز ــ بحق ــ وجهة نظره ، ويعزز غيرها ــ بحق ــ نظر معارضه أو معارضيه . فالى من يكون الاحتكام ان لم يكن الى منطق الاختبار المدروس ، والواقع المحسوس والملموس ؟ ! وهــذا الواقع هو بعينه موضوع العلم الذى نتعلمه فى الكتب والمدارس أيا كان موضــعه بين العلوم الانسانية أو الطبيعية ...

ولذا فان الوضع السديد الذى يلزم أن يسود فى كل مجتمع متحضر هو أن نسلم مقاليد الحكم لحقائق العلم ، ونسلم مقاليد الايمان لضمائر الأفراد ، وللنواميس الأخلاقية التى تحكم الكون بصرامة لا ينازع فيها الآن علم أو اعتقاد . وهذه النواميس لا ينكرها الا من آثر سبيل المكابرة على الايمان أو سبيل الجهالة على العرفان ، أو ســبيل الرذيلة المستترة برداء الدين على سبيل الفضيلة التى تعلو على كل جدل بين المتجادلين.

ويكتب جان بريير Jean Prieur أحد البحاث الروحيين عن الصلة بين العقل والايمان فيقول ان الله هو العقل والمنطق ، وهو النظام والعدلة والاتزان ، وهو العلل والمعلولات .

والعالم الوراء الطبيعى ، سواء أكان عالمــا روحيا ، أم سماويا ، أم الهيا ، عالم منطقى من خصائصه : التنظيم ، الوضــوح ، اليقين ، التعقل ، الرغبة ، الشــمول . واحتياجات المعرفة العلمية أيضــا من خصائصه .

فالذكاء ليس عدوا للايمان ، لأن الانسان لا يؤمن ايمانا صحيحا الا بالشىء الذى يفهمه بعقله . فالفهم يسبق الايمان ، والايمان لا يكون ثابتا الا بعد الفهم . ولا يتأتى للايمان أن يقام بصفة دائمة ، ومتماسكة ، الا على أسس منطقية . .

وعندما يفقد انسان ما ايمانه ، فمقتضى ذلك أنه اكتشف أنه كان مؤسسا على محض خداع • وهذا الايمان الذى فقده صاحبه ، لم يكن أبدا فى حيازته فى حقيقة الأمر •

ومن حق الانسان أن يتفهم المعلومات التى يعرضها هو على ايمانه ، وليس له أن يحذر من عقله فى هذا الشأن • ولكن موقنين أن من يثور على عقله انما يعارض قانونا طبيعيا ويسىء اليه • أى يسىء الى قانون نافذ المفعول فى جميع العوالم (هو قانون استخدام العقل) •

وفى المبدأ كان العقل ، وكان الذكاء • وتسكن الأكوان كائنات ذات ذكاء من مستويات مختلفة : ليست انسانية فحسب ، بل أيضا حيوانية ، وملائكية ، وشيطانية ، وخارجة عن الأرض • وانما الكبرياء الانسانى وحده هو الذى أمكنه أن يقصر ذكاء الانسان على نطاقه الخاص • وهذا الذكاء ليس قاصرا على الانسان من أسفل أو من أعلى ، ولسنا وحدنا الذين نفكر فى هذا الكون •••

وما لا يشاهده الانسان فى العالم الفيزيقى سوف يراه فى العالم الوراء الفيزيقى ، ولذا فهو بمقدوره أن يخترع أمورا لم ير لها ما يقابلها على الأرض (١) •

ثم يقول بريير ان كل كائن فى العالم الآخر يلتحق بالمستوى الروحى الذى يتلاءم مع مستوى عقله ، وهذا هو المستوى الذى كان على صلة به منذ كان يعيش على الأرض سواء أكانت هذه الصلة واعية أم غير واعية • فالانسان يغادر الأرض بحالته ويذهب الى من يشبهونه • وبحسب عقولنا ، وبحسب حالتنا ، تكون مصائرنا « فحيثما يكون كنزك ، يكون قلبك أيضا » •

---

(١) راجع :
Jean Prieur : Cet Au-Dela Qui Nous Attend. Paris 1974 P. 184 — 185 .

والقلب هو مركزنا ، وهو يمثل كل ما فينا ، أى انه لا يمثل شيئا مذكورا وفى نفس الوقت يمثل الكثير .... وهذا القلب (بمعنى اللب أو الجوهر) هو الذى أحضرناه معنا عند قدومنا الى هذا العالم ، وهو الذى نحمله كيما نقدمه فى العالم الآخر ، أما ما عدا هذا الجوهر فنتركه للديدان وللحشرات . لأنه عبارة عن محض الملابس ، والأردية ، والمظاهر الجوفاء .

والقلب هو نطاق نفس الكائن ، أما ما عداه فهو نطاق ما يملكه الكائن « فحيثما يكون كنزك يكون قلبك أيضا » . ولكن توجد كنوز بلا قيمة ولا حياة ، واذا ما تعلق القلب كثيرا بما هو زائل ومتعفن ، فانه يخاطر بأن يلقى نفس المصير .

وحياة الانسان ـ الروح هى حياة رغبته وايمانه ، والانسان ـ الروح مماثل لأعظم رغبته ، وكل ما ينأى عن هذه الرغبة يتلاشى تدريجيا فى الشر ، وفى الخير أيضا . وهذا القانون الطبيعى « كل شبيه منجذب الى شبيهه » يمكن أن يطلق عليه أيضا قانون الكثافة الروحية . وكما أن المنطاد يعلو فى الأجواء كثيرا بمقدار الغاز الذى بداخله ، فكذلك الانسان ـ الروح يعلو بمقدار ما يغذيه من شعور ورغبة . فالأفعال الشريرة ، والأقوال الرديئة ، والأقوال السيئة والشر فى كلمة ، هذه هى الأمور التى تثقل الذات ، أما الخير فهو الذى يخفف من أثقال الذات[1].

وجلى أن مضمون هذا كله أن العبرة فى مصير الانسان هى بمدى نبل أفعاله ، وأقواله ، وأفكاره ، وكل ما يتصل بجوهر الانسان ولبه . أما ما عدا ذلك فهو عرض باطل يسير الى زوال محتوم . والحياة أفعال ومشاعر وأفكار صادقة ، وليست هى تلك المعتقدات ، والخرافات ، والشعوذات المنتشرة فى كل مكان ، والتى يتباين بشأنها بنو البشر ، وقد يتجادلون أيضا ، ويتنابذون فيها على غير سند من واقع ، ولا من أخلاق ، لأن كل بنى البشر فى شأنها على ضلال مبين .

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

ولذا قال فولتير Voltaire بحق « ان الأخلاق تشجب كل جدل ديني ، وان كثيرا من الموضوعات هى فى حقيقتها موضوع عمل أكثر منها حقائق نظرية . فلا تهم الاختلافات الكبيرة فى الرأى حول تحديد معنى الفضل الالهى بقدر ما يهم السلوك والاقدام على الفعل ، لأن الفضيلة ليست موضوع جدل أو نقاش ، لكنها تأتى من عند الله .

وكل أوجه الجدل والنقاش عند فولتير تدور حول ظنيات من صنع البشر ، فكفانا من الدين أن يكون كل انسان عادلا وعاقلا . وفارق شاسع بين الكلمات وبين الأخلاق العملية ، بين الأسرار والفضائل . والذى يهم فى مسألة خلود النفس أو فنائها ليس الاعتقاد باحدى النظريات ، بل اقامة الحياة الفاضلة ، فالله هو العدل الأسمى . والدين هو الحياة ، والحياة هى رعاية مصالح الناس .

والايمان عند فولتير لا يصدق الا على المتناقضات أو على المستحيلات ، فالايمان — على ما يقول بيك دى لاميراندول — هو الاعتقاد بأشياء مستحيلة ، أو بأسرار تستعصى على الفهم : فالحية تتكلم ، والحمار يتحدث ، وحوائط أريحا تتساقط بعد سماعها صوت الأبواق . ان الايمان على هذا النحو — وعلى ما يقول اراسم Erasme — هو الجنون .

أما الايمان الحقيقى فهو لا ينبو عن العقل ، ويصدق على أشياء معقولة . أى أن الايمان على هذا النحو هو الحكمة أو الفضيلة ، لأن الذى يخلص الانسان هو عمله لا ايمانه ، فالله يريد منا أن نكون فضلاء لا أن نؤمن بالمتناقضات . والعقل هو وسيلة التخاطب . وكل من يريد أن يعلمنى شيئا لا بد أن يستخدم عقله » (١) .

ثم هل بمقدورنا أن نعطل قانون الجاذبية ، أو أن نوقف حركة الأرض والأفلاك ؟ ! .... اذا فلنعطل قانون الذكاء والتطور ، ونوقف حركة

---

(١) للمزيد عن فولتير راجع حسن حنفى حسنين فى مؤلفه « قضايا معاصرة فى الفكر الغربى المعاصر » . القاهرة ١٩٧٦ جـ ٢ ص ١٠٠—١٢٠ .

النقدم والارتقاء ما دمنا ندمن التطلع الدائم الى الوراء . وعلى الله — جل شأنه — أن يذعن لارادتنا ما دمنا قد جعلنا من أنفسنا على الله أوصياء ورقباء ، لا عبيدا له ولا علماء .

وهكذا يمكن للايمان الانفعالى أن يصير — مع الجهل — صنوا للالحاد ، لكنه أكثر منه شرا وبلاء . وفى دفع هذا البلاء فليعمل العاملون من صفوة المثقفين ، وما أندرهم ، وما أحوجهم الى الكثير من الاقدام ، وذلك كيما يزيحوا المعوقات الوهمية ، التى تعرق نمو الأخلاق والذكاء ، وكيما ينبهوا الأذهان اليها فى عزم ومضاء .

* * *

وكما أن الخرافات تسىء الى العقل حتما ، فانها تسىء بنفس المقدار الى الأخلاق ، خصوصا منها تلك الخرافات التى تقلب القيم الأخلاقية رأسا على عقب ، وتشوه معايير الفضيلة وموازينها تشويها تاما أو ناقصا : فتجعل من الغرور الأصيل تواضعا ، ومن الوحشية الحاقدة حبا وحنانا ، ومن الأثرة المرذولة ايثارا وعطاء ! ! ...

وفى هذا الشأن يتساءل الدكتور عبد العزيز جادو « أى نوع من أنواع الناس أنا حين أظل مستمرا فى خداع نفسى ... واذا أمطنا اللثام عن ومض الحقيقة الساطع فما أكثر النقائص والعيوب ظهورا ووضوحا !! وما الذى يجعلنى أدفع الناس عنى بدلا من أن أجتذبهم واستميلهم ؟ ولماذا أخفق فى حين أنى خلقت لأنجح ؟ .. ولماذا أرانى تعسا ، شقيا، غير موفق فى حين أنه يجب أن أكون سعيدا ، ناجحا ، موفقا ؟ ...

أول هذه الأخطاء هى الأنانية وحب الذات . وهؤلاء الذين يعانون من الشعور بالنقص أو الدونية يهمهم جدا من باب التعويض أن يعلقوا أهمية على الذاتية . فتجدهم فى حديثك معهم يتكلمون بحماس عن أنفسهم ، عما يحبون وما لا يحبون .... وتجدهم دائما يسرفون فى

استعمال الضمير الشخصي « أنا فعلت هـذا ، أنا عملت ذاك ، أنا قلت هذا ، أنا أحب ذاك » وغير ذلك مما يثقل على الأذن سماعه .

ان من يصطلى بشمس الملق الذاتى ، انما يصطلى وحده . أما الرجل الذى يكسب الأصدقاء ويحقق تقدما ، ويحرز نجاحا فهو الشخص الذى يبدو عليه من سماته كأنه غافل عن نفسه ، غير متنبه اليها . ويوطن النفس على الاهتمام بالآخرين بصدق وشوق . انه يجيد الاصغاء ، ويحترم آراء الآخرين وأفكارهم ، ويعظم الكبير ويقدره ، ويعطف على الصغير ويساعده ... » (١) .

وهذه الأنانية التى تمثل الداء الأول للانسانية ، والعدو الأكبر — بل الأوحد — لنضج العقل والأخلاق ، هل لها مصدر آخر غير أكداس من الخرافات تراكمت بداخل الذات منذ أجيال وأجيال ؟ ! ففتكت الخرافات بالعقول مثلما أودت بالأخلاق ، عندما قلبت رأسا على عقب موازين الحق والجمال والفضيلة والحب والتواضع . ونفس هذه الخرافات هى التى وقفت ولا تزال تقف عقبة كؤودا فى طريق تطور العقول والأخلاق عند السواد من بنى البشر .

فليس الأمر الهام هو فحسب أن نقتنع بصحة دوام الحياة بعد الموت ، بل هو أن نحاول التعرف على النواميس الأخلاقية التى تحكم الكون تعرفا صحيحا ، لأن الحق هنا كثيرا ما يختلط بالباطل ، والصواب كثيرا ما يضيع فى ثنايا الخطأ . وكثيرا ما نكون أسرى شهواتنا ، وأهوائنا وأحكامنا المسبقة ، عند تقييم تلك النواميس ، وعند محاولة تفهمها على وجهها الصحيح ، وتفهم موقف تصرفاتنا الخاصة منها .

وأهم من تفهم هذه النواميس هو تطبيقها أو محاولة تطبيقها تطبيقا حقيقيا بلا تعثر أو التواء ، وبلا ادعاء أو رياء . وهذه هى القضية الكبرى

(١) « العقل منبع الحكمة » القاهرة ١٩٧٨ ص ٢٩ ، ٣٠ .

للمجتمع ، وللوجود ، وللانسان ، وللخلود ، والتى يضيق عن تناولها هذا المقام المحدود .

ويلزمنا أيضا تصحيح معلوماتنا وتطويرها عن طبيعة تلك الحيــاة فى أوطاننا اللاحقة ، أى تلك الحياة التى تلى الموت مباشرة وما يحيط بها من أوضــاع وظروف يلزمنا كل اللزوم أن نتعرف عليها منذ الآن حتى لا نباغت بها،فيكون موقفنا منها كموقف الانسان التائه الذى يصل بغتة الى أرض بعيدة غريبة لا يعرف شيئا عن ماهية الحياة فيها أو عما تتطلبه من تفهم ، ومن المــام ، ومن تطور .

وتلزمنا قبل كل شىء آخر يقظة الروح ، لأنه اذا كان رقاد الجســد يجلب الخمول وأمراض الجسد ، فان رقاد الروح يجلب التدهور ومعه أمراض الروح وأسقامها . وهى أشد وأخطر من أمراض الجسد وأوجاعه . وعلاجها أعصى على العلم والعقل ، ويحتاج الى أجيال عديدة من المعاناة، ومن المداواة ، ومن الفهم والتعقل .

ولا يوجد أصعب على الروح من أن تتفهم أمرا جديدا عليها أو تتعقله على النحو المطلوب ولو كان ذلك لتخفيف آلام الروح وعلاج أسقامها ، وتحقيق سلامها مع نفسها قبل سلامها مع الآخرين . وهذه هى — بوجه خاص — رســالة علم الروح الحــديث ، وكل علم يرتبط به على نحو أو آخر .

موقف العلمــاء الجادين

ومن يتفهم الظواهر الروحية على أنها فى جوهرها ظواهر ذاتية دائما spontaneous أو تلقــائية automatic تزول من ذهنــه أمثال تلك الاعتراضات القائمة على سوء الفهم الناجم عن التصور السائد عند بعض النــاس من أن « علم الروح » أصبح يزعم أنه أخضــع الروح لقدراته الخاصــة ، أو أن الروح لم تعــد من أمر ربى ، بل أصــبحت من أمر

« العلماء » أ والباحثين . فان هذا كله محض هراء لا مبرر له ، وطالما جنى جناية بالغة على بدء البحث العلمى فى الشرق الأدنى ، على غير أساس من سند علمى أو دينى .

فالاستناد الى الآية الكريمة « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » استناد لا يغنى فتيلا فى محاولة اغلاق الأبواب وسد منافذ البحث والعرفان فى وجه العلماء والباحثين فى موضوعات الظواهر الوساطية كلها .

ثم ان باقى الآية الكريمة يقول « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » بمعنى أنكم لو أوتيتم من العلم بعض الشيء لحدثتكم عن الروح . وهذا أمر طبيعى لأنه وقت نزول هذه الآية لم يكن العلم قد كشف شيئا بعد من أسرار المادة ، أو الطاقة ، أو الاهتزاز ، أو الاشعاع ، أو الادراك ، أو البيولوجيا ، أو النفس ... التى كشف عنها فيما بعد ببطء شديد وبمشقة بالغة .

ولذا فانه لا يوجد مفسر واحد معروف قال بالنهى أو بالحظر فى هذا الشأن ، بل لقد تناول الروح أبرز العلماء والفلاسفة القدامى مثل ابن سيناء ، وابن رشد ، وابن القيم ، والفارابى ، والغزالى ، وغيرهم ، كما تناولوا جميع المعارف والعلوم الطبيعية والانسانية . ولم يقل واحد منهم أن هناك حظرا أيا كان نوعه . لكن تناولوا هذه العلوم وتلك بأساليب عصرهم ، وفى حدود علمهم ومعلوماتهم ...

وكانت جميع العلوم يطلق عليها وصف « علوم الكلام » لأنها تعتمد على محض الارتجال والافتراض ، حتى فى الطب والطبيعيات . أما الآن فقد تحول منهج الارتجال والافتراض الى منهج البحث الواقعى والاختبار بحكم التطور العقلى والعلمى الطبيعى ، وبحكم تفوق منهج الفلسفة الوضعية على كل منهج نظرى ، والى هذا المنهج وحده تدين الانسانية بجميع الكشوف التى حققتها حتى الآن . وهى التى خففت من

آلامها وويلاتها الى حد كبير ، ولكن أخطرها كلهـا كشوف الظواهر غير المـألوفة .

فأما أن الروح من أمر ربى فهذا أمر لا ريب فيه ، ولا ينـازع فيه أحد . ولكن كل شيء فى الوجود يجرى بأمر الله تعالى ، كالصحة والمرض، والحركة والسـكون ، والفضـاء والضـوء ، وكل نواميس الطبيعـة المختلفة ... فهل كان ذلك سببا لحظر حركة البحث العلمى ، أو يمكن أن يكون سببا للحظر ؟ ! هذه هى ببساطة كل القضية بين أنصار البحث العلمى ومناوئيه ...

* * *

وهذا الذى ذكرته واحد من اعتبارات كثيرة دفعت أحسن العلماء والمفسرين فى القرن الحالى الى المنـاداة بصحة الظواهر الوسـاطية ، وبضرورة بحثها ودراستها ، لاستخلاص دلالاتهـا المحتومة ، ولم يقل واحد منهم بأن هناك حظرا دينيا ، أو شبهة حظر باسم العقيدة .

وقد عرضت لكل ذلك تفصيلا فى « مفصل الانسان روح لا جسد » مستندا الى آراء علماء القمة من أمثال الشيوخ الأجلاء طنطاوى جوهرى صاحب تفسير « الجواهر » (فى خمسة وعشرين جزءا) ومحمد حسنين مخلوف ، ومحمد مصطفى المراغى ، ومحمود شلتوت ، ومحمد أبو زهرة ، ومحمـد بخيت ، وأحمـد حسن البـاقورى ، وعبد اللطيف السبكى وغيرهم (١) ... هـذا بالاضافة الى موقف العلامة محمد فريد وجدى الذى تبنى هـذه القضية الكبرى ودافع عنها دفاعا متواصلا ، شارحا أسانيدها الدينية والعلمية فى العديد من مؤلفاته القيمة التى لا تزال نبراسا يهتدى به فى الموضوعات التى تناولتها .

وهكذا أجمـع المفسرون الأقدمون والمحدثون على ضرورة البحث والتزود المتواصـل من المعارف بأكبر قدر ممكن مستندين الى نصوص

---

(١) راجع منه بوجه خاص الجزء الأول ص ٤٩٨ — ٥١٢ .

عديدة ، ولم يقل واحـد منهم بالجمود والاغلاق فى هـذا الميدان من ميادين العرفان أو فى غيره ، ونرجو أن يكون فى اجماعهم فصل الخطاب ، حتى نتدارك ما فات ونسعى الى ثراء العقـل والوجدان ، بلا وجـل ولا خمول .

* * *

وذلك خصوصا لأن كشوف الظواهر غير المـألوفة تتكشف كل يوم عن أبعاد جديدة لها ، ما كانت لتخطر على بال أحد من قبل فى ارتياد مجاهل النفس الانسانية ، والكشف عن العديد من أسرارها التى كانت مخبوءة فيما قبل ، وبالذات فى نطاق معرفة الانسان لنفسه على أسس وضعية جديدة ، ومواجهة العديد من الألغاز العقلية والعضوية بأساليب متطورة كان من المحال الوصول اليهـا عن طريق الارتباط بالأساليب الكلامية القديمة .

وهـذا كله يضـاف الى كشف الستار عن بعض جوانب مشكلة الخلود ، وهى أم المشكلات كلها فى مسيرة الركب الانسانى ، وما أدى اليه هذا الكشف من ظهور أسباب متجددة على الدوام للعزاء والاطمئنان، ولتذويب الحواجز المصطنعة تدريجيا بين شتى الشعوب والعقائد ، واقامة دعائم قوية للاخاء الانسانى العام ، وهو ما تتطلع اليه الانسـانية بلهفة واشتياق منذ أقدم العصور حتى الآن .

ناهيك بتعزيز الايمان بالله ، وبالخلود ، وبالفضيلة ، والتعرف على العـديد من نواميس الله تعـالى تعرفا صحيحا ، خصوصا منهـا تلك النواميس الأخلاقية التى تحكم الكون بطريقة موضوعيه صارمة ، والتى تتجاوز فى خطورتها تلك النواميس المـادية التى تحكم ظواهر الطـاقة والمـادة ، والتى هى موضوع العلوم الطبيعية وحدها .

فالمقام اذا أخطر بمراحل كثيرة من أن يكون محض تسجيل لبعض الظواهر غير المـألوفة للتشويق ، أو لاثارة روح الاستغراب والطرافة

فى نفوس القراء • بل هو مقام مترامى الأطراف من ناحية الظواهر التى يتناولها ، والقضايا التى يثيرها ، والمشكلات التى يتصدى لها بالأساليب العلمية الصحيحة بمنهج يمكن أن يقال فيه حقا وصدقا ان العلم للحياة ، وليست الحياة للعلم •

وهذه الاعتبارات مجتمعة تفسر علة الاهتمام المتزايد بهذه البحوث فى العالم أجمع ، اهتماما ينعكس فى تزايد نشاط العلماء الباحثين والمؤلفين ، وتزايد الدور الهام الذى تلعبه المطبوعات والصحافة الروحية فى الخارج •

وقد بلغت الصحافة الروحية فى الخارج شأوا رفيعا فى جميع البلاد ، ويكفى أن تعلم الآن أنه يصدر بالبرازيل وحدها عدد يتراوح — حاليا — بين مائتين وثلاثمائة مجلة وجريدة ونشرة روحية منتظمة معنية بالأمور الروحية • وهذه الأرقام الخطيرة تكفى — وحدها — كيما تعكس مدى الاهتمام البالغ بهذه الأمور عند الرأى العام هناك ، وهو رأى عام معروف عنه — فى البرازيل بالذات — التدين الشديد مع الأسلوب المحافظ الى حد كبير ، فما بالك بالبلاد الأخرى فى الأمريكتين وأوروبا وآسيا ؟ ! •••

أما فى الشرق الأدنى فلا توجد — حاليا — مجلة واحدة ولا جريدة ناطقة بالضاد لتعريف الناس بهذه الأمور المفرطة فى خطورتها ، ولمتابعة ما يجرى فى شأنها من بحوث علمية جادة وقضايا فلسفية متنوعة ، وكأنه كتب على قاطنيه أن يجمدوا على القديم وأن يرفضوا كل جهد يبذل فى سبيل التطور والارتقاء •

الصراع بين الجمود والتطور

وقوى التطور تتصارع مع قوى الجمود والتخلف صراعا لا يتوقف على هذا المستوى ، وعلى غيره من عوالم المادة وما وراء المادة ، ومن

بينها هذا الكوكب الصغير الذى اتخذه بنو البشر موطنا مؤقتا لهم . وكأنه منقوش على لوح القدر بحروف من نور ومن شرر ، هذا الشعار الحق الذى ينبغى أن يهيمن على موكب الانسان باستمرار : وهو « نحو حياة أغزر وأعمق ، ونحو ادراك للحياة أرحب وأصدق » .

وهذا المسير المحتوم نحو حياة أغزر وأعمق قد يجىء من جانب العلم ، كما قد يجىء من جانب الاعتقاد ، لو عرف البشر أن التوفيق بين جوهر هذا وذاك ليس مستحيلا ، كما يتصور المتطرفون من « العاميين » ومعهم المتطرفون من « المعتقدين » . ومع التطرف لا يصح رأى يستحق الذكر فى علم ولا فى اعتقاد ، لأن التطرف يؤدى حتما الى اهدار الجوهر لحساب المظهر ، والمعنى لحساب اللفظ ، والمعرفة لحساب الأشكال والحركات ، والحقائق لحساب الاعتداد بالرأى وبالذات !

وهذا المسير المحتوم نحو حياة أغزر وأعمق يجىء أيضا من جانب الايمان المقر بقيمة العلم والاعتقاد معا فى توجيه الروح فى رحلتها الطويلة عبر الأبدية . وفى هذا الشأن يقول الأستاذ مصطفى الكيك « فليس من شك فى أن حياة الانسان فى عالم المادة وحياته فى العالم الآخر حلقتان متصلتان فى سلسلة الأبد . ويشبه الاتصال ارتباط الجنين فى بطن أمه بحياته الدنيوية التى ينتقل اليها بعد أن يكون أعد لها اعدادا كاملا . وكما يعد الجنين وهو فى بطن أمه اعدادا صالحا لمواجهة الحياة على الأرض فان الانسان يعد فى عالم المادة بتحصيل العلم اعدادا صالحا لمواجهة مشكلات حياته فى العالم الآخر . ومعنى ذلك أن مكانة الانسان فى الحياة الثانية متوائمة مع مقدار ما يكسبه لنفسه من العلم وهو على الأرض .

أما اذا انتقل جاهلا قليل الحظ من المعرفة فلم يعمل بكل جهده على تحقيق رسالة الحياة فانه يكون فى العالم الآخر أشبه بالجنين المسخ الذى يولد مشوها ، أو بالجنين الذى لم يكتمل تكوينه ، وفى الحالتين ينكره أهله وينكره الناس ثم هو بعد ذلك ينكر نفسه » . ثم يستشهد

المؤلف بالآية الكريمة « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا » (١) •

* * *

والتوفيق بين جوهر العلم والاعتقاد بوجه عام يمكن أن يتحقق بسهولة لو فهم العقل الحديث معنى التشبيهات الجميلة فى النصوص • والاستعارات والكنايات والمجازات الرائعة الكثيرة التى حاول بعض « المعتقدين » أن يعطيها دلالات مادية ومفاهيم حرفية • وذلك فى حدود ما كان يمكن لعقله أن يدركه من حقائق هذا الكون الهائل ولضميره أن يعيه من أمور ضئيلة القدر محدودة المدى •

ولذا ورد فى الحديث الشريف « انّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم » (٢) ، فمن لا يفعل ذلك انما يحرث فى الماء بل فى الهواء ! والرسالات لا تعبث ، ولا يعبث من بعدها فلاسفتها ومفسروها ، لأنهم لو خاطبوا الناس على « غير عقولهم » لاتهموا بالعبث ، ولما نجحوا فى محاولة توجيه ضمائرهم الى الايمان ولا توجيه أخلاقهم الى الفضيلة •

والاقرار بهذه الحقيقة الواضحة بذاتها أنسب بغير ما ريب لجلال الاعتقاد وأدعى للاجتهاد ، وبالتالى للتطور العلمى ، من القول بأن البنيان الانسانى يعادل السماوى فى مستواه من ناحيتى القوة والعصمة ، هذا القول الذى هو سند الحرفيين — من كل عقيدة — وسنادهم سواء أقروا به أم لم يقروا ، وان تركوا ضمائرهم تتصرف على مقتضاه ، وتوجههم على هواه فى كل اتجاه الا اتجاه المنطق المتماسك ، والاعتقاد المؤمن بحرية البحث العلمى ، التى ليس لها بدورها من سند ولا من سناد الا حرية الفكرة والكلمة بغير ما قيد ولا تحفظ •

---

(١) عن مؤلفه « بين عالمين : عالم المادة وعالم الروح » ١٩٦٥ ص ١٢٨ •

(٢) عن « المقاصد الحسنة » للسخاوى ص ٩٣ •

ثم أليست العصمة لله وحده ؟ .. فلماذا يدعونا التقليد لأن نضفى العصمة أحيانا على كل كلمة قيلت تحت راية الاعتقاد وباسم سلطانه العتيد على النفوس ، ولأن تنحو نحو الجماهير الصاخبة عندما تستهويها العبارات البراقة التى تتملق مشاعرها وانفعالاتها ، أكثر مما يستهويها الادراك الصحيح لحقائق الأمور ، وعندما تنفر من التفكير الهادىء قدر نفورها من الاعتدال والتروى . وذلك يتعارض – بغير ما ريب – مع جلال الاعتقاد ودوره المحتوم فى دفع عجلة التطور الى الأمام ، وفى تلطيف الغرائز والانفعالات الصاخبة صيانة للانسان فى قدره ومصيره ، لا دفعا به الى هاوية الحروب والاحقاد أو الجمود والاستبداد ، وكلاهما نتيجة محتومة لانفصال الاعتقاد عن العلم والعلم عن الاعتقاد .

والعقائد تكتسب جلالها أول ما تكتسبه من عقول المعتقدين ، وهذه من حق العلوم والمعارف الثابتة أن توجهها وتضىء جوانبها . كما ترتبط أيضا بمقدار ما فى نفوسهم من فضيلة أو رذيلة . فالانسان الغر «يعتقدها» غرورا حين يعتقدها الانسان الطيب طيبة وسلاما ، مع أنهما قد ينتميان الى مذهب واحد من عقيدة واحدة ... فهل « نعتقدها » فى عصر المعرفة هذا علما وعرفانا أم اغلاقا وجمودا ؟ !

واذا كانت مدارك الانسان متطورة بتطور المعرفة ، وفضائله متطورة أيضا بتطور القيم والأقيسة الاجتماعية وبنمو العلاقات بين الأفراد والشعوب ، فلا يمكن أن يجمد فهم الانسان لكل جوانب العقيدة عند مستوى ثابت لا يتطور من الادراك والفضيلة ، والا نأت هذه الجوانب عن ادراكه وعن فضائله معا وهذا هو الانكار لها بعينه .

أو بالأدق هذه هى مراوغة الانسان المستنير لنفسه التى لا تمنحه نعمة الايمان المستنير ، ولا نعمة اعمال العقل كما تعوده فى أخص شئونه وأنبل مشاعره ، فاذا هو فى النهاية موزع العقل والضمير تحت وطأة الوقوف عند فهم معين للأمور ، وعند آراء كثيرة قد يضفى عليها التوقف

ـ وربمـا عن شـعور غير واع ـ عصمة لا تختلف فى شىء يذكر عن العصمة التى يسلم بها العقل الحكيم لله ، ولله تعالى وحده .

* * *

وهذه العصمة التى يسلم بها العقل الحكيم لله تعالى وحده مستفادة من أن حقائق الحياة الأزلية لا تقبل التبديل ولا التغيير ، وانما هى عقولنا، والهاماتنا ، وأخلاقنا ، ومشاعرنا التى تقبل التبديل والتغيير ، اذا أردنا الارتقـاء وسعينا اليه . وهى بذاتها تمثل مسالكنا الوحيدة الى حقائق الحياة الأزلية ، ولذا تبدو لنا هذه متطورة ، وما التطور الا فى مسالكنا اليها . فاذا ارتقت المسالك فقد ارتقت معها حقائق الحياة ، كيفما كانت الحياة وفى أى مستوى وجدت .

أما اذا تدهورت المسالك فى رقعة ما من الكون فقد تدهورت الحياة وسط ركب رائع من النشاط والحركة يحيط بهـا من كل جانب ، فاذا بهذه الرقعة تصبح عبئا ثقيلا على ركب الحياة ، فاما عرفت كيف تتخلص من تدهورها واما عرفت الحياة كيف تنحيهـا جانبا كيما يسير الركب ظافرا فى طريقه ، الى أن يقدر لهذه الرقعة نشاط بعد خمول ، ولشمس المعرفة فيها شروق بعد أفول قد يدوم لقرون ولقرون !

ولا يكون النشاط بعد الخمول أمرا هينا ولا عاجلا ، بل مصحوبا دائمـا بالمـآسى وبالأهوال التى تجىء من ناحية الحماقة لا من ناحية الحكمة ، ومن ناحية الشطط لا من ناحية الاعتدال . ورغم ذلك تسير الحياة فى تقدمها على الدوام ، لأن ارادة الله أرادت أن يكون الموت مجرد أداة فى يد تطور الحياة وازدهارها ، وبالتالى أرادت أن يجىء ازهار الحياة ظافرا فى النهاية ومن كل جانب ، حتى من جانب أخطاء الحماقة والاندفاع عندما ترتطم بارادة التعقل والاعتدال . أو من جانب الاعتداد الخاطىء بالرأى عندما يصطدم بحقائق الحياة . وهكذا يجىء الخير من الشر رغما عنه ، ويتحقق ـ فى النهاية ـ النهوض والارتقاء ولو فى أعقاب حقب مليئة بالجموح وبالأخطاء .

وذلك لأن مسير القافلة — ولو مع الخطأ المتراكم — خير من الرقاد بلا خطأ ولا صواب ، وخير من الاثنين معا المسير مع كثير من الحكمة وقليل من الحماقة ، هذه الحكمة التى هى أثمن ما ينبغى أن يصبو اليه الانسان ، لأنها تمثل ذروة اجتماع العقل مع الالهام ، ونمو الشعور مع الأخلاق . وهى أمور كلها لا تنبع من التوقف بل من مواصلة الكد والعناء ، ولكن بعد أن يضع الانسان قدمه فى طريق الاستقامة والنقاء ، وبعد أن يعرف كيف يفكر لغيره بعد طول تفكير لنفسه وفى نفسه . وهذا أدنى الى أن يكون أسلوبا للعلم منه الى أن يكون أسلوبا للاعتقاد لأن فيه من عناصر النقد والنقاش أكثر بكثير مما فيه من عناصر الاعتداد بالذات والانقياد السهل لما قاله الأولون والآخرون .

* * *

فالتوقف اذا هو الموت الوحيد للروح الخالدة بطبيعتها ، والتى لا تعرف موتا غيره ، لأن الانسان خلق ناميا ساعيا بفطرته للتزود — الى ما لا نهاية — بحقائق الحياة لا بأوهامها . وهذه الحقائق لن تصل اليه الا اذا وصل هو اليها بفضل نموه فى الادراك وفى العاطفة ، والروح هى الهيكل المقدس للعقل ، كما أن العقل هو المستودع الأمين للعاطفة . والعقل والعاطفة هما القطبان السالب والموجب لحياة الروح . لأنه عن طريق تعقل الأمور — فحسب — تتزود الروح بما يلزمها من الهام ومن عرفان ، وعن طريق العاطفة النقية تشع الروح بما تزودته ضوءا يرسم اتجاه الطريق الصحيح لمن حولها من بنى الانسان .

فكل حصار على نمو العقل والعاطفة — أيا كان مصدره — انما هو حرب باغية معلنة على الروح فى صلتها بالعقل الأعظم ، وفى اتجاهها الطبيعى اليه ، وفى روابطها المشروعة بعقول الآخرين . وعن طريق هذه الصلة وتلك الروابط عندما تكون واسعة الأفق ، متخطية السدود ، متحررة من حواجز الضيق والتزمت ، تزدهر حياة الروح فى العقل النامى وفى العاطفة النقية . فاذا بها تفكر لغيرها بعد التفكير لنفسها ، وتتجه للمحبة وللخدمة

بعد الاتجاه للسيطرة وللتسلط ، واذا بها تحلق فى السماء بعد رقاد بغيض فى ظلمة ظلماء ...

وهكذا تنطلق الحياة من أسار قبرها الوحيد ، وهكذا يصبح لهـا هدف غير هدف أزكاء الغرور والأحقاد ، وغير عبادة الذات واللذات ، ومغـزى أسمى بكثير من مغزاها الباهت المتداعى ، بل المحـزن الأليم فى الخمول والرقاد .

واذا تأملت فى معارف انسان هـذا الجيل وما سبقه من أجيال — بما فيها الطب ، والفلك ، والأخلاق ، والاجتماع ، والنفس ، والتشريع — لوجدتها كلها وقد تعثرت فى مبدئها بأوهام اعتقادية ضخمة ، ووقفت عند حواجز كادت أن تطفىء جذوتها للأبد حتى قبل أن تشتعل ، لولا لطف الله بالبشر . فلما بلغت المعارف ذروتها فى الاشتعال اتضح أنها هى بنفسها المشاعل التى تضىء طريق الايمان النقى المستنير للانسان ، وليس فيهـا شىء البتة من النـار التى كان يخشى المتعبد لهيبهـا ويتصـور آراءه « المعصومة » لهـا وقودا ، بسبب هواتف الضعف والخـوف الغريزى فى النفس من كل أمر ليس فى الحسبان .

كما اتضح أنها مشاعل حقيقية للفضيلة وللمحبة وللتواضع وللسماحة وللوداعة ، وأنها تمثل الحياة بعد الموت للروح المتطـورة المتلهفة على التزود بالحقائق ولا تمثل الموت بعد الحياة . أو بالأدق تمثل حياة التحرر والانطلاق بعـد موت العبودية والاختناق . ولا يجىء الانطلاق بغتة ، ولا يمكن أن يتحمـل مسئوليته كل انسان كما قلت ، لأن مسئوليات الحـرية عظمى تتطلب نضجا فى العاطفة ، وشجاعة فى الرأى ، وتقديرا سليما للأمور . وهى تفوق كثيرا مسئوليات العبودية التى لا تتطلب من صاحبها الا الطاعة والاذعان ، ومعهما الرقاد والتوقف !

فهـل من مبرر للتوقف ، ولأن تتصور وجود تعارض بين العلم والاعتقاد ؟ نعم ان هـذا التعارض سد وسياج منيع لا يمكن اجتيازه

فى أذهان أرباب الحرف — من كل عقيدة — وضمائرهم • لكنه سراب لا وجود له ، ليس عند الفلاسفة والعلماء وقادة الفكر فحسب ، بل أيضا عند الانسان المثقف العادى متى سمح لضياء المعرفة الصحيحة أن يضىء سبيل علمه وعقيدته معا • فالعلم عند هؤلاء وهؤلاء هو خادم العقيدة الأمين ، والمشعل الذى يضىء سبيل المعتقدين ••• فلمَ التردد أو الوجل ، بعد أن فتح على مصراعيه أوسع باب للرجاء وللأمل ؟ ! •••

من اقوال محمد فريد وجدى

لهذه الاعتبارات مجتمعة تبنى الفيلسوف المعروف محمد فريد وجدى الدفاع عن هذه القضية الكبرى ، ألا وهى قضية «العلم الروحى الحديث» فى موسوعته القيمة (من القرن الـ ١٤ الى القرن الـ ٢٠) وفى العديد من كتبه الجميلة ، وبخاصة كتابه فى الروح •

ونجتزىء هنا من هذا المرجع الأخير هذه العبارات المليئة بالمغزى والحكمة : « كل ما ذكرناه من البراهين العقلية على وجود الروح لا ينقع للعقل العصرى غلة ، ولا يبل له صدى ، فان بما ظهر له من فساد أكثر المسلّمات المنطقية التى كان يحنى لها أسلافنا رءوسهم أصبح لا يعير تلك المسلّمات التفاتا الا اذا عضدها شاهد من الحس •

فلا غرو أن سقطت الفلسفة العقلية القديمة التى كانت موضوع تنافس المفكرين والحكماء وصارت الفلسفة الحسية (يقصد الوضعية) هى صاحبة الدولة اليوم • ونحن مع دفاعنا عن الحقائق الدينية لا نذم هذه النزعة ، بل نعتبرها ترقيا للعقل البشرى ، فان المسلّمات المنطقية كما تؤدى الى الحق تؤدى الى الباطل ، ناهيك أن جميع زعماء الملل الالهية والوثنية كانوا من كبار المناطقة ، وكانوا يثبتون أصولهم بالقضايا المنطقية •

فالمنطق النظرى آلة خداعة يستعملها المحق والمبطل ، وما دام الأمر كلاما فى كلام فلا يعدم المحاول مقالا • ويرى بعض الناس أن الفلسفة

الحسية غالت فى تطلب البراهين المحسوسة على وجود الروح والخلود ، ولكنا لا نرى ذلك غلوا ، بل نراه رغيبة من رغائب النفس البشرية نشأت فيها مع نشـوء النظر والاستدلال . وقد أعرب عنها كثير من فلاسـفة اليونان القدماء قبل المسيح عليه السلام بعدة قرون .

الذى يغنينا عن هذه المسألة أن الله لم يكن يشعر النفس الانسانية بشىء ويحرمها منه اذا صدقت فى طلبه ، وجدّت فى نيل سبيله فلم تكد تنتشر فى عالم الفلسفة الحسية وترتفع عقيدة الملحدين حتى فتح الله نافذة على عالم الروح ، فرأوا بالحس ما أدهشـهم وحير مشـاعرهم ، وحسر نواظرهم ، فعاد كبار الباحثين الى الحق وأدركوا أن وراء هذه الطبيعة عالمـا كله جمال وجلال ونور ، فقاموا يكتبون ويخطبون ليرجعوا الناس عن ضلالهم الجديد ، وان كان الشرقيون لا يزالون بعيدون عن سماع صيحاتهم .

فتح الله للنـاس الى عالم الروح نافذتين : نافذة من علم التنـويم المغناطيسى ، ونافذة من علم الاتصال بالأرواح ، فكان ما ظهر منهما كافيا لاقامة ما لا يحصى من الأدلة المحسوسـة على وجود الروح وصـحة الخلود .

ينكر أكثر الشرقيين خطورة هاتين المسألتين تأثرا ببعض الكتابات الالحادية التى ظهرت بالعربية فى هذه السـنين ، ولكن عذرهم فى ذلك وعذر أولئك المؤلفين أنهم جميعا لم يطلعوا على هذه الحركة الكبيرة»(١).

---

(١) عن مؤلفه فى « الروح » طبعة سنة ١٩٧٨ ص ٦٥ — ٦٦ .
ونحن نرى أن العذر الذى يلتمسه الأستاذ وجدى لغيره من المؤلفين هو بالضبط العذر الذى قيل فيه انه أقبح من الذنب نفسه !! خصوصا وأن الجهل هنا يقترن عادة بالكثير من المكابرة والتعالى بلا بحث ولا دراسة.
للمزيد عن وجدى راجع : أنور الجندى فى كتاب له عنوانه « محمد فريد وجدى : رائد التوفيق بين العلم والدين » القاهرة ١٩٧٤ .

ويكفى هذا القدر الآن من أقوال العلامة وجدى فقد أغنانى عن الكثير ! ولكن من حقى أن ألاحظ أن هذه العبارات الهامة دونها صاحبها منذ أكثر من ستين أو سبعين عاما ، فهل تغير شىء من الوضع المؤسف الذى تحدث عنه ؟ ! أم أن المفارقة قد ازدادت سوءا بين جمودنا وبين تطور حركة البحث العلمى فى الخارج ؟ ! وهذه الحركة تقفز كل يوم قفزات سريعة للأمام ، ونحن عنها لاهون وكأن الموضوع ليس له صلة بأعمق ما ينبغى أن يعنى به الانسان المثقف الناضج ، وبأخطر جوانبه التى لا تنفصم عن معطيات سائر المعارف الانسانية كلها .

من أقوال على عبد الجليل راضى

وفى مقام الدفاع عن قضية « علم الروح الحديث » يقول أيضا صديقنا الدكتور على راضى الأستاذ بكلية العلوم : « ان رجال الدين فى أى مكان هم هم . يتمسكون بالحروف ويتعلقون بالألفاظ ويهملون الجوهر ولا يبحثون عن الروح . ان لديهم ميراثا لا يعرفون قيمته وآيات بينات لا يمكن أن يفسرها فلان عن فلان عن فلان وانما يفسرها نور العقل والعلم الحديث والعرفان ...

كم قتل الدين بتفسير عقيم وكم أصيب الناس بنكسة من وعظ سقيم ... وراح بعض مدعيه فى كل مكان سندة للحكام ومفتين للبدع وسائرين مع ركب المدنية منقادين كغيرهم بالشيطان ليس فيهم شجاع واحد يقول أنا منفذ لروح الرحمن ...

انى لأتذكر قول النبى وكأنه كان يقرأ ما هو واقع الآن : « أن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبضة العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

عجيب حقا أن يكون هؤلاء المسؤولون الذين كان المفروض فيهم انارة العقول والتبشير بأن الله « قادر على كل شىء » وأنه « يخلق

ما لا تعلمون » هم الذين يقفون حجر عثرة أمام كل مفكر وكل مكتشف وكل عالم أمين ...

هل نسى رجال الدين أن رسالتهم الأولى هى تنبيه الأذهان للقوى الغيبية وللاستعداد للحياة بعد الموت ؟ أليس المفروض أن يكون الدين هو العلم ، العلم النافع من أى نوع كان ؟ أليس كل ما يوسع الذهن وينمى الوعى عن ملكوت الله هو دين ... ؟

الدين ليس اسما ولا اعلانا ولا بطاقة تعلقها على صدرك ولكن هو تفكير فيما خلق الرحمن . هو الايمان الصامت الصادق والعمل الصالح ومفتاح رقى الانسان ...

ولن تتقدم نفسه الحقيقية بيضع تعاويذ أو صيغ أو شعوذة ان لم يدخل الايمان حقا الى أعماقها ، ان لم تعرف حقا أنها متصلة بغيرها من النفوس برباط لا تراه ، ان لم تعرف حقا أنها جزء من الخلود وأنها فعلا روح من الله ...

الدين اذن هو العلم ، الذى يبدأ بألف باء ولا تتسع له الجوزاء . الدين هو الدعوة للارتقاء بالعقل ولا يوجد نهاية للارتقاء . الدين هو كل ما يضىء ظلمة النفس ويأخذ بيدها لتتعرف على رب السماء .

الدين هو الدراسة والبحث والاستقصاء ، هو الكشف عن آيات الله وكلماته التى هى أكثر من قطرات البحار ومن ذرات رمال الصحراء ، الدين هو التعمق فى كل سبيل يؤدى الى معرفة الخالق الوحيد الذى ختم بطابعه ودشن بقانونه الأوحد جريان الألكترون فى الذرة وجريان الشموس فى المجرة ...

كل ما يوصل الى معرفة الله فهو دين ، وكل ما يشير الى عظمته فهو آية ، وكل مجموعة من آيات فهى كتاب والطبيعة كلها كتب من الله منزلة على قلب من أوتى الفهم والادراك ...

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

الدين هو حبل متين يوصل العبد بأخيه كما يوصل العبد بربه . الدين يدعو للتعرف كما يدعو للمعرفة ، فهو يدعو لتعارف الانسان على أخيه الانسان « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

والدين يدعو للتعرف على الحياة المستقبلة التى ما هى الا استمرار للحياة الأرضية على نطاق أكثر فسحة وبهجة وخلودا (١) ...

من اقوال محمد شاهين حمزة

وفى نفس هذا الاتجاه يقول صديقنا الأستاذ محمد شاهين حمزة صاحب ورئيس تحرير مجلة « الرابطة الاسلامية » الغراء :

« فليدع القائلون بمنع البحث عن الروح أو حظره أو تحريمه ما يقولون تفاديا من تعريض أنفسهم لطائفة من التهم منها أنهم بعيدون عن فهم روح الاسلام ودعوته العلوية الى التأمل والتفكير فى خلق السموات والأرض ، والبحث والتنقيب عن كل أمر مطوى ، وسر من أسرار الحياة خفى ، لعل ما يعثر عليه أثناء هذا البحث والتنقيب يرشد الى القوة الالهية المبدعة ...

ومما يدل على أنه لا حظر ، ولا تحريم ، ولا منع ، من هذا القبيل أن طائفة كبيرة من أئمة الاسلام لم يمر ببالهم هذا التأويل الغريب للآية الكريمة (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) ، وأنهم بحثوا فى الروح طويلا ، وفكروا فيها أو فى بعض جوانبها عميقا ، ثم سجلوا

---

(١) عن مقدمته لترجمته العربية لكتاب « ثلاثون عاما بين الموتى » تأليف د. كارل ويكلاند طبعة ثانية ١٩٧٦ ص ٧ — ٩ .

ما بلغوه فى أحاديثهم ومصنفاتهم العديدة التى لا تزال من المراجع الهامة الدقيقة للباحثين فى الروح .

وحسبنا أن نشير الى ما ترك الامام مالك ، وابن القيم ، والغزالى ، والألوسى ، والجيلى ، وابن سـينا ، وابن عربى ، من قدامى المفكرين الاسلاميين وأئمتهم وفلاسفتهم من روائع الآثار والى ما ترك أيضا كل من فريد وجدى وطنطـاوى جوهرى ومحمد عبـده والمراغى ومخلوف من جلائل البحوث الحديثة فى القرن العشرين ...

وبدهى أن الله لو شـاء لكشف كل سر فى السماء والأرض دفعـة واحدة . واذن لذهب جلال الأمر بالعقول ، ولفاضت به النفوس أوذابت، ولكنه جل جلاله طوى الأسرار ليرفع النقاب عنها شيئا فشيئا ويكشف عن جمالها وروعتها قطعـة بعد أخرى تبعا لظروف الحياة وارتقـاء الأفكار واستعدادها لتقبل كل جديد ظهرت الحاجة اليه لتضمه الى قديم مستقر. وهذه هى سنته فى خلقه تبدأ أكثر وضوحا فى الطفل ، وفى التدرج فى اطعامه ، ثم فى تلقينه علوم الحياة متطورة مع مراحل تقدمه ونموه .

ولو شاء ربك أن تبقى الروح بمعزل عن كل بحث لصرف الباحثين من عباده عن التفكير فيها ، لكنه لم يفعل ، بل أعان وهدى حتى وصـل الباحثون الى كثير ، وان كان هذا الكثير لا يزال جد قليل ، لم يتعـد القشر الى اللباب ، ولا خطا الى ما وراء الباب .

نحن نعتقد أن الروحية الحديثة قد رفعت رأسها كعلم تجريبى فى أنسب وقت بعد أن طغى الغرب على الشرق من كل جانب حتى فلسفاته القـائمة على انكار أسس الدين ، وانكار مبدع الخلق ، وانكار عالم الغيب . فجاءت لتقول لهذه الفلسفات : مكانك تجمدى أو تستريحى . ولتقول لأصحابها من المـاديين : حسبكم ما أضللتم وأفسدتم . جاءت

لتدعو فى صميمها الى الله بالاشارة الى آياته ••• كما تشير اليه كل قطرة فى كل ماء ، وكل ذرة فى كل فضاء ، وكل صوت فى الأرض أو السماء •

وعلينا أن ندرك هذه الاشارة ، وأن نصغى الى صوتها فى خشوع• فان لم نفعل فما ألحقنا ضررا بذلك الصوت •• انما يمضى مدويا حتى يحقق رسالته ، ولكنها أنفسنا التى نلحق بها أضرارا أهونها أنا تتخلف عن قطار من قطر العلم الحديث يدعو الى الايمان ، ويومىء الى الله ، ويوثق به الأسباب ، وتوثيق الأسباب بالله •• بديع السموات والأرض• معراج الى سموات ، ونفوذ الى أبهاء من البهاء والسناء ••• » •

ثم يقول الأستاذ الكبير « لقد حاول المؤمنون الا أقلهم محاربة هذه الفلسفة بوسائلهم القديمة فأخفقوا ، وجمدوا مكانهم يائسين • ولم يحاولوا أن يجددوا فى هذه الوسائل أو يطوروها الى ما يصلح مع العصر الحديث ، على حين كانت المادية تتحرك ، وتغير من جلدها ، وتجدد من ثوبها ، وتتخذ كل يوم رداء مزركشا جذابا ينتزع جزءا من أرض المؤمنين • ولو شاء الأخيرون لأقبلوا على الروحية الحديثة التى هبطت عليهم من عل •• لأقبلوا عليها دراسة وتمحيصا وتجربة ، ولأخذوا منها ما يصلح لهم ، وطعّموا به دعوتهم الى الايمان ، ثم مضوا بها قدما •

لكنهم لم يفعلوا ، واكتفوا بالقديم من معارفهم والقديم من أسلحتهم فى معارك الفكر • ولذلك القديم جلاله لكنه غدا فى حاجة اليوم الى تعزيز بعنصر جديد من عناصر الفكر » •••

ثم يقول : « واذا سلكنا المعارضين فى الشرق الى أقرانهم فى الغرب واستعرضنا ما صنعوا بالحياة والأحياء ، وما قدموا لها ولهم — تساءلنا : ترى كيف كان يبدو وجه الحياة اليوم لو انتصرت المعارضة فى معاركها وقضت على دعوات الحق واختراعات الخير والنور ؟ لا شك أنه كان يبدو بالغ الدمامة !

لكن أولى العزم من الرواد يقـدمون ولا يبـالون ، ويقتحمـون الأسوار ، ويثبون على المجاهل حتى يجعلوا كل مجهول معلوما ، وكل ظلمة نورا . ولولا هؤلاء الرواد لمـا شهد العالم حضـارة ولا تقدما ، ولا بزغ فى أفقه كشف نجم جديد فى الأرض ولا فى السماء .

ان الناس أعداء لمـا جهلوا . وكثير مما تتقلب فى ظله اليوم هـو ثمرة اكتشافات تعرضت فى أول أمرها وتعرض أصحابهـا لصنوف من الأذى ، لكن ما لبث ما كان باطلا صار حقا واقعا عاد على الانسانية بالخير الجزيل » (١) ...

---

(١) عن مؤلفه « الروحية الحديثة دعوة الى الايمان » ص ١٨–٣٢ . وللمزيد راجع أيضا د. عبد الرزاق نوفل فى مؤلفاته العديدة فى الروحية الحديثة ، وبوجه خاص كتابه « من أسرار الروح » ١٩٧٧ ص ٥٠ – ٦٧ .

الباب الرابع
فى التكوين الروحى
بين السيكولوجى والباراسيكولوجى

تمهيد

يعنى الطب والبيولوجيا والفسيولوجيا ... بالتكوين العضوى للانسان سواء من الخارج أم من الداخل ، حين تعنى العلوم الانسانية بتكوينه النفسى ، أو الروحى ، أو العقلى ، أو الأخلاقى ... كل علم فى حدود نطاقه على قدر الامكان .

ومنذ ظهرت أبحاث الباراسيكولوجى ابتدأت تركز على محاولة التعرف على بعض أسرار التكوين الروحى للانسان . أى محاولة التعرف على هذا التكوين غير الظاهر ، وغير الخاضع للحواس العادية ، بوصفه مصدرا حقيقيا لنشاط الانسان من الناحيتين العضوية والنفسية وقد قطع الباراسيكولوجى فى هذا النطاق شوطا بعيدا من أربعة جوانب بالأقل :

ـ فقد توصل الى اكتشاف ما يصح أن يطلق عليه الديناميكية النوعية ، وما يرتبط بها من حقل بيولوجى لطاقة كهرومغناطيسية تعتبر جديدة على دوائر العلم ... وهذا ما سنعالجه فى فصل أول تحت عنوان « فى التكوين الروحى للانسان بوجه عام » .

ـ كما توصل الى اكتشاف ما يصح أن يطلق عليه وصف الهيولى المحايدة ، التى أصبحت تعلل وجود الجسد الأثيرى أو الهيولى للانسان ، وهو الذى تبين أنه مصدر الاحساس بكل صور الأحاسيس والانفعالات ... وهذا ما سنعالجه فى فصل ثان تحت عنوان « بين التكوين الروحى والجسد الهيولى » .

ـ وتوصل الباراسيكولوجى أيضا الى أن هذا التكوين الروحى ـ مهما كانت عناصره فى نهاية المطاف ـ له اتصال وثيق بالعديد من عوامل الصحة والمرض ، لأنه يتبادل التـأثير ـ ايجابا وسـلبا ـ مع التكوين العضوى لصاحبه . وهذا النظر دعّم صحة الوقائع التى لا تحصى الآن عن نجاح العـلاج الروحى فى تخفيف آلام المرضى بأمراض عضـوية أو عصبية .... وهذا ما سنعالجه فى فصل ثالث تحت عنوان « فى صـلة التكوين الروحى بالعلاج الروحى » .

ـ وتوصل الباراسيكولوجى الى أن هذا التكوين الروحى هـو المسئول الأوحـد عن ظاهرة من أهم الظواهر كشفت عن العـديد من خبايا النفس الانسـانية خصوصا فى النوم ، وهى ظاهرة الطرح الروحى أو الخروج من الجسد ، وهى ظاهرة تستحق أن تعالج هنا فى فصل رابع تحت عنوان « بين التكوين الروحى والطرح الروحى » .

الفصل الأول

فى التكوين الروحى للانسان
بوجه عام

عن تعريف التكوين الروحى

تعريف الفطرة أمر صعب المنال خصوصا عند محاولة وضع حد فاصل بين عناصر الفطرة وعناصر الاكتساب . وتعريف التكوين الروحى أمر أصعب منالا ، لأنه مرتبط ابتداء بتعريف الفطرة ، كما هو مرتبط أيضا بتعريف الذرة ، بالاضافة الى مفهوم الأثير والفراغ والمكان والزمان..

وفهم فكرة المكان — ومثلها الزمان — ظل محدودا جدا — من الناحية العلمية — قبل أن تظهر المادة الصلبة على حقيقتها فى كشوف الفيزياء الحديثة بوصفها تمثل مجرد رتبة معينة فى اهتزاز الأثير لا أكثر ولا أقل . وقبل أن تظهر معادلات علماء الرياضة الكبار — وبخاصة اينشتين — كيما تضىء السبيل أمام فهم أصح لفكرتى المكان والزمان معا. وقلت من الناحية العلمية ، لأنه من الناحية الفلسفية هناك بعض فلاسفة قد لمسوا — خصوصا منذ القرون الوسطى للآن — كبد الحقيقة عن الصلة بين الزمان والمكان وعن عدم امكان الفصل بينهما ، وعن طبيعة المادة الصلبة بتحديد معنى الزمان والمكان .

ومنهم مثلا الفيلسوف الألمانى هيجل Hegel (١٧٧٠ — ١٨٣١) الذى يقول ان « المكان موجود وغير موجود ، والمادة شىء وليست شيئا .. وهذا التناقض هو مبدأ التطور الطبيعى والقوة الدافعة ، وهو ينحل فى « الحركة » التى تقسم المادة الى وحدات متمايزة وتكون منها السماء ... السماء مجتمع ابتدائى يشبه من بعيد المجتمع الانسانى » . وهذا الفهم الفلسفى كان من ارهاصات الفهم العلمى والرياضى الذى رسخ فيما بعد عن حقيقة الزمان والمكان والمادة الصلبة .

وهذا الفهم المؤسس على حقائق رياضية صرف هو الأمر الذى يسر اكتشاف الروح علميا بوصفها هى الأخرى رتبة معينة من رتب اهتزاز الأثير ، تتجاوز فى ارتفاعها رتبة اهتزاز الكون المادى . مع مراعاة أن أقوى الاقتناع هو الاقتناع الرياضى ، أى ذلك المؤسس على حقائق رياضية غير حسية لأن الحواس البشرية كما سبق أن قلنا مرارا قاصرة قصورا تاما ، ولا تكاد تدرك شيئا يذكر من حقائق الكون ، فهى تخون الانسان وتخدعه خداعا مروعا فى كل كبيرة وصغيرة من هذه الحقائق .

وهكذا كان الفهم الخاطىء لحقيقة المادة الصلبة فى الماضى عقبة كؤودا تقف فى طريق تسليم العلم المادى بوجود عالم للروح ، لأن المادة كانت هى البداءة وهى النهاية فى نظر علوم المادة . أما عندما فهمت حقيقة المادة الصلبة فهما صحيحا بوصفها مجرد كهارب فى رتبة اهتزاز معينة ، فقد أصبح هذا الفهم الصحيح هو بذاته مصدرا للاقتناع بوجود عالم للروح يتولى تنظيم عملية اهتزاز المادة هذه ، كما يتولى الربط بين كهاربها التى لا تربطها أية قوة من عالم المادة .

وبالتالى لم تعد المادة الصلبة تصلح بداءة ولا نهاية ، بل أصبحت فحسب مظهرا خارجيا لعالم آخر هو أصل هذه المادة ومبدعها . وأصبح معروفا أن لكل جسم صلب جسما آخر أثيريا يربط بين كهاربه ويحافظ على تماسكها على ما سيأتى . وفى الجملة أصبح فهم المادة الصلبة على حقيقتها هو السبيل لاكتشاف موقع عالم الروح على حقيقته .

ولنستعمل فى التعبير عن بعض هذه المعانى عبارات ول ديورانت Will. Durant المفكر المعاصر (ولد فى سنة ١٨٨٥) وهو يقول فى الجزء الأول من « مباهج الفلسفة » (١) أن « عناصر الذرات التى تنحل تفنى تماما وتفقد كل صفة للمادة ، بما فى ذلك الثقل وهو أكثر صفاتها الرئيسية .

(١) Pleasures Of Philosophy.

ذلك أن الميزان يعجز عن وزنها ، ولا يستطيع شيء أن يعيدها الى حالة المادة فقد اختفت فى عظمة الأثير .. والحرارة والكهرباء والضوء الى غير ذلك تمثل آخر مراحل المادة قبل اختفائها فى الأثير . والمادة التى تنحل تخرج من ماديتها بمرورها فى حالات متتابعة تنتزع منها تدريجيا صفاتها المادية حتى تعود فى النهاية الى الأثير الذى لا يمكن وزنه ، وهو ذلك الأثير الذى يبدو أنها نشأت عنه ... » .

أو فلنستعمل فى التعبير عن بعض هذه المعانى عبارات الأستاذ عباس العقاد وهو يقول « ان المادة اليوم لا تصد المفكرين عن عالم الحقائق المجردة ولا هم يتخذون من صلابتها وجسامتها شرطا للحقيقة الثابتة ، فان الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بمجرد الصلابة والجسامة ، ولا تزال ترتد الى أصولها حتى تؤول الى عدد من الهزات فى ميدان مجهول هو ميدان الأثير وميدان الفضاء . فالمادة فى القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد ، بل دخلته وأصبحت فى تقدير الثقات عملية رياضية أو نسبة من النسب التى تقاس بمعادلات الحساب » (١) .

وفى هذا الشأن أيضا يكتب الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير قائلا : « لقد هزلت المادة كثيرا ، وأصبحت الذرة غير مادية ، وأصبحنا نرى الكون المادى يفقد صفته المادية . بل اننا نرى الفيزيقا فى الوقت الحاضر قد هجرت تماما ذلك المدرك الكلاسيكى الخاص بالمادة . وأصبحت الحنايا الداخلية لما نسميه « مادة » تمثل بفعل ومسلك مجموعات موجية كهرطيسية ، وأشعة كونية ، واشعاعات نجمية تملأ الفضاء بين النجمى ، وهو ذلك الفضاء الشاسع الذى أفزع العالم بسكال.

ولم يعد ثمة فرق أساسى بين الموجات الكهرطيسية والضوء واللون والحرارة الاشعاعية ، فهى كلها قابلة للتبادل والتحول . وهى تعمل كأنها

(١) عن « عقائد المفكرين فى القرن العشرين » ص ٥٢ .

أجزاء فى المجموعة كلها ، وتظهر أن الفضاء يموج باشعاعات حثيثة وأنه يتزن بما يكتنفه من شبكة من الموجات تتفاعل فيما بينها وبين دفع وجذب محدثة حركات داخل مجموعاتها فى نظام بالغ الحد . بل لقد ظهر أن الفضاء نفسه أى الأثير له خواص كانت فيما مضى تنسب الى المادة ، وأن هذا الفضاء يكيف جميع الأحداث الفيزيقية ، وبذلك أصبحت المادة دوامة من الطاقة تسبح فى رحاب هذا الفضاء الشاسع .

والنتيجة المباشرة لهذه الكشوف من حيث طبيعة الذرة هى أن الفلسفة المبنية على أن المادة شىء متجسم ليست صحيحة . لقد اندثرت هذه المادة حينما حطم العلماء الذرة . وثمة نقطة أخرى هى أن مدركاتنا الكلية الأولى عن الزمن والفضاء اللذين يحيطان بعالمنا أصبحت غير صالحة ، واتضح أن الزمن والفضاء ليسا الا من خواص الوجود الذى نحن به مرتبطون فى الوقت الحاضر . ومعنى هذا أنهما بيانات أو تعبيرات عقلية ، ومن ثم كانا انشاءات ذهنية . وعلى ذلك ينهار منسوج الرأى المادى بأجمعه ... » (١) .

الروح والمادة

وفى نفس هذا الاتجاه يتحدث ج . ج. بينيت J. G. Bennett العالم الرياضى قائلا — وهو بصدد محاولة وضع تعريف علمى للروح — : « لقد أصبحنا نفهم المادة فى العصر الحاضر على نحو مغاير لما كانت عليه الحال منذ مائة عام فقط . ففى القرن التاسع عشر كانت المادة تعنى تجمع عدد ضخم من الذرات الكيميائية ، وكان العلماء يتصورون أنهم عرفوا كل شىء تقريبا عن المادة . أما فى أيامنا هذه فقد أصبحت المادة تعنى بالنسبة لغالبية الناس مجرد طاقة ، أما بالنسبة لعلماء الطبيعيات بوجه خاص فقد أصبحت لغزا . وبالنسبة لعالم الكم فقدت

---

(١) عن مقال له عنوانه « النظام الموجى وطبيعة الظواهر الروحية » منشور فى مجلة عالم الروح عدد يونية ١٩٥٢ ص ٢ — ٩ .

المادة والطاقة معا مجتاشما القديم الذى كان سائدا منذ ثلاثين أو أربعين عاما .

وهكذا يمكننا أن نعزى أنفسنا بأنه اذا كان من الصعب تعريف الروح ، فان المادة ليست أيسر تعريفا بكثير . ولقد أصبح من الواضح عند الطبيعيين أن « المادية » أمر نسبى ، ومن المحتمل أن كثيرا من الخصائص التى كان ينظر اليها فى الماضى بوصفها خصائص روحية مثل الاحساس ، والتفكير ، بل حتى الرعى ليست سوى حالات أو صيغ جديدة للمادة . وفى الواقع يمكننى أن أذهب الى أبعد من ذلك ، وأن أقرر أن بمقدورنا عدم البحث فى الطبيعيات ، أو فى البيولوجيا ، أو فى السيكولوجيا أن نجد أنه لا توجد سوى المادة فى شكل أو فى حالة من التركيب Combination .

وقد تحسب أننى خلصت الى أن الروح ليس لها سوى دور ضئيل كيما تشغله نتيجة اختباراتنا فى العالم المادى ، على أن هذا المعنى هو أبعد ما يكون عن الواقع فان غير المادى غنى فى محتوياته مثل المادى ، لأنه عبارة عن « مملكة الصفة والقيمة » . وبين القيم ما يميز بعضها عن البعض الآخر ، فالجمال متميز عن الجودة ، والأناقة عن الاقتصاد ، والصدق عن الصواب ، وفى الجملة كل قيمة متميزة عن باقى القيم . وهكذا توجد تركيبات لا عداد لها من القيم الأولية ومن مشتقاتها وهو ما أطلقت عليه « اقليم القيم » .

واقليم القيم هذا محتواه الروح . وهكذا تكون الروح جماع كل صيغ القيم ، وكل الخصائص الممكنة . فاذا ما كانت « المادية » نسبية كما أرى فاننى أعتقد أن « الروحية » نسبية أيضا . فالطيور عندما تصدح فى الربيع ، والشمس عندما تغرب فى الخريف ، وفعل البر عندما يتم فى سخاء ، واللوحة التى تتعرف فيها على عمل فنى أصيل ، وكل عمل عادى يجرى ويتم باتقان ... كل هذه تحمل خصائص روحية ، لكنها ليست فى « الروحانية » من نفس النوع ولا من نفس الموضع .

وقد تعترض على التمييز بين الروح والمــادة قائلا أن جميع الأشياء التى ذكرتها ليست فى نهاية المطاف سوى خصائص للمــادة : فالصــور سواء أكانت من عمل فنان عظيم أم رسام بائس ليست فى الحالين أكثر من ألوان وقماش فى صور مرئية ولكن الفارق فحسب فى أفكارنا وفى مشاعرنا نحو هذه الأمور • ولقــد ذكرت أن الأفكار والمشاعر ليست سوى حالات للمادة ، وهكذا هل نختزل كل شىء الى المــادة فى نهاية المطاف ؟

وجوابى هو أن ذلك يبــدو صحيحا فحسب من زاوية المعرفة • فنحن لا نعرف ما هو العمل الفنى الصحيح ، ولكننا نحكم على صفته عن طريق قدرة فينا مختلفة تماما عن قدرة المعرفة • فنحن نعرف شيئا عن المــادة ، لكن الخصائص الروحية تتعرف عليهــا عن طريق الحكم على الأشياء •

واذا لم يكن هذا القول واضحا فدعونا بالأقل نتفق على أن بمقدورنا أن نتعرف على الخصائص عندما نراها • وعندئذ فاننى ألتمس منك أن تتقبل منى فكرة أخرى اضافية وهى أن الخصائص لها حقائقهــا الذاتية سواء ارتبطت هذه الخصائص بالأشكال المــادية أم لم ترتبط بها • فمثلا سألتمس منك أن تتقبل فكرة أن الطيبة Goodness صفة حقيقية • وأنها ستظل حقيقة حتى ولو لم يوجد انسان واحد طيب ، أو شىء واحد جيد فى الوجود كله •

ومن الواضح أنك قد تجد هذا القول خارقا للعقل وقــد ترفضه بوصــفه لا معنى له • ولكن كل ما أطالبك بأن تتفق معى فيــه هو أنه لا يوجد شىء خارق للعقل ، أو لا معنى له فى القــول بأن الخصائص الروحية لها حقيقتها الذاتية ، المتميزة تماما عن حقيقة المــادة • وبهــذه الفكرة فاننى أطلب منك أن تفترض بأن الخصائص الروحية نســبية ، بمعنى أنه يمكن للانسان أن يتحــدث عن صفة روحية عالية وأخــرى

منحطة ... وهكذا فان جميع الخصائص الروحية تكوّن عالما أو عدة عوالم قائمة بذاتها . وهى تلك التى يمكننا أن نطلق عليها وصف «الروح» لمجرد التبسيط » (١) .

وهذا القول أورده المؤلف فى صدد محاولته وضع تعريف للروح للتمييز بينها وبين المادة ، وهو يلتئم تماما مع ما سيرد فيما بعد فى عدة مواضع عن وجود خصائص ومفاهيم كونية طبيعية مستقلة تماما عن المادة ، وعن حكم حواسنا القاصر على المادة ، وعن هذه الخصائص والمفاهيم الروحية أيضا .

وهذا القول يبين أيضا كيف أن من أشق الأمور محاولة وضع تعريف علمى محدد للروح التى لا تزال لغزا يحير العلماء ، يفوق بلا ريب لغز المادة الصلبة . وهو ما يدفع الى القول بأن العلم الحديث لا يملك حتى الآن فهما متكاملا للروح أو حتى للمادة وان كان قد وصل الى فهم رياضى محدود لطبيعة المادة الصلبة ، أو بالأدق لتركيبها الداخلى الذى لا يمثل فى النهاية كل شىء فى الكشف عن خواصها الحقيقية .

الروح والذرة

والحديث فى كنه المادة الصلبة ومنسوجها الذرى والجزيئى الذى يحير الألباب أصبح يجر علماء الطبيعيات فى القرن العشرين الى الحديث فى الروح أيضا ، وفى صلتها بهذا المنسوج الذرى وداخل الذرى للمادة . ووضعت فى هذا الموضوع عدة مؤلفات تتناول زوايا متعددة لهذا الموضوع الدقيق (٢) .

---

(١) عن مؤلفه « علم نفس للروح » .
A Spiritual Psychology 1964, P. 10 — 11.

(٢) منها مثلا :
Baron de Eickstedts : Atôme et Psyche : Sluttgart 1945.
K. O. Schmidt : L'Ame et L'Atome 1971.
ونحن نعتمد هنا على الترجمة الفرنسية (لا على الأصل الألمانى) لهذا الكتاب الأخير .

وفيه يقول المؤلف الألماني ك . شميدت K.O. Schmidt:
كما أن نواة الذرة وغلافها الخارجي يكونان معا الذرة بأكملها ، فكذلك في الكائن الانساني نجد الغلاف الجسدي ، أو حقل الطاقة الذي تعمل فيه النفس والروح ، وكلها تكون وحدة واحدة .

وكما أن الذرة بوصفها حقلا للقوى وللطاقة لا يمكن اكتشافها الا عن طريق مظاهرها الخارجية ، فكذلك النفس بوصفها حقلا للقوى ، والروح بوصفها عمادا لهذا الحقل لا يمكن اكتشافهما ، واخضاعهما للاختبار الا عندما يباشران أوجه نشاطهما الخارجية .

وبعبارة أوضح فان من خصائص العالم الذرى الحركة التى تغذيه . ونشاطه الحركى اذا ما نظرنا اليه عن قرب يبدو متجها الى هدف ، ويكشف عن اتجاهات حيوية موجهة ، وعن طاقات حيوية الى حد يمكننا من أن نعين الذرة بأنها فى معنى من المعانى تمثل حقلا لطاقات ميكروبيولوجية microbiologiques وتشبهها الروح التى تظهر بوصفها حقلا مصغرا لقوى الروح الكونية .

والروح تبدو كالذرة بوصفها رصيدا منتجا ، قادرا ، له ذاتيته الخاصة ، ومزودا بطاقات موجهة منظمة تنظيما عاليا . أى بوصفها تنظيما لطاقة مغلقة . وتبدو أيضا كالذرة بوصفها ذات نشاط كائن وفاعل فى الباطن immanente ويملك تلك القدرة على التكاثر وعلى الوجود الذاتى autogène .

وما يصدق على الذرة بوصفها موجهة لانتظار هدف ، أو نداء ما ، أو غاية يصدق أيضا على الروح . وما يصدق على الذرة بوصفها ذات رد فعل ذى وجود ذاتى ، وقادرة على أن تستجيب الى دوافع خارجية

---

(١) راجع شميدت . المرجع السابق ص ٢٢ — ٢٦ .

(كأن تتلقى تأثيرات عقلية أصبحوا فى الخارج يبحثون جانبا منها فحسب تحت وصف تأثير العقل فى المـادة P. K.) يصدق أيضا على الروح[1] .

واذا نظرنا الى المـادة من زاوية الطاقة فـلا نجد مادة ميتة بالمعنى الحـرفى . وأيضـا اذا نظر الانسان الى الطاقة ، والنشاط ، والحركة بوصفها خصائص لكل حياة ... لكن القربى بين الذرة والروح لا تبلغ أقصى مداها اذا نظرنا الى الانسـان بوصفه « دينامو » أى مصـدرا للطاقة ، ولحقـل كهربى مغناطيسى يكشف عن سرعة تردد ، وعن طول موجة . فالانسان دينامو مولد لطاقة فيزيقية ، وروحية ، وعقلية .

والطاقة هنا تعنى قـدرة الانسان على أن يمارس أهدافا معينة ، ويحقق انجازات تتفـاوت فى نوعياتها بين انجازات للعقـل ، وللنفس ، وللروح ... والذرة والروح بوصـفهما حاملين للطاقة ليس بمقدورهما التخلى عن هـذه القدرات تلقائيا . ومن الخير أن يكون الأمر كذلك ، فلا أحد يعلم ماذا يمكن أن يحدث لو أمكن للانسان أن يتخلى — بغتة — عن طاقته الروحية ، اذ من الجائز أن يؤدى ذلك الى ما أدى اليه تفجير الذرة من صنع القنبلة الذرية ...

الروح والجسـد

وقـد وصـل اكستدس Eickstedts العالم الألمـانى المعروف فى بحـوثه فى الديناميكية الروحية Psychodynamique الى أن مركز النوم فى المخ (فى منطقة الغدة الصنوبرية) هو الحارس لباب عظيم بين هذا العالم وعالم آخر . فهو مركز للسكينة ، لأن النوم عبارة عن وقت تفريغ ذرى decharge atomique واعادة شحن من جديد للطاقة الكونية ، أى اعادة شحن لهذه « البطارية » التى هى الحياة .

وهذا التعريف الجديد للنوم يجعلنا نفهم كيف أن الاسترخاء الداخلى مع التأمل meditation حتى فى اليقظة يكون بمثابة نوع من « النوم

---

(١) لنا وقفة كافيـة عند هذا الموضـوع فى الفصل الثانى من الباب السادس .

الواعى » • وكيف أن هــذا الاسترخاء ــ مع التأمل ــ له تأثير مذهل فى استعادة القوى الجسدية والذهنية •

ففى غمرة التأمل نصبح شاعرين بوجود هذه الطاقات الكونية ، ونقــوم باعادة شحن أجسادنا بطاقة جــديدة للحياة عن طريق توسيط الروح[1] •••

ومن الهام جدا أيضا أن نقر بأن أثر الروح على الجسد عن طريق الجهاز العصبى والغدد موجه دائما نحو تحقيق هدف • وطبقا لهذا المبدأ فان أصغر النتائج تسمح بالاقرار بتأثير قادم من عقــل أسمى • ويكون الانسان مجرد قطعة صغيرة جدا من هــذا العقل الكونى الأسمى الذى هــو الله •

ولذا يقول اكستدس « ان الروح من أصل كونى ، ولا يمكن فهمها الا فى غمرة فهم القوانين الكونية • فهى صورة وشهادة للتأثير الكونى على الأرض • ورمز لمــا هو خالد عندما يظهر نفسه فيما هو مؤقت » •

ونظرا لأن الروح تمثل حقلا للقوى الكونية غير المــادية فى الطبيعة ، فان موضعها يصبح خارج نطاق الزمان والمكان • وهذه الحقيقة عرفهــا بالالهــام الحكماء الكبار والمتصوفون فى جميع العصــور ، واختبروها بأنفسهم • والنوم الذى يتحدى المكان والزمان عبارة عن واقعة يعيشها صاحبها وتنتمى الى ما هو خارج الاحساس والجسد •

وفى الظواهر الموصــوفة بأنها وراء (النفســية أو الروحيــة) para-psychiques تظهر طاقات وملكات للروح تتحدى المكان والزمان بمعطيات مباشرة على النحو الذى يحدث فى التخاطر ، وفى تأثير العقل فى المــادة ، وفى الجلاء البصرى ، وفى التنبؤات الصحيحة •

ففى هذه الحالات يبدو أن عالم الروح ــ وهو ذو أبعاد أربعة ــ يؤثر فى عالم منخفض ذى أبعاد ثلاثة ، وهو عالم الجسد والمــادة (وهذه

(١) لنا وقفة كافيــة عند هذا الموضوع فى الفصل الثانى من البــاب الخامس •

الأبعاد هى الطول والعرض والارتفاع يضاف إليها بالنسبة لعالم الروح بُعد الزمن ، ولذا يقال فى وصـف عالم الروح أنه زمكانى بحسب نظرية النسبية لأينشتين) .

واذا نظرنا الى هذه الظواهر الوراء الروحية من هذه الزاوية فهى لا تكون ظواهر غيبية أو غامضة بالمرة ، لكنها ظواهر دينامكية للروح ، يمكن فهمها عند تقريبهـا الى ظواهر التراسل اللاسلكى ، والراديو ، والتليفزيون . وعن طريقها يمكن أيضا أن نقرر أن الروح تمثل حقـلا لا يمكن تدميره لطاقات مغايرة .

وجميع الانجازات المـادية والعضـوية تكشف عن تطـور دائب له ماضٍ ، وله مستقبل . فجسـدنا مثلا خلال سبعين عاما يعيد تكوين نفسه بنفسه ــ بفضـل طاقات روحية للروح ــ عـدة مرات الى أصغر خلاياه . أما الروح فتظل على حالها عند الطفـل ، وعند البالغ ، وعند الشيخ (أى لا تشيخ أبدا) .

وتظل الروح على حالها تقريبا ، بكل رصيدها من الطاقة عبر كل ما تصادفه من صور الخيبة ، والتهديد ، والعقبات ، والتردد بين الفرح والترح ، والنضال ضد الطقس ، والاقليم ، والمهنة ، والوسط . فالقدرة الطاقية للروح ازاء كل هذا ، وضد كل هذا ، تظل على حالها . وبنيان الطبع يظل على حاله فى مجموعه . وكما يقول فرانك Frank فان الروح بوصفها حقلا لطاقات بيولوجية تعلو فى كل الأزل على موت الجسد (١) .

* * *

ثم يقول شميدت ان ثمة أشخاصا قلائل من أولئك الذين يحققون نجاحا خاصا يدركون أن ثمة طاقة ثالثة غير طاقة الروح والجسد ، هى

---

(١) شميدت . المرجع السابق ص ٣٥ ــ ٣٧ .

طاقة الروح عندما تتضافر مع طاقة الذات • وهى طاقة تنبعث من القلب وتتجاوز بكثير طاقات اليدين والمخ •

وهذه الطاقة الداخلية كثيرا ما تنشط للعمل بدون علم أصحابها ، وتؤدى الى نجاحهم • وباستخدام دينامومتر Dynamomètre لقياس مدى استخدام هذه الطاقة الثالثة اتضح أن نسبة من يستخدمونها تصل بصعوبة الى عشرة فى المائة ، حتى عند أولئك الذين يشعرون بها • ولا تتجاوز أبدا ثلاثين فى المائة فقط • فالانسان العادى حتى الآن لا يستخدم سوى جزء يسير من طاقاته الحقيقية •

وبمقدورنا مضاعفة قدراتنا على التنفيذ اذا طرحنا عن أفكارنا طرحا واعيا الصعوبات التى تحيط بنا ، وأوجه القصور التى فينا ، واذا ما ربطنا أنفسنا بقلوبنا عن طريق الطاقة الداخلية ، التى تضمن لنا تفوقا غير مشروط ، واذا ما أقدمنا على عملنا بثقة مفعمة بالايمان •••

وذلك لأن الطاقة التى تعمل فينا تتدفق من المصدر الخالق القادر على كل شىء طالما كنا نظل شاعرين بوجود هذه الطاقة الحية فينا • والقدرة على اجتذاب هذا المجرى من الطاقة الداخلية تحتاج الى فن يتمثل فى التوجيه الروحى الصحيح ، ويؤدى الى مضاعفة قدرتها على الانجاز ، وفرص النجاح أمامها • وكل من يعتاد على ذلك لن يعرف الخوف مستقبلا •••

ولا يتسع المقام للاسترسال طويلا فى هذا الموضوع الهام وهو موضوع صلة نشاط الروح بنشاط الذرة ، وقدرتها على التحكم حتى فى نشاط الذرة على ما ثبت الآن بأبحاث عديدة قام بها علماء الباراسيكولوجى عند تحقيق ظواهر تأثير العقل فى المادة الميتة والمادة الحية على حد سواء • ويكفى أن نقرر فى هذا المقام أن العلم

---

(١) المرجع السابق ص ٣٩ — ٤١ •

وصل الى فكرة مؤكدة عن تفوق الروح حاملة العقل على المادة الصلبة في كل صيغها ، وقدرتها على التأثير فيها •

الروح ــ الخلايا ــ الصحة

ويتحدث شميدت عن فيزياء الذرة وكيف أنها تتحدث عن الاشعاع الذرى بوصفه انتقالا لطاقة تنطلق من مصدر للاشعاع ، ثم تنتشر عن طريق أمواج متصاعدة بمقدار طول خطوط طاقات محددة • وبنفس المعنى فان العاملين فى حقل « الديناميكية الروحية » يتحدثون عن اشعاعات تنبعث من حقول الطاقات الآدمية البيولوجية ، والروحية بوجه عام ، واشعاعات العقل بوجه خاص •

وهذه الاشعاعات الأخيرة تكون أكثر فعالية بمقدار توافر المقدرة على تركيزها نحو موضوع أو نحو هدف محدد • وتكون أكثر ضعفا عندما تكون خاضعة لتوجيه بعيد عن التركيز ، وفى اتجاهات متنوعة ، فتضيع بددا • وعلينا أن نضع فى الاعتبار أن مجموع الخلايا فى أجسادنا مكون من حوالى ثلاثين بليونا منها ، وأن كل خلية منها تتلقى نصيبها من الاشعاع ، وتبعث به الى شعورنا ، والى لاشعورنا ، والى شعورنا الأسمى •••

وبسبب أسلوبنا فى التفكير الايجابى ، وتوجيهنا الروحى ، فانه يكون بمقدورنا أن نبعث بالطاقة الروحية المنبثقة عن وعينا التام الى مستويات أسمى وأدنى من كتلة الخلايا التى تكوّن أجسادنا ، وأن نجتذب كل خلية منها نحو مركز من مراكز اشعاع الطاقة فيه • وبمقدار ما يكون هذا النشاط واعيا فينا بمقدار ما يكون الاشعاع حيا ، وتكون حية كذلك مقاومة أعضائنا للأمراض •

فكل فكرة ، وكل شعور ، وكل دافع من دوافع الايمان والارادة انما هو أمر قادم من فوق ، حامل لاشعاع موجه الى كل خلية على حدة ،

كما هو موجه الى مجموع الخلايا ، وبدون اعتبار للنتائج التى يقـوم بتنفيذها • فاذا ما شعرنا بضيق ، أو بتعاسة ، أو بضعف ، فالسبب هو أننـا قمنا بعملية سجن وشلل لخلايانا التى لا تحصى ، والتى أصبحت لا تتعاون نتيجة لأوامر متناقضة أصدرها اليهـا العقل • ولا ينبغى أن نعتبر أحدا غيرنا مسئولا عن هذا الضيق المؤلم الذى قد نعانى منه •••

وانطلاقا من هـذا النظر ، فانه يكون متعينا علينا بحكم الضرورة أن نراقب أنفسنا بأنفسنا ـ بسبب أفكارنا الزائفة ، وبسبب توجيه روحى سلبى ـ الفوضى فى التعاون المطلوب بين الخلايا ، وتضامنها ، وهـو ما ينتهى بنا الى انتفاء التناسق ، والى حالات باتولوجية (مرضية) •

وكم يبدو هاما أن نلاحظ هنا هذه الحقائق ، وأن نوجه مشاعرنا نحو اصدار اشعاع ايجابى ، وأن نصدر دفعة قوية كيما نعيد بناء التناسق بين الروح والجسد ، وبالتالى الصحة • ويبدو لنا ذلك واضحا فى الواقع عندما نسمح بالاتحاد العميق بين أعضائنا ، وبالدفعة الاشعاعية من داخل خلايانا ، أى بتبادل المعلومات فيما بينها ، وهذا ما يمكن تسميته باشعاع الخلايا •

وعندما نوجه أفكارنا نحو مصيبة حاقت بنا ، باحثين عن السلوى والعزاء ، وراثين لمـا يجرى فى الدهر من مفارقات ، ومن آلام ، ومن شرور ،فاننا بذلك نقوى شرود الأفكار ، ونتشـط اشعاعا بمقدوره عن طريق الغدد والأعصاب أن يوجه الخلايا ، والروابط القائمة فيما بينها ، نحو المزيد من تجسيم آثار هذه الشرور •

وكما أن التفكير فى وجبة شهية قد ينشط الغدد اللعابية ، والافراز المعدى ، فان كل دفعـة تجىء عن طريق الخوف أو الشـجاعة ، والكره أو الحب ، والتعاسة أو السعادة تولد عن طريق تأثير الأعصاب والغدد فى الدم وفى كل الأعضـاء تغييرات عميقة ، لها صـلة بتكاثر الخلايا ، وبالفردية الكيميائية •••

وهذه التأثيرات تمر باللاشعور متجهة إلى أى عضو بوجه خاص ، وتنتقل كما لو كانت أمرا صادرا الى آخر الخلايا عن طريق عملية هى أشبه ما تكون بالتلبــاثى بين الخلايا بحسب تعبير كـ• شليك C. L. Schleick .

ولهذه الاعتبارات مجتمعة فان البحث عن ايجاد التناسق الداخلى يساعد عمل الطبيب الذى بداخلنا عن طريق المحافظة على توازن وظائف الجسد الى الحد الذى لا يجعلنا نشعر بهذه الوظائف ••• والنشاط المجدد للطبيب الداخلى تدعمه أية دفعة ايجابية للعقل ، للشـعور ، وللايمان • ومن ثم فان البحث الصحيح عن ايجاد التناسق بداخلنا هام جدا بالنسبة لاستعادة الصحة وللحفاظ عليها • واكتســاب فكرة متماسكة عن العالم مؤسسة على معطيات الروح من شـأنه أن يبعد احتمال قلق الروح ، والتوجيه الخاطىء لطاقاتها •

وهناك آلاف من التجارب التى علمتنا كيف أن التوجيهات الروحية السلبية ـ مثل الضيق ، والخوف ، واليأس ـ يمكن أن تجر الى حدوث زعزعة مباغتة فى الروح ، وانهيار فجائى فى الصــحة • وبالعكس علمتنا كيف أن الحفاظ الواعى على تناســق الذات بسبب توجيهــات ايجابية للأفكار يمكن أن يملأ نفس هذا الجسد بطاقة جديدة ، وبحياة متجددة • وخلال هذا الموكب من تساسل العمليات ، بقدر ما يكون الانسان شاعرا بوجود هذا الطبيب الداخلى الذى يساعد ويدعم الصحة بقدر ما تقل فرص الأمراض العضوية والعصبية(١) •

الى هــذا المدى تظهر أهميــة البحث عن ايجاد التوازن فى عناصر الذات ، ومعه الثقة فى الطبيب الداخلى الذى دفع باراسيلز Paracèlse (٢)

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٥ ــ ١٣٠ .

(٢) هــو الطبيب والفيلســوف السويسرى فيليب فون هوهنهايم باراسيلز (١٤٩٣ ــ ١٥٤١) ويعتبر أبا للطب الكونى القــائم على أساس وجود تراسل دائم بين العالم الخارجى ، وبين التكوين العضوى للانسان .

الى أن يقول بحق « فى الوجدان يسكن الطبيب ، وهو قادم من عند الله ، ونابع من الضوء الطبيعى • والحب هو أسلوبه المثالى للعلاج » •

ونشاط الروح أو الوجدان فى علاج أمراض الجسد يطلق عليه شميدت وصف Psychurgie أى تداخل الروح فى علاج الجسد ، ويعتبره فرعا من الروحية الديناميكية Psycho Dynamique ويسند هذا التداخل الى ما يطلق عليه الاشعاع الذاتى الذى الى الجسد radio-activité de la pensée

ويقول انه حيثما تمارس الحياة النشاط المطلوب زرع الجلد والأعضاء ، فان التداخل الروحى العلاجى يحدث عن طريق مضاعفة الطاقة الذرية للروح ، أى تلك الدفعة الداخلية نحو الصحة ، أو القدرة على الشفاء القادمة من فوق (أى من الروح) •

وكم من عاهات وأمراض لا يمكن التغلب عليها بتدخل طبى خارجى وتعتبر غير قابلة للعلاج (١) ، تتحسن أو تشفى بعدة أساليب عن طريق اغاثة من الروح • وفى حالات أكثر مما تتصور قد يحمل الانسان المتشائم بذور الانحلال فى جسمه على غير علم منه الى الحد الذى قد يسبب متاعب جسيمة بعد أن يحدث تقدم لا ريب فيه ، والسبب هو تأثير التوجيه الضار للعقل ، الذى قد يحدث آلاما فى أى عضو من أعضائه •

فاذا ما أمكن تطبيق نشاط تداخل الروح لعلاج الجسد ، بمايتضمنه من ضرورة تغيير توجيه الروح والمشاعر متضافرة مع الثقة التامة الممتلئة بالايمان فى قدرة العلاج التى تجىء من ناحية « طبيبنا الداخلى » فان السيطرة الضارة للآثار القادمة من الروح نفسها ستتوقف ، ويفقد المرض جذوره وتبدأ الأعضاء فى نشاطها الطبيعى ، ويعقب ذلك الشفاء •

---

(١) مثل بعض الأورام الخبيثة التى لنا عندها وقفة ــ فيما بعد .

وبهذه الكيفية فان أمراضا عضوية عديدة ، وآلاما شتى قد تجىء من ناحية الروح ، ويمكن أن تعالج علاجا صحيحا عن طريق التدخل النافع « لطبيبنا الداخلى » (١) ...

تجارب حاسمة على النباتات

وبطبيعة الحال لا توجد هنا أية فلسفة نظرية . أو أية معتقدات قادمة من الشرق أو من الغرب (٢) ، بل توجد — فى المقام الأول — أساليب معملية متطورة تعتمد على اختبارات واقعية عديدة ، وعلى أجهزة حديثة أثبتت وجود اشعاعات كثيرة صادرة من الجسم لها وثيق صلة بعوامل الصحة والمرض . ولها وثيق صلة بوجود حقل بيولوجى ينتمى الى الجسد المادى كما ينتمى الى الجسد الأثيرى الذى ثبت وجوده — هو أيضا — بأجهزة حديثة فى جميع الحيوانات والنباتات .

وتوجد على الاقرار بهذا التكوين الروحى للحياة بوجه عام فلسفة باذخة للايمان ، وللخلود ، والأخلاق تفرض نفسها فرضا لأنها مشيدة على أسس محض وضعية جديرة بالتقدير والاعتبار .

ومن أحسن التجارب التى جرت فى هذا الميدان تجارب تأثير العقل والارادة والعاطفة مجتمعة معا على نمو النباتات وبوجه خاص الأزهار والأبصال ، أو على ذبولها وضمورها . فأثبتت هذه التجارب العملية المثابرة الطويلة أن النباتات تتأثر بكل صنوف الاشعاعات المحيطة بها والموجهة اليها . وهى اذا كانت تتميز بالعطف والحنان عليها — بل والصلاة من أجلها — تؤدى الى ازدهار النباتات وسرعة نموها ووفرة محصولها . وبالعكس اذا كانت الاشعاعات الموجهة اليها تتسم بالغضب منها ،

---

(١) شميدت . المرجع السابق ص ١٤٢ — ١٤٧ .

(٢) هذا وان كانوا يعرفون فى الشرق الأقصى — خصوصا فى الهند — أثر العقل فى شفاء البعض من الأمراض العضوية ، لكن الباراسيكولوجى يحقق هذه الأمور بأساليب وبأجهزة متطورة ، ويقف على الحياد تماما بشأن أى اعتقاد موروث قد يجىء من الشرق أو من الغرب .

والسخط ، واستنزال اللعنات عليهـــا فانها أحيانا قد تدبل وتذوى خلال فترة تتراوح بين أسبوعين وعدة أسابيع •

وذلك الى المدى الذى دعا الباحثين المعاصرين فى علم النبات وبالذات فى « الطاقات الخفية للنباتات » (١) الى الجزم بأن النباتات تشعر بالعاطفة وتستجيب للصلاة بالايمان ، وتتأثر بالموسيقى ، وتخضع للفكر •••••

ويبدو أن التثبت من كل ذلك آخذ الآن فى شق طريقه تدريجيا الى دوائر العلم بعـــد تجارب عديدة تؤيد الايجاب ، أجراها كليف باكستر Cleve Backster وغيره من الباحثين واستعانوا فيها بأجهزة حديثة لتسجيل مدى تأثر اهتزازات النباتات ، وتردد ذبذباتهـا • منها جهازا تسجيل الاهتزاز والتردد Oscillating Recorder . Resonant Recorder وقد أثبتا أن النبات يستقبل الأحاسيس والمشاعر المختلفة ويستجيب لها • وجهاز البوليجراف ، فضلا عن الصور الحاســمة التى أثبتت التفاوت الضخم بين نمو نبات يحيا فى ظروف من الحنان والرفق والصلاة لأجله ، ونبات آخر مماثل تستنزل عليه اللعنات وصور الغضب المختلفة •

وهذا الفكرة ليســت حديثة ، بل أثارها منذ ســنة ١٧٤٨ طبيب سويسرى يدعى لويز جالابرت Louis Jallabert قرر أن نمو الأزهار يتأثر بجو الحب المحيط به • ثم أكد هذه الحقيقة سير جاقاديس شاندرا بوس Jagadis Chandra Bose وهو عالم هندى ذائع الصيت فى الطبيعيات والفسيولوجيا ، وعلم النفس •

ومنذ سنة ١٩٠٤ كشف بوز هذا « للجمعية الملكية لتقدم العلوم » (المجمع العلمى البريطانى) أن مملكة النبات ليست عبارة عن كتلة صماء

---

(١) منهم : —
P. Tompkins and C. Bird : The Secret Life of Plants London 1974
Brett Bolton : The Secret Powers of Plants. London 1975

من الخضرة ، بل هى مكونة من كائنات حية لها حساسيتها الخاصة ..
وأثبت بوز باستخدام جهاز الكريزوجراف cresograph - الذى يستخدم لقياس الدوافع العصبية عند الحيوانات وتسجيلها — أن النباتات كلها تستجيب لجميع الدوافع الآلية ، وتلحقها تغييرات فسيولوجية تماثل تلك التغيرات التى تلحق أنسجة الحيوانات .

كما تتأثر أيضا بالتعب ، وبالاجهاد ، وبالألم من وخز الابر ، والجروح ، وسريان تيار كهربائى فيها ولو كان ضعيفا . أما التيار القوى فقد يؤدى الى تقلص فى عروق النبات ، وسقوط أوراقه . والأحاسيس باللذة من اللمس اللطيف ، والألم من الخدش والقطع العنيف تكشف عنها أمواج ايجابية وسلبية سجلها جهاز الكريزوجراف هذا ، بوضوح كاف . وحصل بوز فى سنة ١٩١٧ على لقب « سير » لكشوفه العلمية ، وتوفى فى سنة ١٩٣٧ تاركا وراءه مؤسسة علمية لا تزال تحمل اسمه بمدينة كلكتا بالهند (١) .

ثم تبنّى هذه الاختبارات وواصلها كليف باكستر وهو خبير أمريكى يقيم فى نيويورك متخصص فى استخدام جهاز البوليجراف . وسرعان ما وجد باكستر منذ سنة ١٩٦٦ أن اختبارات بوز فى محلها تماما ، ونشر عن ذلك مقالا عنوانه « بيّنة على وجود ادراك مبدئى فى حياة النبات » بالمجلة الدولية للباراسيكولوجى (٢) .

وبجهاز متطور للبوليجراف سجّل باكستر تأثر النبات بمشاعر التوجس من الشر apprhension ، والخوف ، واللذة ، وأيضا الهدوء ، والاستجابة للمعاملة العاطفية الطيبة ، وأن لها ميولا عاطفية محددة كالكائنات الحية الأخرى بما فيها الانسان . وقد تتأثر عن طريق التلباثى بآلام

(١) Bose Institute : Calacutta, India.
(٢) Evidence of a Primary Perception in Plant Life International Journal of Parapsychology. Winter 1968.

الانسان الذى يرعاها بحنانه ، والذى قـد ترتبط به عاطفيا ! ! واذا كان هذا هو حال التأثير المتبادل بين روح الانسان وخلايا النبات ، فما بالك بالتأثير المتبادل بين روحه هو وخلاياه الخاصة ؟ !

الروح جزء من كل

وهذه الحقائق تفرض نفسها على العديد من الباحثين الروحيين . وفيها يقول ك. شميدت ان الانسان الذى يحوز هذه القوة الديناميكية للحياة يشعر نفسه رغم أنفه جزءا من كل ، فى تحقيق هدف سيناله منه نصيب . فان روحه المتفتحة ، المليئة بالحب نحو العالم أجمع ، ونحـو المجموعة الانسانية تجعله طيبا ، عطوفا ، مغيثا لكل الأشخاص الذين من حوله . وهؤلاء بدورهم اذا ما ظفروا بالسعادة يتقدمون بغير أن يشعروا لمعاوتته ، بقـدر ما يتخذ نحوهم من سـلوك ايجابى ، وبقدر ما يكون مرشدا لهم ومعاونا فى هذا الكفاح المشترك للارتفاع الى القمم العالية .

وهذا التفتح الروحى يجعله كفيلا بأن يرى تعاسة الآخرين ، وأن يكون صاحب بصيرة نفاذة مستعدة للخدمة ، ولأن تقدم للآخرين طاقات جديدة ، وتشجيعا ، ويقينا ، كيما يضاء طريق السعادة أمامهم . وبنفس المقدار يتلقى هو نفسه دفعة من القوة يتسامى عن طريقها .

انه يعلم أن كل الحياة تسير الى طريق الحب ، والثقة ، والأمان . ويصبح مستعدا لكى يعين ، ويؤيد هـذا الخير العـام ، وينشره فى كل مكان ... لقد أدرك مغزى القدر وهو الحب . ولذا فان وفرة الحياة سوف تغمره ، وتصاحبه ، وتسانده . وهذه هى العلامة الصحيحة لتحقيق الذات : وهى أننا عند العيش فى وفرة الحيـاة نكون قد أثرينا أنفسنا عن طريق مواهبنا .

وبحسب قول ايكيهارت Eckehart « فى جوهر الروح بمقدورنا أن نرى الله ونتعرف عليه . وبمقدار ما يستخدم الانسان ذكاءه خلال هذه الحياة .. بقدر ما يقترب من جوهر الروح ، وبقدر ما يتعرف على الله .

فبداخلك أنت ترقد الحقيقة وتكمن ولن يعثر عليها انسان اذا ما بحث عنها فى العالم الخارجى . انى أعثر على الله بيقين أكثر فى أعماق داخلى . فهو الحقيقة بذاتها التى تتعرف عليها فى جميع الأشياء بينما لا تتعرف على هذه الأشياء » .

وبقدر ما نتعرف بوضوح — عن طريق ذواتنا الداخلية — على أننا عبارة عن حقل لطاقات روحية متصلة بحقل لطاقات جوهرية كونية بقدر ما نتصرف فى ثقة بأنفسنا ، وفى وفرة ، بحسب تلك الطاقات نفسها . وذلك التوجيه الملىء بالحكمة ، الخاضع لارشاد ذواتنا العميقة ، يضىء الطريق الذى اتخذناه لأنفسنا منذ البداية ، ويقودنا الى تحقيق متكامل للذات ، والى سيطرة كافية على مصائرنا .

وهذه الثقة التامة فى الطاقات القدسية لأرواحنا ، وفى القدرة على التحقيق المتواصل للمجد ، وللحكمة ، وللوفرة — المرتبطة بمرشدنا الداخلى عندما يعمل فى وفاق مع فكرنا ، وشعورنا ، وايماننا ، ونشاطنا — هى الضمان لانتصارنا . وكل دفعة للفكر وللايمان تسير بنا قدما الى تأكيد التضامن مع مرشدنا الداخلى هذا .

وبمقدار ما يمكننا أن نتعرف على وجود طاقات روحية ذرية Psycho-atomique بداخلنا بقدر ما تثبت ردود الفعل فى شكل حلقات لسلسلة ايجابية ، بمقدورها أن تحقق من الداخل ومن الخارج ، التناسق الذى يجلب السلام والبركة الى أجسادنا وحياتنا .

وحيثما توجد الثقة يوجد الحب ، وحيثما يوجد الحب يكون قرب الخلاص من الشر . وحيثما توجد الثقة تكون الوحدة(١) ، وحيثما تسود الوحدة تنبعث القوة ، والبهجة ، والوفرة . وحيثما توجد الثقة يكون التيقن من أن نداء ينادينا للارتفاع نحو القمم العالية ، ويضفى علينا حماية

---

(١) يقصد بها الانسجام الداخلى ، أو تناسق عناصر الذات فيما بينها . وهو ما يعبر عنه أحيانا « بالاتزان أو التوازن الروحى » .

دائمة ، وتوجيها ، وأمنا . وهذا التيقن بأن الشمس الداخلية لأرواحنا تضيء لنا طريقنا نحو القمم ، وبأن بمقدورنا أن نسيطر على أنفسنا هو التيقن الذى يخف الى مساعدتنا بتناسق ثلاثى : هو التناسق مع أنفسنا ، ومع العالم الذى يحيط بنا ، ومع الأزل (١) .

وهذه الأقوال — المليئة بالحكمة وبالترابط — وضعتها هنا حتى تكون تحت أبصارنا كيما نعرف فى أى طريق يسير العلم المعاصر . وكيف أنه عندما أخذ يشق طريقه نحو البحث فى بعض أسرار الروح والعقل ، أخذ بنفس المقدار يشق طريقه نحو البحث فى عناصر الايمان النقى الخالى من الترهات والأوهام . فلم تعد دراسة التكوين العقلى الروحى للانسان محض موضوع لدراسات معملية بمقدار ما أصبحت وسيلة أيضا للمزيد من الارتباط بالله ، وبالقيم الخلقية الصحيحة التى تنجم عن كل ارتباط أمين بين وجدان الانسان وبين خالقه .

الفطرة و « الديناميكية النوعية »

هذا وقد قام عالم ألمانى من أبرز رواد الباراسيكولوجى وهو الدكتور أوتوفرانك Otto Franck الطبيب بمدينة فلنسبورج Flensburg (توفى فى سنة ١٩٤٨) بعمل دراسة شاملة لهذا الموضوع الدقيق حول التكوين العقلى — الروحى للانسان خصوصا من ناحية أثره فى تكوينه البيولوجى فى ضوء اقتناعه بثبوت مبدأ العودة للتجسد علميا .

وهذه الدراسة تقوم على نظرية خصبة عن « الديناميكية النوعية » Dynamisme qualitatif التى وضع فيها مؤلفا خاصا عن « فلسفة التكوين » (٢) شرح فيه وجهة نظره عن أثر التكوين العقلى — الروحى للانسان فى تكوينه البيولوجى متخذا منطلقا لنظريته من زاوية تجدد

---

(١) شميدت . المرجع السابق ص ٢٥٦ — ٢٦١ .

(٢) Gestalt-Philosophie.

وقد شرحها فى مؤلف له عنوانه « طريق التكوين » . Die Bahn der Gestalt.

الخلايا والأنسجة فى أى عضو مريض أو مجروح للانسان العادى ، مبينا كيف أن هذا التجدد يتعذر تفسيره الا بالتسليم بوجود نوع من خضوع التكوين لمركز ديناميكى ذى سلطان تعودنا أن نطلق عليه وصف « الروح » .

وأخذ أوتو فرانك فى التفرغ منذ شبابه الباكر لدراسة هذه الظاهرة الحيوية التى نشاهدها كل يوم ، ومع ذلك لا تشد انتباهنا الى المدى المطلوب لمحاولة تعليلها علميا . ولم تكن عنايته موجهة الى مبدأ « الحركة الدائرية الآلية » بمقدار ما كانت موجهة الى دراسة « الحركة الدائرية الديناميكية » التى تبيّن بصورة حاسمة أن لهذه الحركة جانبا منظورا ، وجانبا آخر غير منظور .

وتوصل عن طريق هذه الدراسة الى أن يثبت لأول مرة مبدأ الحفاظ على التكوين ، أى على التكوين الأصلى البيولوجى (١) للكائنات الحية ، وبالتالى قدّم الدليل على بقاء هذا التكوين حتى بعد فناء مقابله المادى .

وهذا الكشف العلمى عن عدم فناء « الجوهر الانسانى » essence humaine وعودته للتجسد من جديد يقول فيه الدكتور فرانك « لو أن أحدا سألنى أين مفتاح نظريتك عن التكوين الذى يمكن أن يستخدم فى فتح مغاليق اللغز المركب عن الحياة ؟ فانى أجيبه بلا تردد: انه يكمن فى استكشاف حقل الطاقة البيولوجية . والفكرة عن هذا الحقل ستمتد تدريجيا وبلا قصد الى علم الحياة برمته . وعليها يرتكز منذ الآن ضمنا كل تعريف للتكوين ، وبمقدورها أن تجيب عن جميع الأسئلة ، وتسمح لأول مرة أن تقدّم لوحة للعالم مقبولة من العلم ، ومترابطة بين أجزائها » .

---

(١) Forme originelle biologique.

وفى الواقع فاننا لا نعرف شيئا عن هذا الحقل من الطاقة الحيوية ، وعن امكانياته غير المحدودة ، ولكننا فى اطار البيولوجيا لا يمكن لأى شىء أن يسير مضادا لنواميس الطبيعة • ومن هذا المنطلق فنحن حاليا نعلم الكثير من الأشياء عن حقول الطاقة المادية • ولو اقتصرنا على تطبيق ما نعرفه عنها فان معلوماتنا الحالية من الاتساع بحيث أننا لو دفعنا قدما نحو الأمام آراءنا فى نطاق البيولوجيا ، فانه يكون بمقدورنا منذ الآن أن نجيب عن غالبية الألغاز البيولوجية الكبرى بغير أن نخاطر بالانزلاق الى الافتراضات الجريئة فى اطار الاعتقاد أو الفلسفة •••

* * *

وتأسيسا على معلوماتنا الراهنة عن الحقل البيولوجى الفيزيقى ، وبدون رجوع الى حجج أخرى افتراضية ، فان اوتو فرانك يشيد نظرية خصبة عن مفهوم العالم تتضمن انتفاء الفناء الديناميكى للحياة ، ووجود رجعة ديناميكية بعد الموت ، كما تتضمن عودة ديناميكية للولادة للتكوين الخالد فى الانسان (أى للمبدأ الروحى فيه) •

وبالتالى فان تلك الأسئلة الضخمة المتعلقة بالوجود مثل : من أين جئنا ؟ والى أين المسير ؟ ولماذا ؟ ••• تبدو كلها مجابا عنها لسبب وحيد ، وهو أنه لم يعد لهذه الأسئلة من مغزى ، لأننا لماذا نتساءل من أين جاء الشىء والى أين يذهب اذا كان السؤال متعلقا بشىء دائم للأزل ولايعرف له بداية ولا نهاية (يقصد الروح) ؟

ثم ان كلمة « لماذا » ؟ لم يعد لها هى الأخرى من مغزى ، ولن يكون لها مغزى الا اذا تعلق الأمر بشىء ينتج بالارادة ، أما الديناميكية الكونية فلا تتوقف على ارادتنا • وبطبيعة الحال فان كل تكوين عند فصم توازن الميلاد والعودة للميلاد يميل الى العثور على حالة من التوازن المستقر من جديد فى صورة الخلاص النهائى من الألم فى مستوى « النرفانا » أى الاندماج فى القدرة الخالقة ، التى هى المصدر الأسمى لكل حقول الطاقات الحيوية فى الكون (كما تقول الفيدنتا الهندية) •

وفى الواقع تحاول العلوم الطبيعية المعاصرة ـ خصوصا البيولوجيا العامة ـ على أساس من الصواب أن تدخل الى الدوائر العلمية فكرة الروح ـ التكوين المادى ame-forme خصوصا فكرة وجود حقل لطاقة بيولوجية عاملة بداخل كل تكوين حى • ولكن يلاحظ أوتو فرانك أنه ليس من الميسور الوصول الى ذلك الا من منطلق الطبيعيات (المادية) التى تسلم بوجود طاقات أخرى من الطراز الأول مثل وجود حقل لطاقة كهربية مغناطيسية force electro magnetique ولكن بجانب الحقول الفيزيقية توجد حقول أخرى لطاقة حيوية •

وهذه الحقول تحدث عنها رودى Rudy منذ سنة ١٩١٣ فى مؤلفه عن « نظرية الحقل البيولوجى » (١) ، وبعده بعام واحد عالجها جورويتش Gurwitch فى مؤلفه عن « محاولة فى البيولوجيا التركيبية » (٢) مما يؤيد تماما نظرية فرانك عن « حقل الطاقة الحيوية »(٣) •

على أن هذا الحقل البيولوجى لا يغنى وحده فى تفسير التكوين الفطرى الروحى للانسان ، لأن هذا الحقل ليس تابعا من الجسد المادى وحده بل هو أيضا من خصائص الجسد الهيولى أو الأثيرى الذى يستحق وقفة كافية عنده فى الفصل المقبل ، والذى وصل العلم عنه الى فكرة مؤكدة ، والى نتائج وفيرة فى عددها وفى أهميتها وفرة تكاد تبدو بلا حدود •

* * *

كما وصل العلم الطبيعى أيضا الى فكرة مؤكدة تقوم على ابتناء العالم المشهود على عالم آخر غير مشهود • فالعالم المشهود عالم كثيف يمكن لحواسنا العاجزة أن تلتقط بعض ومضات عابرة عنه مباشرة

(١) La theorie du champ biologique.
(٢) Essai de biologie synthétique.
(٣) Champ de force biologique.

أو بأجهزة متنوعة ، وأن تستخلص شيئا قليلا عن وجود النجـوم والمدن السماوية .

لكن كل هذا يرتكز فى النهاية على ركيزة غير مادية ، ولا تصل اليها حواسنا المادية جدا . وهذه الركيزة غير المادية عبارة عن جوهر كونى substratum universel مجهول . وهو جوهر وصفه علماء الفيزياء الكبار من طراز ادنجتون Eddington وديراك Durac وغيرهم بأننا عاجزون عن أن نضع له صورة فى المكان أو فى الزمان ، لأنه غير خاضع لأساليب الفيزياء .

ولعل الانسان يحوز وحده ، القدرة على الاحتفاظ بفرديته ، مع تطور شخصيته دواما ولماما . وبغير أن تغرق هذه الفردية فى تلك الوحدة المتناسقة التى تطوى جميع الأشياء كما يطوى المحيط فى أغواره كل ما بداخله من أسرار .

ولعله لهذا السبب فان الانسان رغم أنه يطيع دائما خلجات لاشعوره الخاص الا أنه يحوز مع ذلك شعوره أيضا ووعيه ... هذا الوعى الذى يمثل أجمل ما يحوزه الانسان ، أو بالأدق أجمل ما تحوزه روحه الخالدة التى تتسامى على كل تعريف أو على كل محاولة لارتياد كنهها ، رغم التطور الهائل لشتى العلوم فى ارتياد مجاهل الظواهر المألوفة وغير المألوفة أيضا .

وهذه الظواهر كشفت له عن وجود الروح لا عن ماهيتها ، وجوهرها ، وأسرارها الدفينة ، التى لم يزعم أحد منعلماء الباراسيكولوجى أنه قد حسم أمورها على نحو أو آخر ، ولو حسما جزئيا كما فعل العلم المادى بالنسبة لبعض أسرار المادة الصلبة .

وهذا هو بعينه ما صرح به كارل يونج ـ وهو أبرز اسم فى علم النفس الحديث المؤسس على الحقائق الروحية ـ عندما أراد أن يوضح

نظريتـــه فى « التفريد » indviduation فقال ان « موكب حــدوثه لا يمكننى أن أفسره ، لأنه كان يتطلب منى أن أتغلغل فى مفهوم الروح ، ولكن من يمكنه الزعم بأنه تغلغل فى هذا المفهوم ؟ » • وهــذا التفريد فى تقدير يونج يمثل اتحاد الشعور باللاشعور وهـــو أسمى حالة روحية يمكن أن يرقى اليها الانسان • وهذا الاتحاد يعنى عنـــده ذوبان أحدهما فى الآخر • وهو الذى يؤدى الى الاتزان الروحى المطلوب والى توسيع دائرة الوعى الانسانى (١) •

الروح مخزن حافل بالأسرار

وعلى أية حال سواء أنجح العلم أم لم ينجح فى تعريف ماهية الروح، فالروح موجودة فى أعماق الكائن الانسانى لا ريب فى وجودها ، وتدل عليها مظاهرها الخارجية وقدراتها الفائقة التى ليس بمقدورنا أن نتصورها فى الســـيطرة على وظائف المـــادة وخصائصها حتى وان كنا نحن الذين نجنى ثمارها ، بما تحوزه من حكمة رائعة وقدرة لا يصح أن تقاس بها قدرات أحسن الأجهزة المـــادية وأكثرها تطورا •

وفى هذا الشأن يكتب الدكتور عبد العزيز جادو قائلا : « ان الانسان المتوسط قد يثور ولا يرضى أن يتناقش فى مثل هذه القضية • فهو لا يمكن أن يصدق بأى حال أن بداخله هذا المخزن المليء بالحكمة والقوة الذى نتحدث عنه • وهو غالبـــا ما يتبرم ويتراجع عن بذل أى مجهود يقـــوده الى الاقتناع بأن شيئا من هذا القبيل موجود فى تركيبه العقلى • ويحسب أو يخيل اليه أن هذا المجهود وأمثاله يعتبر اهانة له وانتقاصا من ذكائه •

والأناسى الذين ليســـت لهم دراية بعلم النفس سرعان ما يثورون ويتبرمون ثم يعودون فيذعنون لمعتقداتهم ، بعكس المشتغلين بعلم النفس

---

(١) راجع C. G. Jung : Problèmes de l'Ame Moderne.
وهـــو يتضمن طائفـــة من آراء يونج عن النفس والروح ، والانسان والوجود ، والمرأة والشريكة ، والشعر والفن فى ايجاز وتبسيط بمعرفة رولان كاهين Roland Cahen (صدر فى سنة ١٩٦٠) .

فانهم يعرفون جيدا أن كثيرا مما يعتقده الناس ويؤمنوا به ــ فيما يتعلق بهم ويفيدهم ــ انما هو كذب وبهتان . وانهم راغبون متحمسون لرغبتهم فى تغيير المعتقدات الزائفة بحقائق صريحة كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا . لأنهم يدركون تماما أن الصدق سيجعلهم طلقاء أحرارا ... أحرارا من الآراء التى تقض مضاجعهم ، وتعرقل سعيهم الى الحيــاة الرغدة التى يتوقون اليهــا .

وكقاعدة عامة ، نرى أن أولئك الذين ليسوا على شيء من علم النفس يفضلون التمسك بمعتقداتهم ولا يرضــون عنها بديلا ، حتى ولو كان هذا البــديل حقا صراحا ، أكثر جمالا وأكثر اشراقا ... مبشرا بالخير الكثير والرزق الوفير .

والشخص الذى لم يســاير تعاليم علم النفس الحديث يلاحظ أن عقله كما يجب أن يكون هو جزء من ذاته خفى عجيب ، ليس له من عمل الا التفكير ، وليس من شيء غيره ، ويتصور أن الحكمة فى عقله لا تشمل الا الأشياء التى تعلمها منذ مولده ، والاستنتاجات التى توصــل اليها عن طريق الاستقراء ، والاستدلال من الأشياء التى تعلمها .

أما العالم النفسى فانه يعرف أن الشخص الذى يرضى أن يكون عقله مجرد آلة عادية تافهة يخطىء خطأ جسيما ، ويفقد الكثير من مباهج الدنيا وفرص الحياة .

دع الشخص الذى يعتقد أن حصــيلته من المعارف انما يجب أن تكون فقط كل ما تعلمه منذ نشــأته يجيبك على هذا السؤال : ما هو القانون الكيميائى لتحويل الطعام الى نخام ؟

والنخام هو مادة غريبــة تقوم بصــنعها الغدة النخامية أو النخمية الكائنة عند قاعدة المخ . وكمية هذه المــادة وكيفيتها هى التى تحــدد ما اذا كا نالطفــل سينمو ويغدو ضخما ، أو سينشأ ضئيلا ، وتحــدد

ما اذا كان الفرد حين يكبر وينمـــو سينتمى الى حزب شـــجر الجميز أم الى أغصان البان (١) •

ثم اننى أرجو الاجابة على هذا السؤال : ما هى المعادلة الكيميائية لصنع النخام ؟ اذن فاعلم ان كنت لا تعلم أنها احدى وظائف جسمك التى لا يمكنك أن تملك ازاء بنائها عمل أى شىء ، والتى تدور وتظل مستمرة فى دورانها كساعة مملوءة (٢) ••••

ان فى أقصى الخلف بأسفل مخك عقدة صغيرة من خلايا المخ يمر منها عصب الى كبدك (٣) • هذا العصب هو سلك تليفون حى • وعندما تنزل درجة حرارة دمك حوالى عشر درجات فان العقدة الصغيرة من خلايا المخ الموجودة فى الجزء أو الجانب السفلى من مؤخرة المخ ستحس بالهبوط •

ومن ثم يعمـــل بعض الذكاء أو القوة المدركة فيك على الاتصـــال تليفونيا بكبدك ليضع مزيدا من الوقود فى النار ــ أى مزيدا من السكر فى دمك ــ بقدر معقول لا يتجاوز الحد المـــألوف • فان الزيادة الكثيرة قد تسلمك الى حمى ، أو تلقى بك فى بحر من العرق غزير والكمية المطلوبة هنا هى التى تكفى لوقف حرارتك عند درجة معينة ، فاذا انقطع ســـلك التليفون الحى ، أو حدث به عطب ، فان الكبد يتوقف عن أداء وظيفته فيكون الموت المحقق •

وأنت كقوة عقلية موضوعية لست السيد المهندس ، ولكنك مجرد ساكن فى جسدك أو مستأجر ، ساذج ، جاهل ، لست على شىء من المعرفة ، كثير الأخطاء ، تعتقد وتتـــأثر بمجموعة من الأشياء ليست على شىء من

---

(١) The Sex Hormones, 1950 P. 67, 68. Human Physiology by Kenneth Walker P. 1٠9, 110.

(٢) Oxford Medical Publications 7e edition 1946 P. 500, 501.

(٣) A Textbook of Practice Medicine P. 442.

الحقيقة فى كثير من الأحيان • فأنت بالتالى تعمل بجهل وبلا تبصر فى أغلب الأوقات ، كما أنك تجهل الكثير من شئونك الخاصة •

والسيد المسيطر الذى فى طويتك هو أنت ذاتك ، أو بالحرى الجزء الآخر منك ، الذى كان على درجة من الذكاء عجيبة قبل أن تميز عيناك أى شىء وأنت ما تزال فى المهد صبيا • أو قبل أن تستعمل عقلك فى التجارب ، أو تستدل به على أية خبرة من خبراتك • انها نفسك الخالدة ، وأنها هى المسكن أو مقر الذكاء الابداعى العام » (١) •

ولا يتسع المقام للخوض فى أسرار التكوين البيولوجى للانسان ، وهى أسرار مذهلة لا تحصى ، حتى بالنسبة للكائنات الدنيا ، وكلها تشير الى حقيقة الروح كما تشير فى نفس الوقت الى حقيقة المادة ، والى التفاعل المستمر بين الروح والمادة مع ضرورة التمييز بينهما للتوصل الى تحديد صحيح لمن هو السيد ومن هو المسود فيهما •

وأسرار هذا التكوين البيولوجى كما عنيت به السيكولوجيا فى الماضى ، فان أبحاث الباراسيكولوجى توليه الآن حقه من العناية ، وتعتبر أنه عنصر أساسى فى استكناه أسرار الظواهر المألوفة وغير المألوفة• ولذا أنشئت حديثا معاهد مشتركة تعمل بنشاط فى دراسة الموضوعين معا على أوسع نطاق ممكن : وهما الباراسيكولوجى والبيولوجيا وقد أشرت الى بعضها فيما سبق •

مراكز الطاقة فى الحقل البيولوجى

وقد حاول بعض العلماء استكشاف مراكز الطاقة فى الحقل البيولوجى ومنهم البحاثة م• فويوم M. Voillaume مستخدما طريقة التوافق البندولى المعروفة فى علم الاشعاعات الحيوية غير المنظورة Radiesthésie

(١) راجع د. عبد العزيز جادو فى مؤلفه « العقل منبع الحكمة » ١٩٧٨ ص ٤٨ — ٥٢ .

ومنهم الدكتور لى برنس A. Le Prince مستخدما جهاز الراديو بيوميتر Radiobiometer فأثبتا معا وجود مناطق فى هذا الحقل البيولوجى تطلق طاقة خاصة تؤثر بدورها فى الجسد المـادى ، وهى موزعة كالآتى :

المنطقة الأولى : تقع تحت الذقن مباشرة •

المنطقة الثانية : تقع فى مستوى الضفيرة الشمسية Solar Plexus

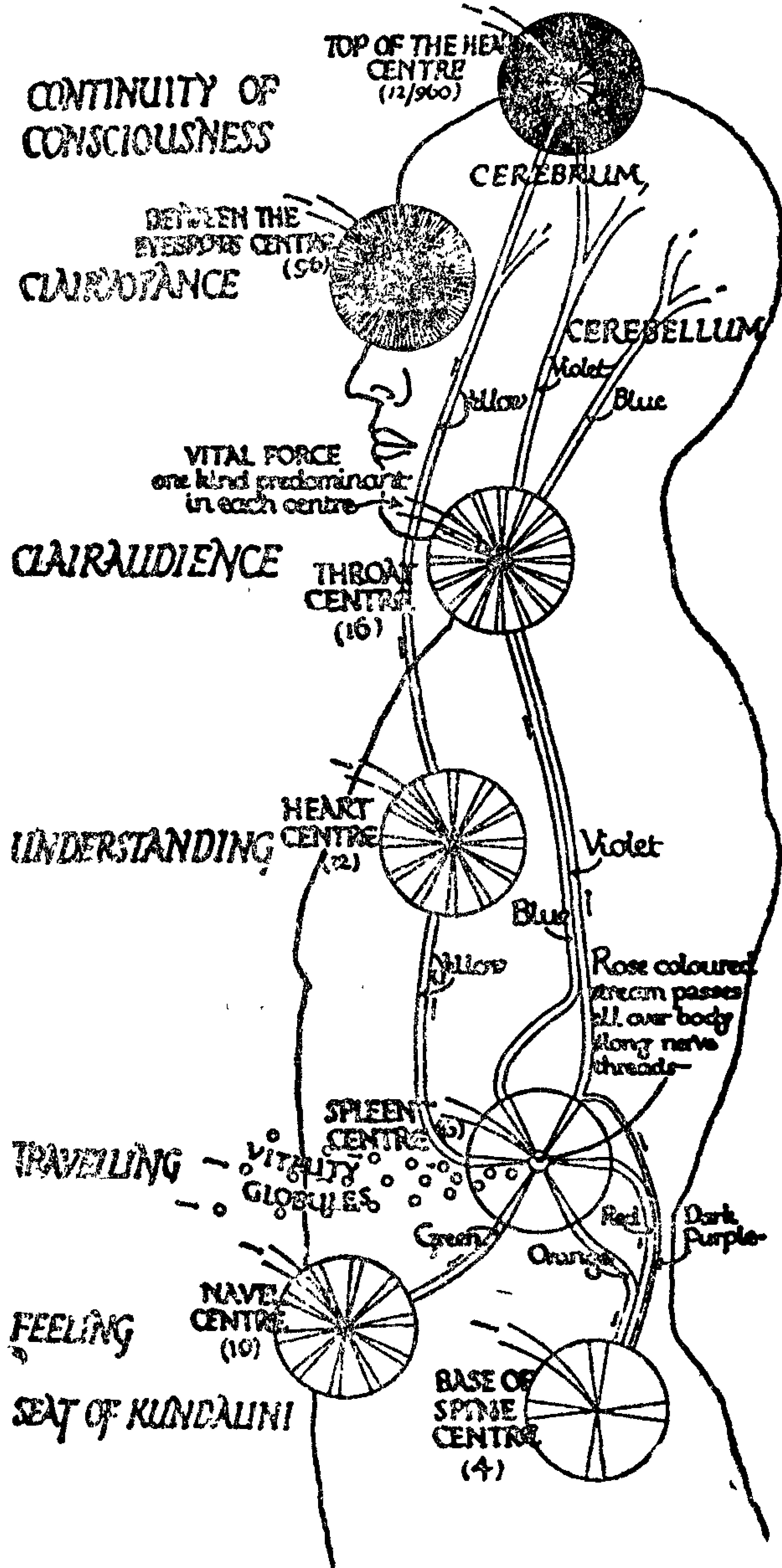
المنطقة الثالثة : تقع فى مستوى الضفيرة المسـاريقية Mesentric Plexus

المنطقة الرابعة : تقع فى مستوع الضفيرة العجزية Sacral Plexus

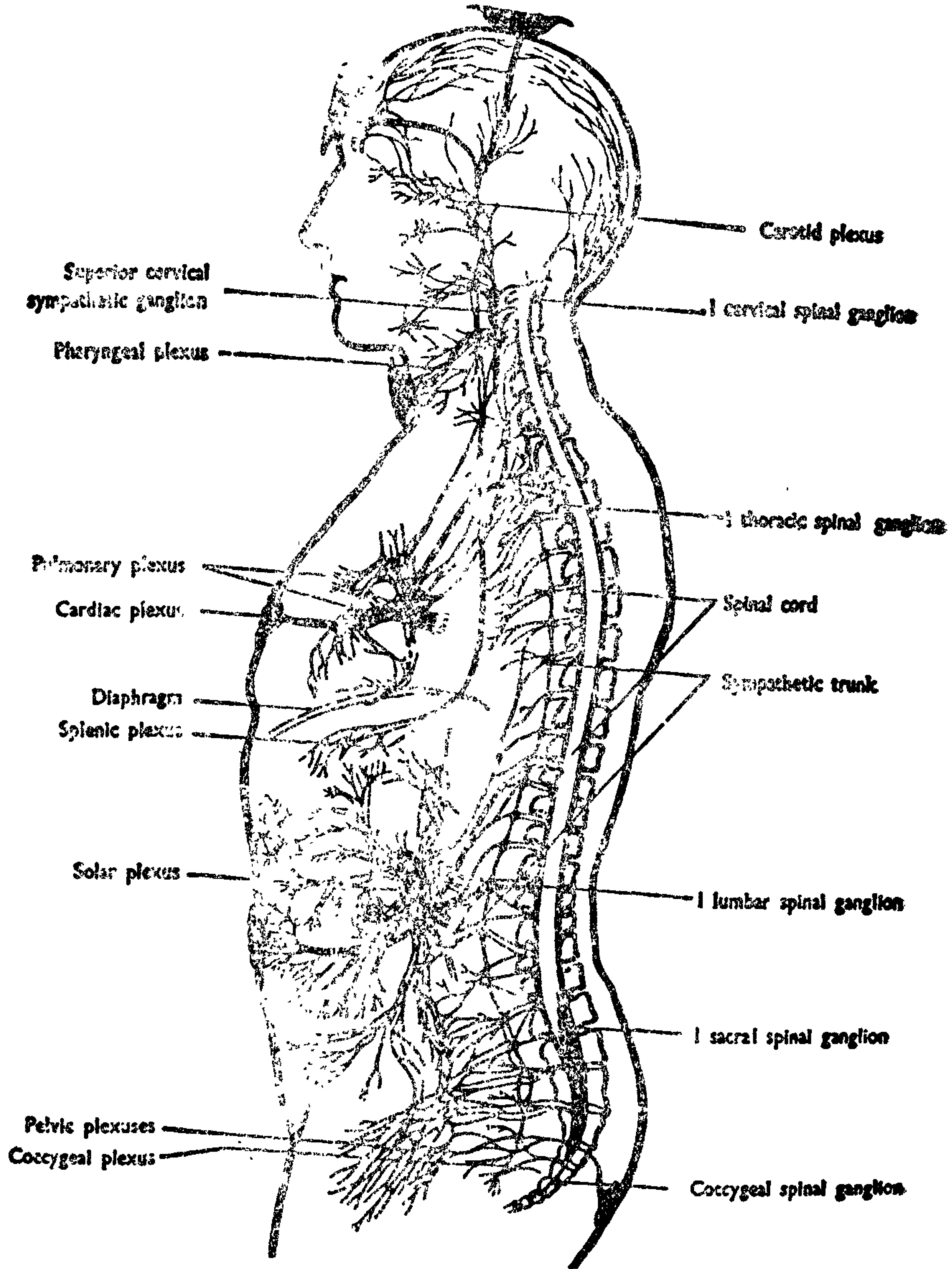
المنطقة الخامسة : تقع فى مستوى مفاصل الركبتين وتحتهما •

وقـد أختبر فويوم عدة أشخاص من المعالجين الروحيين فتبين له أن قوة الطاقة الخارجة من الجهاز العصبى السمبثاوى تزيد عن قوة الطاقة المماثلة الخارجية من الشخص العادى بنسـبة تتراوح بين ٣٠٠٪ الى ١٠٠٠٪ ، أى من ثلاثة الى عشرة أضعاف •

كما اكتشف لى برنس مناطق أخرى للطاقة تقع خلف الأذن ، وعند قاع المخ ، وهى تصدر بدورها اشعاعات قوية • وهذه المناطق كلها بطبيعة الحال لا يمكن أن تكتشفها أساليب التشريح المـادية ، لأن هذه المناطق تمثل مراكز حيوية أعمق من المـادة ، وصلتها بالحياة أعمق من صـلتها بالمـادة • وهيهات أن يصل التشريح المـادى الى كل أسرار الحيـاة ، كما يمكن أن يلاحظ ذلك أى باحث بيولوجى أو فسيولوجى • ولا ريب أن علم المستقبل سيعرف الكثير عن مراكز الطاقة هذه ، وعن آثارها فى الصحة والمرض ، والنمو ، والحالة النفسية للانسان ، وعن طريق السيطرة عليها ولو الى حد ما سيمكن التغلب على العديد من الأمراض العضوية والنفسية التى يقف العلم عاجزا ازاءها حتى الآن •



مراكز الطاقة فى جسم الانسان وصلتها بشتى صــور الوعى خارج الحواس ، .E.S.P بعد أن انتهت النظرية التى كانت تجعل المخ الفيزيقى وحــده مركزا للوعى وللاحساس (عن كتاب « من الجلسة الروحية الى العلم » تأليف جورج . و . ميك) : George W. Meek
From Seance to Science 1973 P. 23.



THE CHAKRAS AND THE NERVOUS SYSTEM

مراكز الطاقة فى جسم الانسان مع بيان مواضع اتصالها بالجهاز العصبى العادى (عن المرجع السابق ص ٥٣) .

وقد وضحت هذه الأبحاث بطريقة معملية كيف يتم العلاج الروحى. ذلك لأن لكل خلية حية ذبذبة موجية معينة ، فاذا ما مرض أى عضو فى الانسان اضطربت ذبذبات خلاياه . ومهمة المعالج الروحى هى أن يكون بمثابة جهاز استقبال لاشعاعات معينة ، ثم جهاز عاكس الى العضو المريض ، فيحاول المعالج عن طريق هالة المعالج أن يؤثر فى اهتزازات الخلايا المريضة عن طريق احداث التوافق أو الرنين بين التردد الموجى الصادر من الوسيط المعالج وبين التردد المضطرب للخلايا المريضة ، وذلك حتى ترجع هذه الى ترددها الصحيح فى الجسد الأثيرى الذى قد ينجح أولا ينجح فى التأثير بدوره تأثيرا طيبا فى العضو المريض من الجسد المادى . وهذه هى احدى وسائل العلاج الروحى ، والتى تبين لماذا قد ينجح العلاج الروحى أحيانا ، ولا ينجح أحيانا أخرى .

وهذه الكشوف التى كانت تجهلها النظريات الطبية القديمة أخذت تجذب انتباه العلماء فى كل نطاق ولأكثر من سبب ، خصوصا فى نطاق العلاج الروحى . وقد اعتنوا بهذا الموضوع بوجه خاص فى معهد للأمراض النفسية والعصبية بكاليفورنيا (١) حيث نجحوا فى التقاط الآلاف من صور الهالة المنبعثة من أصابع المعالجين الروحيين .

وقد عنيت الدكتورة تيلما موس **Thelma Moss** العالمة النفسية ، كما عنى أيضا الدكتور مارشال بارشاى Mashall Barshay أخصائى الكلى بدراسة طاقات المعالجين الذين يدعون القدرة على العلاج بوضع الأيدى . وانتهيا — كما انتهى غيرهما — الى وجود « طاقة كهربائية » فى أجسامهم يمكن أن تنتقل الى المرضى ، والى وجود صلة بين هذه الطاقة والحالة الصحية للانسان ، لأنها تحتاج الى اتزان معين فى هذه الطاقة ، التى اذا اختل اتزانها ، اختلت بالتالى الحالة الصحية للانسان .

ويمكن اعادة الاتزان عن طريق مستودع الطاقة الصادرة من الوسيط

(١) Californian Neuropsychiatric Institute.

مارة بأصابعه . وتقول الدكتورة موس — التى تعتبر حجة فى البحث الروحى هناك — أنها لاحظت بعد دورة علاجية أن هالات المعالج قد ضاق مداها ، حين اتسعت هالات المريض : « واننى أعتقد بقوة أننا بصدد الكشف عن شىء يشع من جسم الانسان ، وله طاقة علاجية » . كما لاحظت أن هالات المرضى من الناحية النوعية تغاير هالات الأصحاء .

* * *

وهذا الذى وصلت اليه بحوث الباراسيكولوجى من نتائج يتفق الى حد كبير مع ما قرره حكماء الهنود منذ القدم عن وجود مراكز للطاقة أو « تشاكراز » Chakras بحسب اللغة السنسكريتية ، وهى دوامات تشبه الأطباق شكلا ، مقرها الجسد الأثيرى أو وراء المادى ، وقد يراها أحيانا ذوو الجلاء البصرى . وهذه المراكز يقولون انها تتلقى الطاقة الكونية ، وتنتج عنها حركة دائرية موجية ثانوية فى وسط الجسد الأثيرى أو ما وراء المادى . ولكل مركز منها ألوان معينة ؛ وتنقسم هذه المراكز الى ثلاث مجموعات كالآتى :

مجموعة ا : تضم مركزين (١) المركز الجذرى Root Chakra وهو موجود عند نهاية العمود الفقرى ، ومقسم الى أربعة أجزاء ، ألوانها أحمر وبرتقالى على التوالى . وهذا المركز يمتص طاقة خاصة من عالم المادة .

(٢) المركز الطحالى Splenic Chakra ، وهو يقع فوق منطقة الطحال وبه ستة ألوان : أحمر ، وبرتقالى ، وأصفر ، وأخضر ، وأزرق ، وبنفسجى ، وهو يمتص القوة الحيوية من الشمس ويوزعها على باقى مراكز القوة بحسب ألوانها .

مجموعة ب : وهى تضم ثلاثة مراكز تمتص القوة اللازمة لشخصية الانسان .

(٣) المركز السرى Navel Chakra ، وهو يقع مقابل الضفيرة الشمسية ، ومقسم الى عشرة أقسام دائرية ذات اشعاعات خضراء وحمراء على التوالى . وهو ومرتبط ارتباطا وثيقا بالانفعالات والعواطف .

(٤) المركز القلبى Heart Chakra ، وله ١٢ اشعاعا لونها أصفر ذهبى متألق .

(٥) المركز الحنجرى Throat Chakra وهو يقع مقابل الحنجرة ، وله ١٦ اشعاعا ويتألق بألوان خضراء وزرقاء تشبه ضوء القمر .

مجموعة جـ : وهى مجموعة المراكز العليا ، وتضم مركزين :

(٦) المركز الحاجبى Browl Chakra ، وهـو موجـود بين الحاجبين ، ويبدو كأنه منقسم الى نصفين أحدهمـا وردى اللون يتخلله بعض الأصفر ، والثانى بنفسجى مائل الى الزرقة . وله ٩٦ اشعاعا وهو وثيق الصلة بالغدة النخامية ، التى تسيطر على الغدد الصماء بالجسـم المـادى .

(٧) المركـز الاكليلى أو التـاجى Crown Chakra ، وهو موجود فى قمة الرأس ويتألق بشدة ، حيث أنه يحتوى على ٩٦٠ اشـعاعا يغلب عليها اللون البنفسجى ، وفى مركزه ١٢ اشعاعا تتألق بلون ذهبى خاطف . وقد رسمه القدماء على شكل هالة ذهبية مشرقة تحيط برؤوس القديسين ، وهذا المركز وثيق صلة بالغدة الصنوبرية Pineal gland ، وهى نقطة الاتصال بين الروح والجسد (١) .

ومراكز الطاقة هـذه خاضعة « للمستودع الكونى للطاقة » بحسب الاعتقاد السائد ، ولها وثيق اتصال بالنشاط العقلى ــ الروحى للانسان . ومن هنا يجىء دورها الهام فى الوقاية من العديد من الأمراض وفى العلاج منها ، تستوى فى ذلك الأمراض العضوية مع الأمراض العصبية .

---

(١) هـذا التلخيص لمراكز الطاقة تفضـل بعمله مشكورا صديقنا الدكتور خليل مسيحة الطبيب الباطنى المعروف عن مؤلف عنوانه « مراكز الطاقة أو القوة » (١٩٢٧) . C. W. Leadbeater : The Chakras.

صلة الهـالة بالحقل البيولوجى

الهالة البشرية Human Aura عبارة عن اشعاعات ضوئية تصدر من هذا الحقـل البيولوجى وتحيط به من كل جانب ، ويراها وسـطاء الاستشفاف بيضاوية الشكل تعلو وتنخفض وتتحرك بصور شتى فى أجزاء الجسم المختلفة • وهى تختلف من انسان الى آخر ، كما تختلف الأشكال والأجسام المـادية ولكن على نطاق أوسع • وهى ذات ألوان متداخلة مثل قوس قزح ، لكن هناك انســان يغلب على هالته اللون الأخضر ، وآخر يغلب عليها اللون الأزرق أو البنى وهكذا •

والهالة من الموضوعات الهامة التى عنى بها من عنوا ببحث موضوع الأرواح وبخاصة العلاج الروحى • وممن بحثوا الهـالة ببراعة البحاثة الروحى شارل لانسلان Ch. Lancelin فى مؤلفه « الروح الانسانية: دراسات تجريبية ـ روحية ـ فسيولوجية ـ بمعرفة روحى » (١) ، الذى يتضمن ثمرة بحوث فيها دامت من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩٢٠ موضحة باللوحات العديدة للهالة فى مختلف أوضاعها وحالاتها •

كما عنى بدراسة الهالة الدكتور ولتر كيلنر W. Kilner وقد اخترع لوحة الديسيانين لرؤية الهالة فى الضوء العادى Kilnascrene وقد نشر الدكتور كيلنر مؤلفا تحت اسم « المحيط الانسانى » Human Atmosphere منذ سنة ١٩١١ • ثم أعيد نشره فى سنة ١٩٢٠ تحت اسم « الهالة الانسانية » Human Aura ، كما أعيد نشره فى سنة ١٩٦٥ تحت هذا الاسم الأخير •

ولم يكن المؤلف باحثا روحيـا ، بل كان طبيبا للعـلاج بالأشعة بمستشفى سان توماس بلندن ، ويعتبر من أوائل الرواد فى بحث موضوع الهالة بأسلوب معملى •

---

(١) Lame Humaine.

ولهذا الموضوع وثيق صلة بنشاط اللاشعور . ولنا عنده وقفة كافيـة فى موضع لاحق من الباب التاسع .

وقد أثبت كيلنر بدراسته وبجهازه أن اشعاعات الروح الانسانية ـ وبالتالى الاشارات الموجية الصادرة منها حقيقة واقعة . وهى تتخذ ألوانا متعددة ومتداخلة تشبه ألوان قوس قزح ، وكل لون منها يمثل اتجاها نفسيا معينا عند صاحبها . وبحسب الرأى السائد عند الباحثين اللون الوردى مثلا يمثل الحب العذرى ، والأصفر يشير الى النشاط العقلى الراقى ، والأزرق القاتم يشير الى التدين ، والأخضر الرصاصى يشير الى الخديعة ، والأخضر القاتم يدل على الغيرة ، والزاهى على التسامح ، والأحمر الزاهى يرمز الى الغضب والعناد ، أما الأحمر القاتم فيشير الى الشهوانية ، والبنى يدل على حب المال والجشع ، وهكذا .

وواصل البحث فى هذا الشأن هارى بودنجتون Harry Boddington الذى كان نائبا لرئيس « الاتحاد الروحى الأهلى » بلندن S. N. U. ورئيسا لمجلس مقاطعة لندن فى هذا الاتحاد ، واخترع جهاز « شاشة كيلنر » Kilnascrene (١) للكشف على الهالة ، وعلى ألوانها المتعددة التى قد لا تكون دائما منظورة بالعين المجردة حتى لوسطاء الجلاء البصرى الذين قد يرى بعضهم جانبا من الهالة فحسب فى صورة اشعاعات تتفاوت فى مدى وضوحها .

* * *

وكلمة « هالة » تعنى عند الروحيين الجو الروحى المحيط بالأشخاص وبالأشياء ، ويوجد منها أصناف متعددة بقدر تعدد مستويات الوجود . ومن وظائفها أنها تحمى العقل أيضا من بعض التأثيرات التى يتلقاها من الخارج فتبدو له فى صورة مضايقات نفسية ، أو قلق ، أو عدم استقرار .

---

(١) وقد أسماه على اسم سلفه الدكتور كيلنر تخليدا لذكراه ، بوصفه صاحب فكرة الكشف عن الهالة بهذه الطريقة . ولهارى بودنجتون أيضا جهاز لتنمية موهبة الجلاء البصرى يدعى aurospecs ، كما ان له مؤلفات متعددة فى الروحية منها :

« التجسدات » Materialisations.

و « جامعة الروحية » The University Of Spiritualism.

و « أسرار الوساطة » Secrets Of Mediumship.

وبالتحكم الارادى فيها ولو على نحو ما يمكن أن تؤدى وظائفها على صورة أفضل من غيرها .

وعن طريق اضطرابات الهالة يمكن تشخيص بعض الأمراض باستخدام موهبة الجلاء البصرى لأن بعض الأمراض يبدأ فى الجسد الأثيرى لا فى الجسد المادى تاركا أثره فى الهالة ، ولذا فان صحة الانسان لا تتوقف على حالة الجسد المادى وحده .

ويبعد محيط الهالة عن اطار الجسم المادى بأبعاد متفاوتة تتراوح بين بضع بوصات وبين بضع ياردات ، وكلما قويت كلما ازداد امتدادها . ويبدو أن هذا الامتداد لا ينم عن حالة روحية أو خلقية معينة ، بل ان العبرة هى أولا بألوان اشعاعاتها (١) .

وتوجد فى الهالة مراكز للطاقة ينبعث منها الضوء باشعاع أكثر دقة واشراقا . وهذه المراكز تربط بينها خطوط دقيقة من الضوء تحدد الاطار الخارجى للشكل الانسانى . وللهالة عند وسيط الاستشفاف قيمة خاصة لأنه عن طريقها تتمكن الكائنات غير الواعية من أن تحدث تأثيرها فى « الحاسة الروحية » للوسيط . وعن طريق الحياة النقية والأفكار المستقيمة يمكن للهالة أن تقوى ، وأن تنمو ، وأن تزودنا بالتالى بحيوية متجددة .

ويوجد أيضا جهاز يعرف باسم صندوق أبرامز Abram's Box نسبة الى مكتشفه الدكتور ألبرت أبرامز ، وهو يحوى عددا من الريوستاتات Rheostats متصلة على التوالى . وتزداد مقاومتها بواسطة ملفات تشبه ما فى جهاز الراديو العادى . وتستخدم فيه ذبذبات الأوم Ohm لكى تدل على الألوان غير المنظورة المنبعثة من الهالة . وراجع الدكتور ريتشارد هذه الذبذبات اللونية للهالة على ذبذبات أفلام ملونة

---

(١) للمزيد راجع :
W. M. Evans : How To Be A Medium 2nd ed p. 117—122.

فوجدها متطابقة ، وحرر بيانا مفصلا لقياس حلقات الهالة Aura Rings في مختلف مراحل التطور (١) •

ووجود هذه الهالة غير المنظورة في الظروف العادية وانبعاثها من محيط الجسم الفزيقي هما اللذان يعللان الحاجة الى تمريرات معينة عليها لاحداث غيبوبة التنويم المغناطيسي ، أو الخروج منها • ومن المعلوم أن هذه التمريرات تخضع لأوضاع معينة ، تنوعت فيها المدارس ، وتتفاوت بحسب قدرات الطرفين معا : المنوِّم والمنوَّم •

والهالة ليست جزءا من الجسد المادي ، ولا من خصائصه ، بل هي محيط خارجي من الجسد الأثيري أي من الحقل البيولوجي لجميع الأجسام الحية • والاشارات الموجية تنبعث من هذا الجسد الأثيري ، الذي هو الانسان ، والذي يحمل كل حواسه وصفاته وملكاته ، والذي يلازمه وحده في رحلة الأبدية ، ويظل خاضعا لناموس التطور الروحي • وهذه الهالة وان كانت متصلة بهذا الجسد الأثيري الا أنها بدورها أعلى اهتزازا منه بكثير •

عن تصوير الحقل البيولوجي

والحقل الفسيولوجي تنبعث منه اشعاعات كهرومغناطيسية في صورة هالة • وهذه الهالة كان من المحال الوصول اليها فيما مضى الا بالسبل الوساطية ، وبوجه خاص عن طريق الجلاء البصري ، أو الجلاء الحسي • ولذا كانت تجهلها القوانين الفيزيقية المعروفة الى أن أمكن مشاهدتها عن طريق شاشة كيلنر Kilnascrene ، لكن تعذر تصويرها حتى عن طريق هذا الجهاز ، ولو أن صاحبه الدكتور كيلنر تنبأ في مؤلفه الآنف الاشارة

---

(١) ومن الكتب القيمة في موضوع الهالة كتاب للسيدة أورسولا روبرتس Ursula Roberts عنوانه « لغز الهالة الانسانية » :
The Mystery Of The Human Aura

وآخر للدكتور ر. مونتاندون عنوانه « الاشعاعات الانسانية » :
Radiations Humaines. 1927.

اليه منذ أكثر من خمسين عاما بقرب تصويرها قائلا : « اننى على ثقة من أن أخذ صورة فوتوغرافية لحجم الهالة ، وشكلها ، وحالتها . ليس أمرا ممكنا فحسب ، بل سيتحقق قريبا ، وعندئذ سيؤدى التصوير مساعدة عظمى فى التشخيص الطبى » .

ومنذ الستينات نجح العالم السوفيتى سيميون كيلريان Semyon Kirilian وقرينته فالنتينا Valentina فى تصوير الهالات الآدمية ، والنباتية أيضا ، عن طريق استخدام كاميرا ذات سرعة تردد عالية high-frequency ، لتحويل ظاهرة غير كهربية الى ظاهرة كهربية ، حتى تبدو واضحة وتخضع للتصوير ، واعتبرا هذه الظاهرة فى الانسان والنبات بيولوجية ــ بلاسمية Bioplasmique (١) .

ومن رواد محاولة تصوير هذا الحقل الكهرومغناطيسى للانسان طبيب فرنسى كان عالما فى الأجنة ، وفى أمراض المعدة والأعصاب ، ومعنيا فى نفس الوقت بالتنويم المغناطيسى والدراسات الروحية بوجه عام وهو هيبوليت بارادوك Hippolyte Baraduc . وقد ابتدأ بارادوك محاولاته فى هذا الشأن منذ قبيل ١٩١٠(٢) .

ثم تبنى هذه الأبحاث عالمان من تشيكوسلوفاكيا هما برات Prat وشليمر Schlemmer من جامعة تشارلس منذ سنة ١٩٣٩ وقدما فى « جريدة التصوير البيولوجى »(٣) صورا واضحة لهذا الحقل فى بعض النباتات .

---

(١) للمزيد راجع « الكشوف الروحية خلف الستار الحديدى » :
Sheila Ostrander & Lynn Schroeder :
Psychic Discoveries Behind The Iron Curtain (1970).

(٢) للمزيد عنه راجع
J. Malgras : Les Pionniers du Spiritime en France
Paris 1906 P. 185 — 190.

(٣) Journal of Biological Photography.

وفى نفس العام بدأ سيمون كيرليان وقرينته أبحاثهما فى الاتحـاد السوفيتى فى حقـل «التصوير الكهربى » electrography وتبين لهمـا وجود انبعاثات من الطاقة من جميع المواد الصلبة بلا استثناء ، لكن هذه الانبعاثات فى الكائنات الحية تختلف عنها فى الجمادات •

ومنذ سنة ١٩٤٩ بدأ هذان العالمـان محاولاتهما لاختراع جهاز قد ينجح فى اعطاء صور واضحة لهذه الحقول البيولوجية المتنوعة وهـو الجهاز الذى وصلا الى اختراعه فى الستينات والذى يحمل اسمهما • والذى شاع استعماله فى دوائر الطب فى الاتحاد السـوفيتى للمساعدة على تشخيص العديد من الأمراض العضوية والنفسية •

وبدأت دوائر الباراسيكولوجى هناك تستخدمه على نطاق واسـع فى اكتشاف العديد من أسرار الحياه فى الحيوان والنبات • ومن الرواد الروس فى هـذا الشـأن العلماء بار Burr ، وكاراجولا Karagulla وفاسيليف Vasiliev • وابتدأوا يميزون بين وجود حقل غير ديناميكى يتخلل الجمـادات ويحيط بهـا ، وحقل آخر ديناميكى ــ حيوى يتخلل الأجسـام الحيـة ويحيط بها ، ويتأثر بكل أمراضـها وأعراضـها ، ويؤثر فيهـا •

وابتدأ يظهر لهـذا الجهـاز أكثر من نموذج متطور عن النموذج الروسى ، فظهر له نموذج من تشيكوسلوفاكيا ، وآخر أمريكى •

وأهم ما فى الموضـوع بالنسبة لخلود النفس أن العلمـاء الروس سلموا « بأن هـذا الحقل من حقـول الطاقة ليس مكونا فحسب من جزيئات ، ومن تنظيم فوضوى anarchique بل انه تكوين عضوى متحد بذاته • ويتصرف بوصفه وحدة • وبوصفه وحدة يولّد حقـلا خاصا به كهربيا مغناطيسيا ، ويكوّن أساسا للحقول البيولوجية » •

ويقول البحاثة الفرنسى المعاصر جان بريير Jean Prieur ان هذا كله يؤكد ما نعلمه من قبل عن خصائص هذا الجسد الوراء الطبيعى من أنه جسد متوحد وعام unitaire et universel • فلا يوجد سوى جسد واحد رقيق متطور ومتوحد • وهو عضوى ، وعام • وكل كائن يحوزه سواء أكان هذا الكائن نباتيا ، أم حيوانيا ، أم انسانيا ، أم ملائكيا • وهذا الجسد هو الذى يتطور الى جسد روحانى ، ويصبح فى بعض الحالات جسما يشع بالنور وبالمجد •

ولقد شعر شاعر ألمانيا جوته Goethe بذلك وأدرك أن الأحياء فى جميع الممالك مكونون طبقا لتخطيط من طبيعة روحية توجه وتدير تكوين الجسد الطبيعى •

فالجسد الوراء الطبيعى يمثل الجسد الذى أنا هو ، أما الجسد الفيزيقى (المادى) فهو الجسد الذى أحوزه أنا • وعندما يحل الموت يتحلل الجسد الفيزيقى ويختفى للأبد • أما الجزيئات التى كانت تكونه فهى تتجمع فى مجموعات أخرى حية (قانون دورات الحياة) • ومع مراعاة أن الجسد الفيزيقى فى خلال الحياة الواحدة يتجدد تماما وكلية (عن طريق عملية تجدد الخلايا التى لا تتوقف أبدا) (١) •

وهكذا لم يعد الحديث فى الحقل الكهربى البيولوجى الملازم لجميع الكائنات الحية (الانسان ، والحيوان ، والنبات) رجما بالغيب أو مجرد افتراض نظرى ، بل معبرا عن حقيقة موضوعية ثابتة مثل ثبوت ظاهرة النمو ، والتكاثر ، وتجدد الخلايا ، وهى حقيقة ذات اتصال لا ينفصم بخلود النفس ، وبتحول جميع صور الحياة من حالة الى حالة بحسب نواميس طبيعية أزلية •

* * *

---

(١) راجع Jean Prieur : Cet Au-dela qui Nous Attend. Paris. 1974 P. 34 — 35.

ويعتبر اختراع جهاز كيرليان علامة تحول هامة فى استكناه بعض أسرار هذا الحقل البيولوجى غير المرئى ، ولا يقل فى أهميته بحال عن اختراع التلسكوب فى استكناه بعض أسرار الفضاء ، ولا عن اختراع الميكروسكوب ، وأجهزة الأشعة السينية بالنسبة للطب العادى ، بل لعله فى آثاره يتجاوز بمراحل كثيرة هدف الأجهزة القديمة كلها •

وبلغ من أهميته أن أخذت الأبحاث تجرى على الفور فى الجامعات والمعاهد المعنية فأظهرت بصيغة حاسمة وجود هذا الحقل البيولوجى غير المرئى ، وكيف أنه يتأثر بأمراض الانسان ويؤثر فيهـا ، كما يتفاعل مع انفعالاته ، وحالاته العقلية ، وأفكاره ، ومتاعبه ، فكل هذه الأمور تترك أثرا واضحا فى الحقل البيولوجى عند الانسان ، وكذلك الشأن أيضا فى الحقل البيولوجى للنباتات الذى تبين أنه يتأثر أيضا بأمراض النباتات وظروفهـا •

ومن العلمـاء العـاملين الآن فى هـذا الحقل نفر من البريطانيين والألمان والأمريكيين نذكر منهم الدكتور دوجلاس دين Douglas Dean (وتسـاعده الدكتورة دى لوتش Ethel Deloach)• والدكتورين دينز ميلنر Dennis Milner و أ • ف • سـمارت E. F. Smart (بجامعة برمنجهام) والدكتور تيللر Tiller ، والدكتورة تلما موس Thelma Moss (بجامعة كاليفورنيا) •

ولا يتسع المقـام الحالى للخوض فى هذه الأبحاث الواسعة لأننى — كمـا قلت فى المقدمة — سيكون تعويلى على النتائج النهائية لهـذه الأبحاث أكثر مما هـو على المقدمات التى تتفرع وتتشعب الى ميادين لا تنتهى ، وليست لها صلة مباشرة بموضوع المؤلف الحالى •

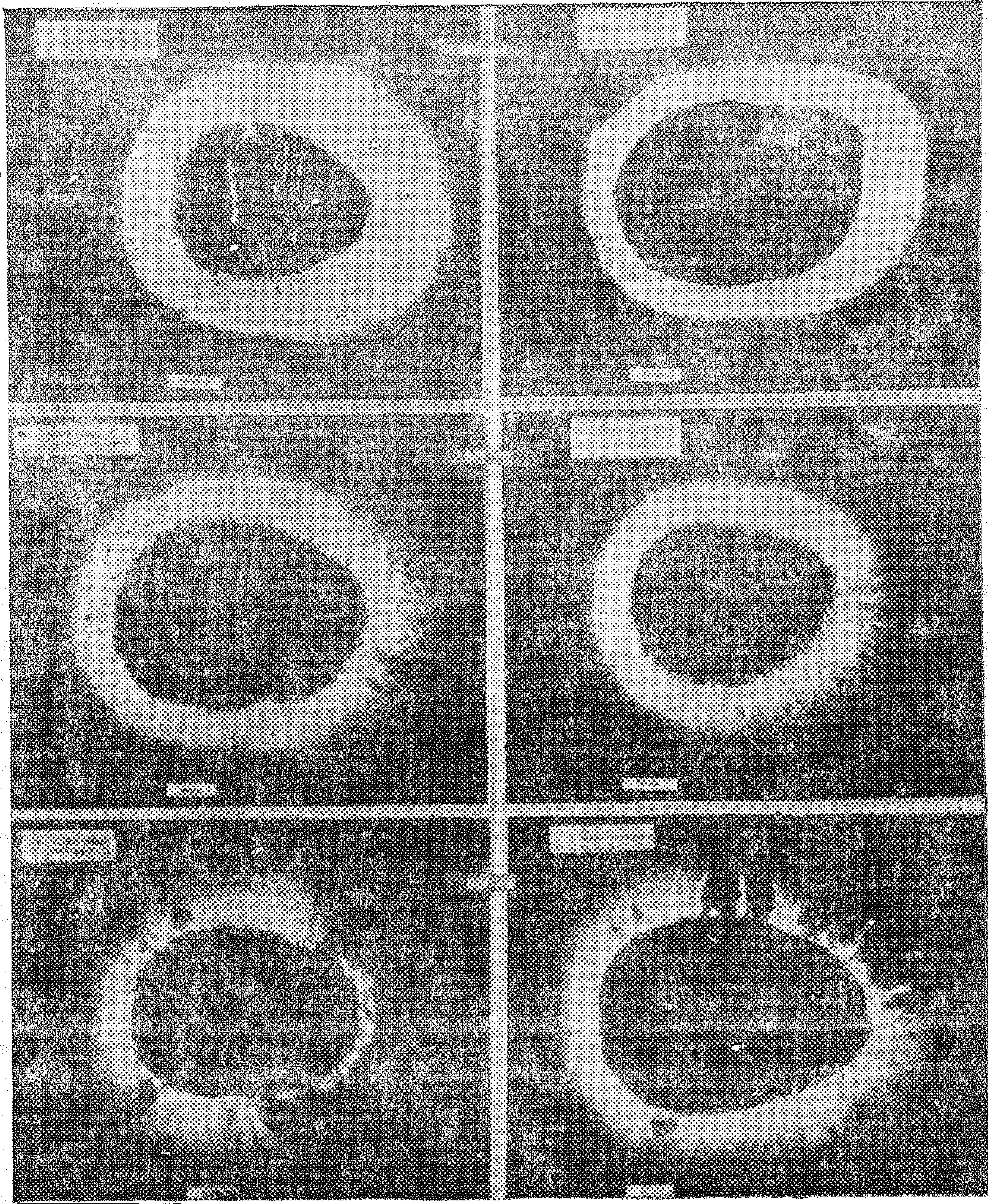
وانما يكفى هنا أن أقدم بعض صـور قليلة لاختبارات الباحثين فى تصوير هـذا الحقل البيولوجى غير المنظور كنماذج من الأبحـاث

الموسعة التى تجرى الآن فى هذا الشأن . وهذه الصور قد تظهر الآن ملونة لأن ألوان هذا الحقل تساعد على تشخيص الحالة أكثر مما يساعد مجرد المنظر العام الخارجى لهذا الحقل الكهرومغناطيسى .

وبما أن هذا الحقل البيولوجى وثيق صلة بالحالة الصحية والنفسية لصاحبه فهو وثيق صلة أيضا بالعلاج الروحى الذى سنعرض له فى موضعين لاحقين أولهما عن علاج الأمراض العضوية وثانيهما عند الكلام فى علاج حالات المس أو الاستحواذ . ومقتضى هذه الصلة أن هذا الحقل البيولوجى ينبغى أن يختلف عند الوسيط المعالج الى حد ما عن الحقل البيولوجى للانسان المصاب بمرض عضوى أو عصبى . فهذا الحقل نفسه يتغير بتغير حالات المريض والوسيط معا . وله فى أدوار النقاهة مظهر يغاير مظهره فى حالات المرض والصحة معا . وقد أظهر استخدام جهاز كيرليان تفاوت هذه الحالات فى أصابع اليدين على النحو الذى يظهر من النماذج الآتية :

١ — قبيل العلاج

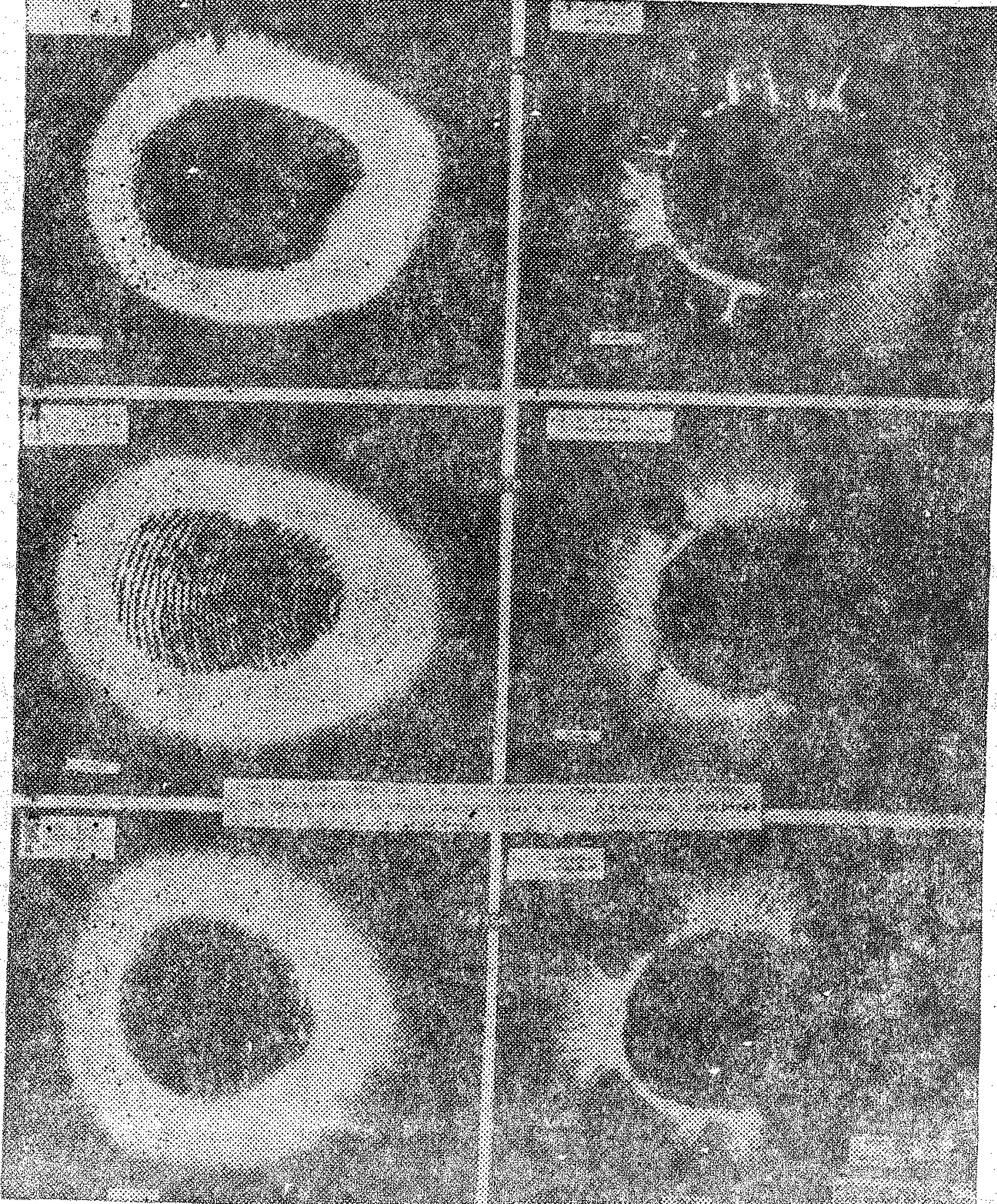
هالة المريضة　　　　هالة المعالج



صور التقطتها الدكتورة تلماوس Thelma Moss للهالة المنبعثة من أصابع معالج روحى يدعى ى. اسك Y. Isk فى « معهد جامعة كاليفورنيا للأمراض العصبية » . وهى تبين كيف أنه قبيل العلاج الروحى كانت هالة أصابع المريضة أضعف بشكل واضح من هالة أصابع المعالج ثم انقلبت الآية بعد العلاج ، فأصبحت هالة المريضة اقوى واعرض من هالة المعالج مما يدل على انتقال طاقة جديدة من المعالج الى المريضة كما يتضح من الصور الآتية : —

٢ ـ بعد العـلاج

هالة المعالج — هالة المريضة



تحـول الطاقة من المعالج الى المريضة يظهر واضحا من صـور هالة المريضة بالمقارنة بهالة المعالج بعد العلاج ، وبالمقارنة بصور هالات اصابعهما قبل العـلاج .

(راجع ما سبق عن تيلداموس فى صفحة ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

الفصل الثانى

بين التكوين الروحى والجسد الهيولى

عن الهيولى المحايدة

تحدثت فى الفصل السابق اجمالا عن الحقل البيولوجى الذى ثبت الآن وجوده عند كل كائن حى ، والآن يتعين أن أعالج الجسد الهيولى أو الأثيرى الذى ينبغى أن يعد الآن مصدرا مباشرا لهذا الحقل البيولوجى •

والجسد الأثيرى أو الهيولى جسد خاضع للذاكرة مباشرة • وهو رقيق ومرن الى حد يفوق قدرات تصورنا • وهو رباعى الأبعاد ومن ثم فانه يمكن أن يوجد وأن يختفى عن الأبصار وعن الحس بحسب حالة الذاكرة ، وبحسب « مستوى الوجود » أيضا (١) • وأقرب وصف له هو ما ذهب اليه الفيلسوف الرياضى برتراند راسل B. Russell عندما قال ان وليام جيمس (الفيلسوف الأمريكى المعروف) قد أصاب فى رفضه الشعور باعتباره كائنا قائما بذاته • وأن الواقعيين الأمريكيين (أنصار المذهب البراجماطى) قد أصابوا بعض الصواب فى اعتبارهم العقل والمادة كليهما مؤلفين من هيولى محايدة : لا هى بالعقلية ولا هى بالمادية اذا عزلناها وحدها (وهذا القول يلتئم تماما مع القول بأنها رباعية الأبعاد) •

ويمضى راسل فى توضيح وجهة نظره فيقول ان هذه الهيولى المحايدة قد تتخذ وصفا يبيح لنا أن نسميها عقلا ، وقد تتخذ وصفا آخر يبيح لنا أن نسميها طبيعة مادية ، وقد تكون فى وضع آخر يجوز فيه الوصفان ، فاحساساتنا من مرئى ومسموع ••• الخ من الصنف الثالث ،

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٨٧ ـ ٨٩ • ١١٧ ـ ١٢١ •

لأنك قد تنظر اليها من زاوية فاذا هى تابعة لعلم النفس ، أو تنظر اليها من زاوية أخرى فاذا هى تابعة لعلم الطبيعة » ...

وعلى هـذا الأساس أقام راسل نظرية « الواحدية المحايدة » أو « الهيولى المحايدة » مستوحيا اياها من المقال المشهور الذى كتبه وليام جيمس بعنوان « هل للوعى وجود ؟ » . فالواحدية المحايدة نظرية مؤداها — كما سبق أن قلت — أن العقل والمادة ليسا ضربين من الموجودات مختلفين اختلافا جوهريا ، بل العقل والمادة كلاهما مشتق من هيولى محايدة لا هى عقل ولا هى مادة (١) . وفى ضوء هذا الفهم الصحيح للعقل وللمادة يمكن أن تجد نظرية العودة للتجسد عن طريق الجسد الأثيرى الذى لا هو عقل ولا هو مادة ، بل « هيولى محايدة » بحسب وصف وليام جيمس (٢) تأصيلها الفلسفى والرياضى الذى كانت تفتقر اليه فيما مضى .

وقيمة هذا التأصيل تتحصل فى أنه قد وصل اليه أبرز فيلسوف براجماطى اتصل بالظواهر الوساطية اتصالا وثيقا وهو وليام جيمس ، وأيده فيه أبرز فيلسوف رياضى لم يتصل أى اتصال بالظواهر الوساطية هو برتراند راسل ، كما أيدهما فيه آخرون على نحو أو آخر عندما ذهبوا الى أن المادة واحدة تستخدمها الروح .

وهذا المفهوم الحديث للعقل وللمادة ولعدم وجود حواجز بينهما ، بل ولا اختلاف جوهرى فى تحليلهما الأخير ، يعطى تأصيلا لأمور كثيرة منها بوجه خاص ما يلى :

أولا : ظاهرة الحمل أى حلول العقل فى الجنين عندما يصبح الجنين صالحا لاستقبال عقل دخيل قادم من مستوى آخر للوجود ، فى صورة

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٨ — ٢٢٨ .
(٢) المرجع السابق . الجزء الأول ص ٣١٢ — ٣١٩ والثانى ص ٢٢ — ٢٨ .

حقل مترابط ومعزول عما سـواه من الطاقة المغناطيسية الكهربية التى تحوى كل خصائص الانسان •

ثانيا : ظاهرة نمو هـذا الجنين بتأثير العقل الذى حل به الى أن تتكامل أشهر الحمل التى لا تتجاوز — فى المعتاد — تسعة أشهر •

ثالثا : ظاهرة نمو الطفل منذ الولادة الى الوفاة عن طريق تجـدد الأنسجة والخـلايا وهى عملية بيولوجية — عقلية عبارة عن محض تأثير مباشر للعقل فى المـادة •

رابعا : دوام هـذا العقل حتى بعد انفصاله بالوفاة عن الجسـد المـادى لسبب أو لآخر ، وبعد فترة قصيرة أو طويلة يقضيها فى الجسد المـادى •

خامسا : الظواهر الروحية فى صيغها العـديدة • تستوى فى ذلك بعض ظواهرها الفيزيقية مثل التجسدات ، مع بعض ظواهر العقلية مثل الادراك خارج الحواس (١) ، والخروج من الجسد •

سادسا : كما يقدم هذا القول « بالهيولى المحايدة » تفسيرا للخلاف الذى ينشب أحيانا بين الباحثين الروحيين حول طبيعة بعض الظواهر ، وهل نعتبرها ظواهر محض عقلية ؟ أم فيزيقية ؟ أم مركبا من النوعين معا ؟ وسوف نقابل فى الفصل الرابع مثالا لهذا النقاش عند الحديث فى التكوين الروحى والطرح الروحى أو ظواهر « الخروج من الجسد » • Out of Body Experiences .

سابعا : ويقدم أيضا تفسيرا للمعلومات التى ترد عن ظروف الحياة بعد موت الجسد المـادى ، والأوصاف المتعددة التى ترد عن هذه الحياة خصوصا ما اتصل منها بتأثير العقل المباشر فى « مادة الأثير » • وما اتصل

(١) المرجع السابق . الجزء الأول ص ١٧٧ — ٢١١ •

منها بجسد الروح أو بالجسد الأثيرى ، أو المرن أو الهيولى ، وبالملابس التى ترتديها الارواح وكيف انها تكون جزءا من أجساد أصحابها ، لأن الأجساد والملابس معا من صنع العقل ، ومن نفس طبيعته الهيولية المحايدة التى قد تكون عقلا من زاوية ومادة من زاوية أخرى .

ثامنا : وهـذا الجسد الهيولى الذى لا هو عقل ولا هو مادة ، أو بالأدق هو عقل لامادى فى بعض حالاته ومادة عقلية فى بعضها الآخر يفسر أيضا بعض حالات المس الروحى والاستحواذ حيث قد يكون المريض ضحية أعراض نفسية أو عضوية من جراء هيمنة مثل هـذا العقل غير المتجسد الذى قـد لا يشعر بوجوده ، ولا بما قـد يسببه من أضرار لضحيته حين قد يشعر هـذا العقل أحيانا أخرى بوجوده وبهيمنته على كائن آخر هو الوسيط أو الوسيطة . ولنا عند هذا الموضوع وقفة طويلة فى الباب السابع .

تاسعا : كما قـد يفسر أيضا احتمال وجـود عدة أرواح ماسة أو مهيمنة على جسم الوسيط أو الوسيطة فى وقت واحد وقـد لا يشعر أى واحد منها بوجود الآخر . وقد سجل بعض الباحثين الروحيين حالات عديدة بهذا المعنى ، وتحدثت عنها مراجع عديدة لها وزنها .

ومما هو جدير بالذكر أنه يبدو أن الروح المـاسة بمجرد اختراقها هالة الوسيط — تفقد تجسدها الأثيرى المرن الخاضع خضوعا مباشرا للعقل أو للروح ، فلا تظهر أمام وسطاء الجلاء البصرى الا كضوء شمعة مشتعلة من ناحية الحجم والمظهر العام كما أكده بعض هؤلاء الوسطاء . ويكون شأن الروح المـاسة عندئذ شأن عصفور صغير وجد شقا فى جدار مكشوف فاتخذه مسكنا له يأبى مغادرته الا بعناء شديد .

والظـاهر أن هذه الشـعلة الصغيرة المضـيئة هى بذاتها الشـعلة الكهربية — المغناطيسية واهبة الحياة للانسان وحاملة كل صفاته وملكاته

وذكرياته الشعورية واللاشعورية • وصغر الحجم لا ينبغى أن يروعنا أو يثير اعتراضنا وذلك اذا ما لاحظنا أن أخطر الغدد التى تتحكم فى مصير الانسان صغيرة الحجم جدا ومنها مثلا الغدة الصنوبرية التى تقع فى قاعدة المخ ، والتى لا يزيد حجمها عن حبة الفول السودانى ومثلها الغدة النخامية • فهل هذه الشعلة الكونية الصغيرة هى تلك التى تتجسد وتعود للتجسد وهكذا فى صورة آدمية حتى يتكامل نضجها وتطورها فتصبح جديرة بالاندماج فى المجرى العام للحياة الكونية ؟ ! •••

عاشرا : وهذه الأمور كلها لا يفسرها مجتمعة مجرد القول بوجود جسد أثيرى لكل انسان متداخل فى جسده المادى ، ومطابق له فى تكوينه الذرى ومنسوجه الجزيئى ، وهو الذى ينسلخ من الجسد المادى بالوفاة كيما يحيا فى صورة مادية فى عالم الأثير •

فان هذا التفسير الأخير يتضمن تبسيطا أكثر مما ينبغى لطبيعة هذا الجسد الأثيرى ولمصدره وبالأخص من زاوية صلته بالعقل ، وبارتباطه بالذاكرة ارتباطا عميقا ومباشرا بوصفه موطنا لهذه الذاكرة وحارسا أمينا لها (١) وذلك بالأقل الى حين حدوث ميلاد جديد على المستوى الأرضى أو عودة للتجسد لتحقيق المزيد من النضج ومن التطور •

حادى عشر : وقد يفسر هذا الكشف أيضا ظاهرة سجلها الكثيرون من الباحثين الروحيين وهى وجود عدة أرواح فى غرفة الجلسات فى وقت واحد ، وقد لا يشعر أحدها بالآخر مطلقا • أو قد يتم الشعور عن طريق مجهود ارادى ضخم ، حين قد يشعر الجمع بالجسد المادى للوسيط أو للوسيطة بسبب الانبعاثات الضوئية الصادرة من الهالة (٢) •

---

(١) ولعل هذا الاعتبار هو الذى حدا ببعض الباحثين الى الحديث لا عن الجسد الأثيرى فحسب ، بل عن الجسد العقلى أيضا باعتباره أسمى من الجسد الأثيرى وأعصى ارتيادا فى الدراسات الروحية .

(٢) راجع ما سبق فى صفحة ٢٧٥ — ٢٨٥

ثانى عشر : كما يفسر نفس هـذا الكشف وهو كشف « الهيولى المحايدة » قيمة « الاحساس بالذات » كميزة عقلية ــ خلقية ، أو بالأدق كميزة روحية قد تقف سدا فى وجه بعض التداخلات غير المرغوب فيها من جانب العـالم غير المرئى • وبالتـالى قـد تقف سدا فى وجه طائفة من الاضطرابات العصبية والنفسية التى قـد يتعرض لها بعض الأشخاص عندما يفقدون هذا « الاحساس بالذات » • وقد يكون ذلك من مقدمات الاضطراب العصبى أو من آثاره ، وقد يكون هذا الفقد تاما أو جزئيا ، وهو أمر غير مرغوب فيه عندما يكون الانسان فى تمام صحوته ، وكامل صحته النفسية والجثمانية •

موقف كارل يونج منهـا

وهذا هو نفس الاتجاه الذى انتهى اليه أيضا كارل يونج عالم النفس الذائع الصيت ، اذ ليس فى تصورات يونج ما يتعارض مع القول بالهيولى المحايدة ، التى هى مادة من جانب وعقل من جانب آخر • بل القـد قرر صراحة أن الروح Psyché أو الوعى يمثل وجها كميا aspect qualitatif للمادة •

وفى هذا المعنى يقول « ان الروح أو الوعى ليس شيئا متميزا عن المـادة الحية ، انه الوجه الواعى للطبيعـة الحيـة nàture vivante بل هو الوجه الواعى للمادة » • ويقول أيضا « أننا نتبين أن للمادة وجها آخر أيضا ، هو الوجه الروحى aspect psychiquc ، وانها لا تمثل شيئا آخر ، اللهم الا أن تكون العالم منظورا اليه من الداخل » •

ولعل لهذا النظر وثيق اتصال بكشف هام آخر مرتبط بأبحاث يونج فى الباراسيكولوجى وهو كشف اللاشعور الجمعى collective unconscious الذى مقتضاه أنه يوجد لدى كل مجتمع لا شـعور عام كما يوجد لدى كل فرد لا شعور خاص •

وهذا اللاشعور العام فضلا عن ارتباطه بمبدأ تأثير الوعى فى المادة، وبالطبيعة الحية ، فانه مرتبط أيضا بمبدأ توافر قدر ما من حرية الاختيار

فى سلوك الكائنات ، وبوجود منبع عام تستمد منه الجماعات مصادر مشتركة للوعى • وللتصرف فى اتجاهات تبدو متقاربة ، ويبدو العديد منها عبارة عن استعادات لأحداث سابقة لكن فى ظروف وأوضاع متجددة ، ومتميزة عما سبق منها فى ظروف أخرى ، وهذا ما اعتدنا أن نعبر عنه بأن « التاريخ يعيد نفسه » ، أو بأنه « لا جديد تحت الشمس » ، حتى وان تفاوتت الصور الظاهرية للأحداث تفاوتا ضخما لتفاوت الظروف والملابسات المعاصرة عن مثيلاتها فى الماضى ، وفى الجملة فان يونج ينفى احتمال وجود مادة ميتة بالمعنى المتداول عند علماء المادة •

ومع ذلك فان غالبية الماديين من العلماء لاتزال تؤمن بوجود مادة ميتة ، ولها سلوك محض آلى ومحدد كالساعة مقدما بدقة متناهية ، ولذا فهم لا يتقبلون تقريرات يونج ، مهما كانت منتزعة من واقع التجريب العملى والعلمى الذى قاد منهجه ، والذى دعاه لأن يرفض هذه الآلية المطلقة لسلوك الحياة بوجه عام •

ونتيجة لذلك فان يونج ينبغى أن يعتبر من أنصار أزلية الحياة لأنه أيضا يستبعد كل احتمال لأى خلق متجدد فى الانسان • وفى الواقع لايزال باب النقاش مفتوحا الى يومنا هذا فى الفيزياء النظرية حول مشكلة الخلق المتجدد والخيار بين مذهب الحتمية النسبية وبين وجود مجال لحد أدنى من الحرية وهو ما تميل اليه فيزياء الكم أو الكمية La physique quantique ويبدو أن الميزان آخذ بالأكثر فى الميل نحو قبول فكرة وجود مجال ما لحرية الاختيار فى سلوك الانسان ، على ما سنعود اليه تفصيلا فى الباب السادس •

* * *

واذا كان العقل يبقى ملازما للجسد الهيولى أو الأثيرى فان مقتضى ذلك بالضرورة بقاء الذاكرة أيضا ، وتطورها مع تطور العقل ونموه بغير توقف • وقد علل سويدنبرج الفيلسوف الوسيط منذ منتصف القرن الثامن عشر حدوث هذا التطور بأن للانسان ذاكرتين لا ذاكرة واحدة :

ذاكرة خارجية تنتمى الى الإنسان الطبيعى ، وذاكرة داخلية تنتمى الى الانسان الروحى (أى الجسد الأثيرى) • فكل ما فكر فيه الانسان وأراده ونطق به وعمله ، وما سمعه ونظره ، قد تم تسجيله فى ذاكرته الداخلية أو الروحية (التى يعرفها علم النفس تحت وصف العقل الباطن) •

ومع ذلك ينبغى أن نعرف – على حد قول سويدنبرج – ان الانسان لا يحصل على أية معرفة ومعها الذكاء الا الى مدى تعلقه بالخير،وبالحقيقة التي عاش فيها عندما كان فى العالم المادى بدون أن يقدر على تجاوز هذا المدي •

وفى الحقيقة ان كل انسان يحتفظ هناك بالعاطفة التى كانت لديه عندما كان فى هذا العالم بنفس المقدار والنوع • ثم تتقدم هذه العاطفة تدريجيا وهو ما يحدث فى الأبدية ، لأنه لا يوجد شيء يعجز عن أن يتكامل الى ما لا نهاية • فكل شيء يمكن أن يتشكل الى ما لا نهاية وينمو بالتالى عن طريق معرفة أمور مختلفة ، بل يتضاعف ويثمر ، فلا توجد نهاية لأى شيء طيب لأن الطيب يستمد وجوده من اللانهاية • ولذا تتقدم الأرواح والملائكة باضطراد فى الذكاء والحكمة عن طريق معرفة الحق والخير (١) •

أوصاف شتى للجسد الهيولى أو الأثيرى •

وهذا الجسد الأثيرى أو الهيولى هو الرابطة بين الجهاز العصبى والمستودع الكونى للطاقة • وهو يقابل الجسد الذى يطلق عليه وصف الجسد المطابق The Double فى بحوث علم الروح ، ووصف النموذج أو المثال الأصلى The Archetypal فى بعض بحوث الباراسيكولوجى • فكل هذه أوصاف شتى للتعبير عن حقيقة واحدة وهى

(١) عن « الجنة والنار » Le Ciel et l'Enfer ترجمة فرنسية بمعرفة جان ل . فرانسيه Jean L. Francais فقرة ٤٦٣ ص ٣٣٦ ، ٤٦٩ ص ٣٤٣ •

أن للانسان جسدا آخر غير جسده المـادى الخاضع للحواس • وهـذا الجسد الآخر غير مادى على المستوى المـادى ، ولكنه مادى على المستوى غير المـادى (أى الكوكبى ، أو الروحى ، أو العقلى بحسب مرحلة التطور التى وصلت اليها النفس) •

وفى الفلسفة الثيوصوفية يطلق وصف الجسـد الأثيرى على هذا الجسـد غير المـادى حال الحياة الأرضية ، ويطلق عليه وصف الجسد الكوكبى فحسب عند تحرره من الجسد المـادى بالوفاة • أما فى المؤلفات الروحية فيستعمل الوصفان كمترادفين فيحل أيهما محل الآخر فى التعبير عن الجسد اللامادى للانسان •

كما يطلق على هذا الجسد الأثيرى أو الكوكبى عدة أوصاف أخرى متنوعة منها :

ـ الجسد الحيوى Corps vital للاشارة الى أنه مصدر الحياه للجسد المـادى ، وموطن الحيوية فيه •

ـ الجسد الهيولى أو السيال Fluidique للاشارة الى طبيعته الهيولية ، أو السيالة الخاضعة خضـوعا تاما للعقـل والذاكرة ، ومثله الجسد الرقيق أو اللطيف Subtil .

ـ الجسد النجمى Sidéral لاتصاله بمصير الانسان ، وبالعقيدة الذائعة عن تأثير النجوم فى حظوظ الناس •

ـ الوسيط المرن intermediaire plastique للاشارة الى موقعه المتوسط بين العقل والمـادة أو بين الحياة والجسد المـادى ، ولقابليته للتشكل •

ـ كما يطلق عليه أحيانا وصف الشبح Fantôme لأنه فيما عدا حالات التجسـد الكامل يظهر بمظهر الشبح أو الطيف ، حال الحيـاة أو بعد الموت •

ــ وكثيرا ما يطلق عليه فى المراجع الفرنسية périsperit هو وصف انتشر منذ أوائل العهــد بالبحث الروحى الحديث ، وقصد به التعبير عن الروح بوصفها كائنا حيا له كيانه الخاص لا بوصفها مبدأ مجردا ، أواعتقادا محض دينى أ وفلسفى كما قد يفهم من كلمة ésprit المعروفة .

* * *

فهذا الجسد الأثيرى يعد من أخطر الحقائق التى كشــف عنها علم الروح الحديث . وهو كشف جديد من الناحية العلمية ، وان كان بعض الكتابات القديمة لا يخلو من اشارات عنه تتراوح بين الوضوح والغموض كما بينا . وقد كشف العلم الحديث النقاب تدريجيا ــ وبمشقة بالغة ــ عن صحة وجود هذا الجسد غير الخاضع للحواس العادية بفضل عنايته بدراسة بعض الظواهر الغامضة التى كان يتجاهلها العــلم فيما مضى ، أو يتهــرب منها ، على غير أســاس من منطق سليم . وذلك لأن العــلم الصحيح لا ينبغى أن يتهرب من بحث أية ظاهرة مهما يكن نوعها ، ومهما تبدو قبل البحث تافهة ، فان غالبية فتوح العلم جاءت عن طــريق الدراسات المثابرة لظواهر الحياة ــ فى شتى صــورها ــ ومهما تبــدو لأول وهلة تافهة ، أو مهما تكن الدراسة محفوفة بالمشاق ، وبالصعاب الجسام .

وغنى عن البيان أن هذا الجســد الأثيرى هو حامل شــعلة العقل والروح . ويستخدم بعض المؤلفين فى التعبير عنه وصف الروح من باب التجاوز فى التعبير فحسب ، ولطالمــا جنى هذا التجاوز فى التعبير على البحث الروحى بمعناه الصحيح .

وهذا الجسد الأثيرى ليس من خصائص الانسان فحسب ، بل لقد تبين من الدراسات المعمليــة أنه من خصــائص الحيوان الأبكم أيضا . وكذلك يوجد لكل جسم مادى ــ ولو كان شجرة أو زهرة مثلا ــ مقابل أثيرى له وجود حقيقى وان كان لا يخضــع للحواس المــادية . ولكن اكتشاف الجسم الأثيرى فى المــادة الصلبة يعد كشفا علميا لا صــلة له

مباشرة بالدراسات الوساطية (١)، أما فى الانسان والحيوان فهو وثيق صلة بهذه الدراسات، وبما تكشفت عنه من نتائج مفرطة فى خطورتها، وفى خطورة دورها فى الكشف عن الانسان الحقيقى الداخلى المتخفى وراء الانسان الخارجى المزيف الذى خضع لشتى الدراسات العلمية تحت أوصاف متعددة مثل الطب، والفسيولوجيا، والبيولوجيا . حين لم يخضع هذا الانسان الحقيقى لأية دراسات جادة الا منذ بدأ علم الروح يشق طريقه بمشقة بالغة، كيما يتبوأ مكانه الضخم الحالى بوصفه « علما للعلوم » .

ولا ريب أو وجود الجسد الأثيرى هو — كما سبق أن بينا — حجر الزاوية فى كل اعتقاد بالخلود سواء أكان هذا الاعتقاد يستند الى العلم أم الى الفلسفة، أم الى الالهام . أما القول بأن نفس الجسد الترابى هو مركبة الخلود فهو قول تدحضه كل حقائق الوجود، بل تدحضه حواس الانسان التى تدرك تماما أن هذا الجسد الترابى مصيره الى التحلل، ثم الى التداخل فى تكوين أجسام أخرى متتالية : انسانية، وحيوانية، ونباتية وجمادية طبقا لقانون « دورات الحياة » .

الجسد الأثيرى فى راى جيرار انكوس

ويقول الدكتور جيرار انكوس Gerard Encausse (وشهرته الدكتور بابيس Papus وقد توفى فى سنة ١٩١٦ وهو بحاثة معروف فى الغيبيات) ان الكائن الانسانى يجمع أثناء حياته الأرضية ثلاثة عناصر لتكوينه، كما لاحظ ذلك جميع الملهمين القدامى، وهى :

أولا : الجسد الفيزيقى الذى اقترضه من الأرض لفترة ما، ويظل مرتبطا بالأرض عن طريق الأطعمة التى تزود هذا الجسد بأسباب النماء، ثم البقاء .

---

(١) فيما خلا دراسة موضوع المجلوبات والمأخوذات الروحية .

ثانيا : الحياة التى هى بمثابة شعلة تضىء بين القطبين الداخلين فى تكوين الانسان : الجسد من أسفل ، والروح من أعلى • ويظل الانسان مرتبطا بالحياة عن طريق التنفس فى الجو الأرضى ، المرتبط بدوره بضوء الشمس الذى يزوده بالطاقة • فالتنفس اذا يربط الانسان بالطاقات المنبعثة من الكواكب التى تقع الشمس فى المركز من حركتها •

ثالثا : الروح الخالدة المرتبطة عن طريق الالهام ، والاحساس ، والارادة بقوى التخطيط الغيبى (الجسد الأثيرى) •

فأثناء الحياة الأرضية تظل هذه العناصر الثلاثة وثيقة الارتباط أحدها بالآخر • وأثناء النوم قد يتحرر الجسد الأثيرى تاركا للحياة أن تنظف الجسد ، وأن تهيمن على الأعضاء التى تعتمد رأسا على الحياة العضوية •

وأثناء الاحتضار تنطفىء الشعلة الحيوية ، ويتبقى القطبان الباقيان وهما :

ا ــ القطب المضىء الذى يظل محيطا بالروح ويكون مركبتها الكوكبية ، أى مركبة الروح بحسب فيثاغورس • وهو الجسد المرن الذى يغلّف الروح على المستوى الكوكبى •

ب ــ القطب المضىء الذى يلازم الجسد الفزيقى الذى يتحول الى جثة • وهذه الجثة تعود الى الأرض كرداء مستهلك ، لأنه لم يكن متصلا بالروح التى كانت ترتديه الا باتصال عابر جدا •

وبالتالى فان أية طقوس دينية تقدم بعد الموت لا ينبغى أن تقدم الى الجثمان البالى ، بل الى ما تركه الكائن المختفى وراءه من محبة ، ومن أفكار على الأرض •

وفى النهاية فان الروح تحتفظ بشخصيتها بالكامل • وصدمة الانتقال من مستوى الى آخر قد تظلم ملكاتهـا لوقت ما ، لكن جميـع الأقارب والمعارف الذين سبقوها الى هناك يكونون محيطين بها • واذا كان صاحبها قد « توفى » بالنسبة لمعـارف الأرضـيين ، فان الكائنـات الروحية على استعداد لمعاونته على التخلص من كل ألم محتمل • واذا كان من موجب للبكاء ، فان البكاء ينبغى أن يكون بالتأكيد على تعساء الأرض وعميانها، لا على الروح التى حررتها التضـحية ، وأضاءتها ما تكون قد قدمته من خدمات على الأرض فى سبيل انقاذ الآخرين ومساعدتهم •

وهذا التكييف قال به المعتقدون منذ أكثر ن سبعة آلاف سنة • وهذا الوجود الشخصى بعد الحياة الأرضية كان الملهمون متأكدين منه ، لأنهم اختبروه بأنفسهم • ولم يكن للايمان بحســب عقيدة ايزيس هدف آخر غيره وكان هذا هو أيضا الهدف عند كل العقائد فى جميع الأرجاء •

وبالتــالى يمكن القول بأنه حدث فيما بعد توقف فى الدراســات العلمية ، أو تشويه فيها ، مكن لبعض العقول أن يعتقد بحسن نيــة أن الانسان محض طعام ، أو محض مصدر لزهور برية تنمو على جثمانه بعد الموت !

ان الطبيعة لأدق من جميع البخلاء ، ولا يمكن أن تكون قد أمضت دهورا لا تحصى فى تطوير مخ الانسان كى تدمر فى لحظة جهودا بطيئـة وعريقة الى هذا الحد • لذا فالروح الانسانية تحيا بعد الموت الفيزيقى ، وكل شىء يقودنا الى التحقق من ذلك (١) •

الجسد الأثيرى عند بوسفيلد

ووجود هذا الجسد الأثيرى لا يفسر الحياة ، والظواهر الروحية

(١) عن مؤلفــه « ماذا يصير موتانا **Ce Que Deviennent Nos Morts** طبعة ١٩٧٢ ص ٢٣ــ٢٦ • وللدكتور أنكوس دراسات متنوعة فى الحضارات واللغات القــديمة وفى الموضــوعات الغيبية ، وكان من المؤمنين بالعودة للتجســد •

فحسب ، بل أنه يفسر أيضا ذاكرة الانسان ، الى حد أن أصبح أحسن فلاسفة وعلماء العصر يتحدثون الآن عن عقل أثيرى يعمل من وراء المخ ويفسر نشاط الذاكرة •

ذلك أن علم النفس المادى كان يتصور أن الذاكرة تتوقف على علامات تتركها الأحداث ، والأفكار ، والصور ، والأصوات ، على نسيج المخ أو بداخل خلاياه تشبه على نحو ما الخدوش الموجودة على سطح قرص « الجراموفون » • فاذا استعاد الانسان هذه الذكريات فان ذلك يرجع الى تنشيط خلايا المخ بعمل آلى يشبه تحريك ابرة « الجراموفون » على سطح القرص حتى يعيد اذاعة ما هو منقوش عليه

وقد هاجم الفيلسوف هنرى برجسون H. Bergson هذا التصوير الساذج البدائى ، العاجز عن تصوير الحقائق ، وتابعه فى ذلك عدد من أبرز علماء النفس ، منهم و•ر• بوسفيلد W. R. Bousfield فى مؤلفه عن « أسس الذاكرة » (١) • وقد انتهى فيه الى أن أساس الذاكرة ليس عبارة عن مادة بروتوبلازمية بل عبارة عن بنيان روحى غير مادى ، يفترض فكرة وجود مادة لازمة للاعتماد عليها • وقد وجدنا ثمة ظواهر كثيرة لا يكفى افتراض « الخلايا البروتوبلازمية » لتفسيرها • ومع ذلك فان الآثار الناجمة عن الذاكرة ينبغى أن تطبع على مادة يمكننا تسميتها « بلازما الروح » Psychoplasma تعتقد أنها ليست مكونة من بروتونات والكترونات مادية ، بل من مركب أثيرى ••• فيزيقى كالأثير لكنه ليس ماديا ، وهذا المركب من « الخلايا الروحية » يمثل المخ الروحى للانسان الذى يبدو أنه مفتاح عدة مشكلات نفسية •

وهذا البنيان يمثل الأساس الدائم للذاكرة ، ويتلاءم مع جميع الظواهر بغير أن يتعارض مع أية واحدة منها • وهكذا يظل التنظيم

(١) The Basis Of Memory.

الجثماني للمخ وللأعصاب سليما لتأدية وظائفه دون أن يتأثر أو يضطرب بالتغيرات التي تحدث بسبب نشاط الذاكرة (فى مفهومها النفسى القديم) .

الجسد الأثيرى فى رأى الدكتورة جاسكل

وفى بحث لها عنوانه « ما هى الحياة » (١) نشرته الدكتورة أوجستا جاسكل Augusta Gaskell بمقدمة من العالمين الكبيرين فى الذرة كارل ت. كومبتون Karl Compton ، وريموند بيرل Raymond Pearl تقول انه يوجد للحياة نظامان : النظام Y الذى يمثل الجسم المادى ، والنظام Z الذى يمثل الجسم غير المادي أو داخل الذرى intra-atomic وتجمع عناصر النظام Z يكون نسخة من الجسم غير المادى الذى يتلاءم بغير شك مع الجسم الأثيرى .

وهذا التصور العلمى مؤداه تأييد فكرة وجود جسم رفيق فى الانسان يجهله — أو كان يجهله — العلم المادى . والطاقة التى تمسك بعناصر النظام Z ليست أعجب من الطاقة الغامضة التي تمسك بالذرات مجتمعة ، أو بالأدق تمكن الجسد الفيزيقى من أن يؤدى وظائفه فى اضطراد ، وفى ترابط .

فكل هذه الطاقات غامضة ، ومجهولة . ولا يوجد أى سبب يمنع من وجودها ، ومن وجود طاقة تمسك بالنظام Z فى تقدير الدكتورة جاسكل ، أو بنظام الجسد الأثيرى أو الكوكبى فى تقدير الكشوف الروحية القديمة والحديثة . ولا يوجد أى سبب يمنع من تصور النظام Z متصلا بالنظام Y (الفيزيقى) أو منفصلا عنه ، حتى مع التسليم بوجود تفاوت طبيعى ورياضى بين الافتراضين .

وكل شىء ينبىء عن أن نشاط الجسد الفيزيقى متوقف على وجود الجسم الأثيرى ، وأنه عند الانفصال النهائى للجسد الأثيرى يحدث الموت

(١) What is Life ?

والتحلل السريع للجسم الفيزيقى • وأن الجسد الأثيرى ، لاستقلاله عن الفيزيقى يواصل الوجود والنشاط حتى فى غياب هذا الأخير ، ولا شىء يثبت هذه الحقيقة الأخيرة الهامة مثل متابعة الظواهر الروحية ، وبخاصة التجسدات ، وظواهر الطرح الكوكبى التى سنعرض لها اجمالا فيما بعد •

الجسد الأثيرى فى رأى أوليفر لودج

وقد وصف أوليفر لودج عالم الطبيعيات المعروف هذا الجسد الهيولى أو الأثيرى بأنه وسيط الاتصال بالأثير وبالحياة الأخرى وبالله • وهو يكون واسطة يتعرض الجسد المادى عن طريقها للاهتزازات التى يسجلها العقل عن طريق الحواس الخمس العادية (وهى النظر والسمع واللمس والذوق والشم) •

كما تحدث عنه فى مؤلفه « لماذا أومن بخلود الانسان ؟ » (١٩٢٨) قائلا : « انى أسلم بأن الاستخدام العملى للذكاء يحتاج الى « مركبة جسدية » ولكن لا يلزم فى الجسد أن يكون ــ فحسب ــ مكونا من اجتماع شحنات متقابلة من الطاقة هى تلك التى تعودنا أن نطلق عليها وصف « المادة » ، فان هذا افتراض يقوم على غير أساس وأشبه على عواهنه شأن الكثير من الافتراضات الأخرى التى دفعتنا الكشوف العلمية الحديثة (مثل نظريات النسبية) الى أن نتخلى عنها •

فيمكننى أن أتصور بنيانا مكونا من الأثير وصلبا ومحسوسا كالمادة العادية ، ولكن مختلفا عنها فى أنه لا يخضع لحواسنا الحيوانية الحاضرة ، كما لا يذعن لاشراف عضلى مباشر منا • فان الجزيئات التى تكون أية كتلة عادية من المادة متماسكة فيما بينها عن طريق قوى للتماسك وللارتباط الكيميائى وللجاذبية ، وهى قوى غير مادية يعترف بها العلم اعترافا متزايدا كوظائف لأثير المكان • فجسم المادة الذى نشاهده ونمسك به ليس هو كل جسمها ، بل ينبغى أن يكون له مقابل أثيرى

كيما يمسك بين أجزائه . وهذا المقابل الأثيرى هو المزوّد الحقيقى بالحياة عند الكائنات الحية فيما أعتقد .

ففى اعتقــادى أن الحياة والعقل ليسا مرتبطين بالمــادة ارتبــاطا مباشرا ، بل أنهما فحسب يملكان العمل عن طريقها بشكل غير مباشر خلال اتصالهما الأوثق صلة بمركبة أثيرية تشكل الأداة الحقيقية لهما ، أى بجسد أثيرى يعمل بالاشتراك معهما (أى مع الحياة والعقل) وبالتالى يتحكم فى المــادة » .

وبعد أن يبين لودج كيف أن المــادة الصلبة ذات أوجه نقص متعددة يقرر أن الأثير لم يتكشف عن أية اشارة لأى نقص فيه أو قصور « فهــو شفاف لآخر مدى ، ولا يضيّع أية طاقة ، وأى بنيان مكون من الأثير دائم فيما يبدو . ونحن نملك منذ الآن جسدا أثيريا مستقلا عن الحوادث التى قد تحدث للمادة المحسوسة المتصلة به ، والمشتركة معه . وهذا الجسد الأثيرى سنظل نحوزه لفترة طويلة بعد انفصال المقابل المــادى له .

وهــذا التلخيص الموجز السريع هو النتيجة التى وصلت اليهــا تدريجيا ، والذى له أن يبين بطريقة عامة نوع أسس التجربة التى يستقر عليها ، وبعض ما يتضمنه من دلالات . ولا يمكننى أن أواصل السير الى الحجج الحديثــة عن الأثير ، وضرورته الفلسفية لفهم جميع الظــواهر وعرضها ، الا اذا عولجت بطريقة مجردة صرف من شأنها أن تدع المعادلات الرياضية بغير تفسير فيزيقى لها ، ولكنى سأحاول أن ألخص الوضع العام الذى قادنى امعان النظر فى الحقائق لأن أقتنع به ، وعندئذ سأبين قصة هذه الحقائق كما وصلت الى نطاق بصرى ..» (١) .

الجسد الأثيرى فى راى فندلاى

وبحسب رأى جيمس آرثر فندلاى J. A. Findlay مدير « المعهد

---

(١) Why I Believe In Personal Immortality.
طبعة رابعة : سبتمبر ١٩٢٨ ص ٩ — ١١ .

الدولى للبحث الروحى » فى مؤلفه « على حافة العالم الأثيرى » :
« ان الحمل ممكن فقط حينما يقرن العقل نفسه بالمادة . والعقل من رتبة مغايرة لرتبة المادة ، وهو مادة ــ وليس لدينا لفظ آخر غير هذا ــ تهتز فيما فوق الأشعة البنفسجية بكثير ــ فهذه المادة الأكثر لطافة تسبب اتحاد خلية تذكير بخلية تأنيث ، وبعدئذ يبدأ التكثف والنمو . وكل جرثومة حيوية ثالوث يتألف من عقل ، ومادة أثيرية ، ومادة فيزيقية ، وتؤلف المادتان الأخيرتان الجسم ، وعلى ذلك فكل خلية فيزيقية لها خلية أثيرية تشبهها ، ومن ثم يكون الجسم الأثيرى مشابها للجسم الفيزيقى خلية خلية .

وتجمع هذه المادة الأكثر لطافة حولها فى الظلام مادة فيزيقية ، ولا يمكن أن يكون الجمع فى غير الظلام فى مبدأ الأمر لأن الضوء يجعل تجسد الروح هذا مستحيلا . وبعبارة أخرى تجمع حولها مادة تهتز بين الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية (١) . وتفكر هذه المادة الألطف منذ البداءة ، وتكون الاطار للمادة الأكثف لكى تتجمع حولها فيتكون فى النهاية جسم ، فاذا ما قوى هذا الجسم واستطاع أن يتحمل اهتزازاتنا الضوئية غادر الظلام وحدث ما نسميه ولادة .

وينحدر من ثم الى العالم الفيزيقى عقل أو نفس (وكلتا الكلمتين صالحتان) ليؤدى وظائفه فيه وتستمر عملية التكثف والترقى . فالمادة الفيزيقية تستمر فى تجمعها حول الاطار الأثيرى ، ويسير النمو العقلى مع النمو الفيزيقى جنبا الى جنب . ولا يقف النمو العقلى على الرغم من أنه مع تقدم السن لا يستطيع أن يؤدى الوظيفة بنفس السهولة . ومع ذلك فالشخصية تكون قد تعينت بالضبط ، لأن العقل تتبعه الصفات التى تجعلنا ما نحن عليه . وما المخ الفيزيقى الا غطاء يقى العقل من الاهتزازات الفيزيقية حتى يقوى على تأدية وظيفته خلال المخ الأثيرى وحده ، ويتبع

(١) أى مادة من مواد المستوى الفيزيقى للحياة وكله يهتز بين الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية .

العقــل الذاكــرة والعــواطف بل يتبعــه فى الواقع كل ما يكوّن الخلق والشخصية .

وعند الموت يطرح الغطاء الفيزيقى ليعود الى الأرض التى منها جاء ، ويعود العقل هو والروح بدورهما الى الوسط الذى جاءا منه ، وليس ضروريا أن يحــدث تغيير فى الاقامة ، فالروح تستطيع أن تبقى فى نفس الحجرة التى تكون فيها ، أو فى نفس قطعة الفضاء التى حدث فيها الموت ، أو الانفصال كمــا يصــح أن نسميه . ولمــا كانت الروح تتبع مدى من الاهتزازات أعلى درجة من مدانا فهى عندئذ تستجيب لهذه الاهتزازات ، وهى لا تستطيع الاستجابة للاهتزازات الفيزيقية ، لأن هــذه الاستجابة كانت مستطاعة خلال الجسم الفيزيقى فقط ، وهى بعد الموت لا تتأثر بالعالم الفيزيقى ، وانما تتأثر فقط بالعالم الأثيرى ، لأن المادة ــ ما بقيت الروح فى هذا العالم ــ كانت وهى تهتز فى حدود معينة تصدم العقل خلال الجسم الفيزيقى .

وأما فى العالم الأثيرى فتصدم الجسم الأثيرى اهتزازات من درجة أعلى ، ثم تنفذ منه الى العقل ، واذن فلا يدرك هذا العقل عندئذ الا هذه الاهتزازات الأرقى درجة ، فيدرك من ثم المنسوج الأرق والألطف الذى كان الجسم الفيزيقى متصلا به (أى الجسم الأثيرى) ، ويظــل شاعرا بالقالب الذى صيغ فيه الجسم ، لأن ما تكشف وارتقى فوق الأرض انما بنى وشيد على ما صوره العقل وارتآه .

ولقد وصل الجسم الأرضى بمادة أثيرية ، وتشكل بالشكل الذى أشار به العقل ، فاذا ما طرح الجسم الفيزيقى جانبا ، وبقى العقل نفسه كما هــو ، بقيت كذلك نفس الآراء والصــور لتكسب الجسم الروحى السمة والشكل ، وما من جديد ســوى الوسط ، ان العقل لا يفنى ، وهو باق على الرغم من أن الموت يغير غطاءه ووسطه . ويستبقى الجسم الروحى الشــكل الذى كان له على الأرض ويظل يفكر ويذكر تجاربه

الأرضية ولا يضيع بالموت شيء ذو قيمة ، وكل ما فى الأمر وسط جديد يصل اليه ، وهذا الوسط من حيث الموضع هو عين الوسط الذى حدثت فيه الوفاة (١) •

هذا عن الجسد الأثيرى للانسان ، أما عقل الانسان فشيء بحسب تعبير آرثر فندلاى فوق الأثيرى Super-etheric « ولا يستطيع أى انسان وهو فى جسمه الفيزيقى أن يشرح العقل ويفسره ، ولكنه لابد أن يكون شيئا فوق الأثيرى لأنه يعمل بعد الموت ، فهو الذى يرشد الجسم الأثيرى ويضبطه • ولو لم يكون العقل شيئا فوق الأثيرى لأفسده أو لدمره أولئك المطبوعون على الشر فى العالم الأثيرى • انهم يستطيعون أن يروا الصور التى يكونها ، ولكنهم لا يستطيعون أن يمسوه أو يصيبوه بأذى ، فهو ليس فى متناولهم بتاتا ، وهم لا يستطيعون ازاءه شيئا الا أن يروه يعمل • والجسم الأثيرى هو الذى يحفظ كيان الجسم المادى فوق الأرض ، ومن الجائز أن يكون لكل شيء فى الوجود جسم أثيرى »(٢) •

الاحساس من خواص الجسد الأثيرى

والسائد الآن فى البحوث الروحية هو أن كل عضو فى الجسد المادى له مقابل فى الجسد الأثيرى يشبهه تماما من حيث الشكل ويؤدى نفس وظائفه • وقدرة الاحساس الكائنة فى الجسد المادى مستمدة من قدرة الاحساس المقابلة فى الجسد الأثيرى ، وقدرة الاحساس هذه لا تنتمى فى النهاية الى الجسد الأثيرى ، بل الى العقل أو ان شئت الى الشعلة القدسية فى الانسان وهى الروح حاملة العقل • وانما تنتقل هذه القدرة الى الأعضاء المادية عن طريق الجسد الأثيرى الذى هو بمثابة القنطرة بين العقل — أو الروح — وبين الجسد المادى • وعند سقوط الجسد المادى بالموت يتبقى الجسد الأثيرى متمتعا بالقدرة التامة على الاحساس

---

(١) عن الترجمة العربية للمرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير : طبعة ثالثة ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦ .

المستمد من الروح بمعنى الشعلة القدسية للانسان ، وحاملا العقل الذى هو وراء هذه القدرة سواء على المستوى المادى أم الأثيرى •

وهذه الحقيقة تعلل بعض الظواهر الشاذة التى يبحث العلماء عن تعليل « مادى » لها بغير جدوى • ومن ذلك مثلا ظاهرة الفتاة الروسية روزا كوليشوفا التى ثبت بعد تجارب علمية استبعدت كل احتمال للخطأ أنها تستطيع أن ترى بأصابعها ، فتميز الألوان ، وتكتب ، وتحدد بدقة مذهلة كل عناصر وتفاصيل أى رسم أو صورة ، وذلك كله رغم غشاوة تامة على عينيها تمنع عنهما امكان استخدامها فى الرؤية • وقد اتضح أن الفتاة عصبية ومتقلبة المزاج شأن عدد من الوسطاء الروحيين ، وان هذه الظاهرة ليست الأولى من نوعها فى التاريخ ، وهى تشير الى قدرة خاصة على الرؤية بالأنامل ، وأحيانا بالجبين ، يبحث العلماء الآن فى احتمال تنميتها ليستفيد منها المكفوفون • وهذا كله يشير الى أن العين هى أداة الرؤية لكنها ليست مصدرها ، كذلك المخ ، فهو أداة التفكير لكنه ليس مصدره •

وهذه الحقيقة تعلل أيضا النتائج التى وصلت اليها بحوث جامعه سالفورد البريطانية عن علاقة الأذن بالعين • والتى تمت برئاسة الدكتور أيان كريستفسين أستاذ علم النفس بجامعة مانشيستر • وقد أثبتت هذه البحوث أن بعض ضعاف السمع يمكنهم أن يسمعوا أكثر عندما تتحسن ظروف الاضاءة ، ويصبح النور فى مستوى معين ، وان ضعاف البصر يمكنهم الرؤية بنسبة أوضح من غيرها اذا كانت الأصوات حولهم بارتفاع معين •

ودلت التجارب على أنه بالنسبة لضعاف البصر يمكنهم أن يروا التليفزيون بنسبة أحسن اذا كان صوته مرتفعا الى درجة تتناسب مع

ضعف أبصارهم ، وأن ضعاف السمع يمكنهم أن يسمعوا المذياع بوضوح إذا كانت اضاءة الغرفة مناسبة .

وهكذا تتكشف تدريجيا عناصر الحقيقة القائلة بأن حواس الانسان ليست هى أدوات الاحساس الحقيقية ، لأن الأمر مآله فى النهاية الى طاقة واحدة مشتركة كائنة فى الجسد الأثيرى تعمل عن طريق العين فتسمى أبصارا ، وعن طريق الأذن فتسمى استماعا وعن طريق البشره فتسمى لمسا ، وعن طريق اللسان فتسمى ذوقا ، وعن طريق الأنف فتسمى شما . وقد تعمل خارج أية حاسة من هذه الحواس فتسمى ادراكا خارج الحواس ، وهذا هو أوسع الأبواب فى مادة الباراسيكولوجى فى مفهومها المعاصر .

هذا وقد أثبتت بحوث متعددة أن للانسان المعتقل فى جسده المادى حاسة روحية ، هى تلك التى توصف بأنها حاسة سادسة ، واحدة فى جوهرها لكنها متعددة فى قدراتها وفى أساليب عملها . وهذه القدرات الروحية على الادراك قد تتم خلال أدوات الاحساس المادية والمخ فى نشاطه العادى ، أى قد تتم بطريقة عضوية صرف ، كما قد تتم أحيانا نادرة جدا بطريقة مباشرة أى خارج أعضاء الحس الفيزيقية ، فيرى صاحبها عن غير طريق العين ، ويلمس عن غير طريق البشرة ، ويسمع عن غير طريق العين ، ويلمس عن غير طريق البشرة ، ويسمع عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception ، ويبدو أن هذه الملكات غير خاضعة حتى لقانون التطور المادى .

وقد أكد بعض العلماء مثل جيمس هايسلوب فى أمريكا ، وارنستو بوزانو فى ايطاليا بعد بحوث شاقة أن هذه الملكات فوق العادية لا تنتمى الى الجسد المادى ، بل الى الروح بمعنى الجسد الأثيرى ، وأنها خاملة ومستترة فى العقل الباطن لكل منا . فلا تعمل بطريقة منتظمة خلال حياتنا الأرضية ، ولا تظهر الا بصورة استثنائية جدا رغم أن استخدامها بطريقة

منتظمة كان سيزود الانسان بأسلحة هامة فى مرحلة كفاحه لأجل الحياة ، لأن الطبيعة قد رسمت لهذه الحاسة السادسة (التى تتضمن فى الواقع جميع الحواس المعروفة) ألا تعمل بكل قوتها الا بعد الخلاص من ربقة الجسد المـادى ، أى لا تعمل الا فى وسط روحى ، أو ان شئت أثيرى صرف •

هذا الى أن المرحلة الحالية التى وصلت اليها معارف الانسان المادية لا تفسر كيفية عمل الحواس الخمس العادية • فالعين المادية — رغم دقتها المفرطة كجهاز — لا تفسر مثلا حاسة النظر حتى لو أضيف اليها المخ الذى هو بدوره آلة صماء لا تعمل شيئا بغير « كهربائية العقل » ، هذا العقـل الذى هـو من خصائص الروح لا الجسد المـادى • أو هو بالأدق من خصائص الجسد الأثيرى الذى يحمل العقل كما يحمل الحواس الخمس ، وهى البصر والسمع والشم واللمس والذوق مجتمعة فى قدرة واحـدة تعمل عن طريق الروح عندما تزودها الروح بالطاقة اللازمة للعمل ، كما تزود الكهرباء أى جهاز مادى بالطاقة التى بدونها لا يمكن أن يعمـل شيئا ، وبدونها يتحول أى جهاز كهربى الى آلة صماء عاجزة ، كما يتحول المخ نفسه الى آلة صماء بدون « كهربائية العقل » هذه •

وعندما أقول ان هذه القدرة الواحدة على الاحساس كائنة فى العقل فمقتضى ذلك أيضا أنها كائنة فى الجسد الأثيرى لأنه هو حامل شعلة العقل، أما الجسد المـادى فهو يحمـل جهاز المخ وحده • وعندما أقول ذلك لا أنفى أن هذه القدرة الواحدة على الاحساس تنتمى فى نفس الوقت الى الروح التى يبدو أنها تعمل وراء كل عقل وجسد • بل أنها هى بنفسها مصدر هذه الطاقة للعقل التى سميناها تجاوزا بكهربائية العقل ، مع أنها أعمق بمراحل كثيرة ، وأخطر منها فى آثارها ، وأبعد مدى من كل طاقة كهربية وصل اليها العلم المـادى • وانما هى الحاجة الى وصف يقرب الفكر من ذهن القارئ هى التى أحوجتنى الى هذا التعبير القاصر جدا وهو « كهربية العقل » •

وهــذا القول يصدق على كل حاسة من حواسنا الخمس المعروفة : فوراء كل حاسة منها تعمل « كهربية العقل » هذه عملها محكومة بنواميس طبيعية مفرطة فى عمقها ، وفى خطورة دورها فى الحياة • وانما ارتبطت فى أذهان المــاديين حاســة البصر مثلا بالعــين لأنهم لاحظوا أن فقد العين لمرض او لعاهة أو لبتر يؤدى حتما الى العمى الكلى أو الجزئى ، وفاتهم أن هــذه النتيجة حتمية أيضــا حتى لو اعتبرنا العين مجرد أداة للبصر لا مصدرا له،أو حتى لو اعتبرناها مجرد شرط واحد من بين شروط متعددة لازم توفرها كلها لامكان البصر الواعى فى المستوى المــادى للحياة (١) •

وفى المدارس الروحية يصدق ذلك أيضا على وظائف الأعضاء اللازمة كلها للحياة على مستوى الوجود المــادى لها • فما الذى يدعو القلب لأن ينبض بطريقة منتظمة حوالى ٧٢ مرة فى الدقيقة ؟ ••• ان الذى يدعوه لذلك هو مركز من مراكز الطاقة Chakra كائن فى الجسد الأثيرى فى موضع القلب يمده بالقوة المحركة • كما يمد الجهاز العصبى فى مراكزه الرئيسية بالطاقة التى تكفل له العمل المنتظم طالمــا كان الجسدان معــا متمتعين بأسباب الصحة التى قد تضطرب فى الجســد الأثيرى لعوامل اعتدنا أن نسميها بالنفسية ، كما قد تضطرب فى الجسد المــادى لعوامل شتى بين فسيولوجية وبيولوجية يعرفهــا جيــدا الطب المــادى الذى

---

(١) وهــذه الشروط لامكان الرؤية العــادية متعددة ومعقدة أكثر مما كان يتصور العلماء الى عهد قريب . فمثلا بعد بحوث أربعين عاما تبين للدكتور جورج والد أستاذ البيولوجيا بجامعــة هارفارد أن الرؤية عملية كيميائية ينتج عنها تيار كهربائى ينقله العصب البصرى الى المخ (فالتيار لا يبدأ من المخ بل ينتهى اليه) . كما تبين للدكتور هالدان هارتلين أستاذ الطبيعة الحيــوية بجامعــة روكفلر أن الضــــوء يسبب انفصــال لمــادتين كيميائيتين داخل خلايا الشبكية ، وهما بروتين اسمه « أوبسين » ونوع خاص من فيتامين (أ) اسمه « ريتينين » وتنتج عنهمــا موجة كهربائية تنتقل الى المخ . وعند غلق العين أو فى الظلام تتحــد المــادتان استعدادا لضوء جديد وكل هــذا لا يفسره أبدا الاعتقاد بأن الرؤية عملية آلية تبدأ فى المخ ، بل يكشف عن أن وراء الرؤية يوجد « جهاز عاقل » ، وأنها عملية روحية يشترك فيها العقل (أو الروح) مع العين والمخ فى وقت واحد .

لا يعرف بعـــد شيئا يذكر عن مراكز الطاقة هذه وكيفية عملها ، مع أنها بمثابة «الدينامو» الحقيقى الكائن وراء وظائف الأعضاء الظاهرة والباطنة.

وعدد كبير من وسائل العلاج الروحى انما يتجه رأسا الى مراكز الطاقة هذه فى الجسد الأثيرى ، اذا ما لحقها اضطراب ما ، كيما تحاول هـــذه الوســـائل أن تعيدها الى اهتزازها الطبيعى عن طريق استخدام اشعاعات غير مادية المصـــدر ، حتى وان كان لها فى بعض الأحيان مظهر منظـــور بالعين المجـــردة . أو عن طريق استخدام سيالات Fluids غير مادية أيضا ، فتتولى بعدئذ بنفسها محاولة اصلاح ما أفسده الزمن فى الجسد الأثيرى أولا ، وهو الذى يتولى بدوره التأثير المباشر فى وظائف الأعضاء المـــادية . وقد يحتاج ذلك الى زمن قد يطول أو يقصر بحسب الأحوال ، كما قد ينجح فى ذلك أو قد يفشل ، فكل ما يمت الى الصحة والمرض عرضة للنجاح أو للفشل ، وللتقدم أو للتأخر بحسب الظروف .

ومراكز الطاقة فى الجســـد الأثيرى هـــذه تتأثر كثيرا بانفعالات الانسان ، ومن هنا جاء تأثير الانفعالات القـــوية فى الصحة العامة وفى كيمياء الجسم مما قد يجعله حساسا لمرض أو آخر من الأمراض العضوية ، مثل اختلال بعض الغـــدد ، أو ارتفاع ضغط الدم ، أو احتقان القلب ، أو « الارتكاريا » ، أو بعض أمراض الدم ، أو غـــيرها . أو بالأدق ان الانفعالات القوية قد تخلق استعدادا للاصابة ببعض هذه الأمراض لم يكن موجودا من قبل ، أو لم يكن قويا الى حد كاف فيما سبق ؛ لظهور أعراض واضحة لمرض أو آخر من هذه الأمراض . وبغير أن ينفى دور الفيروسات التى منها ما لا ينشط الا عن طريق الاستعداد أو القابلية الكامنة التى قد تسهم هذه الانفعالات فى تحريكها . ولنا عودة فيما بعد الكلام فى مراكز الطاقة فى الجسد الأثيرى التى ابتدأ بعض العلمـــاء فى كشف غوامضها وتعرف بعض أسرارها ، الأمر الذى فتح آفاقا جديدة بالغة أقصى درجات الخطورة لصحة الجسد والروح معا ، وهذا هو موضوع الفصل المقبل .

بين الجسد الأثيرى والجسد العقلى

وليس الجسد الأثيرى هو وحده مركبة الخلود ، بل هناك أيضاً جسد آخر يطلق عليه الجسد العقلى • وكما أن الجسد المادى أو الفيزيقى يموت عند الموت على المستوى المادى ، فان الجسد الأثيرى أو الكوكبى يموت عند انتقال الانسان من المستوى الكوكبى للوجود الى المستوى العقلى • والموت فى هذه المرة لا يكون عن طريق فقد الجسد ، بل عن طريق فقدان التجسد الكوكبى • أى أن الانسان لا يترك وراءه جثمانا يصبح باليا بالتخلى عنه ، بل ينتقل فحسب الى مستوى من مستويات الوجود أعلى مما كان •

وكما أن العالم الكوكبى هو عالم للشعور وللاحساس ، فان العالم العقلى هو عالم للفكر وللذكاء ، أى عالم يباشر فيه الانسان أثمن أوجه حيويته ونشاطه • فهو عالم الروح بالمعنى الدقيق ، وليس عالم الغيب ، أو البرزخ ، أو نحو ذلك من أوصاف أخرى متنوعة قد تطلق على عالم أو آخر من عوالم ما بعد الموت •

وهذا الجسد العقلى أو الجسد الروحى بالمعنى الدقيق موجود فينا منذ الآن ، لكنه لا يعمل فى الوسط الراقى المناسب له ، فلا نشعر بوجوده الا لماما • ولا تقدر الا قلة نادرة من الأشخاص على استخدام هذا الجسد العقلى أو الروحى ابان الحياة الأرضية بكل ما فيها من انحطاط عام فى ظروف العيش ، ومن صراع مرير مع الآلام ، والآثام ، والأوهام ، والأحقاد ، والأمراض •••

وهذا الجسد العقلى أو الروحى هو مركبة الضمير الى جانب الوعى ، وكل بحسب مستواه الخاص • وجوهر هذا الجسد العقلى رقيق للغاية ، ومتماسك فى نفس الوقت ، وله بدوره أضواء براقة رائعة تتغير بمقدار الأفكار التى يعبر عنها •

وكما أن الجسد الكوكبى يكون فى حالة نمو وتكوين مستمرين خلال طيلة الوجود الفيزيقى ، فان الجسد العقلى يكون بدوره فى حالة نمو وتكوين مستمرين طيلة الوجود على المستوى الفيزيقى ، ثم فيما بعد طيلة الوجود على المستوى الكوكبى ، وهو سابق على المستوى الروحى بالمعنى الصحيح .

وشكل الجسد العقلى يكون طيلة الحياة الفيزيقية هو نفس شكل الجسد الفيزيقى . وهو يتخلل الجسد الفيزيقى والكوكبى ويتجاوزهما فى اشعاعاته . وبقدر ما ينمو الانسان عقليا وخلقيا بقدر ما ينمو الجسد العقلى فى الحجم ، وفى الرواء ، وفى الوضوح ، وفى الاشعاعات الصادرة منه ، وفى ألوانها . وهو معبر عن مدى النضج فى العقل وفى الأخلاق .

وهو ينمو وينضج بمقدار نمو العقل بسبب كثرة التأمل ، والعمل الذهنى ، واستخدام المواهب الروحية والفنية . وعندما يصل الى مستوى رفيع يصبح مصدرا لطاقة رفيعة . وبالتالى فان صاحبه يصبح كائنا روحيا راقيا بالمعنى الصحيح .

ولأن الجسد العقلى جسد هيولى — شأنه شأن الجسد الأثيرى — فهو مرن مثله مرونة شديدة ، ويمكن بالتالى أن يرتدى أشكالا متنوعة لكن لأنه تعود خلال حياته الفيزيقية أن يكون مطابقا لشكل الجسد الفيزيقى ، فانه يظل محتفظا بنفس الشكل — حتى بعد انفصاله عنه بالموت — بحكم تأثير الذاكرة فى تلك الهيولى المحايدة .

ولكن ذلك لا ينفى أن هذا الجسد الأثيرى عندما يظهر بعد الموت لذوى الجلاء البصرى فانه يظهر أحيانا جسدا مشرقا تنبعث منه أضواء مختلفة . أما الملامح فهى تكون عادة نفس الملامح القديمة المألوفة ، وذلك حتى تتمكن من التعرف على أصحابها فى أشكالهم المألوفة ، سواء قبل الموت ، أم بعد الموت الفيزيقى .

ولمرونة هذا الجسد فان بمقدورهم أن يحولوا جانبا من هالته الى أزياء تشابه الأزياء القديمة التى ألفناها عنهم قبل موتهم ، كوسيلة للمزيد من التعرف عليهم ، واثبات شخصياتهم • ويبـدو من تصرفات المتنقلين أنهم يكونون دائما فى غاية الحرص على اثبات شخصياتهم بكل الطرق ، ونفى جميع الشكوك بشأنها ، وذلك فى حدود امكانياتهم ، وامكانيات الطاقة التى قد تصادفهم فى غرف الجلسات الروحية • وهـذا موضوع يطول شرحه ، ولسنا بحاجة الى شرح تفصيلاته هنا (١) •

عن الجسد الأثيرى والتجسدات

وبطبيعة الحال لو لم يكن هذا الجسد الأثيرى حقيقة واقعية لكان من المحـال حدوث ظاهرة التجســدات ، أى ظهور بعض الأرواح فى جلسات البحث الروحى فى حالة تجسد تام أو ناقص ، وصلب أو أثيرى • etherialisation .

وهذه ظاهرة من أخطر الظواهر الفيزيقية للوساطة الروحية ، بل لعلها أخطرها كلها • وقد خضعت لبحوث عشرات من العلمـاء المدققين فى انجلترا ، وفرنسا ، وألمـانيا ، وايطاليا ، والدانيمرك ، والسويد ، والبرازيل ••• وأمكن لبعضهم التقـاط المئات من الصـور التى تنفى احتمال أى خـداع ، أو تدليس ، أو ايحـاء أو نحو ذلك من التعابير التى اعتاد أتباع السيكولوجى التقليـدية القـاءها على عواهنها بلا بحث ولا دراسة ، ولا أى اطلاع فى هذا الحقل الهام من حقول الباراسيكولوجى •

وقد تناولت هـذه الظـاهرة تفصيلا فى الجزء الأول من « مفصـل الانسان روح لا جسد »(٢) ، وقدمت لها من أسانيد ما يكفى فى تقديرى لاقناع أى انسان يبحث عن حقائق الأمور بطريقة موضوعية خالصة •

---

(١) للمزيد فيه راجع : Robert Crookall : The Next World and the Next Ghostly Garments London 1966

والمؤلف عالم فى الجيولوجيا واستاذ للنبات بجامعة ابردين Aberdeen بانجلترا ، ومعنى بوجه خاص بموضـوع أزياء الأرواح ، وظاهرة الطرح الروحى .

(٢) ص ١٧٧ — ٢١١ ، ٥٢٠ — ٦٩٠ .

ولا يتسع المقام الحالى للخوض فيها من جديد لفرط تشعب أرجائها ، ولأن هذا المؤلف لم أخصصه لعرض البيّنات الدالة على ثبوت الخلود — بمعنى دوام الحياة بعد الموت — بل خصصته أساسا لتقديم أهم النتائج الحتمية المترتبة على هذا الثبوت ، خصوصا فيما يتعلق بتفسير العديد من أسرار السلوك الانسانى التى لا تزال حتى الآن ربعا مغلقا على السيكولوجى التقليدى •

وانما سوف أكتفى بأن أقدم فى صفحة ٣٢١ ومابعدها عدة نماذج من الصور عن التجسدات منها طائفة التقطت لروح متجسدة نهارا وعلنا فى مخيم روحى تعقده احدى الجمعيات الروحية سنويا فى مدينة ايفراتا Euvrata بمقاطعة بنسيلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، وهى تبين — فى جلاء تام — انبعاث مادة الاكتوبلازم Eetoplasm أو التليبلازم Teleplasm من جسم الوسيطة ، ثم عودتها اليهـا من جديد أمام أعين المشـاهدين المذهولين عند انتهاء هذه الظاهرة الحاسمة فى شأن وجود الجسد الأثيرى وعدم فنائه بفناء الجسد المـادى بالموت •

وبعدها سوف أقدم طائفة أخرى من الصور « المعملية » التى تحسم تماماً موضوع وجود الجسد الأثيرى فى الانسان ، وقدرته على الاستقلال عن الجسد المادى فى المكان وبالتالى فى الزمان وكلها مأخوذة من مراجع علمية جديرة بكل ثقة فيها •

الفصل الثالث

فى صلة التكوين الروحى
بالعلاج الروحي

عن مصدر هذه الصلة

تحدثت فى فصل سابق عن التكوين الروحى الفطرى للكائنات الحية ، وبوجه خاص عما اتضح الآن ــ بسبب اختراع أجهزة متطورة ــ من وجود حقل بيولوجى ، أو منطقة من طاقة كهرو ــ مغناطيسية تتخلل أجسام الكائنات الحية ، وتتأثر بعوامل الصحة والمرض بها ، كما تؤثر فيها •

وهذه الحقيقة وحدها فتحت آفاقا حديثة لمواجهة الأمراض العضوية والعصبية بوسائل متطورة • وهى لا تتعارض أبدا مع القول بأن غالبية الأمراض العضوية ترجع الى ميكروبات أو فيروسات معينة سواء أوصل العلم اكتشافها ، أم لم يصل بعد •

بل ان بعض الأمراض الخطيرة وبوجه خاص الأورام الخبيثة ، ربما يظهر بوصفه ذا صلة وثيقة باضطرابات الاهتزاز فىهذا الحقل البيولوجى• وهى اضطرابات قد تجىء نتيجة استعداد موروث ، مضافا الى صدمات نفسية وعصبية • وباجتماعهما معا قد يضطرب الحقل البيولوجى فى اهتزازه عند رقعة معينة من الجسم • وتكون النتيجة هذا التكاثر المجنون لبعض الخلايا ، التى يبدو أنها قد خرجت عن سيطرة القانون العادى لتكاثرها ، والذى يطلق عليه العلم وصف داء السرطان ، الذى هو الآن ألد أعداء الانسانية ، والذى تحدى جميع الأبحاث التى جرت لاكتشاف مصدره رغم المليارات التى أنفقت عليها حتى الآن ، بدون أى طائل •

ولذا ذهب هارى ادواردز Harry Edwards الرئيس الفخرى

« للاتحاد الوطنى للمعالجين الروحيين » فى تقرير له الى هذا الاتحاد يرجع الى سنة ١٩٧٣ بعد عمل احصائيات موسعة الى أنه « لا يعتبر السرطان الخبيث مرضا ذا مصدر عضوى ، بل هو مرض نفسى عضوى Psychosomatic ينجم عن شعور عميق بالاحباط نتيجة الفشل فى تحقيق رغبة حيوية طاغية عند صاحبها » .

وبنى ادواردز هذه النتيجة الهامة على اختبارات على الآلاف من المرضى بالسرطان الذين أعد لكل منهم استمارة مكونة من ١٣٩ سؤالا ، كلها ذات طبيعة شخصية للغاية . وكان الهدف منها هو أن يصل الى دليل حاسم على صلة هذا الداء الخبيث ببعض الصدمات النفسية التى واجهت المرضى به ، وطبيعة هذه الصدمات ، ومدى امكان الربط بينها وبين بدء ظهور المرض،وحالة المريض من الناحية العضوية قبل وبعد ظهور الأعراض الأولى للداء .

وتشكلت لجنة داخل هذا الاتحاد لتحليل نتائج الاستفتاء باستخدام العقل الالكترونى . وبدأت بتحليل ٢٨٨ استمارة لمحاولة استكشاف بعض المعالم الأولية فجاء التحليل ببعض أمارات لها مغزاها . بالاضافة الى المئات من حالات السيدات المصابات بهذاء الداء الوبيل .

وفيما يلى أضع بعض الأرقام التى سجلها هذا التقرير الهام :

— أن ٧١ من السيدات كن يشكون من سوء معاملة أولادهن .
— و ٧٣ كن يعانين من مشاجرات عنيفة مع بعض الأقارب .
— و١٠٢ تلقين عقابا أو اعتداء جثمانيا .
— و١٠٣ كن تعيسات جدا فى طفولتهن .
— ١٣٩ كن يعانين من مشاغل خاصة .
— ١٣٩ أخريات صدمن صدمات عميقة من وفاة قريب أو صديق .
— ٧١ صدمن من وقائع حب فاشل .
— ١٤٨ كن يعانين من المخاوف ومن الانشغال الزائد عن الحد بالآخرين .

— ١٨١ تلقين صدمات فشل حقيقية متنوعة .
— ١٢٨ صدمن بخيبة أمل بالغة فى الآخرين .
— ١١٢ كن متلهفات جدا على الأنجاب بغير جدوى .

ويتضمن التقرير أرقاما أخرى متنوعة عن الرجال المرضى والنساء وتأسيسا عليها بنى هارى أدواردز نظريته فى اسناد تكاثر الخلايا الى مصدر نفسى — عضوى فى المقام الأول ، خصوصا بعد حدوث صدمات عاطفية بشأن الحب سببت احساسا لدى أصحابها بالخيبة وفراغ الحياة. وهو أيضا يعد من عناصر هذه الصدمات ، كما يقع فى الأساس من العديد من حالات الاضطرابات العصبية والنفسية .

ودفعته تحقيقاته الى الاعتقاد بأن السرطان يبدأ أولا فى عقل المريض ، وينجم عن الاحباط والفشل فى تحقيق هدف جوهرى فى حياته . وهو ما يفتح بابا جديدا لتفهم دور العقل فى أحداث الحياة ، ويكشف عن ضآلة القدر الذى نعرفه عن الصلة بين العقل والروح . وخطورة هذا البحث تتجلى بوجه خاص اذا ما وضعنا فى الاعتبار أن نسبة الوفيات بالسرطان فى بريطانيا تبلغ ٢٠٪ ، وفى الولايات المتحدة تبلغ ٢٥٪ (١) .

ومما يلتئم مع هذا النظر نتائج تلك الاختبارات الدقيقة التى جرت فى سنة ١٩٧٥ فى « مؤسسة علم العقل » بمدينة سان أنطونيو San Antonio (تكساس . الولايات المتحدة الأمريكية) بمعرفة الدكتور جـ. كنتز J. Knetz على الوسيط البريطانى ماثيو مانتج Matthew Manning وقد نجح فيها هذا الأخير فى تحطيم خلايا سرطانية آدمية باستخدام طاقة تأثير العقل فى المادة ، وهى طاقة لنا اليها عودة فى الفصل الثانى من الباب السادس .

وهذه النتائج الهامة التى وصل اليها البحاث لا تتعارض أيضا

---

(١) للمزيد راجع جريدة السايكك نيوز Psychic News عدد ١٩ يناير ١٩٧٤ صفحة ٣ .

مع دور الاستعداد السابق الموروث فى تهيئة المناخ اللازم لتكاثر الخلايا تكاثر أسرع من معدلاتها الطبيعية بسبب مروقها عن هيمنة العقل أو الروح • ولكل هذا صلة محتومة بالحقل البيولوجى وبعوامل صحته ومرضه وهو ما تناولته فى الفصل السابق •

وهناك أيضا اضطرابات متنوعة فى افرازات الغدد الصماء وغير الصماء ، والقنوية وغير القنوية لا يعرف العلم لها مصدرا ولا تعليلا مقنعا حتى الآن : مثل كسل البنكرياس الذى يؤدى الى الاصابة بالسكر ، والحساسية بكل صورها والتى قد تؤدىالى الاصابة بالربو وبالاكزيما ، وأمراض الروماتيزم • وغيرها كثير مما لا يعرف الطب المادى له سببا •

وعلى أية حال لقد فتح الباراسيكولوجى آفاقا جديدة لتشخيص العديد من الأمراض لم تكن مطروقة من قبل ، وكلها وثيق صلة بنشاط الحقل البيولوجى الذى يتفاعل مع العقل بقدر ما يتفاعل مع تجدد الأنسجة والخلايا بصورة لا تزال غامضة عن الطب البشرى حتى الآن • كما فتح آفاقا جديدة للعلاج بأساليب مغايرة تماما لأساليب الماضى ، وهى نفسها التى يطلق عليها الآن وصف العلاج الروحى •

وكل علاج يتجه رأسا الى الجسد الأثيرى ، أو الى الجسد العقلى يصح أن يطلق عليه هذا الوصف العام ، وهو « العلاج الروحى » • بغير أن يقتضى الأمر — دائما ولا بالضرورة — تداخل كائنات غيبية فى كل الحالات • وبغير أن ننفى فى نفس الوقت احتمال تداخلها أحيانا متى قام على ذلك الدليل المقنع •

فمن صور العلاج الروحى مثلا أسلوب التحكم فى التنفس الذى تعرفه تدريبات اليوجا • ومقتضاه التنفس التدريجى البطىء فى الشهيق والزفير ، وبنسب متوازنة على قدر الامكان (١) • مع اخلاء

---

(١) وذلك مثلا بأن يكون الشهيق متدرجا بطيئا الى أن يكمل الانسان العد الى رقم ٢٠ أو ٣٠ ، وبنفس الطريقة يكون الزفير أيضا مع التكرار لمدة ٢٠ دقيقة ، خصوصا عندما تكون المعدة خاوية ، أى قبل الافطار يوميا ، ومع المواظبة .

وثمة كتب فى اليوجا تتضمن بعض ارشادات نافعة بشأن تمرينات التنفس كوسيلة علاج ، أو كوسيلة لتنمية المواهب الوساطية .

الذهن من المشاغل عن طريق تركيز العقل على تخيل حديقة جميلة ذات أزهار وخمائل ونوافير للمياه أو تخيل بحيرة رائعة ببطء وهدوء • فانه قد يحدث تأثيرا طيبا فى نشاط الجسد الأثيرى والعقلى فى وقت واحد •

وبالتالى فان ذلك قد يحدث نشاطا ملموسا فى الاحتراق Metabolism وهو أحد وظائف الجهاز التنفسى فى الانسان • كما قد يحدث بالتالى نشاطا مباشرا فى دورة الدم ، أى فى وصول الدم الى المخ ، والى الأطراف ، والى الجهاز العصبى بوجه عام •

وعلى أية حال فان تدريبات التأمل(١) meditation والتنفس ، والخلوة الصوفية وما اليها ، يمكن كلها أن تدخل فى الاطار العام اوصف « العلاج الروحى » • وذلك بالاضافة الى العلاج بالاشعاعات ، وباللمس ، وبالنفخ ، ناهيك ببعض الأساليب الفريدة التى لها تطبيقات مادية محسوسة ، والتى سنعرض لها تباعا فيما بعد مؤيدة بالصور الحاسمة •

ويتعذر فى الواقع اخضاع سبل العلاج الروحى لوسائل التحديد والقياس التى تعرفها الأساليب المادية ، الى حد أنه يمكن القول بأنه يكاد يكون لكل معالج روحى أساليبه الخاصة ، والعبرة فى النهاية تكون بمدى وضوح النتائج التى قد يحققها أو يفشل فى تحقيقها •

ماذا عن العلاج الروحى ؟

والعلاج الروحى يمثل جانبا واحدا فحسب من الأبحاث التى تشغل دوائر الباراسيكولوجى • وهو جانب له اتصال وثيق بالتكوين الروحى للانسان ، لأنه ان لم يكن للانسان تكوينا روحيا قائما بذاته متميزا عن تكوينه الفيزيقى لما أمكن للعلاج الروحى أن يحقق كل تلك النتائج الباهرة التى اعترفت بها الهيئات الطبية فى البلاد الأجنبية •

وهو أيضا وثيق اتصال بالسلوك العام للفرد ، لأن سلوك الفرد

---

(١) لنا وقفة عند موضوع « التأمل » فى المبحث الثانى من الفصل الثانى من الباب الخامس •

متوقف — على نحو أو آخر — على حسن أداء بنيانه العضوى لوظائفه الطبيعية ومن ورائه هذا التكوين الروحى •

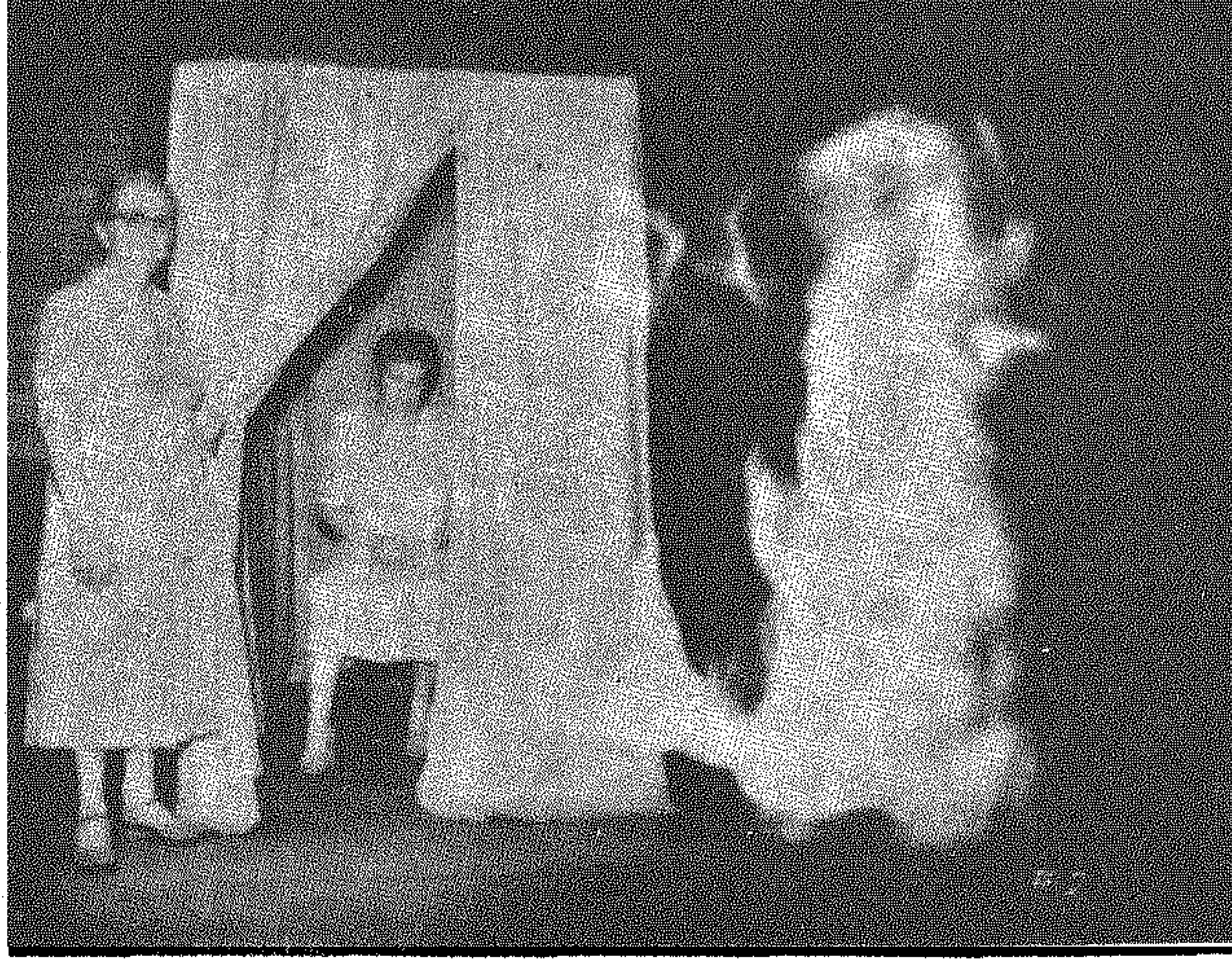
وهذا التكوين الروحى قد يصاب بأمراض عصبية أو نفسية ، وهنا أيضا تبرز خطورة العناية بصحة هذا التكوين الروحى الذى يتمثل فى الجسد الأثيرى للانسان ، ومن ورائه الجسد العقلى ، والذى يتحكم — الى مدى لا يزال مجهولاً من العلم — فى وظائف الغدد جميعها : ذات الافراز الداخلى والخارجى ، ولهذا الافراز أثره أحيانا فى سلوك الانسان عندما يكون سويا أو شاذا • لأنه لا ينبغى أن يفوتنا أن هذا السلوك الأخير لا يمثل أكثر من قطاع واحد من السلوك الأول •

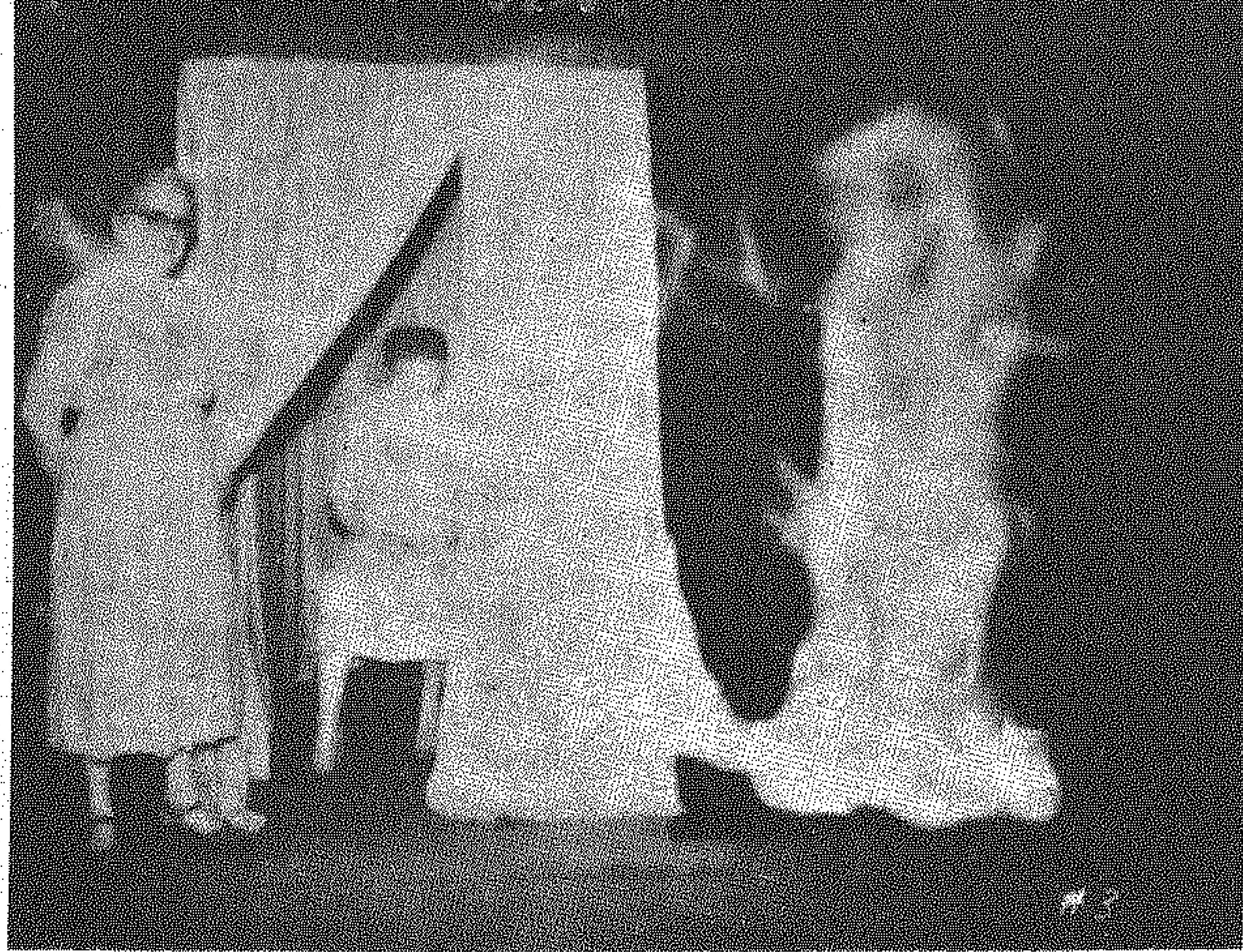
وهذا التكوين الروحى يلقى أضواء مكثفة حديثة على الفطرة الانسانية ، وعلى كل ما يتصل بها من قضايا مفرطة فى تعقيدها ، وفى أوجه التساؤل التى تثيرها ، بغير أن تجد جوابا شافيا من العلم حتى الآن •

كما يلقى نفس الأضواء على مباحث عديدة فى البيولوجيا : منها بوجه خاص موضوع التطور وكيفية حدوثه ، والتكيف مع البيئة ، وتجدد الأنسجة والخلايا الذى يجرى دواما فى جسم كل كائن حى • أى أنه يجرى فى الزهرة والشجرة كما يجرى فى الانسان والحيوان ، وغير ذلك من مباحث لا تنتهى لها وثيق اتصال باستكشاف العديد من عوامل الصحة والمرض التى كانت خافية من قبل •

وهذا التكوين الروحى له صلة وثيقة أيضا بمباحث الفيزياء لصلته بأدق موضوعات العقل ، والمادة ، والطاقة ، والهيولى المحايدة ، والفعل ورد الفعل ، والاهتزاز والاشعاع •• وكلها لها صلة على نحو أو آخر ببعض عوامل الصحة والمرض فى الانسان • هذا بالاضافة الى الاتصالات الروحية وما تقوم به الأرواح المعالجة من انجازات سببت الحيرة والذهول عند الباحثين المدققين فى جميع الأرجاء ، والتى لم يعد يشك فى صحتها أحد منهم • وفى الصفحات الآتية نقدم عددا من الصور التى نعتقد أن فيها فصل الخطاب فى شأن الجسد الأثيرى والتجسدات وما يتصل بها من أمور •

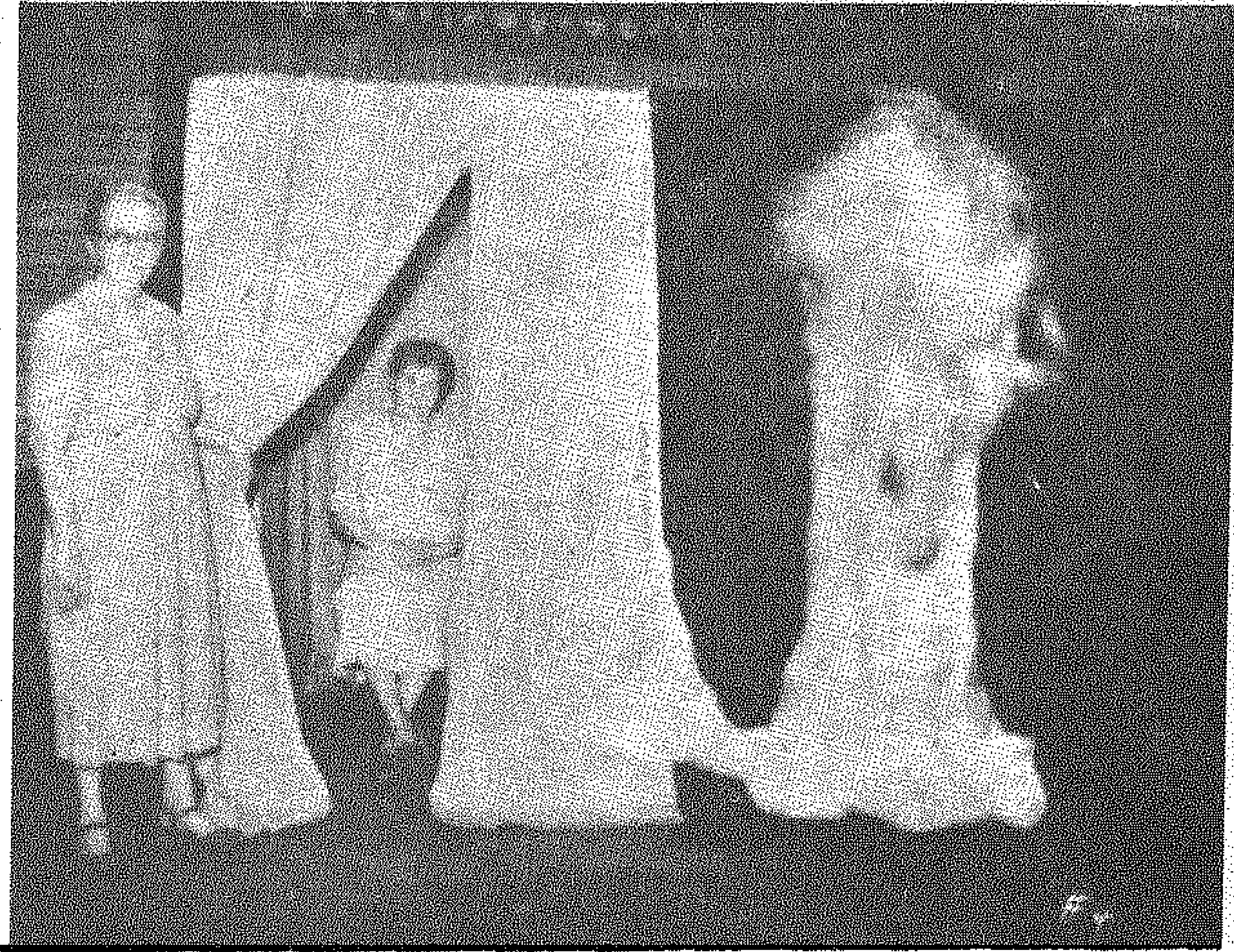
لوحات حاسمة عن التكوين الروحى والتجسدات

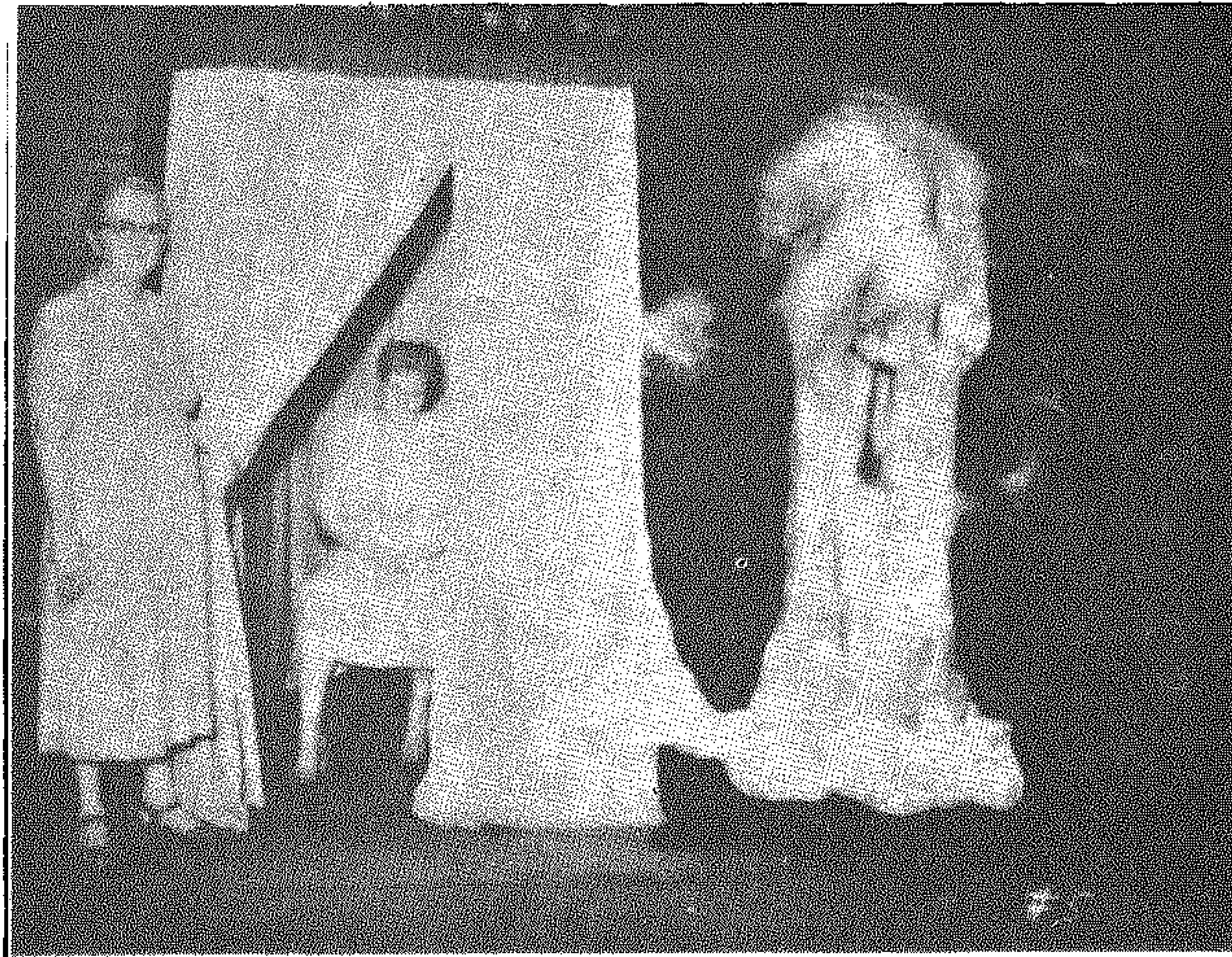


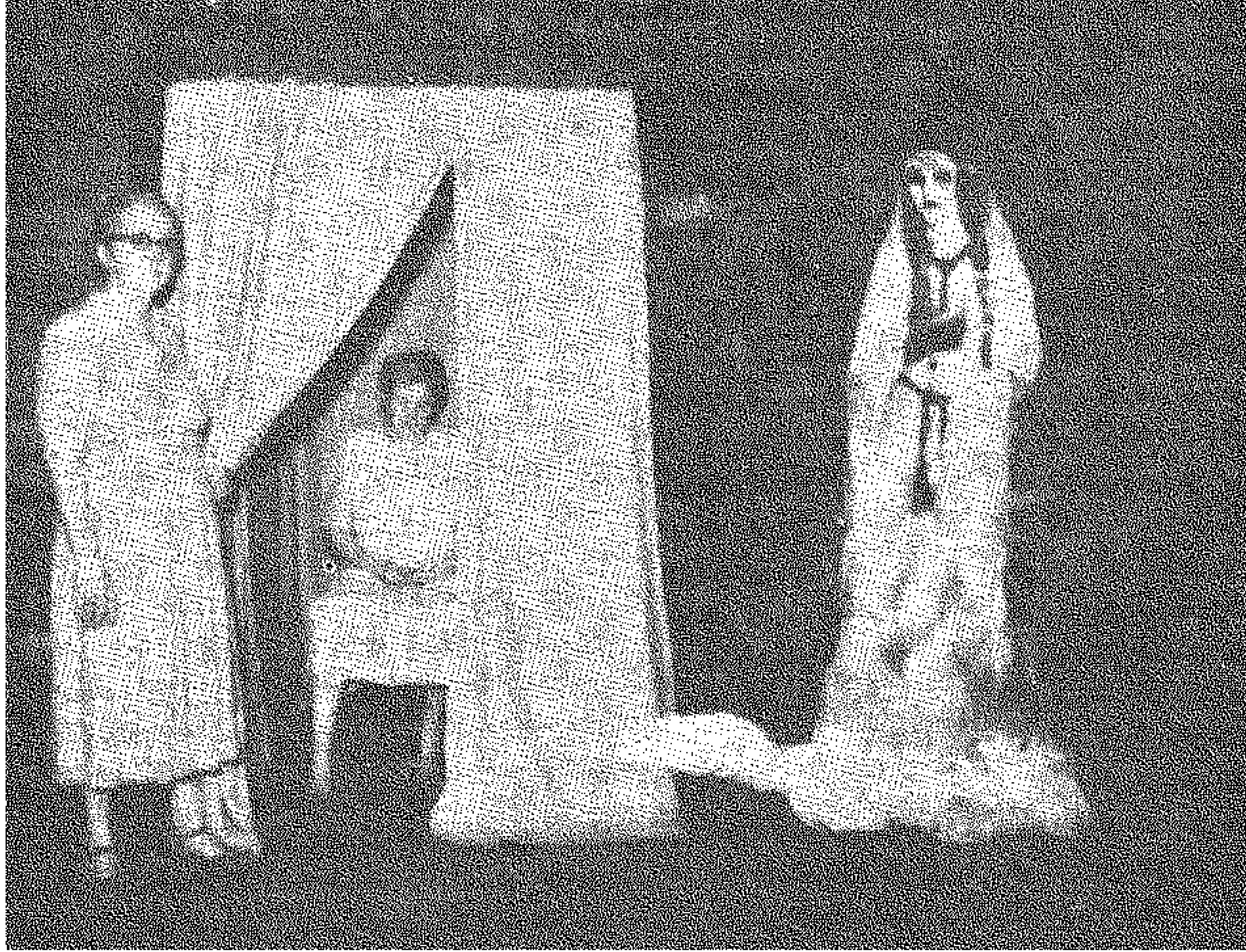


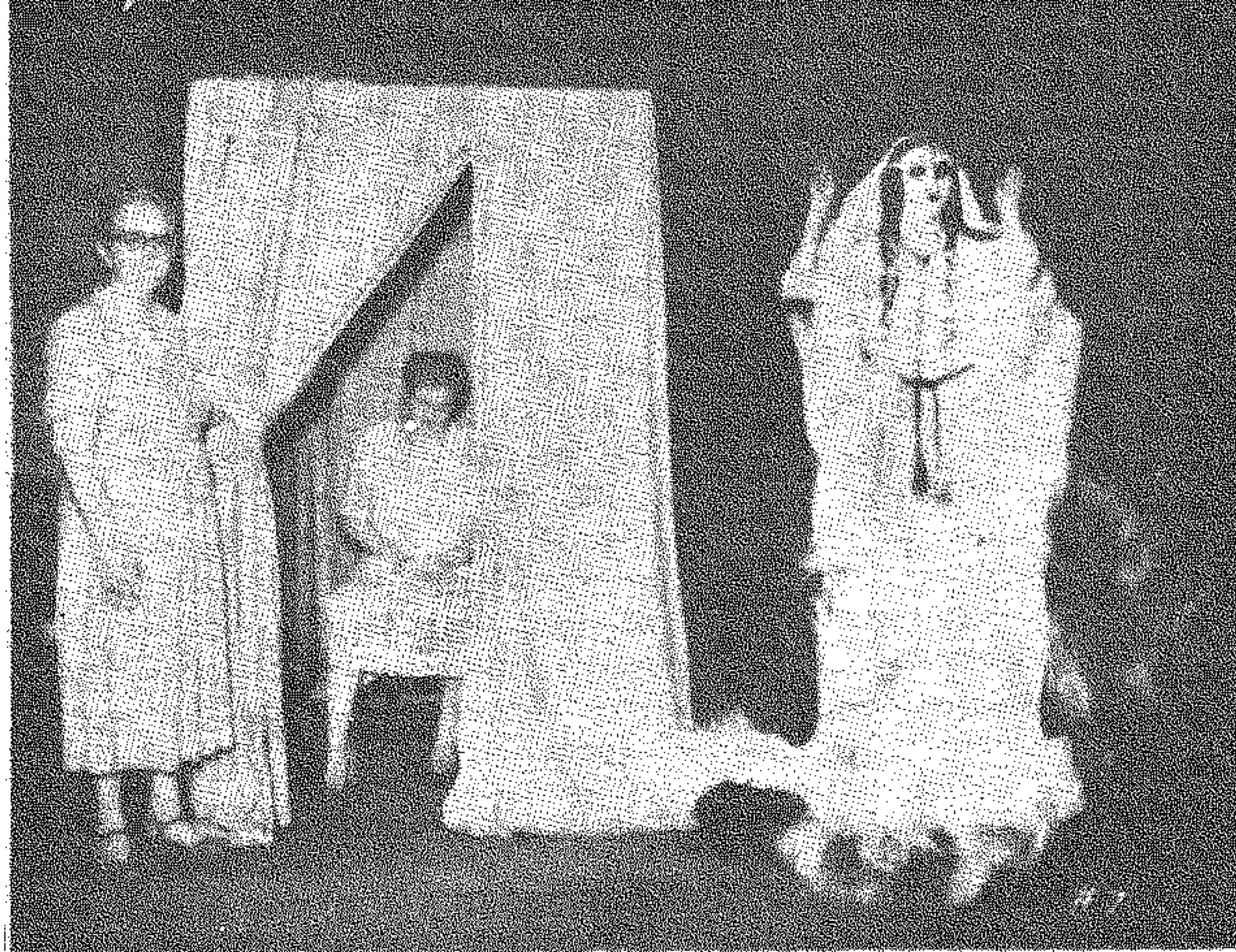
مراحل التجسد للروح سيلفر بل Silver Belle فى حضور الوسيطة ايثيل بوست باريش Ethel Post-Parrish فى مخيم روحى فى بنسلفانيا Pennsylvania بالولايات المتحدة الأمريكية . وجرى التجسد فى سنة ١٩٦٤ أمام جمهور غفير .

لاحظ انبعاث فالاكتوبلازم من الوسيطة وبدأ تشكله ، ثم عودته تدريجياً بنفس الطريقة إلى جسم الوسيطة فى الصورة القادمة .









نفس الروح وهى تفقد تجسدها تدريجياً ، فيرتد الاكتوبلازم الأبيض والسيال الحيوى تدريجياً إلى جسد الوسيطة ، وذلك علنا وأمام جمهور من المشاهدين المذهولين . والكاميرا تسجل كل شىء بدقة وبعناية .. كيق يمكن التدليس عندئذ ؟!



صورة تجسد مفلطح plate التقطت بدائرة الدكتور ايمودا Imoda من علماء تورينو Turin بإيطاليا . وتبدو الصورة عملا فنياً ممتازا . وكان النقاب الاكتوبلازمى الرمادى هو المادة الأساسية لهذا التجسد . عن كتاب Jean-Philippe Crouzet

Les Merveilles du Spiritisme. Paris 1965 P.P. 400 et S.S.



صورة تجسد آخر مفلطح التقطت بنفس الدائرة الآنف الإشارة إليها ، وهى تبدو أيضاً كما لو كانت تمثل لوحة من صنع فنان عظيم (عن المرجع السابق) .



تجسد صغير لوجه روح تدعى كاتى كنج Katie-King بجلسات العلامة الكندى جلين هاملتون بجلسة ١٢ نوفمبر ١٩٣٠ .

لاحظ الوسيطة فى غيبوبة تامة ، ومن أعلى لفائف الاكتوبلازم بداخلها الوجه المتجسد للروح . عن كتاب :

Glen Hamilton : Intention and Survival. London 1977 P. 150.





وجه سير آرثر كونان دويل A.C.Doyle متجسداً ، ومن أسفل صورة عادية للمقارنة . (عن المرجع السابق ص ١٠٣) .



روح متجسدة تجسداً تاماً بهذا الرداء العجيب بدائرة فرانكلين الروحية بالبرازيل
عن كتاب جان فيليب كروزبه . (المرجع السابق ص ٤٤١)



حالة تجسد تامة وواضحة لروح تدعى مارى في حضور الوسيطة فلورنس كوك Florence Cook تحت أدق سبل الرقابة (عن مضابط « جمعية البحث الروحى » بلندن . مجلد ٥٤ جزء ١٩٥ . مارس ١٩٦٤ ص ١٩٧) .



الرأس الأثيرية للوسيط جاك وبر Jack Webber خارج رأسه المادية فى غيبوبة الوساطة الروحية . وهذه الرأس المادية ابتدأت تفقد جسدها بتأثير من الروح المرشد .
عن كتاب :

Harry Edwards : The Mediumship of Jack Webber London 1962 P.128.



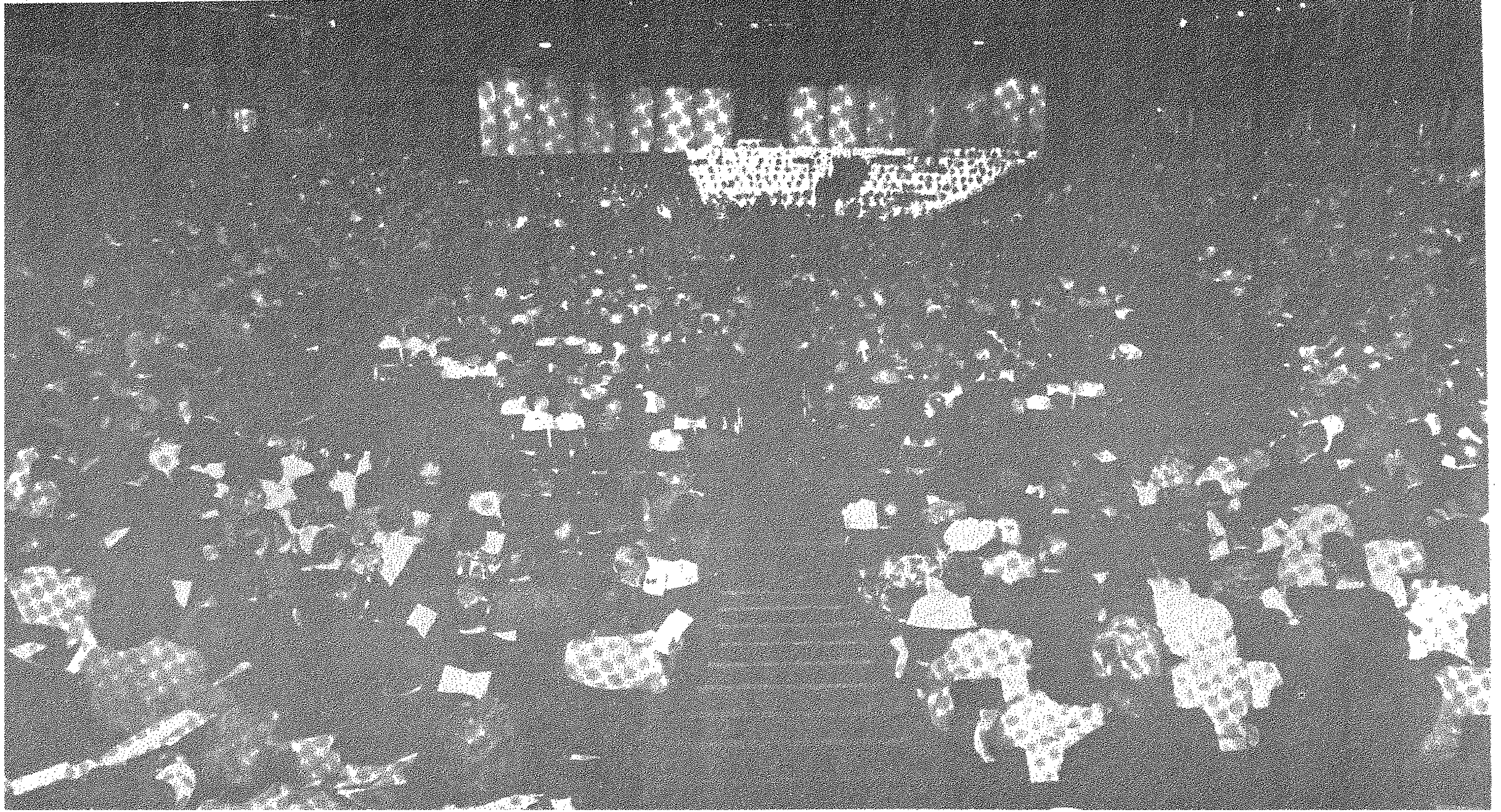
تكبير لصورة الرأس فى اللوحة السابقة . وتبدو الكثافة مزدوجة فى المركز حيث تنفصل الرأس الأثرية عن الرأس الفيزيقية . وعند التقاط هذه الصورة لم تكن هناك بالمرة رأس فيزيقية للوسيط (المرجع السابق ص ١٢٩) .

العلاج الروحى بالصور



مركز للعلاج الروحى يحمل اسم المرحوم هارى ادواردز رئيس «الاتحاد الوطنى للمعالجين الروحيين» عنوانه :

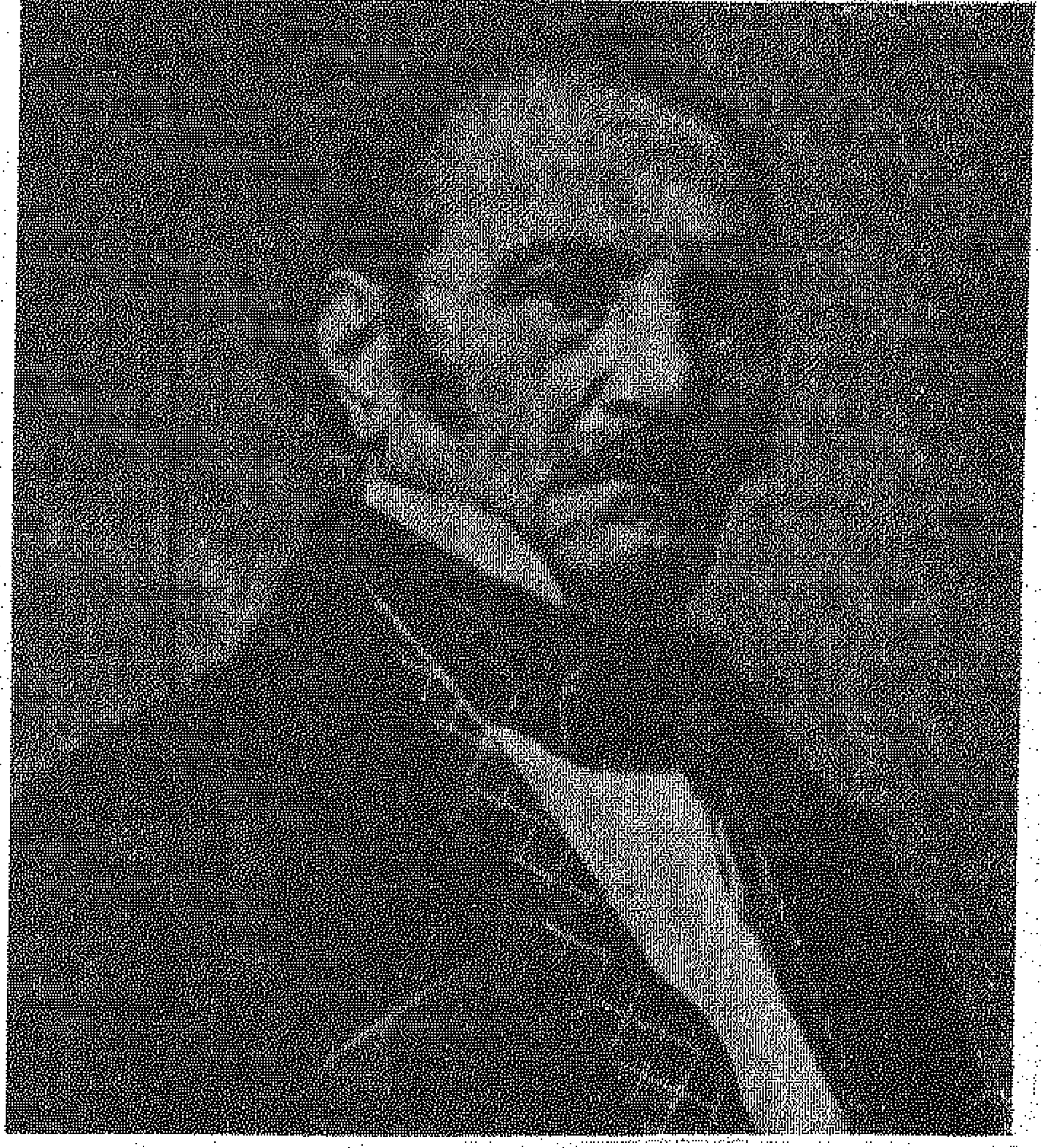
Burrows, Lea, Shere, Guildford, Surrey GU 5 9 QG Enlgand.



علاج روحى جماعى يجرى بمعرفة عشرات من الوسطاء (ذوى الأردية البيضاء) تحت رقابة هيئة ضخمة من الأطباء فى قاعة البرت بلندن أمام ستة آلاف من صفوة المعنيين وهى أكبر قاعة فى أوروبا

بعض أعلام البحث الروحى

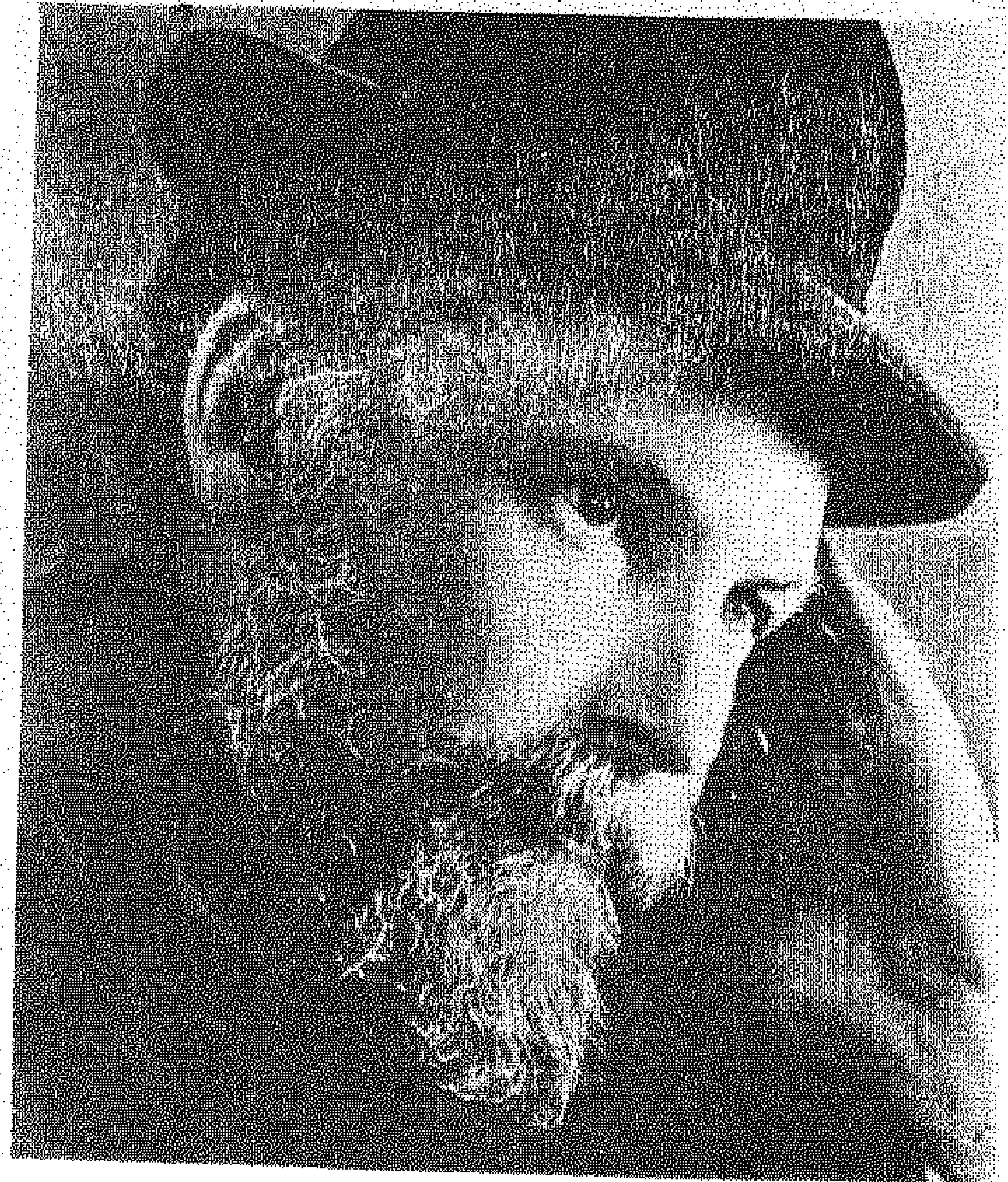
(بترتيب تاريخى)



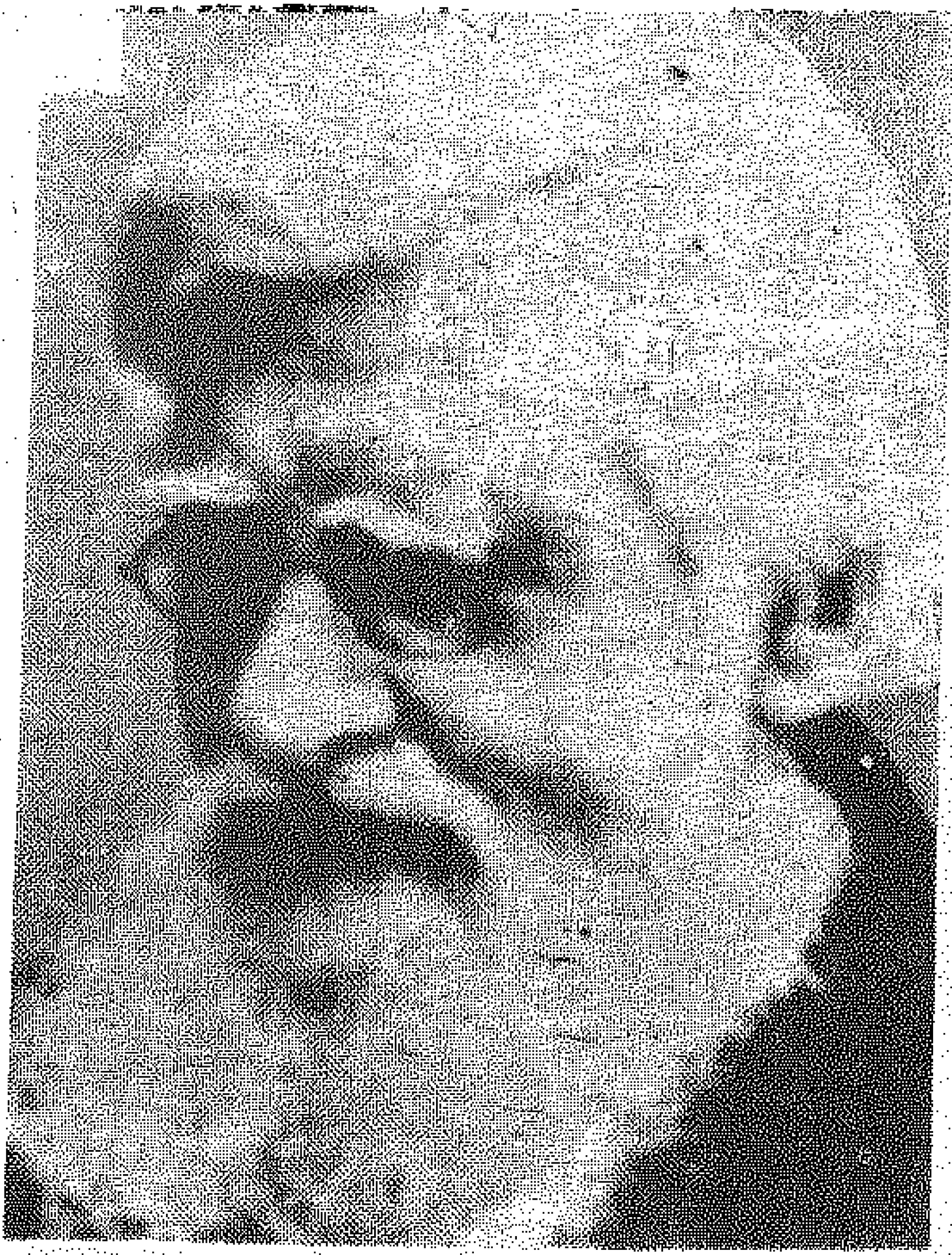
الآن كاردك
(١٨٠٤ - ١٨٦٩)



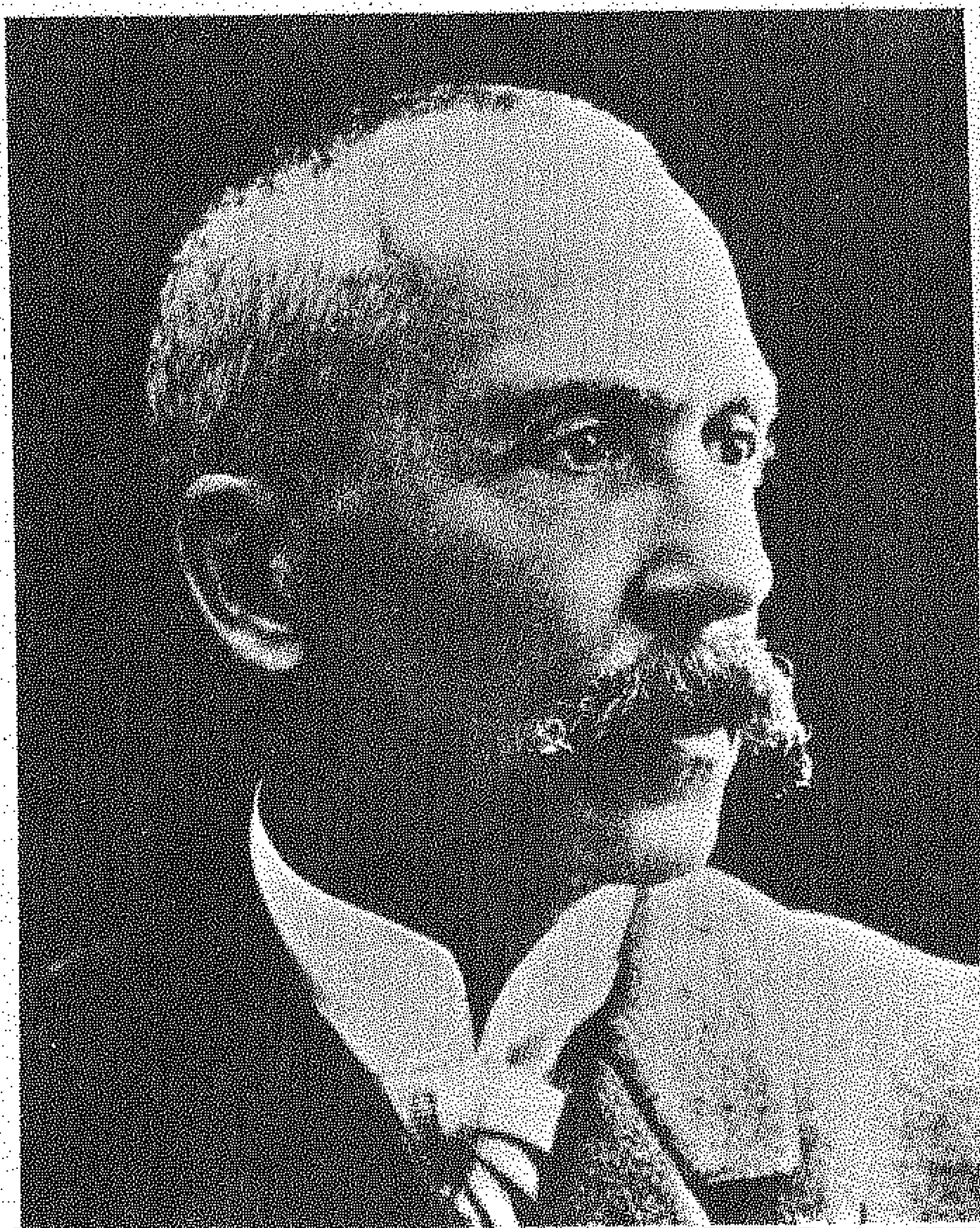
إدموند جيرنى
(١٨٤٧ - ١٨٨٨)



فردريك مايرز
(١٨٤٣ - ١٩٠١)



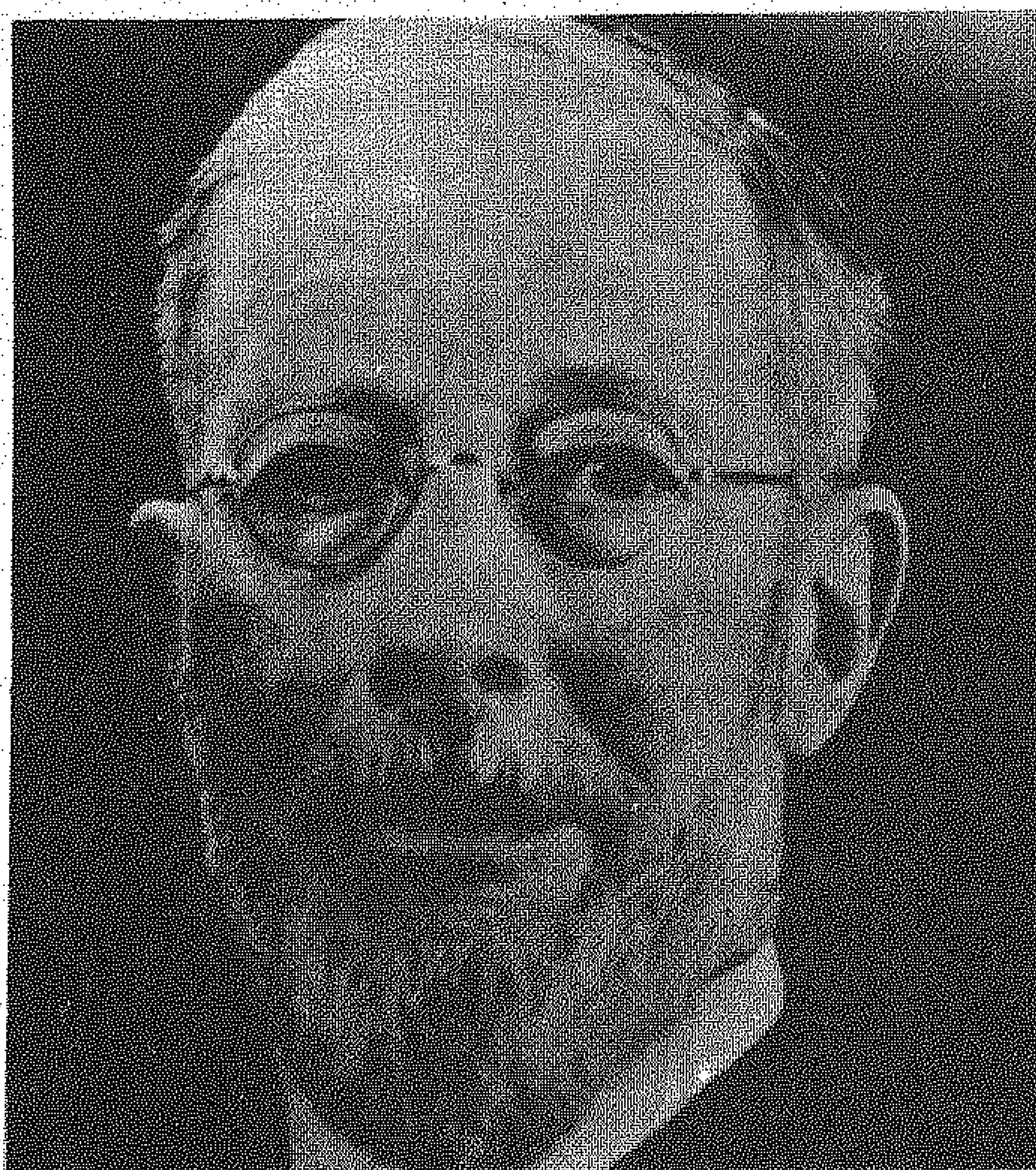
ألفرد رأسل والاس
(١٨٢٣ - ١٩٠٣)



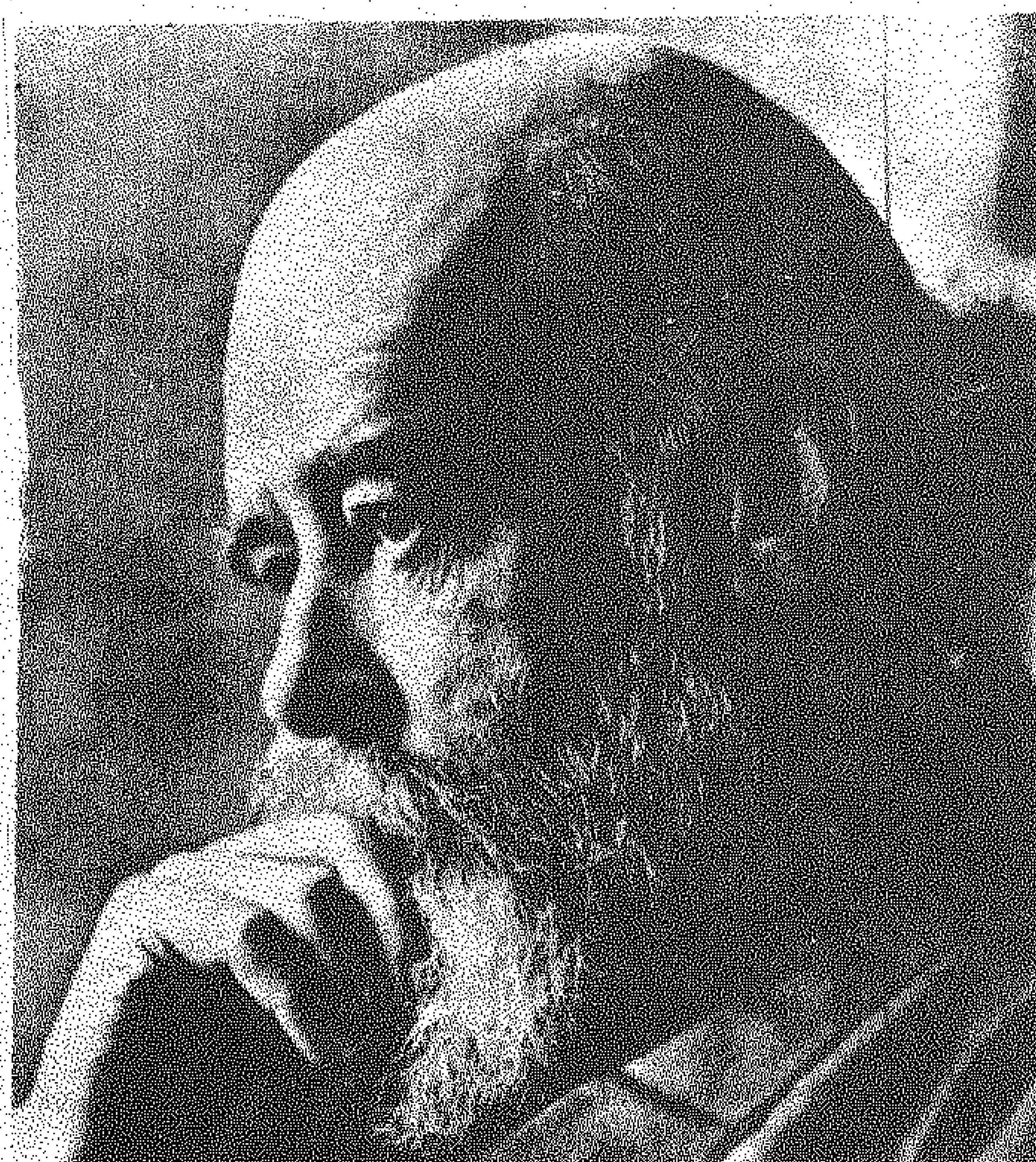
شارل ريشيه
(١٨٥٠ - ١٩٣٥)



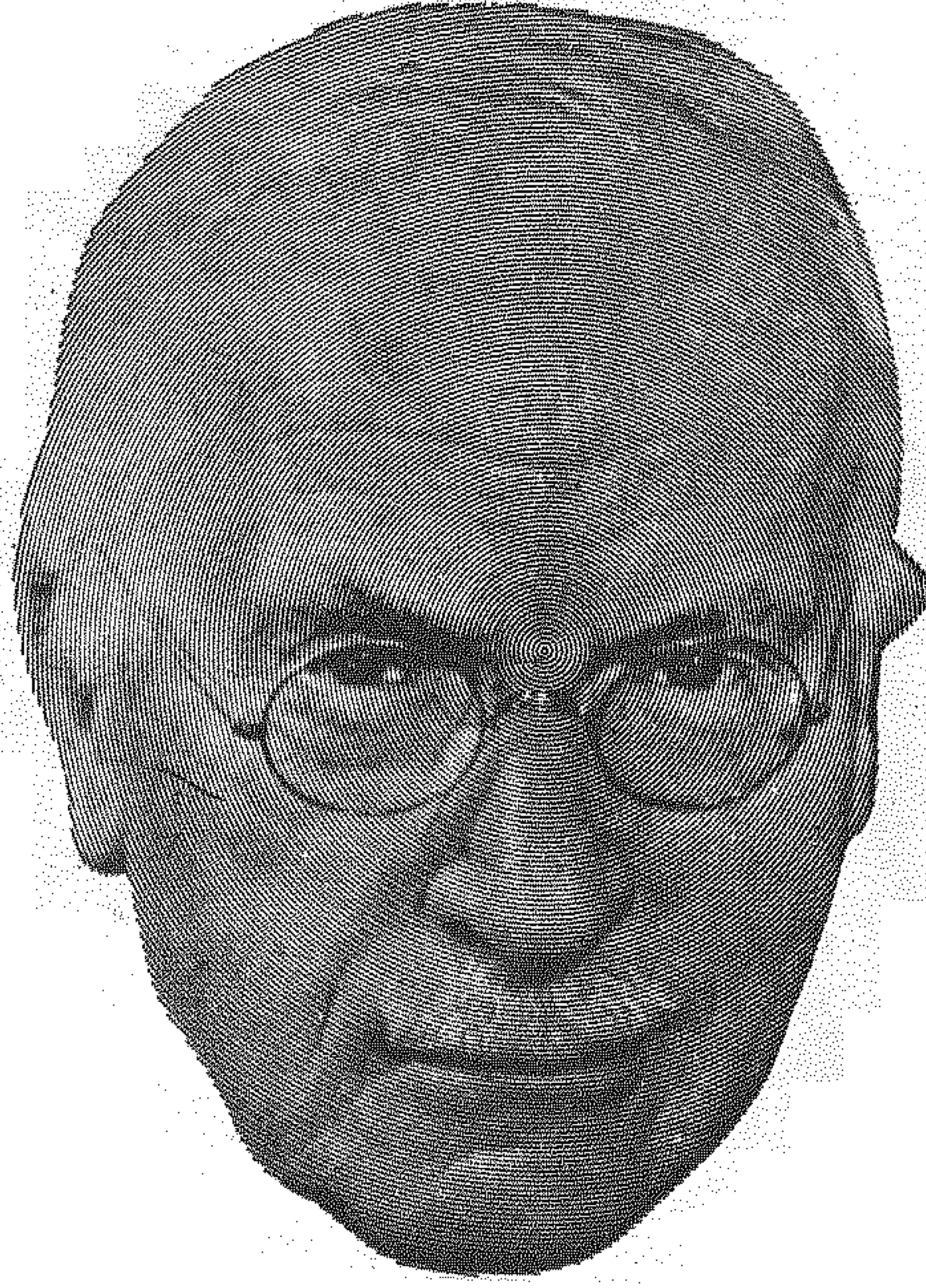
ألبير دى روشا
(١٨٣٧ - ١٩١٤)



درايتون توماس
(توفى فى سنة ١٩٥٣)



أوليفر لودج
(١٨٥١ - ١٩٤٠)



كارل جوستاف يونج
(١٨٧٥ - ١٩٦١)



جوزيف راين وقرينته لويزا راين
(توفى راين فى سنة ١٩٨٠)

عن ترابط علوم الحيــاة

لهذه الاعتبارات مجتمعة لا أغالى عندما أقول ان الباراسيكولوجى أصبح يمثل — باجماع آراء المطلعين — المدخل الصحيح الى جميع العلوم الطبيعية والانسانية . وأنه بعد طول مقاومة من البيئات العلمية فى القرن المــاضى أصبح فى جميع البيئات العلمية فى العصر الحــاضر هو الضوء القوى الذى لا يعادله فى قوته ضــوء آخر فى الكشف عن العــديد من ألغاز هذه العلوم كلها .

أو هو — كما سبق أن بينت فى أكثر من موضع — النافذة التى فتحتها جهود العلماء على مصراعيها لمن يبحث عن ضوء النهار ، بعد طول سبات فى ظلام ليل طويل مخيف ... فهل نظــل فى ظلامنا سادرين ، وبأحلامنا متشبثين ؟ !

بل لا أغالى عندما أقول الآن ان الحواجز بين كل علم والآخر منها آخــذة فى الذوبان التدريجى ، كلما اقترب أى علم منها نحو المزيد من التغلغل فى أغوار الانسان . ولا غرابة فى هذا لأن الانسان يمثل مجموعة متوحدة هى الموضــوع الأساسى للعلوم الطبيعية والانسانية فى وقت واحــد (١) .

فكما أن الطب العضوى يخدم علم النفس ، فان علم النفس يساعد الطبيب البشرى ، والبيولوجيا أصبحت تساعد الاثنين معا ، وتستفيد من أبحاثهما . والباراسيكولوجى أصبح الآن فى خدمة هذه العلوم كلها ... بل من كان يصدق أن الباراسيكولوجى سوف يخدم البيولوجيا ؟ !

ولا شيء يعبر عن هذه الحقيقة الأخيرة قدر قول جوليان هكسلى Julian Huxley عالم البيولوجيا المعروف عندما سألوه : ما هى أهم كشوف البيولوجيا فى القرن العشرين ؟ فكانت اجابته بكل بساطة : « انها نتائج اختبارات التخاطر telepathy أى قراءة الأفكار ،

---

(١) راجع ما سبق فى صفحة ١٧ — ٢٢ .

والجلاء البصرى ، وتوقع الأحداث المستقبلة ! » نعم ان هذه الأبحاث فى الباراسيكولوجى تكشفت فى نظر هكسلى عن أخطر ما يجب أن يعنى به فى البيولوجيا • وكانت هـذه الاجابة فى ندوة علمية عامة عقدتها مجلة ستراند The Strand البريطانية « لرابطة الأدمغة » هناك Brain Trust وطبعا ذهل جميع الموجودين الا أولئك الذين اطلعوا على ما يجرى فى العالم الآن ، وأدركوا مدى ضرورته واتساع نطاقه •

داودنج يحقق العلاج الروحى

ومن ضمن الوساطات الروحية التى امتحنها لورد داودنج Dowding مارشال الطيران وقائد السلاح الجوى البريطانى طيلة الحرب العالمية الثانية وتحقق منها بنفسه وساطة العلاج الروحى ، وقد تعرض لهـا فى الفصل الثامن من مؤلفه « بوابة الجثث » (١) مبينا السبل المختلفة التى يتم بهـا هـذا العـلاج ، وذاكرا أن الأرواح تعالج المرضى بأساليب متعددة وهى :

أولا : شفاء عن طريق صلاة المريض وابتهاله الى الله تعـالى وهو أسمى صور العلاج الروحى ، وقد شاهد ذوو الجلاء البصرى فى جلساته وسائل غير منظورة تمتد لمعاونة جهود المصلين •

ثانيا : أرواح تتولى تشخيص المرض مستخدمة اشـعاعات سينية (أشـعة اكس ×) تمكن الوسيط من رؤية موطن الاصابة أو الداء ، ووصفه للطبيب البشرى المعالج •

ثالثا : أرواح تشخص المرض مبـاشرة ثم تترك العـلاج للطب البشرى العادى •

رابعا : أرواح تشخص المرض ثم يتولى الوسيط العـلاج بلمسات بالأيدى ، أو بحركات أخرى منه •

---

(١) وهو عبارة عن بحث روحى ظهر فى شهر سبتمبر ١٩٤٥ أى بعد انتهاء الحرب ببضـعة شهور فقط ، وفيـه يسرد داودنج اختباراته فى دائرته الروحية الخاصة التى كانت تعمل أثناء الحرب •

خامسا : أرواح تشخص المرض ثم تعطى وصفة علاجية من الصيدلية .

سادسا : أرواح تشخص المرض ثم تتولى هى العلاج بالأضواء والألوان .

سابعا : علاج غيابى يتم بعلم المريض والطبيب المعالج أو بدون علمهما .

ثامنا : علاج غيابى يزور الوسيط فيه المريض وهو فى جسده الأثيرى .

تاسعا : علاج عن طريق مياه محملة بسيالات روحية Spiritually charged waters كما يحدث فى قرية لورد Lourdes (مزار فرنسى بجهة جبال البرانس ظهر فيه طيف السيدة العذراء فى سنة ١٨٥٨ وقد حدثت فيه — ولا تزال تحدث — معجزات علاجية كثيرة سجلتها عدة لجان من الأطباء الكبار فى تقارير رسمية) (١) .

عاشرا : علاج تتولاه أيد متجسدة لأرواح بأجهزة طبية بشرية .

حادى عشر : علاج مغناطيسى يختفى فيه العنصر الروحى فى الظاهر فقط لا فى الواقع .

ويعقب المؤلف على ذلك قائلا : لو أنى كنت طبيبا بشريا لأخذنى الذعر عند قراءة هذا الكلام ، ولتذكرت حكاية طبيب معالج تلقى طلبا بالتليفون وهو يتناول طعامه ، ولما قام مندفعا يرتدى معطفه سألته زوجته عن الخبر فأجابها : « إن السيدة جونز تطلبنى لأن ابنها الصبى جرح

---

(١) وحدثت معجزات مماثلة كثيرة بضاحية الزيتون بالقاهرة ابتداء من أوائل أبريل ١٩٦٨ بعد ظهور نفس الطيف مرارا فى حضور عدد غفير من الشهود ، بالاضافة الى ظواهر روحية كثيرة سجلتها جهات الاعلام المختلفة فى مصر والخارج منها أضواء قوية مجهولة المصدر .

اصبعه » . فلما أرادت أن تستمهله حتى يتم طعامه بحجة أن الحالة ليست عاجلة ، أجابها « كلا لا يمكننى الانتظار يا عزيزتى لأن السيدة جونز اشترت كتابا فى الاسعافات الأولية وأخشى أن تبادر الى اسعاف الصبى قبل أن يكون لى فضل اسعافه » !

ثم يقول ان عدد المعالجين الروحيين فى هذه البلاد يتزايد يوما فيوما ، وليسوا جميعا فى مستوى واحد من ناحية انكار الذات ، ومن ناحية الفائدة التى يقدمونها للمرضى . وهى مسألة طالما شغلت مجمع الأساقفة لأنها فى الواقع مسألة شائكة ، لأن الوسيط المعالج الذى يأخذ على عاتقه أن يتدخل بالنصيحة أو بالعمل فى علاج يجريه طبيب كفؤ انما يتحمل فى الواقع مسئولية كبرى ، وقد يوقع نفسه تحت طائلة العقاب ...

لكن من الجلى أن التشخيص والعلاج الروحيين — متى أمكن الجمع والتوفيق بينهما وبين العلاج الطبى العادى — لا محل لأن يكونا موضع نقد من أحد . فكثير من أساليب العلاج الروحى التى سبقت الاشارة اليها يمكن الجمع بينها وبين العلاج الطبى العادى ، متى لوحظ أن المريض الذى يعالج روحيا لا يطلب منه الامتناع عن علاجه العادى أو تجاهل نصائح الأطباء .

وبتطبيق ذلك على الوسائل الآنفة الذكر نرى أن أحدا لا يمكن أن يعترض اعتراضا جديا على أن يضع الوسيط يده على المريض ، وأن أسوأ ما يعترض به الماديون على هذا العمل هو أنه عديم الجدوى .

والطريقتان الثانية والثالثة تتضمنان بذاتهما ضرورة مساهمة العلاج الطبى العادى فيهما .

أما الطرق الرابعة والخامسة والسادسة فانها تتطلب من الوسيط أن يكون حذرا ، حتى لا يتعارض علاجه مع العلاج الطبى المستقر ، اللهم الا حيث تكون الحالة ميئوسا منها وقد تخلى عنها الأطباء .

أما عن الطريقتين السابعة والثامنة فلا يمكن أن يدينهما أى نظـام مشروع ما لم يسلم كقاعدة أساسية باستحالة الاتصال بالأرواح .

أما عن الطريقة التاسعة فتبدو صحيحة دائما ، ولم أسمع بعد عن أى انسان اضطهد بسبب أنه ذهب الى مزار قرية « لورد » .

لكن يمكن بسهولة أن أتصور اعتراض البعض على استعمال أدوات جراحية بواسطة أيد متجسدة لأرواح ، ولو أن الصعوبات التى تعوق نجاح علاج كهذا تبدو واضحة .

أما الطريقة الحادية عشرة ، وهى الخاصة بالعلاج المغناطيسى فهى خالية من طابع « العدوى الروحية » وهى لذلك قد تغرى بعض المـاديين بفحص ظواهرها التى يمكن اخضاعهـا لأساليب الفحص العلمى ، لأنه يمكن تكرارها عند الطلب فى ظروف معملية .

ثم يقول داودنج عن دائرته العلاجية الخاصة : « أننى أكتب بتحفظ كبير فى الموضوع لأننى لا أعلم الا بصعوبة ما نقوم به فى هذه الدائرة العلاجية . فلسنا نحن المعـالجين ، ولو أننا نساهم فحسب بنصيب من الطاقة فى اهتزازات الموجات الأرضية فتختلط بالاهتزازات العليا ، ونوجد بذلك خليطا يستعمل فى أغراض العلاج .

والسبيل كما أفهمه هو هذا : نعطى المعالجين الروحيين اسم شخص مريض فيتولون فحص هالته وجسمه الأثيرى ، وكل اعتلال فى الصحة يقابله تغير فى لون هـذين الشيئين أو فى كليهمـا . ثم نستمع بعدئذ لمـا ينبغى علينا أن نفعله ، ثم تعلمنا أن نبنى معـا ـ وفى وقت واحد ـ أقوى ما نقدر عليه من صور ما يسمى « باللون الفكرى » .

وقـد يظهر فى لحظة ما بريق ضوء خافت أو هالة من الضوء يقف المريض فيها ، أو يتساقط عليه مطر من الضوء « كالألعـاب النارية » ، أو غلاف من الضوء تغلف به الأعضاء العليلة . والأضواء المستعملة غالبا

ماتكون ذهبية اللون ، أو فضية ، أو خضراء ، أو صفراء ، أو زرقاء فاتحة أو قاتمة ، أو وردية . ويعيد العلاج الروحي اللون المعيب فى الجسد الأثيري الى حالته الطبيعية ، وهو ما يؤثر بدوره فى الجسد الفيزيقي أي المادي — لا على الفور — بل بعد فترة قد تمتد الى شهور (١) .

وهذا العمل دفعني الى أن أحقق بجلاء معني عبارة أن « الفكر حقيقة واقعة » التي يرى البعض أنها مجرد مثل جار بلا مغزى ، بل ان الفكر على العكس من ذلك شيء ينبغي اعتباره وتقديره الى حد يدعو الى العجب والحيرة . فقد حدث ذات مرة أن طلب الينا أن نتخيل فى أذهاننا ركبة لساق جريحة مربوطة فى أربطة بيضاء وهمية . وقالت لنا الروح ل. ل. « ان أحدكم يفكر فى المادة التي تأخذ فى احاطة الركبة بها ، ان الركبة المريضة لا تحتاج الا لهذه المادة كيما تلف بها فى رفق فتشفى » . وكان ذلك صحيحا فقد كنت أتصور المادة التي كانت تحاط بها الركبة كما لو كانت أربطة تلف فيها .

وفى مناسبة أخرى كنا نشاهد كرة فضية مضيئة فقالت الروح ، « كلا يا ديزى انك تفكرين فى اللون الأخضر ، بل فكرى فى لون فضى متلألىء » ، فأجابت ديزى بأنها كانت تفكر بالفعل فى لون حلية من حلى شجرة عيد الميلاد تمتاز بلون أخضر خاص بها . أن ذلك يبدو مثيرا بعض الشيء ، ولو أن الفائدة ليست مضمونة دائما بقدر ما يمكنني من الحكم ، الا أنه يبدو أن أغلب الحالات قد استفادت من هذا الأسلوب فى العلاج وكان بعضها واضحا فى نتيجته .

ثم يستطرد المؤلف « اني لست فى مركز من يثبت أن ليس ثمة شيء مما حدث لا يمكن تعليله بالمصادفة ، لكنني واثق من أننا لم نلحق ضررا بأحد ، كما اني أومن عن يقين ثابت اننا ربما نجحنا فى حوالى ٢٥٪

(١) راجع ما سبق عن الهالة والجسد الأثيري فى صفحة ٢٧١ — ٢٨٣ .

من الحالات فى الحصول على الشفاء الذى ما كان ليحدث لولا تدخلنا .
وذلك رغم أنى أكتب بتحفظ كبير كما قلت ، ورغم أنى لم أطرق الموضوع الا لأنى شعرت أنه ليس من الانصاف فى شىء أن أكتب فصلا عن العلاج الروحى وأتجاهل فيه كل وصف لتجاربنا الخاصـــة مهمـــا تكن هـــذه التجارب محدودة » .

هذا وقد انتقل المارشال لورد دادنج الى عالم الروح فى ١٥ فبراير سنة ١٩٧٠ عن سبعة وثمانين عاما بعد أن أدى الى الروحية أجل الخدمات ، وكان من خير دعاتها ، وقد وضـــع فيها عدة مؤلفات قيمة تماما ، وغنية بالوثائق والأسانيد .

الأصل فيه أن يكون بالاشعاعات

وهذا الذى يكتب عن العلاج بأساليب غير مادية ليس بجديد فى البحث الروحى ، اذ أن العلاج يعتبر من أهم موضوعاته ، وفيه مؤلفات كثيرة ، وشهد بصحته أطباء كبار شهادات مؤيدة بالوقائع ، والأسماء ، والصور ، والاحصاءات ، وذلك الى الحد الذى دفع « الجمعية الطبية البريطانية » الى الاعتراف بصحة العلاج الروحى ، كما فتحت مستشفيات متعددة أبوابها للوسطاء المعالجين .

والى الحد الذى دفع « المعهد الدولى لمـــا وراء الروح » فى باريس أن يشكل لجنة خاصة دائمة — هى اللجنة السابعة من لجان المعهد — مهمتها متابعة أعمال الوسطاء المعالجين للتميز بين الصـــادقين منهم وغير الصادقين (١) . كما جرت فى العـــلاج الروحى تجارب ناجحة كثيرة فى بلادنا . ومع ذلك فان من لا يروقهم الموضوع يخيل اليهم أنهم اذا نطقوا كلمة ايحاء ، أو اســـتهواء أو أوهام فقد أوفوا الموضوع حقه وألزموا معارضيهم الحجة ، دون أن يتهموا أنفسهم بعدم الاطلاع أو بالتسرع فى الحكم على الأمور .

---

(١) راجع مثلا مجلة المعهد لسنة ١٩٦٢ ، وفى ص ٣ — ٥ منها تجد تشكيل لجانه الثلاث عشرة خلال عام ١٩٦٣ .

والأصل فى العلاج الروحى أنه يتم بدون استخدام مشرط أو أى جهاز مادى • بل يكون — فى صورته المألوفة الشائعة — باستخدام اشعاعات مرئية من الحاضرين أو غير مرئية ، بالاضافة الى عملية « نقل طاقة » من المعالج ، أو من روحه المرشد الى المريض بحسب الأحوال ، كما يجرى نقل الدم فى أساليب العلاج العادية ، ولكن بدون الاحساس بأى ألم أو بأى أثر مادى للعلاج •

ويقول معظم الوسطاء الواعين أنهم يشعرون أثناء قيامهم بالعلاج بشبه تنميل فى أياديهم وسريان مثل تيار كهربى منها الى المريض — كما يشعرون بسخونة أحيانا وببرودة أحيانا أخرى على حسب نوع المرض • وسوف يكتشفون أيا من اليدين هى التى تظهر بها هذه الظواهر • فتكون هذه اليد هى اليد المعالجة أو الموجبة واليد الأخرى هى السالبة أوالعكسية • هذا وبعض الوسطاء يمكنهم أن يحسوا بأن كلا يديهم موجبتان أومعالجتان •

وغالبا ما يشعر المريض أيضا بالتيار الكهربى أو بتغير فى درجة الحرارة فى موضع الشكوى حتى لو كانت يد الوسيط قد ابتعدت حتى ١٥ سم — وكثير من المرضى يمكنه أن يرى ما يحدث من تغير فى وجه الوسيط أو حركاته أو كل جسمه • وقد يشاهدون أضواء صادرة من أطراف أصابعه أو من جسمه أو من عينيه أو من الغدة الصنوبرية أو الضفيرة الشمسية أو يرون قضبانا أكتوبلازمية أو شررا الخ •

وقائع فريدة فى نوعها عن معالجين من الفلبين

وثمة وقائع أخرى مذهلة هزت الدوائر المعنية فى العالم أجمع لمعالجين من الفلبين يقومون باجراءات جراحات طبية كبرى بلا تخدير وبدون استعمال مشارط ، بل بوضع أيديهم على مكان الجراحة • وعندئذ تنفتح الأنسجة تلقائيا حتى يصلون الى أحشاء المريض ويجرون الجراحة المطلوبة بدون أى ألم ولا حاجة لتخدير • وبعد اجراء الجراحة تعود الجروح للالتئام فورا غير تاركة الا أثرا ضئيلا جدا بجسم المريض •

وهذه الوقائع لفرط ندرتها وخطورتها ، ولما تتضمنه من تحد تام لكل قوانين الطب ، بل لكل النواميس المادية عن الوجود ، خضعت لتحقيقات العديد من اللجان الرسمية التى ذهبت لمشاهدتها من شتى أنحاء الأرض فجاءت النتائج حاسمة ومعززة بالصور التى لا يمكن أن تخطىء ، والتى يستحيل فيها تماما التعليل بالايحاء ، أو بخفة اليد أو بخداع الحواس ، أو بنحو ذلك من التعليلات التى كان — ولا يزال — يتمسك بها أنصار السيكولوجى فى مفهومه التقليدى .

ومن هؤلاء المعالجين دافيد اليزالد David Elizalde وقرينته هيلين Helen وقد حضرا الى لندن من الفليبين فى سنة ١٩٧٩ خصيصا لكى يخضعا لتحقيقات « كلية آرثر فندلاى » (١) فجرت لهما اختبارات شديدة فى قاعة ستانستد فى اسكس Stansted Hall, Essex فى حضور فرقة كاملة من الأطباء البشريين غير الروحيين وغير المقتنعين بالروحية . كماأجريت لهما تجارب أخرى مماثلة فى برستول وفى أدنبرة .

وكانت الوقائع صارخة وثبتت بصور حاسمة تمثل أصابع المعالجين وهى تخترق أجسام المرضى وسط الدم المتدفق ، ثم اجراء الجراحة يليها انقطاع فورى للنزف والتئام مباغت كامل للجرح فى ثوان قليلة . هذا بالاضافة الى عدم استخدام أى مشارط أو مشابك ، وعدم الحاجة الى تعقيم أيا كان موضعه ، ولا الى تخدير أيا كان نوعه . وذلك فضلا عن النتائج الايجابية لهذا العلاج الاعجازى الذى لا يعرف الطب العادى أى تعليل له ، ولا احتمال للوصول الى أى تعليل يروى الغليل .

لكنه فى اطار علم الروح يثبت — بالأقل — الطبيعة الروحية الحقة للحياة ، كما يثبت أيضا أن للانسان تكوينا روحيا قد يخضع لعوامل

---

(١) Arthur Findlay College.
وقد أنشئت على اسم العالم الروحى الكبير آرثر فندلاى الذى كان واسع الثراء فوهب لها قصرا منيفا يقع فى ضواحى لندن وسط حدائق غناء تتجاوز مساحتها خمسين فدانا .

مجهولة مستقلة تماما عن تلك العوامل المادية الخاضعة للحواس ، ولأساليب العلاج المألوفة •

* * *

ومن المرضى الذين عولجوا بهذه الطريقة مدرس باحدى المدارس الابتدائية يدعى هارولد برنس Harold Prince في شهرأبريل سنة ١٩٧٩• وقد كلفته الوسيطة المعالجة هيلين أن يسترخى على ظهره • وبعد ثوان قليلة أدخلت أصابعها عن طريق فتحة أحدثها روح معالج فى جسمه • وشوهد الدم متدفقا من الفتحة كما حدث مع غيره • وأخرجت من جسمه بقع دماء متجمدة ووضعت فى وعاء • وكان التشخيص الطبى للمريض أنه مصاب بالتهاب أنسجةالمفاصل soft tissue arthritis •

وكان يشكو آلاما مبرحة فى فخذيه ، وفى عضلاته ، وفى كتفيه ، وفى مفاصل ابهامه • ولم يصف له الأطباء سوى بعض مسكنات الآلام ، وحقن الكورتيزون •

وفى أثناء الجراحة الروحية يقول انه لم يشعر الا بوجود أظافر طويلة على جسمه • لكنه لم يشعر بأى شيء بداخل جسمه ، بل فحسب بحركة بداخله ، كما شعر بقلق خفيف عندما عرضت عليه « الجراحة الروحية »• واستغرقت الجراحة بضع ثوان فقط شعر بها كما لو كانت عبارة عن دقيقتين أو ثلاث • وبعد الجراحة فحص موضعها فلم يجد سوى خدش أحمر بدون أثر لأى قطع •

وسئل جميع المرضى الذين خضعوا لهذا الأسلوب « الغيبى » من الجراحات فلم تخرج أقوالهم عما تقدم ، وكانت مدة الجراحة لا تتجاوز عادة تسعين ثانية تقريبا •

وممن عولجوا بهذا الأسلوب الفذ وسيطة معروفة للتجسد خلال الوجه Transfiguration تدعى كوينى نيكسون Queenie Nixon كانت

تشكو من متاعب فى المعدة فشـفيت منها فورا ، ولم تخرج أقوالها عن مضمون أقوال غيرها من المرضى (١) .

وفيما يلى أقدم بعض نماذج قليلة من الصور التى التقطت فى أثناء اجراء بعض هذه « الجراحات » المذهلة . وهى صور لفرط وضوحها — لا تترك مجالا لأية شبهة حول صحة هـذه الوقائع العجيبة التى تتحدى كل القوانين المعروفة فى الطب البشرى حتى الآن . والنسخ الأصلية لهذه الصور بالألوان الطبيعية التى توضح جميع التفصيلات الى أدق دقائقها .

ومن الأهمية بمكان أن أوجه نظر القارىء الى أن هذا الأسـلوب غريب حتى على أساليب العلاج الروحى المطبقة فى الغرب ، لأن الأسلوب المـألوف فيه هو العلاج بالاشعاعات بمجرد وضع اليد أو اللمس أوغيرهما من الأساليب التى سبق بيانهـا على لسان لورد داودنج(٢) . وبعبـارة أخرى فانه يوجد حاليا الآلاف من المعالجين الروحيين المنتشرين فى أنحاء أوروبا وأمريكا ، ولم أسمع عن واحد منهم استخدم أى أسلوب مغاير لتلك الأساليب التى أوردها داودنج .

فاذا كانت تجرى فى حضور بعض الوسطاء النادرين أساليب غريبة مغايرة لها ، فيجب أن ننظر اليها بوصفها محض استثناء نادر . وبالتالى محض ظواهر تلقـائية تسـتحق عناء التحقيق والتحليل العلمى لمحاولة التعرف على بعض خبايا التكوين الروحى للانسان ، وبعض خفايا نواميس الطبيعة .

---

(١) وهذه الوسيطة الفذة خضعت لأبحاث علماء جامعة ليذر **Leeds** ببريطانيا وشاهدتها بنفسى وهى تقدم ظواهرها فى « المؤتمر الروحى الدولى الحادى عشر » فى لندن فى شهرى أغسطس وسبتمبر ١٩٧٨ ، ثم حضرت الى القاهرة وقدمت ظواهرها فى بعض القاعات العامة والخاصة .

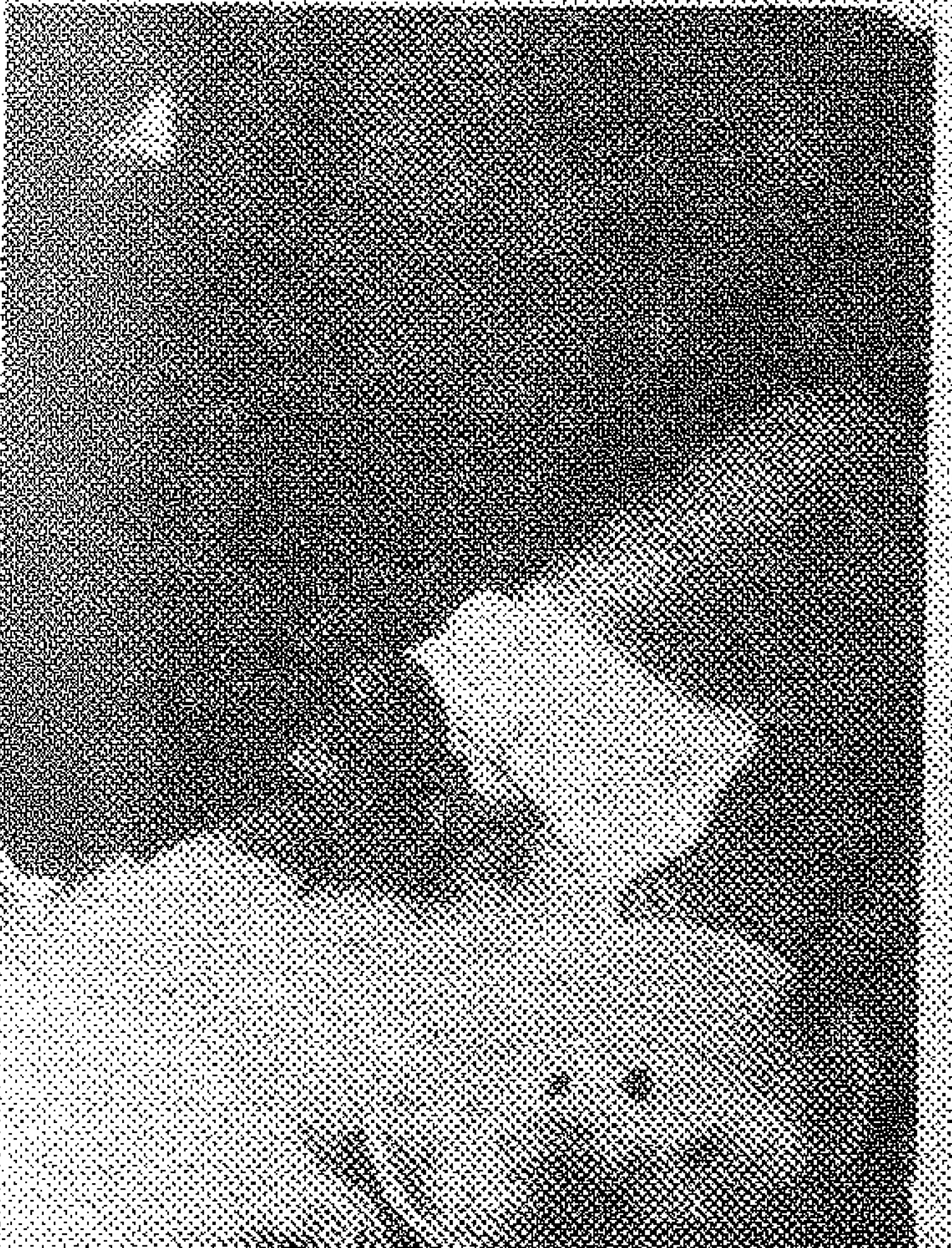
(٢) راجع ما سبق عنها فى ص ٣٣٨ — ٣٣٩ .

وراجع أيضا ما سـبق عن الحقـل البيولوجى والطـاقة الحيوية الدينامكية التى تنبعث عنه فى ص ٢٧١ — ٢٨٢ . وهذه الطاقة لها دورها أيضـا كوسيلة علاجية كما سبق القول .

(١)


(٣)


(٤)


(٢)


(٥)

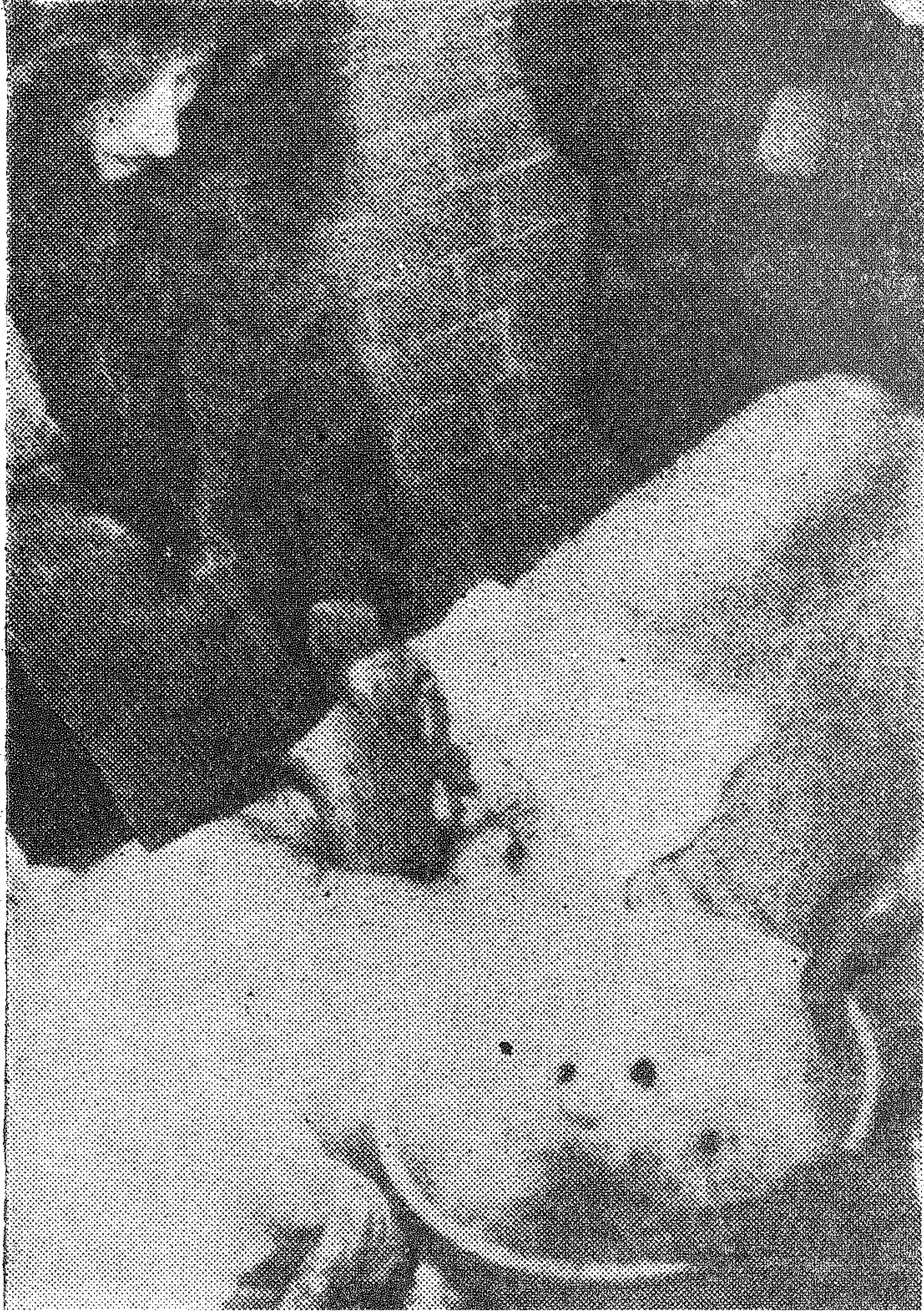

من اليسار (١) دافيد اليزالد ممسكا بوعاء،حين بدأت اصابع زوجته هيلين فى اختراق جسم الوسيطة كوينى نيكسون للوصول الى معدتها .

(٢) أربع أصابع من اليد اليمنى لهيلين وقد وصلت الى معدة المريضة . لاحظ تدفق الدم حول « سرة » المريضة ووجود خمس نقع دم متجلطة فى الوعـــاء .

(٣) دافيد يراقب زوجته وهى مستمرة فى اجراء العملية ، والدم يلطخ يديهـا .

(٤) هيلين تستخدم يديها الاثنتين لاتمام الجراحة والدم يجرى من جسم المريضـــة .

(٥) دافيد ممسكا بجلطة دم متخثر أخرجت من معدة المريضة،يبدو أنها ذات صـلة بقرحة فى معدتها .



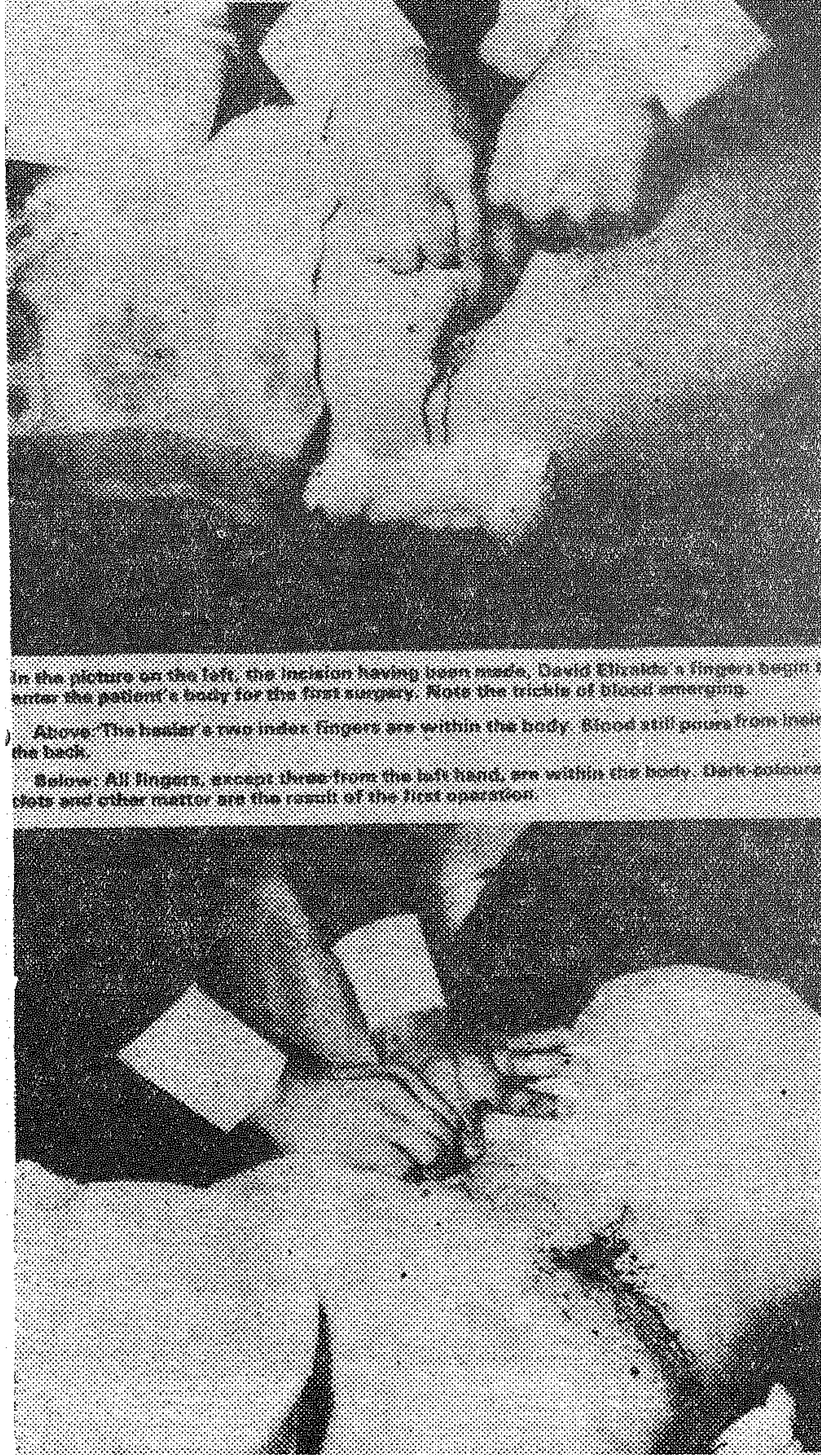
This picture shows one of the many spirit operations performed by Helen Elizalde and is similar to two others Christopher Mann watched. Four fingers of Helen's right hand are shown entering the patient's stomach. Note the pool of blood round the sufferer's navel. Five large clots removed are seen in the bowl.

الصورة رقم (٢) تبدو هنا مكبرة وهى أخطرها كلها . وظاهر منها تماما كيف أن أربعة من أصابع الوسيطة المعالجة هيلين اليزالد وصلت الى داخل معدة المريضة بعد أن تدفق الدم من حول سرتها . كما ظاهر منها وجود أربع قطع متجمدة من الدم فى الوعاء أخرجت من معدتها .



6 Queenie looks at the area that seconds before was open and producing blood. Helen shows her where the surgery occurred and points out there is no visible scar.

المريضة كوينى تتطلع الى منطقة « الجراحة » التى كانت مفتوحه منذ ثوان قليلة وتنزف دما ، والمعالجة هيلين توضح لها أين حدثت الجراحة الروحية ، وكيف أنها لم تترك خدشا ظاهرا .



- فى الصورة العليا : يبدأ الاصبعان الابهامان لنفس المعالج د.فيد فى الدخول الى ظهر المريض والدم يتدفق منه .
- فى الصورة السفلى : تبدو جميع اصابع المعالج فيما عدا ثلاثة من اليد اليسرى بداخل ظهر المريض .



— فى الصور العليا : يبدو جليا تماما أن يدى دافيد اليزالد قد اخترقتا جسم المريض ، ووصلتا الى أحشائه .

— فى الصورة السفلى : تجرى أصابع هيلين اليزالد جراحة ازالة ورم سرطانى من أحشـــاء المريضة مولى وايلد Mollie Wilde .

نماذج من دراســات معملية

فهذه الظواهر غامضة تماما شأن العديد من الظواهر الفيزيقية مثل تجسدات الوجه والأعضـــاء ، أو تأثير العقل فى المـــادة ، أو غيرها من الظواهر الفيزيقية ، أو الظواهر الفيزيقية ـ العقلية .

أما العلاج الروحى كما يمارســونه فى انجلترا ، وفرنسا ، وأمريكا وغيرها فهو يجرى غالبا بدون عمل فتحات ، ولا نزف دم ، ولا آثارجروح ، ولا اخراج أورام ، أو دماء متخثرة ، أو أجسام صلبة ، أو نحو ذلك من أجسام المرضى . وهــذا هو الأسلوب المــألوف الذى عرف عن كبار المعالجين منذ عرف العلاج الروحى سبيله الى الخضوع للتحقيق العلمى على أيدى رواد الباراسيكولوجى .

هذا وقد أجرى العالم اليابانى هيروشى موتوياما H. Motoyama على الوسيط الروحى تونى أجبوا Tony Agpaoa الفلبينى وهو أحـد المشهورين بعملياته الجراحية عدة اختبارات فى غاية الدقة . اذ كان يوصل الوسيط والمريض بعدة أجهزة أثناء اجراء العملية ثم يقارن النتائج بعد ذلك . وكانت الأجهزة عبارة عن :

١ ـ جهاز راسم المخ الكهربائى .

٢ ـ جهاز لقياس حجم الدم .

٣ ـ جهاز لقياس التنفس .

٤ ـ جهاز لقياس رد الفعل الجلفانى للجلد .

وخرج من تجاربه بنتيجة هامة وهى أنه كان فى استطاعة الوسيط أن ينقل قوة « غير فيزيقية » ذات طبيعة خاصة (قوة العلاج) بحيث تظهر بصورة فيزيقية فى شخص المريض البعيد عنه .

وفى باريس خضع تونى لاختبارات عديدة بمعرفة الدكتورة جانين فونتين Janine Fontaine أخصائية القلب والتخدير منذ عشرين عاما

فى مستشفيات باريس وسجلت اختباراتها فى كتاب لها عنوانه « طب الأجسام الثلاثة » (١) • وذكرت فيه أن تونى لا يدلس ، وأنه شاب جاد ، سليم ، وصاحب موهبة علاج قوية حقيقية •

وفى سنة ١٩٧٠ رأت الدكتورة جانين أن تهجر ممارسة الطب العادى حتى تتفرغ لتحقيق أوجه العلاج الأخرى غير المادية • وفى سنة ١٩٧٧ سافرت الى باجيو Baguio فى الفلبين كيما تراقب عن قرب المعجزات الجراحية التى تجرى هناك ، والتى سجلتها من قبلها عدة لجان رسمية بالاضافة الى العديد من الباحثين العلميين •

وخضعت جانين هى وابنها رودى Rudi لعلاج روحى ناجح بمعرفة أحد مساعدى تونى ، وهو نيفيز جيمنز Nieves Jimens • فقد أجرى لها جراحة روحية ، واحتفظت بالدم المنبثق عنها ، واتضح أنه من نفس فصيلة دمها ، وشفيت بعدها من البواسير •

وسجلت جانين للوسيط تونى نجاحه فى علاج العديد من حالات النقرس ، والروماتزم ، وبعض حالات السرطان ، وفشله فى حالات أخرى ينسبها الى مصادر كارمية (أى الى أصول سابقة على الحياة الراهنة) •

* * *

ومن أهم الظواهر التى تتجلى على الوسيط عندما يقع تحت تأثير روح مرشد هى العوارض الفيزيقية التى تلاحظ على الجسم ويمكن للأطباء اثباتها بوسائلهم المعتادة • ومن بين هذه الاختبارات ما أجراه الدكتور كرنليوس تريجر الاخصائى فى أمراض القلب والشرايين على الوسيطة الشهيرة ايلين جاريت Eileen Garrett .

---

(١) Médecine de Trois Corps.
أى ذلك الطب الذى يعنى بعلاج الجسد المادى ، والأثيرى ، والعقلى ، فى وقت واحد .

وعندما بدأ الدكتور تريجر فى دراسته لها كانت عنده فكرة أن لديها نوعا من انفصام الشخصية . ومع ذلك فقد استمر مع مساعديه فى اختبارها سواء وهى فى الغيبوبة أم خارجها ، وذلك بعد كرات الدم وزمن الانزاف وزمن التجلط والنبض وضغط القلب ورد فعله واستعان فى ذلك بجهاز راسم للقلب وباعطاء حقن من عقاقير مختلفة .

وخرج الدكتور تريجر بنتائج أذهلته لأن قلب أى انسان لا يمكن أن يعطى مثل تلك الظواهر المتضاربة . فالعقار الذى يعطيه لها يعطى نتيجة مختلفة تماما عما يعطيه اذا كانت الوسيطة فى حالة غيبوبة . ويهيمن عليها روح مرشد أو آخر والتى كان يزرق فيها جلدها (لعدم أكسدة الدم) وتقع مغشيا عليها تماما ويفزع الأطباء لعدم استطاعتهم اعادتها لحالتها الطبيعية .

كانت التجارب تجرى عليها فى الصباح الباكر ظنا منهم أنها تكون عندئذ فى اطار شخصيتها العادية المألوفة فى حين من جانبها كان مرشداها من عالم الروح أوفانى وعبد اللطيف قد وعدا بتعاونهما فى انجاح تلك الاختبارات ، وكم كان عجيبا أن يشخص عبد اللطيف حالة أحد الأشخاص المنهمكين فى اجراء التجربة . اذ قال أنه يشك فى وجود حالة أنيميا عنده ونصح الدكتور تريجر أن يأخذ من ذلك الشخص عينة دم . ولما أخذت العينة وجد كلام الروح عبد اللطيف صحيحا تماما .

وكان الدكتور تريجر يطلب من المرشدين الثلاثة السكون طوال التجربة التى كانت تمتد أحيانا حتى الساعتين . من نتائج التجارب وجد أن هناك اختلافا بينا بين هيمنة هذين الروحين وبينهما وبينها أيضا . فعلى سبيل المثال زمن التجلط لها فى حالتها العادية ٣ دقائق وزمن التجلط عند هيمنة أوفانى ٢٣ ثانية وزمن التجلط عند هيمنة روح عبد اللطيف دقيقة ونصف .

أما عدد الكرات الحمراء فى اختبار الدم فكان لها ٧٠ وفى حالة أوفانى ٨٥ وحالة عبد اللطيف ١١٠ — ١١٠ • ومعنى هذا أن الغيبوبة تغير من عدد كرات الدم على حسب شخصية الروح المهيمن ••• أما نتائج أوفانى فقد بينت حالة شخص ينزف دمه حتى الموت • وكان قد قال عن نفسه فيما قال انه قد قتل بضربة سكين •••

أما رسومات القلب للشخصيات الثلاثة عندما عرضت على أخصائى القلب الدكتور لويس فى معهد ركفلر فقد قال انه من المستحيل أن تكون لنفس الشخص وذلك لتفاوت الاختلاف بينها •

أما العقاقير التى كانت تعطى للوسيطة فلم تبرهن على وجود انقسام فى الشخصية فعندما أعطيت الأدرنالين مثلا بدا كأن أوفانى يتعاطاه لأول مرة وكذلك عبد اللطيف تأثر به كثيرا • أما عن المورفين فكان تأثيره على الروحين بالغا وفى حين لم يتأثر عبد اللطيف بالاستركنين كان أوفانى يعطى نتائج ضد ما يتوقعه الأطباء • أما الأتروبين أو البلادونا فكانت نتائجهما مختلفة على الروحين •

وفى حالة أوفانى كان رد الفعل يبين حالة تخشب خاصة فى القدمين وفى حالة عبد اللطيف كانت الركبة اليمنى هى المتخشبة ، وأما حالة أيلين جاريت نفسها فقد كانت عادية وقد وجد أن رد الفعل فى البطن يتغير كثيرا بوجود الروح المهيمن •

وقالت ايلين جاريت ان الصعوبة التى تقابلها الوسيطة هى أنها تحاول العودة الى أجهزتها الطبيعية بعد زوال الروح المهيمن ، وفى حالتها هى كان يظل التغير فى تركيب الدم من ٣٠ الى ٣٥ دقيقة بعد افاقتها من الغيبوبة •

ولم تكن اختبارات الدكتور تريجر فقط على هذه الوسيطة بل أجريت عليها اختبارات من قبل الدكتور راين من جامعة ديوك (١) •

(١) عن على عبد الجليل راضى « العلاج الروحى » ص ٨٢ — ٩٣ •

ويقول هارى ادواردز أنه لاحظ من علامات الشفاء من حالات السرطان والأورام ظهور عرق غزير على أطراف المريض — وشعوره بألم فى القدمين — وكأن المادة الضارة تود الخروج بهذه الكيفية . ويقول أيضا أن الجسم يتخلص من مواد سوداء اللون تقريبا من فتحاته . فلو كان السرطان فى الحنجرة يتقايأ الشخص تكتلات مادية وربما بعد بدء العلاج ببضع ساعات . كما أنه لا يستبعد أن بعض الوسطاء يمكنه بمعونة الأرواح المرشدة تحويل الورم الى طاقة تخرج من الجسم بدون فتحة وتظهر هذه فى شكل العرق أو خلافه .

كما يلاحظ أن التحسن فى حالة المريض يحدث غالبا فى نفس الليلة التى يوجه له فيها الوسيط العلاج . هذا وينام المريض أعمق بعد جلسات العلاج — واذا كان مدمنا على المنومات فانه سوف ينقطع عنها حالا . بعدئذ تختفى الأعراض الظاهرية للمرض والآلام المصاحبة له . وقد يحدث النوم العميق واختفاء الآلام فى نفس الوقت ويتوقف ذلك على نوع المرض .

وقال هارى ادواردز عن الروماتزم وتصلب الشرايين أنه عند قيامه بعلاج هذين المرضين كان يشعر بذبذبات فى أطراف أصابعه وبكمية كبيرة من الحرارة تخرج منها الى المريض الذى يشعر بها حتى لو كانت الأصابع بعيدة عنه . كما قال انه بتمرير اليد على الجسم الى أسفل تحدث ظاهرة عكسية أى يشعر المريض ببرودة ، ولو أن المعالج لا يشعر بها . وبتوالى العلاج سوف يشعر المريض بعرق فى يديه وقدميه وبألم أحيانا فيهما وهذا من علامات الشفاء .

حالات أخرى باستخدام سبل مادية

من الأرواح التى تقوم باجراء عمليات جراحية « الدكتور رينولدز » الذى كان يستخدم وسيطة انجليزية تدعى ايسا نورنيج . وهو فى عمله يترك مستخرجات العملية من حصوة كلى أو أورام الخ فى طبق فى الغرفة

ليراه الحاضرون — ويكون قد أعد له من قبل جميع ما يحتاج له الطبيب العادى من قطن وأربطة ومشرط وكحول الخ . ان هذا الجراح يقول أنه كان يمارس عمله هذا فى الأرض منذ ١٥٠ سنة ..

ومثال لعملياته جاءت سيدة تشكو من ورم فى فمها — نظف الروح فمها بمنديل غمسه فى سائل مطهر ثم أدخل أصابعه وأزال الورم وأسقطه فى كأس به كحول . وذلك فى خلال ثوان . ثم أدخل أصابعه ثانية وأخرج ورما آخر — وانتهت العملية فى أربع دقائق . وقد قام أحدهم بتصوير هذه الأجسام ثم أحرقوها : وكان الروح قد نصح بحرق أو دفن مخلفات العمليات ..

ولقد وصف أحد المشاهدين ما رآه عندما ذهب أحد المرضى ليجرى له الروح الجراح الدكتور رينولدز عملية جراحية (فتق) فقال : كنت أحمل حوضا أجمع فيه اللفائف عندما اقتربت من منضدة العمليات — وفجأة ظهر الروح الطبيب فى هيئة متجسدة على الجانب الآخر من المنضدة . وكان رجلا قصيرا . فى ذلك الوقت كانت الوسيطة فى غيبوبة ، أخذ بالممسك قطعة قطن مطهرة وطهر المكان — وكان الفتق عند السرة ... وشاهدته وهو يضع يده على لحم المريض ثم غاصت فيه عمقا وراحت عن نظرى .. ثم أخذ الممسك والقطن وجمعت منه ثمانى قطع مستعملة .

وكان آخر ما عمله هو أنه أدار المصباح الكشاف ووجهه على الموضع الذى أجرى فيه العملية .. ولم يلاحظ سوى تورد بسيط فى الجلد أى لم يوجد أثر للجرح .. وأعيدت العملية على مريض آخر بالفتق وكلاهما لم يشعر بأى ألم وسافرا فى نفس الليلة » ..

ثم استأنف الشاهد يقول : « ثم تراجع الدكتور رينولدز حوالى قدمين من المنضدة ثم غاص فى الأرض ... وبعد قليل ظهر طبيب آخر يختلف عن الأول فى الحجم ويدعى الدكتور وست — لم يتكلم كثيرا وراح يفحص مكان النزيف » .. وشهدت سيدة أخرى مريضة بأن

الدكتور رينولدز عندما بدأ يجرى لها عملية فى ذراعهـا حـدث نزيف « وهذا سبب قلقا للدكتور ـ فقال ان عليه أن يبحث عن شىء ما من عالم الروح ليوقف النزيف به • فاختفى فى الأرض ـ ولكنه عاد بعـد قليل ومعه زجاجة سائل غمس فيه قطعة قطن ثم ضغطها تحت الابط وسـأل المريضـة أن تضغط عليهـا • وعندما مرر يده على كل جرح كان يغلق فى الحال ولم يبق أى أثر » (١) •

وقائع مذهـلة عن معالج برازيلى

وقد توفى أخيرا فى البرازيل وسيط علاجى شهير يدعى أريجو Arigo (جوسى بدرو دفريتاس) • وكلمة أريجو أطلقت عليه وهو طفل ومعناها « الشخص البسيط » وبالفعل نشأ نشأة بسيطة فلم يكد يقرأ أو يكتب • كان ريفيا تزوج صغيرا وأنجب ستة أطفال • فى طفولته رأى روحه المرشد « الدكتور ألفرد فرتز » ودهش لرؤيته فقد كان الدكتور منتفخ البطن عليه سمة الشخص الألمـانى • وهو عندما يذهب فى غيبوبة يتكلم بلغة هـذا الروح المعالج الألمـانى الذى توفى سنة ١٩٢٠ علما بأن الوسيط لا يعرف الألمـانية كما أنه أحيانا يتكلم باللغة البرتغـالية ذات اللهجة الألمـانية •

ومن العجيب أن أول عملية قام بها أريجو تمت بدون علمه، اذ قابل عضوا بمجلس الشيوخ فى فندق ، وكان مريضا من زمن بداء السرطان ولم يكن أريجو يعلم عن ذلك شيئا • فى الصباح قال له المريض أنه قد رآه ليلة أمس وبعدئذ رأى رجلا بدينا حل محله وهـو يرتدى معطفا أبيض وبجانبه ثلاثة آخرون سيماهم تدل على أنهم أجانب وفى معاطف بيضـاء أيضا • وقال الأول بالألمـانية أنه سوف يجرى له العملية • وبعدئذ شعر المريض بأنه أغمى عليه ـ وقرر أن ما رآه لم يكن حلما ••• وكان المريض يعـانى من ورم فى الرئة بدون علم أريجو وكان الأطبـاء قد قرروا أنه لا يمكن اجراء عملية له •

---

(١) عن على عبد الجليل راضى (العلاج الروحى) ص ٨٢ ـ ٨٤ •

وعندما عاد المريض الى الولايات المتحـدة من أجـل اجراء عملية قيل له أنه ليس بحاجة لاجراء أية جراحة ، وان السرطان قد أزيل ...

وبدأ أريجو يقرأ الكتب الروحية ويستمر فى عمله مجريا مزيدا من العمليات الجراحية لمئات المرضى : ولكنه مع هذا النجاح لم يكن مقتنعا من نفسه لأنه لا يشعر بشىء أثناء قيامه بعمله وينسى كل شىء بعد افاقته من الغيبوبة . ولكن حدث مرة أنه أفاق فى أثناء الجراحة ليجد نفسه مثل القاتل الذى يمسك مسكينا أمام ضحية بريئة . وقبل أن تحدث له صدمة راح فى غيبوبة ثانية ليكمل عمله بيد الروح المرشد أدولف فرتز .

ولم ترتح الدوائر الطبية والدينية لمـا يقوم به أريجو فقدم للمحاكمة أكثر من مرة ، فالعقول هناك مثل أى بلد آخر تجمد عن تقبل مثل هذه الأمور الغريبة . وياليتهم فهموا ما قاله لهم : « انى لا أقوم باجراء العملية لأى انسان بنفسى ، انما يتحرك ذراعاى وتتناول الأدوات وأنا فى غيبوبة تحت تأثير الدكتور فرتز . انه هو الجراح . انه روح .

أنا لا أعرف ماذا أفعل فى الغيبوبة ، انى لأشعر بأن قدمى مخدرتان وبعد لحظة أصبح لا أشعر بشىء . انى لوسيط مخلص . لقد قيل لى بعد أن أفيق بأننى قمت باجراء عمليات جراحية على الرئتين أو على السرطان بدون تدفق دم من المريض . وأعترف بأنى لم أكن أصدق ذلك فى مبدأ الأمر .

لا تظنوا أننى قديس.ان لى ذنوبى ولو أنى لا ألعب القمار ولا أدخن ولا أشرب الخمـر . أنا أعيش لأجل زوجتى وأطفالى . انهم فى حاجة الى . قبل أن تصدروا الحكم على أثبتوا أولا أنى قتلت انسانا واحـدا من بين آلاف الرجال والنساء الذين أجريت لهم عمليات ، فاذا كنت قد فعلت أو ألحقت ضررا بواحد منهم دعوا هذا المضرور هو الذى يوجه الى الاتهام ... » .

وكان يقوم بتشخيص المرض دون أن يفحص المريض • ويؤدى ذلك بسرعة فائقة يخرج بعدها المريض ومعه الروشتة ، حتى لو كانت الحالة ميئوسا منها وذلك لتهدئة المريض ، ويكشف فى نفس الوقت لقريبه عن حقيقة الأمر •

وذهب اليه يوما عالم الباراسيكولوجى الأمريكى الذائع الصيت الدكتور أندريجا بوهاريش A. Puharich لأجل قيام أريجو بعملية له فى ذراعه وازالة ورم غير خبيث منه • وبعد ازالة الورم تقدم منه مستر بلك رئيس مؤسسة أبحاث فى فلوريدا بأمريكا وطلب منه أن يعالج له ظهره ـ فسأله الروح المعالج عما يشكو منه فقال له : ان أشعة اكس التى أخذت له فى ميامى أظهرت ضغطا فى احدى الفقرات حيث يؤلمه العصب • وأن النوم لم يكن متيسرا الا باستخدام وسادة تحت الساقين ورعاية القدمين فنظر الى أريجو لحظة وكتب الروح الروشتة الآتية :

٢٠ حقنة B12R قوى •

٣ زجاجات نوفازولون (أنزيمات هاضمة) •

٤ زجاجات بنكريون (أنزيمات بنكرياس) •

٤ زجاجات ليفزيم (أنزيمات هاضمة) •

وبعد ثلاثة أسابيع لم يعد المريض يشعر بأى تعب •

ويكتب أريجو قوائم طويلة بأسماء الأدوية وطريقة وموعد أخذها كى يوفر على المرضى تكرار الزيارات • وهو يكتب فى الساعة الواحدة حوالى ٦٠ روشتة ! ! •••

وجاءه يوما رجل يشكو من شلل فى الوجه فكتب له تشخيصا ثم نادى على منظم العيادة وقال له « انقل هذا على الآلة الكاتبة ثم مزقه » وعندما غادر المريض المكان قال أريجو « انى لا أعرف ماذا يفعلون مثل هذا • انى لم أرد أن أعمل فضيحة » بعدئذ علموا أن هذا المريض انما كان رجل شرطة متخفى •

وفى سنة ١٩٥٨ حكم على أريجو لأنه يزاول الطب بدون ترخيص ، ولكن عفا عنه الرئيس هناك لأنه شفى ابنته من داء عضال ، وأخذ يعالج الكثيرين من مدنيين وخلافهم .

وهو لا يتقاضى أجرا للعلاج اذ أنه يعمل بعد الظهر موظفا فى الحكومة . ويستغل الصباح فى العلاج اذ يفد اليه مرضى عديدون ، ويستغل المساء فى اجراء العمليات . وقد قام صحفى برازيلى يدعى جورج ريزينى بتصوير فيلم العمليات الجراحية التى تجريها الأرواح على يد أريجو . وقد عرض الفيلم هناك فى التليفزيون وبعض دور السينما .

وعندما رآه الأطباء احتار بعضهم فى هذه « المعجزات » التى لايعلمون كيف تمت ، والبعض الآخر هزىء بها أو حاول وضع تفسير علمى لها . وكان أريجو مستعدا لأن يختبروه . كان متطوعا لأن يأتوا له بأعقد الحالات كالسل أو السرطان أمام الأطباء ليقوم بالعملية الجراحية فى حضورهم . ومهمة المشاهدة ليست عسيرة عليهم .

فى بحر عشر سنوات أجرى آلاف العمليات وكان يعيش فى منزل بسيط على دخل لا يتجاوز العشرين جنيها فى الشهر . وفى تلك الفترة لم يقبل أية هدايا « ولا حتى تفاحة » على حد قوله .. ويقول ان زوجته تعمل كحائكة للملابس لتقيم أود الأسرة (١) .

بعض كبار المعالجين

فهذه الآفاق المتجددة للبحث التى فتحها رواد الباراسيكولوجى وثيقة صلة بموضوع عملى من أخطر موضوعات الباراسيكولوجى ، بل لعل أخطرها كلها فى تخفيف آلام الانسانية ، وهو موضوع العلاج الروحى .

---

(١) عن على عبد الجليل راضى . المرجع السابق ص ١٥٤ — ١٥٧ .

ومن يريد الاستزادة فى شتى أساليب العلاج الروحى المـألوفة — خصوصا منها العلاج بالاشعاعات أى باللمس — يمكنه أن يرجع الى بعض مؤلفات هارى ادواردز Harry Edwards أبرز معالج روحى وكان الى حين وفاته منـذ سنوات قليلة رئيسا « للاتحـاد الوطنى للمعالجين الروحيين » (١) • ومن هـذه المؤلفـات « علم العـلاج الروحى » (٢) (١٩٤٥) ؛ و « العلاج الروحى » (٣) (١٩٤٩) وغيرهما كثير (٤) • وذلك بالاضافة الى الكتب التى وضعت عن هذا المعالج من مؤلفين ثقات حققوا

---

(١) The National Federation Of Spiritual Healers.

(٢) The Science Of Spirit Healing.

(٣) Spirit Healing.

(٤) ومن هذه المراجع الاخرى لهارى أدواردز :

A Guide To Spirit Healing.
Psychic Healing.
The Evidence For Spirit Healing.
The Truth About Spiritual Healing.
The Power Of Spiritual Healing.
The Mediumship Of Arnold Clare.

وذلك بالاضافة الى جريدة شهرية اسمها « المعالج الروحى »
The Spiritiual Healer.

عنوانها : The Healer Publishing Co. Ltd.
Burrows Lea. Shere, Guildford, Surrey, England.

وراجع أيضا كتاب « تحقيق العلاج » The Quest For Healing تأليف جودفرى وين Godfrey Winn (١٩٥٦) ويدور حول وساطة السيدتين فيفيان درانت وشبرد وغيرهما .

وكتاب « العلاج » Healing للوسيطة جريس كوك Grace Cooke بالاشتراك مع ايفان كوك Ivan Cooke ، وكتاب « علاج العقل » Healing The Mind من تأليف الدكتور كونيل R. Connell بالاشتراك مع الوسيطة جير الدين كامينز G. Cummins (١٩٦٧) وكتاب « عودة الدكتور لانج » The Return of Dr. Lang (١٩٥٧) من تأليف س. ج ميرون S. G. Miron وكتاب « الضوء المعالج » The Healing Light من تأليف آجنس سانفورد Agnes Sanford ، و« موجز العلاج الروحى » An Outline of Spiritiual Healing من تأليف جوردن تيرنر Turner وكتاب « مواجهات غير مألوفة » (١٩٧٣) Extraordinary Encounters للوسيط جورج شابمان G. Chapman ، و « باب لكل جدار » Every Wall a Door (١٩٧٣) من تأليف آن دولى Anne Dooley وخطابات بين المعالجين (١٩٧٦) Lettres Between Healers للوسيطة أورسولا روبرتس Ursula Roberts .

بوساطته بأنفسهم ، مثل الأستاذين موريس باربانيل وبول ميللر .

وكان هارى ادواردز يعقد جلسات علنية متعددة ، منها جلسة عقدت فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥٤ فى أكبر قاعة عامة فى أوربا وهى قاعة ألبرت وحضرها ستة آلاف شخص كان من بينهم لجنة من الأطباء أرسلتها « الجمعية البريطانية » كيما تتحقق بنفسها مما يتم فى هذه الجلسات من معجزات علاجية محيرة للعقول . كما حضر الاجتماع أعضاء اللجنة التى كان قد شكلها أسقف كانتربرى لتحقيق الظواهر الروحية . وقد نجح هارى ادواردز فى هذه الجلسة فى رد حاسة السمع لسيدة صماء منذ أربعين عاما وفى شفاء عمود فقرى مشوه لطفلة وحالة شلل أطفال لطفلة أخرى ، وغدة متضخمة فى الرقبة كانت تمنع صاحبتها من النطق ، وحالات أخرى كثيرة .

* * *

ويقول هارى ادواردز فى أحد كتبه أنه من بين ٤٠٠ حالة مرضية تعرض عليه يحدث فى المتوسط تحسن بنسبة ٨٠ ـ ٩٠٪ ومن بين الحالات تشفى نهائيا نسبة ٣٠ ـ ٤٠٪ . وعلى كل فان هارى لا يدعى أنه قادر على شفاء جميع الحالات بل أنه لم يستطع يوما من شفاء أعز صديق لديه ، وكريمته أيضا .

وليست الاحصائية التى يوردها مرضية له اذ أنه يؤكد أن نسبة الشفاء أعلى مما فيها ، وذلك بسبب أن معظم المرضى لايرد ، وكثيرا مايسمع عن شفائهم بطريق الصدفة أو من أصدقائهم . وها هى نتائجه التى نشرها منذ حوالى عشرين سنة :

	السل	العظام	أورام	نظر/سمع	عقلى وعصبى	أمراض عامة
شفاء كامل	٢٥٪	٤٥٪	٥٠٪	٥٪	٢٠٪	٣٤٪
تحسن	٣٠٪	٣٠٪	٢٠٪	٤٠٪	٣٦٪	٣٢٪
لم يتغير	١٥٪	٥٪	—	٣٥٪	١٤٪	١٢٪
توفى	١٠٪	—	—	—	—	—
لم يرد	٢٠٪	٢٠٪	٣٠٪	٢٠٪	٣٠٪	٢٢٪

وتاريخ الحركة الروحيــة يعرف معالجين كبار كثيرين غير من سبق ذكرهم منهم الدكتور بوميروى Pomeroy ، والسيدة هيس ، وفيليسياد وكروسلى ، ووليام باريش ، وليللى • ومنهم أيضا السيدة ريدت Wriedt وسيطة العلاج والصوت المباشر ، والسيدة نينا فرانسس Nina Francis والسيدة ايلين جاريت Eileen Garrett • وقد حقق وساطة بعضهم ر• هـ• سوندرز H. Saunders وذلك فى مؤلفين له فى العلاج الروحى : أولهما « العــلاج عن طريق سفارة الروح » (١) ، وثانيهما « الصحة : استردادها والمحافظة عليهــا » (٢) • و م• هـ• تستر M. H. Tester وله مؤلف عنوانه « اللمسة الشافية » (٣) ١٩٧٠ • ومنهم أيضــا أندريا فاسيليو Andreas Vassiliu ومساعده جورج كارالامبوس George Ckaralambous وماثيو مانتج Matthew Manning •ويوجد حاليا عديدون غير هؤلاء ممن يحققون يوميا انجازات علاجية حقيقية • ولنــا عودة فيما بعد الى تقديم عناوين بعض الجمعيات والدوائر العلاجية كيما تكون تحت تصرف القارىء •

وممن قام بتحقيق ظواهر العلاج الروحى فى فرنسا رينيه ترنتزوى René Trintzuis فى مؤلف له عنــوانه « حالات الشــفاء فــوق المــألوفة » (٤) ، ومبين به بعض حــالات تمت لشــفاء معجز على ثلاثة من أعضاء « أكاديمية الطب » بباريس بمعرفــة الوسيط شارل بارلانج Charles Parlange

وعنى هناك أيضا بهــذا الموضوع بيير نوفيل Pierre Neuville وهو أديب معروف وعضو فى أكاديمية رابليه Rabelais بباريس ، ومن أبرز الباحثين المعاصرين هناك ، وقد بدأ بحوثه الروحية منذ ثلاثين عاما ،

---

(١) Healing Through Spirit Agencey

(٢) Health, its Recovery And Maintenance.

(٣) The Healing Touch.

(٤) Les Guérisons Supranormales.

عندما كان لا يزال فى الثلاثين من عمره • وأهم مؤلفاته تنصب على العلاج الروحى بالذات ومنها : « أفضل المعالجين فى فرنسا »[١] ، و « على دروب الشفاء »[٢] ، و « مائة حالة من الشفاء المعجز »[٣] ، « وحتى تعالج »[٤] • كما عنى به هناك ماجوفسكى Majewski وله مؤلف عن « الوساطة المعالجة » [٥] •

أطباء أعلام يحققون النتائج

وقد قام أطباء ذوو سمعة عالمية فى الطب والفسيولوجيا بتحقيق عدد كبير من حالات الشفاء المعجز فى شتى صوره وأوضاعه • وانتهوا الى التسليم به حقيقة علمية مقررة ، سواء منه ما يتم بمعرفة معالجين من الوسطاء الذين خضعوا لتجاربهم المدققة ، أم ما يتم فى مزارات معروفة قد يختفى فيها العنصر الآدمى كيما يتبقى العنصر الروحى الخالص يعمل عن طريق سبل شتى ، منها مياه محملة بسيالات روحية بوسائل لا يزال يجهلها العلم المادى •

فمثلا شهد لحالات من الشفاء المعجز التى تحقق منها بنفسه الطبيب المعروف ألكسيس كارل Alexis Carrel مدير « معهد روكفلر » بنيويورك[٦] والحائز على جائزة نوبل ، وتحدث عنها حديثا صريحا فى مؤلفه « الانسان ذلك المجهول » L'homme Cet Inconnu

---

(١) Les Meilleurs Guérisseurs De France.

(٢) Sur Les Chemins De La Guérison.

(٣) Cent Cas De Guérisons Miraculeuses.

(٤) Pour Vous Guérir.

(٥) Meduimnité Guerissante.

(٦) ولد ألكسيس كاريل فى سنة ١٨٧٣ بمدينة ليون بفرنسا ثم أصبح أستاذا فى كلية الطب بها . ثم سافر الى الولايات المتحدة فى عام ١٩٠٥ حيث عمل فى معهد روكفلر للأبحاث العلمية بنيويورك لمدة ثلاثين عاما . وحصل على جائزة نوبل فى الطب سنة ١٩١٢ ، وأصبح مديرا لهذا المعهد الى ان عاد الى فرنسا سنة ١٩٣٩ حيث أشرف على عدد من المعاهد الطبية والمستشفيات . وعرف بأبحاثه العميقة فى القلب الميكانيكى وتوفى بباريس فى نوفمبر من عام ١٩٤٤ .

وفيه يقول : « ولقد حاول المؤلف أن يتعلم خصائص هــذه الطريقة فى الشفاء مثلما تعلم طرقه العادية ، وبدأ دراساته لها فى عام ١٩٠٢ ، أى فى وقت كانت وثائق هذا العلم نادرة فيه ، وكان من الصعب جدا على طبيب شاب ، ومن الخطر على حياته المستقبلة أن يبدى أى اهتمام بمثل هــذا الموضــوع .. أما اليوم ففى امكان أى طبيب أن يلاحظ المرضى الذين يحضرون الى لورد Lourdes (حيث يوجد مزار مشهور) وأن يفحص السجلات المحفوظة فى المكتب الطبى .

ولورد مركز لاتحاد طبى دولى ويتكون من عدد كبير من الأطباء ، وقــد أخــذت الكتب والنشرات التى تبحث الشفاء المعجز تنمو وتكثر ببطء . ومن ثم بدأ الأطباء يصبحون أكثر اهتماما بهذه الحقائق الخارقة . ولقــد أبلغت حالات كثيرة للجمعية الطبيــة ببوردو Bordeaux بواسطة أساتذة مدرســة الطب والدين بأكاديمية نيويورك الطبية التى يرأسها الدكتور بيترسون ... »[1] .

كما شهد لحالات متعددة من الشفاء المعجز الدكتور جميل Gemmel أستاذ الطب الباطنى بجامعة جلاسجو ، وزميله الدكتور كولفن Colvin أستاذ الجراحة بنفس الجامعة ، وسير وليام أوسلر W. Osler أستاذ الطب الباطنى بجامعة اكسفورد ، والدكتور كارميكل Carmichael أستاذ علم الصــحة وأمراض المناطق الحارة بجامعة لندن وأحد المؤلفين لكتاب A Text Book Of Medecine الذى يدرس فى كليات الطب ... ومثلهم كثيرون الآن .

وهذه الشهادات لم تلق على عواهنها ، لأن أمثال هؤلاء لم يتعودوا أن يلقوا هذا النوع من الشهادات جزافا فى أمور خطيرة تمس الى أبعد الحدود سمعتهم الأدبية ومكانتهم العلمية لو كانت فيها كلمة واحدة قيلت ارتجالا ، فالارتجال فى تكوين الرأى لم يكن يوما من شــيمة هــؤلاء

---

(١) عن الترجمة العربية لعادل شفيق ص ١١٨ ، ٧٢٠ .

العلماء ، ولا تغذية أوهام العوام أو الانقياد لها ، انما هى الشجاعة الأدبية ، وهى فداحة مسئولية الأمانة العلمية ، التى دفعت هؤلاء الى مشقة تحقيق مدى صحة بعض حالات العلاج الروحى واعلان رأيهم جهارا بعد اتباع أشد أساليب التحقيق العلمى دقة وتحفظا .

اعتراف الهيئات الطبية بالعلاج الروحى

وهكذا ظهرت قيمة هذه الأبحاث كلها ليس فقط فى استكناه أسرار التكوين الروحى للانسان ، وما يرتبط بها من أوجه نشاط متنوعة ، بل لقد أثبتت بطريقة حاسمة صحة مبدأ وجود علاج روحى مستقل فى أساليبه تماما عن الأساليب التقليدية للعلاج ، لكنه مرتبط بهذا التكوين الروحى المتمثل من الناحية الفيزيقية فى الحقل البيولوجى للانسان . ولذا فقد نجح فى شفاء العديد من الحالات العضوية والعصبية التى تفشل فيها عادة السبل الطبية المألوفة ، وقد ثبت تماما صحة هذا الأسلوب من العلاج .

وذلك الى حد أن اعترفوا به رسميا فى بريطانيا وأصبح للمعالجين الروحيين نقابة أى اتحاد خاص بهم يسمى « الاتحاد الوطنى للمعالجين الروحيين » (١) يضم أكثر من ستة آلاف معالج بخلاف حوالى أربعة آلاف — بحسب أقل تقدير — لم ينضموا رسميا الى هذا الاتحاد بعد .

ولم يصدر هذا الاعتراف بسهولة ولا بتسرع ، بل لقد أصدر « المجلس الطبى العام (٢) » هناك منذ سنة ١٩٧٧ قرارا صريحا بالموافقة على مشاركة المعالجين الروحيين للأطباء الرسميين فى نشاطهم . وهذا المجلس يقابله فى بلادنا « مجلس نقابة الأطباء البشريين » بالقاهرة .

وحذت حذوه « الجمعية الأمريكية الطبية » A. M. A. (٣) التى

---

(١) The National Federation of Spiritual Healers.

(٢) General Medical Council.

(٣) American Medical Association.

بحثت هذاالموضوع وأصدرت فى سنة ١٩٨٠ قرارا صريحا بتعديل « القانون الأخلاقى » (١) للأطباء ، وأصبحت المادة السادسة منه تنص صراحة على « أن من حق الطبيب أن يشرك معه معالجا روحيا اذا رأى أن بمقدوره افادة المريض » ، وكانوا من قبل يسحبون الترخيص من الطبيب الذى يفعل ذلك !!

وصدر هذا القرار بعد استطلاع رأى جميع النقابات الفرعية للأطباء بالولايات المتحدة الأمريكية التى تضم ٣٢٠٫٠٠٠ طبيب بشرى ، وبعدئذ عرض الموضوع برمته على المجلس التنفيذى للجمعية الذى يضم مندوبين عن جميع النقابات الفرعية يبلغ عددهم ٢٧٩ عضوا وصوت منهم فى جانب هذا القرار مائتا عضو ، فأصبح القرار نافذا وملزما لجميع الهيئات الطبية هناك .

وفى هذا الشأن يقول الدكتور دوجلاس دين Douglas Dean أستاذ الباراسيكلوجى باحدى الجامعات هناك انه من المحتمل أن يكون عدد الأطباء الأمريكيين الذين يستعينون حاليا بجهود من أحد المعالجين الروحيين يتجاوز ثلاثة آلاف طبيب .

وأنه بالتالى اذا كان كل طبيب يستعين فى المتوسط بحوالى ستة من المعالجين الروحيين فان تقدير هؤلاء المعالجين حاليا برقم يتراوح بين ١٨٠٠٠ معالج و ٢٠٫٠٠٠ يمثل حقيقة مذهلة لانسان عام ١٩٨٠ « لكنها لا تذهل الا أولئك العاجزين عن تقبل التحولات التى تجرى فى العالم الآن » بحسب تعبيره . كما يضيف قائلا : « ومع ذلك فان الشوط لايزال بعيدا بيننا وبين اللحاق ببريطانيا التى سمحت مستشفياتها للمعالجين الروحيين بدخولها منذ سنوات عديدة . ودعونا نؤمل أن هذه الأخبار الصادرة من الولايات المتحدة تقنع بلادا أخرى عديدة بأن تعترف بشرعية

(١) Code of Ethics.

هذا النوع من العلاج » (١) •

فهل يخففون آلام المرضى فى البلاد الأجنبية بكل السبل ، أما نحن فنحاول الاستزادة منها بكل السبل ؟ ومن ذا الذى يريد منا أن يتحمل مسئولية الاستزادة من أسباب الآلام أمام ربه وضميره ؟ ! وبأى منطق ولحساب من ؟ !

* * *

كما قرأت حديثا أن أحد المعاهد المعنية بدراسة هذه الظواهر فى موسكو يعمل به ثلاثمائة من الأخصائيين والاداريين ، وأن هذا المعهد سلم بوجود شيء اسمه علاج للأمراض العضوية وتشخيصها بغير الطرق الطبية المألوفة ، بل اعتمادا على محض ملكات للادراك خارج الحواس يحوزها بعض الأشخاص هناك •

وهذا التسليم وحده أمر بالغ الخطورة خصوصا لصدوره من معهد سوفيتى متخصص ذى جهاز علمى وادارى ضخم • أما تعليل حالات التشخيص الصحيح ، والعلاج الناجح للأمراض العضوية بتوافر ملكة الادراك عن غير طريق الحواس عند بعض الأشخاص فهو بذاته أمر يفتقر الى الاثبات ــ بالأقل فى بعض صوره ونتائجه ــ ولا يستغرب صدوره من معهد يعمل فى ظل نظام سياسى له ارتباطات مسبقة فى هذا الشأن ، مما يدفع الدولة الى محاولة احتواء نتائج هذه البحوث فى اطار محدود على نحو أو آخر كما أشرت فيما سبق •

وقرأت هذا الأسبوع فى مؤلف عن « الكشوف الروحية الحديثة فى الاتحاد السوفيتى »(٢) عن وسيطة روسية تدعى دجونا دافيتا شفيلى

---

(١) عن السايكك نيوز البريطانية عدد ١٥ نوفمبر سنة ١٩٨٠ (عدد رقم ٢٥٢٧) صفحة ١ .

والى جانب بعض الاتحادات الاقليمية للمعالجين الروحيين يوجد « اتحاد دولى للمعالجين » يصدر جريدة منتظمة اسمها :

The World Federation of Healing Journal.

(٢) Henry Gris : The New Soviet Psychic Discoveries.

Djouna Davitachvili حصلت على ترخيص رسمى صادر من هذا المعهد بممارسة العلاج الروحى • وذلك بعد أن حققت نتائج ايجابية عندما دعيت الى « الكرملين » لممارسة العلاج على عدد من كبار المسئولين (١)•

وعلى أية حال فان أبحاث الباراسيكولوجى تجرى الآن هناك على قدم وساق أسوة بالغرب ، واعترفت بها الدولة رسميا مما دفعها الى فتح المعاهد المتخصصة ، وعقد المؤتمرات الدولية بها من آن الى آخر •

وفى بريطانيا اتسع نطاق العلاج الروحى الى أوسع مدى ، وقد بلغ عدد أعضاء « الاتحاد الوطنى للمعالجين الروحيين » (٢) حاليا هناك ما يقرب من ستة آلاف معالج ، حين بلغ عدد المعالجين الروحيين (من أعضاء الاتحاد وغيرهم) ما يقرب من عشرة آلاف • وقد وافقت الهيئات المختصة بادارة ألف وخمسمائة مستشفى عام على السماح لهؤلاء المعالجين بمزاولة العلاج الروحى بداخلها • ويبلغ عدد من يتلقون هذا العلاج بالفعل ما لا يقل عن مائة ألف شخص أسبوعيا •

كما يبلغ عدد الدوائر المعالجة باسم الروح المعالج الحكيم الذى يرمز لنفسه « بالنسر الأبيض » White Eagle وحده ثلاثا وستين دائرة ، منها ثلاثون تعمل فى المقر الرئيسى(٣) ، وثمانية فى مقر نيولاندز(٤) ، والباقى فى جهات متفرقة من الجزر البريطانية •

ويجرى هناك العلاج الروحى أيضا فى سائر الكليات والمعاهد الروحية التى أشرت الى بعضها فى عدة مناسبات سابقة ، وذلك بالاضافة الى الهيئات

---

(١) وراجع جريدتى الصنداى ميرور Sunday Mirror عدد ١٩ أكتوبر ١٩٨٠ والسايكك نيوز عدد ٢٥ أكتوبر ١٩٨٠ .

(٢) The National Federation Of Spiritual Healers.

(٣) وعنوانه كالآتى :
White Sagle's Lodge, Kensington, High Street, West London.

(٤) وعنوانه كالآتى : New Lands, Rake, Liss, Hants, England.

المتخصصة فى هذا العلاج ، مثل « ليتارى هاوس » Letari House (١) •

* * *

ومقتضى ذلك أن العلاج الروحى ــ وان كان الآن حقيقة علمية ــ الا أنه فى أية صورة من صوره لا يغنى عن العلاج الطبى العادى • فهو ليس أكثر من وسيلة من وسائل العلاج التى قد تنجح كما قد تفشل ، وربما تنجح أحيانا فى أخطر الأمراض وتفشــل فى أهونها شأنا ، فليس هناك علاج روحى « مضمون » فى أية حالة من الحالات • فالعلم لم يصل بعد الى نواميس العلاج الروحى ، ولا الى أى تحديد لنطاقه ، ولا الى اخضاعه الى سبل تماثل بصورة أو بأخرى وسائل العلاج الطبى العادى •

وكل ما لوحظ فى هذا الشأن أن ثمة أمراضا معينة تعد أكثر استجابة للوسائل الروحية من غيرها ، وأن ثمة أمراضا قد لا تستجيب بســهولة لهذه الوسائل ، وبخاصة تلك التى عرف لها مصدر من ميكروب أو فيروس معين • وكلما ثبت أن أصل الداء اضطراب فى وظائف الأعضاء مجهول المصدر ، أو حالة مس أو استحواذ ، كلما كان ذلك أدعى لاحتمال نجاح العلاج الروحى ولتفوقه فى هذا الشأن على السبل العادية المتبعة فى طب الأمراض العقلية والنفسية ، والتى لايزال بعضها يتعثر فى ســدود ضخمة من الجمود والعناد ، هى التى تفسر عجز وســائله وقصورها الواضــح حتى الآن (٢) •

---

(١) وعنوانه كالآتى :
Letari House, 329 Wigan Road, Leigh, Lancshire, England (Tel. 72023). Sanctuary-Leigh. وتلغرافيا :

(٢) ولا ينبغى الخلط بين العلاج الروحى والعلاج بالايحاء Suggestion وهذا الأخير قام ببحثه عدد من العلماء مثل ليبو Liébeault وبرنهايم Bernheim وأوجست فوزان A. Voisin وشــاركو Charcot فى فرنسا وألبرت مول A. Moll وشرنك نوتزنج Schrenk-Notsing فى ألمــانيا ، وفوريل Forel فى ســويسرا ، وفان ايدن Van Eeden فى هولنــدا ، ووترســتاند Wetterstand فى الســويد ، وميلن برامويل Milne Bramwell ، ولويد توكى Llyod Tuckey فى انجلترا ، وهــو متميز تماما فى خصائصه وأساليبه وآثاره عن العلاج الروحى •

عناوين بعض الهيئات المعالجة

وأنتهز هذه الفرصة كيما أقدم أيضا أسفى البالغ الى أولئك السادة الذين يتصورون خطأ أن لدى دائرة روحية ، أو أن بمقدورى تقديم أية خدمات عملية أو علاجية لهم ، لأننى فى الواقع قد قصرت نشاطى فى هذا الميدان على محض البحث العلمى والفلسفى ، نظرا لأن وقتى مثقل بالأعباء وامكانياتى المحدودة لا تسمح بأكثر من ذلك .

وأولئك السادة الذين يرغبون فى تحقيق أية خدمات روحية ، وبوجه خاص يريدون أن يجربوا حظهم فى العلاج الروحى الحضورى أو الغيابى يمكنهم أن يكاتبوا احدى الهيئات الآتية (وكلها فى انجلترا) :

— The Spiritualist Association of Great Britain,
33 Belgrave Square S. W. I. London.
(Telephones 01 — 235 3351 — 5 Lines).

Underground : Picadilly line : Hyde Park Corner.
Inner Circle : Victoria or Sloane Square.

— Healing Minute Secretary, The Sanctuary, Burrows, Lea, Shere, Guildford, Surrey, England.

— Fred Partington (F. F. K.) Letari, New Road Llanddulas, Abergele, Clwyd, N. Wales 8 E L Gret Britain.

— Phil & Kath Wyndham's Spiritual Healing, Canberra Box T. V. 91 Tarrington, Devon. Tel. 080 — 52247.

— Spiritual **Truth Foundation** Secretary, Gordon Adams, 23 Great Queen Street, London W C 2 B 5 B B England.

— Harmony Healing, Flat 3, The Grange, Brand Hill, Woodhouse Eaves, Loughborough L. E. 12 8st. Tel. 509 — 890782.
(Matthew Manning, Charles Bullen, Win Wood).

وينتمى هؤلاء العلماء وغيرهم الى مدارس متنوعة : منها مدرسة نانسى Nancy ومدرسة باريس Paris ، ومدرسة مسمر A. Mesmer والأولى والثانية منهما مدرستان للايحاء الصرف ، أما الأخيرة فقد ارتبطت بنظرية السيال المغناطيسى الذى يغمر الكون ، وبنظريات العقل الكونى العام ، والاشعاعات الكونية المعروفة والخفية .

— Croydon Brook Healing Sanctuary.

25 Northampton Road. Croydon.

Tel. 01 — 653 — 6540.

— Healing By White Feather and Band. Sae to sister Burrows SRN, SCM, Hadleigh.

— Healing Society, Calais Street, Hadleigh Suffolk.

Tel. 0473 — 823282.

— Andreas Vasiliou, 10 Auckland Road, Upper Norwood, London S E 19 2 D L. Tel. 01 — 653 — 6163.

— The Acacia House Centre : Centre Avenue, The Vale Acton Park, W 37 J X. Tel. 01 — 937 — 5655.

— Leah Doctors : Sae 47 Goldstone Villas, Hove, B N 3 3 R.T, Sussex Tel. Brighton (0273) 737746.

— New Barnet Healers, N F S H members by appointement. Tel. 01 — 449 — 5670 (3008).

— Subriton Healing Sanctuary Tel. 01 — 390 — 1317.

— Barnes Healing Sanctuary, White Hart Lane S W 13 South London.

— Enfield Beacon of Light, 231 Carterhatch Lane, Forty Hill,

وغالبية هذه الهيئات تتولى الرد على خطابات الاستفسار التى ترسل لها(١)،وكثيرا ما تنصح بالعلاج الروحى الغيابى طبقا لنظام معين أو لآخر .

وتوجد غير هذه الهيئات التى أسلفناها الآلاف من الجمعيات والهيئات الروحية المنظمة المنتشرة فى كل أنحاء العالم . وغالبية خدماتها مجانية وتقوم على محض التبرعات من الأشخاص الذين تهمهم المشاركة فى تخفيف آلام اخوتهم فى الانسانية ويجدون فى ذلك ثوابهم الأكبر ... فمتى تكون لدينا مثل هذه الامكانيات فى شرقنا العربى ؟ !

---

(١) ويستلزم بعضها ارسال مقابل طوابع البريد للرد ، وتوجد طوابع بريد دولية تصلح لهذا الغرض ، وهى متوافرة فى مكاتب البريد المصرية الرئيسية .

أما من يريد الحصـــول على بعض المؤلفات أو الصحف أو المجلات الروحية الحديثة فليحرر الى احدى الجهات الآتية :

— The Psychic News Bookshop.
23, Great Queen Street.
London W C 2 B 5 B B.
England.

— The Aquarian Book Service.
F. Clive—Ross, Pates Manor.
Bedfont, Middlesex, T W 14 8 J P.
England (Tel. 01 — 890 2790).

— White Lodge Publications.
Stockland Green Road.
Speldhurst Nr. Tunbridge Wells.
Kent T. N. 3 Ott, England.

الفصل الرابع

بين التكوين الروحى والطرح الروحى

الظواهر غير المـألوفة كثيرة ومتنوعة ، وكل ظاهرة منها تستغرق الآن المئات بل الآلاف من المراجع الموثوق فى قيمتها ، وفى قيمة أسـلوب التحليل الناقد الذى هيمن على وضعها .

ومنها بوجه خاص هذه الظاهرة الفريدة التى هى موضوع الفصـل الحالى ، وهى ظواهر « الخروج من الجسد » — Out — of — Body (O.B.E) Experiences التى يطلق عليهـا أيضـا أوصـاف أخرى مثل « الطرح الروحى » Astral Projection و « مغادرة الجسم » exomatic أو « السفر بالعقل أو بالروح » Mind — Travelling أو نحو ذلك ...

وهذه الظاهرة معروفة منذ القدم ، لكنها لم تخضع للتحليل العلمى الا منذ عهد قريب نسبيا ، فتكشف هذا التحليل عن نتائج كثيرة مذهلة لم تكن لتخطر على بال أحـد من قبل . وهى نتائج وثيقة صلة بالكشف عن أغوار التكوين الروحى الحيوى للانسان ، هذا التكوين الذى ينبغى أن يعنى العلم الوضعى كل العناية بالكشف عنه ، مهما كان الطريق اليه شاقا ومحفوفا بأسباب العثار أو الخطأ ، لأنه لا يوجد فى سـبيل خدمة الانسـان ، وتخفيف بعض أهواله ومتاعبه النفسـية ، ألزم من محاولة استكشاف أغواره ، ولو اقتضت محاولات الاستكشاف تضـافر العلماء جميعا لمدى العديد من السنين المقبلة .

وأيضـا بشرط اتبـاع منهج التحليل العلمى المؤسس على حقائق رياضية ، خصوصا وقد تقدمت الرياضـة الحديثة كثيرا فى جانب معرفة

ما يمكن أن يعــزى الى الواقع الصحيح ، وما يمكن أن يعزى الى مجرد الصدفة ، أو الى مجرد الرجم بالغيب ، أو الى خداع الحواس • وما أكثر ما تخدعنا حواسنا ، وما أكثر أيضا ما تخدعنا آراؤنا المسبقة التى تبدو حتما مقدسة ومعصومة عن الخطأ ، مهما كانت بعيدة عن الصواب بعــد الأرض عن السماء •

ولا يتأتى اتباع الأسلوب الاحصائى الا على أساس من الأخذ بمنهج تجميع الوقائع على نطاق واسع ، لتوسيع رقعة البحث الى أبعد مدى ممكن من جانب ، وللاقتراب من النتــائج اليقينيــة من جانب آخر • ومنهج تجميع الوقائع على نطــاق واســع هــو نفس المنهج المتبع فى جميع الدراسات الانســانية الناجحة التى تكشــفت عن نتائج يصــح التعويل عليها •

والعــامل الأساسى فى اســتلزام منهج تجميع الوقائع على نطــاق واسع فى جميع الدراسات الانسانية هو انتفاء وجود الانســان العــادى أو المجــرد homme abstrait الذى كان محل عنــاية الدارســين قديمــا • فالتفاوت بين انســان وآخر ضخم جــدا وأكثر مما يتصــور أى باحث جاد •

واذا كان هــذا القول صحيحا فى شأن علوم الطب ، أو النفس ، أو النفس الجنائى ، أو الاجرام ••• فانه صحيح من باب أولى فى شأن دراسة جميع الظواهر غير المــألوفة ، لأنها بطبيعتها تعــلو على حواس الانسان العادى فى الظروف العادية ، فلا تتحقق الا لانسان غير عادى فى ظروف غير عادية ، ومن هنا جاءت تســميتها بالظــواهر غير المــألوفه ، أو فوق العادية •

وندرة الصحيح من هذه الظواهر أمر من شــأنه أن يضــاعف من مشــقة الباحثين الجادين الذين لا يعنيهم أى شىء فى الوجود ســوى

الوصول الى الحقيقة ، لأن الحقيقة تمثل بالنسبة لهم هدفا ساميا لا يعدله أى هدف آخر فى هذا الوجود ، بل لا تعدله كل كنوز العالم ، وأوهامه ، وارتباطاته الجوفاء ...



ولا ينبغى أن يفوتنا فى هذا المقام أن « علم النفس الحديث » لم يعد محض فلسفة نظرية ، ولا محض ارتجال انشائى كما كانت الحال قديما ، بل أصبح برمته يقوم على تجميع الوقائع واستخلاص النتائج المؤسسة على الاختبارات المعملية ، والمشاهدات الحسية ، والمعادلات الرياضية . فهو ينظر الى طاقات النفس ، نفس نظرة الفيزياء الحديثة الى الطاقات الطبيعية ، كالضوء والحرارة ، والكهربائية ، والمغناطيسية ...

ولهذا الاعتبار فان عددا كبيرا من البحاث يعتبر علم الروح الحديث بمثابة الوارث الشرعى الوحيد لعلم النفس بمفهومه البالى عندما كان ينكر الخلود ، والظواهر الوساطية . وذلك لمجرد ارتباطه المسبق بالفلسفة المادية ، وبالتالى لمجرد هربه من تحقيق أخطر الظواهر ، وتحليلها ، وتأصيلها وهى هذه الظواهر « غير المألوفة » أو « فوق المألوفة » .

وفى نفس الوقت لا ينبغى أن نتصور أن « علم الروح الحديث » ينتمى الى علوم ما وراء المادة ، أو ما وراء الطبيعة ، كما كانت الحال قديما فيه ، وفى علم النفس أيضا ، لأنه تطور مثله مع الوقت تطورا هاما منذ قرن بالأقل ، وأصبح يقوم على الدراسات المعملية ، وتجميع الوقائع الثابتة لتحليلها ، ولذا أصبح يطلق عليه « علم الروح التجريبى » ، أو « علم التحقيق الروحى » Psychical Investigation ، الذى هو فرع من الأصل الشامل العام . وهو « علم الروح » Psychic Science بمعناه الواسع .

ولا يمكن أبدا القول بأنه قد حدث أى تقدم فى استكشاف أغوار

النفس الانسانية ما لم يضع العلم النفسى يده على تفسيرات حاسمة وصحيحة لأخطر جانب من ظواهر النفس وهى المشاهد والرؤى والأحلام أيا كان نوعها • وبشرط أن تغطى التفسيرات المرجوة جميع الظواهر التى من هذا القبيل ، ومنها تلك التى قد تحدث أحيانا نادرة ، وهى ظواهر « الخروج من الجسد » التى يلقى بعضها أضواء جديدة على كل ما قيل حتى الآن فى تفسير الأحلام من نظريات ، خصوصا تلك التى تتشبث باسناد كل ظاهرة غير مألوفة الى ملكات العقل الباطن • ويستوى فى ذلك ظواهر النوم العادى ، مع غيبوبة التخدير ، مع غيبوبة التنويم المغناطيسى Hypnotic trance مع غيبوبة الوساطة الروحية Mediumistic trance

وهذه الظواهر أكدها عدد كبير من المختبرين ، وأيدوها بأدلة متعددة تقبل التحقيق الوضعى عن طريق الحواس ، وعن طريق الأجهزة • وقبل كل شيء عن طريق تقصى المعلومات التى يقدمها « الخارجون عن أجسادهم » أو « الطارحون أرواحهم » Projectors للتثبت من صحتها أو من خطئها • ولاخضاعها لمعادلات الصدفة المعروفة فى الرياضة الحديثة ، لمعرفة ما يمكن تعليله منها بالصدفة وما لا يقبل هذا التعليل •

واذا أضيف الى ذلك أنه يمكن فى كثير من الحالات دراسة تاريخ المختبر نفسه لمعرفة مدى اتصال وعيه بهذه المعلومات ، ومدى قدرته على الوصول اليها لتبين أنه من الممكن — ولو على وجه ما — اسناد مثل هذه المعلومات الى مصدرها الحقيقى سواء أكان عن طرق الادراك المألوفة، أم غير المألوفة (مثل تراسل الفكر والشعور ، أى التلباثى) ، أم الخروج الحقيقى من الجسد الفيزيقى للانطلاق بالجسد الكوكبى أو الروحى الى مسافة قريبة أو بعيدة من الجسد المادى •

فاذا اجتمعت الى هذه الظاهرة قدرة اخضاع الذات لحاسة النظر أو اللمس عند الآخرين ، ومن باب أولى لدائرة نفوذ عدسة التصوير ، كانت البينة جيدة فى جانب صحة الظاهرة من جانب ، وفى جانب دحض

تعليلها بالعقل الباطن من جانب آخر . هذا العقل الذى تحدث عنه بعض الفلاسفة الأقدمين أحاديث تتفاوت فى مدى وضوحها .

لكن كان لعلم النفس الحديث فضل الكشف عن بعض مجاهله فى بطء وفى تعثر ، كما كان له فى نفس الوقت وزر سوء استخدامه فى تعليل الكثير من الظواهر الصحيحة التى لا تمت الى هذا العقل الباطن بأية صلة من الصلات ، والتى ان لم يصح تعليلها بدوام حياة الانسان بعد الموت ، فان حدوثها لا يزال يفتقر الى تعليل يروى غليل المنطق العلمى الناقد .

دور الشعور واللاشعور

وليس مقتضى الدراسات الحديثة انكار العقل الباطن ، أو دور الرغبات المكبوتة بالعقل الباطن ، فى تفسير الكثير من المشاهد والرؤى والأحلام بطريقة صريحة أحيانا ، ورمزية أحيانا أخرى . فلا ريب أن هذا كله أمر واقع ، ومثله تداعى المعانى فى أثناء المشاهد والرؤى والأحلام عن طريق العقل الباطن كما تتداعى المعانى فى أثناء اليقظة عن طريق العقل الواعى ، ولنا الى موضوع الأحلام عودة فى الباب المقبل .

لكن هذه الحقائق لا تفسر سوى جانب واحد أو أكثر من المشاهد والرؤى والأحلام ، وربما جانبها الأكثر شيوعا ، لكن ثمة جانبا آخر يتطلب المزيد من التغلغل فى أسرار الذات الانسانية ، بغير الارتباط مقدما بأية فلسفة نفسية تقوم على انكار الروح أو الخلود ، وهو الخطأ الجسيم الذى أوقع علم النفس القديم فى الكثير من أخطائه ، وضلل الكثير من خطاه .

ولا ريب أن علم النفس المعاصر يحاول أن يتدارك هذه الأخطاء وأن يصحح موضع خطاه الضالة ، وأن يصل الى نظرية أعمق غورا عن الذات من الماضى ، وبالتالى أقرب الى الواقع ، ولا ريب أن حجر الأساس فى هذا الاتجاه الحديث هو محاولة وضع تحديد صحيح لنطاق العقل الواعى

بالنسبة للعقل الباطن • ثم محاولة تحديد نطاق العقل الباطن من ناحية صلته بمناشط أخرى للعقل تعمل عن طريق الاتصال بعقول الآخرين عن غير طريق الحواس المادية ، فى اليقظة وفى النوم أو الغيبوبة أيضا ، وهو ما يعبر عنه بمناشط الحاسة السادسة ، أو الادراك عن غير طريق الحواس E. S. P. •

وهذا كله من شأنه أن يعطى لظواهر « الخروج من الجسد » قيمتها فى تفسير بعض المشاهد والرؤى والأحلام ، وفى اعطاء العقل الباطن مسالك جديدة لتداعى المعانى ، لا يمكن أن يعترف بها أى علم نفسى متخلف لا يسلم بصحة ظواهر هامة كهذه ، رغم ثبوتها تماما بأدلة لا تحصى الآن •

* * *

هذا وقد عرضنا فى عدة مناسبات للحديث فى مشكلات العقلين الواعى والباطن ، التى لا تزال تتنازعها شتى الآراء والنظريات حتى الآن خصوصا عند محاولة التمييز بين العقلين ، أى عند محاولة وضع حد فاصل بينهما ، وبالذات بحسب الكشوف الحديثة فى علم العقل والروح التى بدت أوثق اتصالا بهذا الموضوع من الخلافات المدرسية فى مفاهيم علم النفس القديم •

ولعل بعض الأبحاث المعملية الحديثة يلقى ضوءا جديدا على الصلة بين الشعور واللاشعور • وبوجه خاص تلك الأبحاث التى كشفت عن وجود شاشة أو حاجز بينهما عن طريق استخدام أمواج ألفا ، وجهاز تصوير الاهتزازات المنبعثة من العقل Oscillographs .

فمن شأن أمواج ألفا اخلاء المخ من مشاغله وتسهيل عملية التأمل meditation التى هى من صور العبادة الصوفية المعروفة فى عدة بيئات دينية فى الشرق والغرب • وعند استخدام أمواج ألفا اتضح أن بعض الأشخاص الخاضعين للاختبار كان بمقدوره أن يرى رؤى متنوعة

تماثل تلك التى يراها المتصـوفون ، و « أهل الكشـف » ، والوسـطاء الروحيون .

والظاهر أن هذه « الشاشة » الموجودة بين الشعور واللاشعور لها صلة أيضا بالأدرينالين (افراز غدة كائنة فوق الكلية) . اذ اتضح أن نقص الأدرينالين قد يضعف منها . كما اتضح أن فيتامين ب ٣ قد يؤدى الى تعويض بعض هذا الضعف ، واذا ضعفت هذه الشاشة بطريقة مرضية مستديمة فقد يؤدى ذلك الى تعذر الرؤية الصحيحة ، وربما الى مرض الاشكيزوفرانيا Schizophrenia أو انفصـام الشخصية فى بعض صوره المتميزة عن المس أو الاستحواذ الروحى .

وقد تضعف هذه الشاشة بطريقة ارادية غير مرضية . أو قد تزول مؤقتا أثناء النوم فيرى النائم مشاهد متنوعة عن طريق اللاشـعور قـد يكون بعضها صحيحا . وقد تضعف بطريقة ارادية عابرة فى الغيبـوبة المغناطيسية ، أو الروحية ، وفى النشوة الدينية . كما قد تزول أو تضعف بعد تخلص الانسان نهائيا بالوفاة من نشاط المخ ، والجسـد الفيزيقى بوجه عام ، ولهما صلة وثيقة بنشاط هذه الشاشة الذهنية الرقيقة .

واذا تخلص الانسان من نشاط المخ ، فان له نشاطا للعقل متحررا من المخ . واذا تخلص من نشاط الجسد الفيزيقى ، فان له نشاطا للجسد الكوكبى متحررا من المـادة الفيزيقية وعاملا خلال « مادة » رقيقة أثيرية ، لذا يطلق عليه الجسد الأثيرى ، أو السيال ، أو الرقيق . وهو جسـد مفرط فى رقته ، ومرونته ، وخضوعه لتـأثير العقل تأثيرا مباشرا فيه ، ومن ثم يبـدو فى محله تمـاما الرأى القـائل بأن الطبيعة تدربنـا على الموت عن طريق النـوم ، وتشـعرنا بوجود الحياة الأخرى عن طريق الأحلام .

* * *

وقد يقال — حتى مع التسليم بوجود الجسـد الأثيرى للانسان — بأن العقل الباطن أو اللاشعور ينبغى أن يعد هو المصـدر الحقيقى لهذه

المشاهد والرؤى • وهذا القول لا يخلو من الصحة ما دام الجسد الأثيرى هو موطن اللاشعور والشعور أيضـا ، لكنه يثير عدة اعتبارات جوهرية تناقش عند الباحثين تفصيلا قبل الوصول الى نهاية الشوط :

— منها ضرورة الاقرار لهذا الجسد الأثيرى بالقـدرة على الخروج من الجسد المـادى ، والعودة اليه دون أن يصيب هـذا الجسد المـادى أى أذى • وعندئذ يتعين بحث كيفية الخروج والعودة ، وملابساتهما ، وآثارهما • وكلها موضوعات فى غاية الخطورة والدقة • لأن كل ما يمت بصلة الى دراسة روح الانسـان فى غاية الخطورة والدقة والأهمية ، والصعوبة أيضا •

— ومنها الاقرار لهذا الجسد الأثيرى بالقدرة على الاحساس بدون أية استعانة بأدوات الاحساس المـادية التى يتركها وراءه عنـد الخروج من الجسد الفيزيقى •

— ومنها الاقرار لهذا الجسد الأثيرى بالقدرة على مشاهدة الجسد الفيزيقى نائما على فراشه ومشاهدة الأشياء المـادية المحيطة به ، وهو ما قد تحقق فى اختبارات كثيرة •

— ومنهـا الاقرار لهذا الجسـد بالقدرة على اختراق الحواجز المـادية ، والسياحة فى مناطق منوعة من عالمى المـادة والأثير ، والاتصال بكائنات مختلفة من عالمى المـادة والأثير ، على ما حدث فى جملة مناسبات •

— وبالنظر لاسـتقلال هـذا الجسـد عن مقابله الفيزيقى فينبغى الاقرار له بأنه المركبة المحتملة للخلود ، وموطن اللاشعور على المستوى المـادى ، والشعور على المستوى فوق المـادى •

— وبالتالى فان الموت يصبح خروجا أبديا من الجسـد الفيزيقى للعيش فى مستوى آخر من مستويات الوجود غير المـادية ، وبذا تنتهى

رهبة الموت والنظر اليه باعتباره فناء للعقل ، أو رقادا فى ظلمة رهيبة . وكل ما يحدث هو أن الشخصية تتطور ، أما الروح صاحبة الشخصية وحاملة العقل فهى الى خلود محتوم لا خيار لأحد فيه ، ولا هروب لأحد منه .

* * *

واذا أضيف الى ما تقدم أن التأثير المباشر للعقل فى المادة ، وبالتالى فى الأثير أصبح حقيقة رياضية ، وأنها ينبغى أن تدخل فى الحسبان أيضا عند محاولة وضع أية نظرية صحيحة وشاملة عن المشاهد والرؤى والأحلام ، لوضح الى أى مدى تبدو التفسيرات النفسية القديمة « بالعقل الباطن الصرف » قاصرة جدا عن الكمال . ويكفى فى تبيان قصورها أنها تجهل أو تتجاهل هذا الجسد الأثيرى كما تتجاهل فى نفس الوقت معانى الزمان والمكان فى الفيزياء الحديثة . وذلك بالاضافة الى حدود التسيير والتخيير فى تصرفات الانسان عندما تكون مقودة بانفعالات عقله الواعى أو الباطن ، فى اليقظة أو فى النوم[1] .

ولا ريب أن هذه الاعتبارات مجتمعة من شأنها أن تجعل مهمة علم النفس فى الوصول الى نظرية صحيحة وشاملة عن مشاهد الغيبوبة شاقة جدا وتقتضى قطع مرحلة كبيرة فى ارتياد أوعر المسالك فى العقل والروح، وبوجه خاص فى الجسد الأثيرى الذى وضحنا بعض أسانيده فى الفصلين الأول والثانى من الباب الحالى .

الجسد الأثيرى والطرح الروحى

فهذا الجسد الأثيرى يمكن أن يخرج عن الجسد المادى ، خروجا تاما أو جزئيا دون أن تحدث الوفاة ، بسبب وجود حبل أثيرى يربط بين

---

(١) كما تتجاهل أيضا مشكلة الخلود ، وهى لها أسانيد كثيرة فى البحوث الروحية والنفسية الحديثة ، وتجعل للعقل غير الواعى تاريخا مستقلا — ولو الى حد ما — عن تاريخ العقل الواعى .

الجسدين الفيزيقى والأثيرى • وهـذا الحبل مطاط ومرن الى أبعد الحدود • وهو لا ينفصم الا عند الوفاة •

وخروج الجسد الأثيرى من الجسد المـادى سواء أكان جزئيا فى صورة زحزحة طفيفة ، أم تاما فى صورة طرح روحى تام Astral Projection يحدث فى النوم أحيانا ، أو فى غيبوبة التنويم الوساطية • وهى تثبت امكان استقلال الحواس استقلالا تاما أو جزئيا بحسب الأحوال •

ومن أحسن العلمـاء الباحثين فى ظواهر الطرح الروحى روبرت كروكول Robert Crookall الأستاذ بجامعة أبردين Aberdeen فقد قام بتسجيل مئات من الحالات الواضحة للطرح الروحى وبتحليلها بفهم وبراعة ، ولا يدانيه فى هذا الميدان أحد(١) •

وروبرت كروكول هـذا عالم جمع بين ثقافات منوعة ، فهـو عالم جيولوجيا من طراز رفيع كان مديرا « لمعهد العلوم الجيولوجية » فى بلاده • وهو فى نفس الوقت باحث نفسى ممتاز وعضو فى عدة جمعيـات روحية فى بلاده ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى الهند •

وله فى البحوث الروحية انتاج رائع ، خصوصا فى ظواهر الطرح الروحى ، وأردية الأرواح ••• وقـد وصف البروفسور هورنل هارت Hornell Hart أعمـاله بأنها تشـكل « أهم انتـاج يجـرى الآن فى الباراسيكولوجى » وتجد قائمة بأسماء مؤلفاته ــ وهى لا تقل الآن عن خمسـة عشر مؤلفـا ــ فى كتـاب عنوانه « الحيـاة والموت والبحث

(١) من أحسن كتبه : Events on the Threshold of the After - Life (1967).

وتجد فى خاتمته بيان بالمئات من المراجع فى الظواهر الروحية بوجه عام والطرح الروحى بوجه خاص •

الروحى » (١) (١٩٧٣) لمجموعة من صفوة العلماء المعنيين •

ومنهم أيضـا الدكتور ا • ا • برنارد E. E. Bernard وهو أستاذ علم نفس يعمل حاليا بجامعة ولاية شمال كاروليناNorth Carolina بمدينة رالى Raleigh وهو يعتقد أن واحدا بالأقل من كل مائة شخص اختبر الطرح الروحى مرة واحدة بالأقل فى حياته • وهناك أشـخاص يختبرون هذه الظاهرة بوصفها شيئا شائعا ومألوفا فى حياتهم • وهؤلاء هم وسطاء الطرح الروحى projectors, projectionist .

وقام أيضـا الدكتور هوايتمان J. H. M. Whiteman وهو أستاذ طبيعيات ورياضـة بتجميع أكثر من ألفى حالة ، واختبر بنفسـه ظاهرة « الانفصال » separation هذه ــ كما يطلق عليها ــ وهى ظاهرة داخلية تتطلب اقترابا جديدا من العلم ، على أن يصبح العلم مغايرا بصفة أساسية للعلوم المـادية ، أو للمعتقدات الراسخة فى السلوك الانسانى • وهو يعتقد ــ كما يعتقد آخرون ــ أننا ننتمى الى هذه الذات أو الحقيقة الداخلية أكثر مما ننتمى الى العالم المـادى المحيط بنا •

وأرسلت الآنسـة فرانسيس بانكس Frances Banks وهى باحثة نفسية استمارات استطلاع الى ثمانمائة شخص يقيمون فى بريطانيـا ، وكان من ضمن نقاط الاستطلاع موضوع اختبارات الطرح الروحى • فأجاب بعضـهم ولم يجب البعض الآخر ، ولكن ٤٥٪ ممن أجابوا عن الاستطلاع قالوا انهم قد مر بهم هذا الاختبار •

وهذه الاختبارات لا ينبغى الخلط بينها وبين اختبارات التصـوف أو الغيبوبة الروحية فى معناهما المـألوف ، ويبدو أنها حدثت هنا الأشخاص

---

(١) Life, Death, and Psychical Research

وفى هذا الكتاب تجد بحثا لروبرت كروكول عن ظواهر الطرح الروحى ص ٦٦ ــ ٨٨ •

فى مقتبل العمر ، وبدون أن تكون لهم اهتمامات خاصـــة بالموضوعات الروحية • فهى قد حدثت لهم تلقائيا وبطريقة لم تكن مفهومة ولا متوقعة منهـــم •

وقام علمـــاء آخرون بعمليات مســـح على نطاق واســـع فى خلال العشرين عاما الأخيرة ، فأظهرت أن نسبة عالية حتى من الصبية والأطفال قد مرت باختبارات مماثلة •

ومنهم الدكتور هورنل هارت Hornell Hart الذى فى سنة ١٩٥٢ سأل ١٥٥ طالبا بجامعة ديوك بمدينة ديرهام Durham بكارولينا الشمالية عما اذا كانوا قد شاهدوا مرة أجسامهم الفيزيقية من زاوية تقع خارجا عنها ، مثل الوقوف بجوار الفراش مع النظر الى الجسم ملقى عليـــه ، أو أنهم شـــعروا بنوع من الطفو فى الهواء بجوار أجســـامهم • فأجاب ثلاثون فى المـــائة منهم بالايجاب ، وقالت غالبية هـــذه النسبة الأخيرة ان هذه المشاهدة تكررت أكثر من مرة(١) •

وبعد دراسات موسعة انتهى الدكتور هارت الى أن ٢٠٪ بالأقل من مستوى الطلبة الشـــبان يعتقـــدون أنهم اختبروا نوعا أو آخر من أنواع الطرح الكوكبى أو الخروج من الجسد •

ومنهم الدكتورة سيليا جرين Celia Green التى أرسلت بدورها اســـتطلاعا فى ســـنة ١٩٦٦ الى لفيف من طلبـــة جامعة ســـوثهامبتون Southhampton يبلغ عددهم ١١٥ بنفس المعنى المشار اليه آنفا فأجاب ١٩٪ منهم بالايجاب • وكررت هذه الباحثة المعروفة نفس الاستطلاع فى سنة ١٩٦٧ عند ٣٥٠ طالبا بجامعة اكسفورد Oxford فأجاب ٣٤٪ منهم بالايجاب(٢) •

---

(١) Hornell Hart : The Enigma of Survival. London 1959.

(٢) Rosalind Heywood : Attitudes to Death in the light of dreams and other out-of-the-body experience 1968.

ومع ذلك فان غالبية النفسيين لا تعطى لهذه الظاهرة قيمتها الحقيقية ، وتميل الى انكار حقيقة ظواهر الخروج من الجسد exomatic Phenomena ، بل وجود أية صيغة من صيغ الوعى خارج الجسد • وتنسب هذه الاختبارات الكوكبية الى محض الاختلاق ، أو الهذاء ، أو بعض الأعراض العصابية ••••• أما عند من اختبر هذه الظاهرة فان الطرح الروحى ليست له خصائص الهذاء ، بل هى ظواهر حية وحقيقية • وتختلف تماما عن محض الحلم ، أو أخيلة الرؤية • واذا كانت حلما ، فهى حلم مغاير تماما لأى حلم آخر مر به ، بما تتميز به هذه الظاهرة من وضوح ، ومن احساس مباشر بها ، ومن شعور طاغ بأنها اختبار حقيقى •

ثم انه فى الحلم العادى تختفى ملكة النقد عند الحالم ، ولا يحدث هذا عند الطرح الواعى • والانسان الذى يعود الى وعيه بعد الحلم يعلم أنه كان يحلم ، أما بعد الطرح الروحى فيكون مقتنعا بأنه مر باختبار واقعى لا يمت الى الخيال بصلة(١) •

وليس معنى هذا أن كل احساس بالطرح الروحى يمثل طرحا حقيقيا ، لأنه من المتصور أن يحدث فى هذا الشأن وهم ، أو تصور خاطىء أحيانا ، كما فى العديد من الظواهر الروحية • لكن الأمر الهام هو أن هناك الى جانب الحالات الوهمية حالات أخرى حقيقية يلزم المحلل النفسى أن يوليها حقها من العناية ، وألا يسقطها تماما من الاعتبار •

وكل المطلوب من المحلل النفسى ألا يقتصر — عندما يجد حالة

---

(١) للمزيد عن الطرح الروحى راجع :
Benjamin Walker : Beyond the Body, The Human Double and the Astral Planes. London 1974.
Robert A. Monroe : Journeys out of the Body. London 1972.

صارخة أمامه ــ على وجهة نظر السيكولوجى التقليدية ، وألا يغفل أبدا وجهة نظر الباراسيكولوجى ، التى كثيرا ما تكون لهـا أسانيد واقعية ثابتة ، وتتميز عن سابقتها بأنها ليست مؤسسة على محض افتراضات ، أو مزاعم نظرية ، بل خضعت لأساليب من التحقق والتثبت لم تكن أبدا فى متناول العلم فى المـاضى •

عن التعليل العلمى لهذه الظواهر

كان من الطبيعى أن يثير موضوع « الخروج من الجسد » الكثير من النقاش ليس فحسب من ناحية تسجيل حصول الظاهرة عندما تحدث، وتجميع البينات فى شـأنها ، بل أيضـا ــ وبالذات من ناحية محـاولة الوصول الى تعليل مقنع لها ، سواء أكان التعليل ماديا أم روحيا •

وكان من الطبيعى أن يتجه التعليل المـادى الى نظرية العقل الباطن محاولا أن يجـد فيها ضالته المنشودة ، ومحاولا أن يضفى على هـذا العقل الباطن ملكات جديدة متزايدة لم تخطر مطلقا حتى على بال أصحاب نظرية العقل الباطن فى مفهومه النفسى الصرف ، هذا المفهوم الذى تطور كثيرا فى ضوء علم الروح الحديث •

فقيل فى هذا الشأن أن كل انسان يحمل فى عقله الباطن صـورة كاملة دقيقة مرنة قابلة للتشكل من ذاته الواعية ، وأن بمقدوره أن يطرح هـذه الصـورة اراديا عن طريق « التلباثى » أو التراسل الفكرى الى مسـافة بعيدة عنه حتى يتلقـاها وعى مستقبل recipient ما فيدرك وجوده على نحو أو آخر •

كما قيل فى تعليل آخر ان شكل الانسان المطروح هو مجرد «شكل عقلى » شخصى ليس له كيان موضوعى ، ولا يمت للواقع بصلة ، وهو من صنع مجرد هلوسة واعية فى ذهن الانسان الطارح ، أو الانسـان المستقبل •

رأى أندرية ديماس

ويعلق البحـاثة أندرية ديماس André Dumas على الافتراض الأول(١) بأنه اذا كان كل انسان يحمل فى عقله الباطن صـورة من ذاته فان هـذه الصـورة ينبغى أن تتضمن مظهرنا الكامل بحيث أن أشباح الأحيـاء لا تكون سـوى طرح مرن قابل للتشـكيل Projection idéoplastique للذات اللاشعورية .

لكن اذا نظرنا الى هـذه الأشباح من الداخل لا يبدو الحل بمثل هذه السهولة :ـ

ـ فمن جهة يكون لدينا امتداد للحاسة الروحية Sens psychique بغير أن يغير الوعى مكانه ، وهذا هو « الجلاء البصرى » Clairvoyance

ـ ومن جهة ثانية يكون هناك انتقال مكانى للذات خارج الأعضاء الفيزيقية النائمة ، وبغير وجود شبح مرئى ، وهذا هو « تزحزح الوعى » Télesthésie (بالأنكليزية Telesthesia) (٢) .

ـ ومن جهة ثالثة يكون هنـاك ظهور شبح بتفصيلات متنوعة : ومن ذلك « الأشباح التلباثية » التى يراها عدة شهود ، و « المقـابل » الذى ينظره نفس صاحبه Doubles Autoscopiques .

ـ وفى نهاية هذه السلسلة من الظواهر تجئ ظاهرة اتخاذ الذات مكانا Localisation du moi خارج الأعضاء الفيزيقية مع ظهور

---

(١) فى مؤلفه عن « علم الروح » La Secience De L'Ame.

(٢) وهذا التعبير يقصد به بالضبط قدرة ادراك عن بعد خلال رابطة روحية مع مكان ما أو بيئـة معينـة ، وهى أقل من الجلاء البصرى لأنهـا محصورة فى قدرة ادراك الأشياء أو الظروف المـادية ، وهى من ابتكارات العلامة مايرز منذ سنة ١٨٨٢ عندما اكتشف أن الصلات بين الأشخـاص المبتعدين لا تنصب على انتقال الأفكار فحسب ، بل أيضـا على انتقـال المشـاعر ، والدوافع المحركة وسائر الانطباعات الأخرى التى لا يسـهل تحـديدها .

شبح منظور من شاهد واحد أو أكثر من شاهد ، ومع تذكر ما حدث كما حصل بالنسبة « لحالة جوته » مع الشبح فردريك ، وكما حصل خصوصا فى « حالة ويلموت » (١) .

وهذا القول أراد به أندريه ديماس أن يرد على تعليل رينيه سيدر R. Sudre الذى حاول اعتباطا أن يعلل هذه الظواهر كلها بأنها عبارة عن « طرح عقلى قابل للتشكل عن بعد » Projection idéoplastique à distance . أى عبارة عن صورة خاصة من صور التلباثى أو الاتصالات العقلية عن بعد ، كما حاول من قبل أن يعلل ظواهر التجسدات المادية الثابتة فى نظره بنظريته الغريبة فى هذه « الأشكال العقلية المرنة » التى ليس لها كيان موضوعى ، وقد تكفل بوزانو بالرد على هذا الافتراض الغريب ودحضه تماما .

وهاهو ديماس يوجه نظر سيدر الى عدم الخلط بين ظاهرة معينة وأخرى ، والى عدم التعميم المتعجل الخاطىء بالنسبة لظواهر الطرح الروحى ، كما فعل بوزانو نفس الشىء عندما وجه نظر سيدر الى خطأ نفس الخلط ونفس التعميم المتعجل فى شأن الظواهر الاكتوبلازمية التى سلم بها سيدر نفسه .

موقف جيمس هايسلوب

ثم أن التلباثى ، أى التخاطر العقلى ، وان كان ظاهرة صحيحة علميا الا أن له اطارا معينا ، وقدرات خاصة لا يتجاوزها ، ولا يمكن بالتالى أن يدحض التفسير الروحى لبعض الظواهر غير المألوفة .

ويكفى فى هذا الشأن أن نلاحظ المعلومات الصحيحة الدقيقة التى حصل عليها بعض أصحاب الطرح الروحى عن طريق هذه الظاهرة مضافا الى ذلك شهادات شهود الرؤية الذين شهدوا الشبح فى حالات كثيرة وسجلوا وجوده على نحو أو آخر كما نجحت الكاميرا فى تسجيل وجوده

---

(١) راجع فى شأن هاتين الحالتين « مفصل الانسان روح لا جسد » جـ ١ صفحة ٩٣١ - ٩٣٣ .

مرارا عديدة فى ظروف معملية ، فقطعت جهيزة قول كل خطيب . لأنه ليس للكاميرا عقل واع ولا باطن يكون على صلة بعقول الآخرين وقت الطرح الروحى أو بغير طرح روحى (١) .

وانما قبل أن نعلل نتائج التحقيقات المعملية المتنوعة فى الطرح الروحى — وبصرف النظر عن قيمة أى تعليل مقترح — يكفى أن نقول أن الدكتور جيمس هايسلوب James Hyslop الأستاذ بجامعة كولومبيا وهو من أحسن من بحثوا ظواهر « التلباثى » لاحظ على التعليل « بالتلباثى » أى بتراسل المشاعر والأفكار (٢) انه لا يوجد بينة علمية واحدة على صحة شىء مما يلى من أمور :

أولا : أن بمقدور « التلباثى » أن يقوم باختيار محتويات معينة من عقل باطن أى انسان . أى أن التلباثى ينقل جزافا ولا يتخير .

ثانيا : أن بمقدور « التلباثى » أن يتخير بعضا من محتويات العقل الباطن لانسان بعيد ، وأن يشيد عن طريق المستقبل Recipient من الوقائع التى حصل عليها تصويرا كاملا لشخصية معينة .

ثالثا : أن بمقدور « التلباثى » أن يتخير ذكريات معينة من عقل انسان حى لكى يشخص انسانا ميتا Impersonation .

رابعا : أن بمقدور « التلباثى » أن ينقل الأفكار لجميع الأشخاص الأحياء الى غيرهم فرديا ، مع تخير الوقائع الضرورية « لتشخيص » انسان حتى من أحد الأشخاص الحاضرين .

خامسا : أن بمقدور « التلباثى » أن يتضمن اتصالا مباشرا مستقرا بين الراسل والمستقبل .

---

(١) انظر عدة نماذج منها فى « مفصل الانسان روح لا جسد » . الجزء الأول صفحة ٩٤٩ .

(٢) فى مؤلفه « اتصال بالعالم الآخر » .
Contact with the other World.

سادسا: أن بمقدور « التلباثى » أن يكون تفسيرا فى أى معنى كان، مقبولا لحالة معينة بذاتها (من هذه الحالات) ...

فالخروج الواعى من الجسد المؤيد بوقائع ثبتت صحتها فيما بعد بطرق التحقيق المادية لا يمكن تفسيره بالتراسل أو بالتلباثى . وهو فى ذلك يختلف عن بعض الظواهر الروحية الأخرى مثل الجلاء السمعى أو البصرى ، اذ قد يمكن — فى بعض الصور فحسب — أن يتدخل التخاطر على وجه أو آخر بين راسل ما ومستقبل فى عالم المادة مهما بعدت المسافة . أو بين راسل ومستقبل أحدهما فى عالم المادة والآخر فى عالم ما وراء المادة ... ولكن هذا موضوع آخر .

وبالتالى فان التخاطر قد يلعب دوره فى الخروج من الجسد عندما يكون الطرح الواعى مقرونا بالجلاء البصرى ، أو بالجلاء السمعى المعاصر، وهو ما يحدث عادة . ولذا فان التخاطر قد يفسر بعض ما يحيط بالواقعة نفسها من ملابسات ، أما عملية الطرح الثابتة نفسها فلا تفسر بالتخاطر ، بل بالتفسير السهل البسيط وهو قدرة الجسد الكوكبى على الانطلاق المؤقت من الجسد الفيزيقى .

رأى ارنستو بوزانو

ولهذا السبب يقول أرنستو بوزانو العالم النفسى الايطالى : « ان هذه الظواهر عن الطرح الروحى ذات أهمية كبرى فى دراسات ما وراء الروح ، ما دامت تظهر أن المظاهر الحيوية رغم أنها مرتبطة بالوظائف النفسية الفسيولوجية لأعضاء الأحياء ، الا أن لها مصدرها فى شىء يختلف نوعيا Qualitatively عن الأعضاء نفسها ، ومن ثم فانها تضفى قيمة خاصة على الظواهر التجريبية عن دوام حياة الروح الانسانية .

وبعبارة أخرى أن ظواهر الازدواج تبين أنه يوجد بداخل الجسد العضوى الملموس جسد آخر أثيرى كامن فيه ... وان وجود هذا الجسد الأثيرى متداخلا فى الجسد العضوى يجعل من الطبيعى وجود مخ أثيرى بداخل المخ العضوى .

واذا كان الأمر كذلك فانه يبــدو لنــا محققا صحة النتائج التى تكشف عنها التجارب التى تمت بامتحان علمى • وعنــدما يتحقق هــذا الحدث العظيم (عن ثبوت الجسد الأثيرى علميا) فان عصرا جــديدا سيشرق فى أفق المعرفة الانسانية وسيؤدى الى زحزحة الفكرة عن الكون من وضــعها الوضعى الآلى الى فكرة أخرى عن الوجود ديناميكية — روحية بكل نتائجها فى النظر الى الانسان من النواحى الفلسفية والاجتماعية والدينية » (١) •

رأى ملدون وكارنجتون

ويقول الأمريكيان ملدون وكارنجتون عن نفس هذا الموضوع : « لقد قدمنا فى الكتاب الحالى عددا ضخما من الحالات التى تثبت بلا ريب ، فى رأى أولئك الذين اختبروها ، وأيضــا فى رأى المؤلفين المعاصرين ، أن الطرح الكوكبى حقيقة • أى أن الانسان بمقدوره أن يغادر جســمه الفيزيقى تلقــائيا أو اراديا ، وأن يجتاز مســافات بعيدة وهو فى مقابله الأثيرى ، مع الاحتفاظ بوعيه المــألوف طيلة الوقت • وجميع الطارحين المختبرين متأكدون تماما من هذه الحقيقة المبدئية •

فاذا كان الأمر كذلك ، فان هذه حقيقة هامة للغاية لأنها تثبت لنــا أن الانسان ليس مخا ماديا ، ولا هو نتاج مناشطه العضوية • وفى هذا المقام ينبغى أن يمثل المخ نوعا من آله تعمل الروح عن طريقها ، كما ذهب الى ذلك الفيلســوف وليــام جيمس W. James فى مؤلفــه عن « الخلود الانســانى » (٢) • وكمــا ألح عليها وليــام مكدوجال (٣) •

---

(١) عن مؤلفه Discarnate Influence on Human Life
ترجمة انكليزية
ولاحظ أن هذا القول يرجع الى أكثر من نصف قرن . وبعدها أخذ ثبوت وجود هذا الجسد الأثيرى يغزو الدوائر العلمية الواحدة بعد الأخرى على ما بيناه فى الفصول الثلاثة السابقة .

(٢) Human Immortality.

(٣) وهو واحد من أبرز علماء النفس فى القرن الحالى .

W. Macdougall فى مؤلفه الضخم عن « الجسد والروح » (١) .

واذا كان بمقدور الانسان أن يحيا ، وأن ينشط خارج جسمه ، فما الذى يمنعه من مداومة النشاط عندما يصبح المخ المادى لا وجود له ؟ اذا كان الانسان هنا منذ الآن كائنا روحيا ، فان ظهور حياة أخرى فى عالم روحى ما ، لا يصبح فحسب أمرا راجحا ، بل مؤكدا فى الواقع . لأنه اذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا أعطى الانسان مثل هذه المواهب ؟ ولماذا كان الانسان كائنا روحيا ما لم يكن من قدره أن يستخدم مواهبه فى عالم آخر من هذا النوع ؟ .

واذا كان الانسان كائنا روحيا حقيقة فان ذلك كفيل بتدمير أسس المادية تماما ، وبأن يقود العقل الى تقبل صيغة ما من حياة مستقبلة ، وبأن يعطى للحياة مغزى من المحال أن تحصل عليه عن اى طريق آخر . وقد عبر فردريك مايرز عن ذلك عندما قال عن الظواهر الروحية انها يمكن أن تصبح المدخل المبرر لجميع الأديان » .

ولا يعنى ذلك مطلقا أنه سيكون علينا أن نتقبل جميع المعتقدات المتزمتة . فان آراء المتزمتين لم تؤيدها اختبارات أولئك الذين زاروا العالم الكوكبى ، والذين يعرفون شيئا عن ظروف الحياة فى « الجانب الآخر » . فبدلا من الجنة والجحيم الخرفيين يقابلون كائنات روحية مثلهم ، ويتحدثون معها فى اطار عقلى لا يختلف عن اطارنا . وهذه الكائنات تقول انها تسير على درب للتطور يبدو بلا نهاية ، حيث تسود الحرية والسعادة ، وحيث يتوقف قدرهم وسعادتهم الخاصة عليهم كما هى الحال عندنا .

وتقبل هذه الفلسفة لا يدفع بنا مطلقا الى نظريات القرون الوسطى الضيقة الأفق ، بل أنه يدعنا أشخاصا أحرارا ، احرارا لأن نعمل لأجل

---

(١) The Body & The Spirit.

خلاصـنا الخاص ». وهذا هو لب هـذا النظر الفلسفى الجـديد المليء بالعزاء ، وبالرجاء ، وبالثقة » (١) ....

موضع « الطرح الروحى » بين الظواهر الشخصية والموضوعية

ويناقش ملدون وكارنجتون أخطر نقطة فى موضوع الطرح الكوكبى ، وانتقال أشباح الأحياء ، وهى هل هذه الظواهر مع ثبوتها ينبغى أن نعتبر ظواهر شخصية أم موضوعية ؟

فيقولان ان ما يطلق عليه « أشكال عقلية » هى فى حقيقتها ظواهر تجمع بين خصائص النوعين معا :

ففى معنى من المعـانى هى ظواهر شخصية ، وفى معنى آخر هى ظواهر غير شخصية ... ومنذ سـنوات سابقة اجتذبت هـذه النقطة انتباه مايرز ، لذا صـاغ تعبيرا جديدا لتعيين هـذه الظاهرة فتحدث عن « مراكـز مولدة للأطيـاف » Centres phantasmogénétiques وهى عبـارة عن مكان فى الفضاء يلحقه تعديل ما أو تأثير نتيجة كائنات تغزوه بغير أن تشغل فيه فراغا بالمعنى التقليدى للكلمة . وقال فى هـذا الشأن : « ان الخط الفاصل بين المـادى وغير المـادى لا يعنى أمرا آخر أكثر من الخط الفاصل بين الظواهر التى يمكن لحواسنا ولأجهزتنا أن تتعقبها ، وبين تلك التى لا تؤثر فيها . وكل مشكلة الصلات بين ما هو مادى وما هو روحى أو بين التفكير والارادة ، أو بين الفضـاء والمـادة تفرض نفسها على انتباهنا بمجرد اهتمامنا بهذه الموضوعات .

ففى كل لحظة نكتشف أن الصعوبات المـألوفة تتغير فى مظهرها وأن بعض المعضلات التى يمكن للباحث فيما وراء الطبيعة أن يدعها جانبا ، وللفيزيائى أن يتجاهلهـا ، تفرض على الباحث الروحى اختيارا صعبا .

وهذه الصعوبات يشعر بها بوجه خاص الانسان الذى يطرح جسده

---

(١) راجع : — H. Carrington & S. Muldoon : the Phenomena of Astral Projection. The Projection of the Astral Body.

الكوكبى ، اذ تواجهه دائما ليست فحسب صعوبة اثبات موضوعية شكله الخاص المطروح ، بل أيضا الصعوبة فى أن يميز هو نفسه درجة هذه الموضوعية • وهذا أمر يبدو غريبا للقارىء الذى لم يختبر بنفسه طرحا حقيقيا ، مع أنه قد يبدو ذلك من اليسير تحديده بالنسبة لمن عاش الاختبار •

لكن بمجرد الطرح يدرك الطارح أن ملكات العقل قوية الى حد احداث سلسلة من التغيرات الطيفية (نسبة الى ألوان الطيف الشمسى) ليس من حوله فحسب ، بل من داخله مثلا لخلق رداء للشكل المطروح • ومجرد واقعة أن الطاقة العقلية للشكل المطروح يمكن أن نصادف خداعا ، وخيالات من هذا النوع لا تنفى بالمرة وجود هذه الطاقة العقلية حاضرة وسليمة ، كما أكد البعض •

فهذه الصور من الخداع ومن الخيالات اختبرتها كائنات انسانية مليئة بالحياة ، وسليمة العقل والروح ••• وليست هذه حجة تثار ضد صحة الوعى الكوكبى المطروح أن تتقبل امكان حدوث ظواهر مماثلة للروح الكوكبية عندما تكون البيئة قابلة للتشكل Plastique وسيالة Fluidique ويكفيها فى يسر نشاط العقل • وفى الواقع عند اعمال الفكر يبدو شيئا طبيعيا أن يكون الأمر كذلك ، وهو ما ينبغى توقعه فى هذه الظروف عندما تعمل روح الطارح فى أوضاع غريبة الى هذا الحد وغير مألوفة •

فهذه الظواهر تبين فحسب الصعوبة الخاصة بمراقبة الطاقة العقلية عندما يختبر الانسان طرحا ، ولا تثبت أن هذه الطاقة تحولت بطريقة اعجازية الى وعى وهمى • وهذا التمييز تحقق منه كل طارح واع ••• ولا يوجد واحد ممن يعيشون اختبارا من هذا النوع يكون لديه الاحساس بأنه يحلم ، لأنه يعلم تماما أنه واع تماما ، رغم قدرته على اكتشاف صعوبة السيطرة على هذا الوعى بطريقة ملائمة •

ولكن أليس من الصحيح أننا نواجه مرارا نفس الصعوبة فى حياتنا اليومية ، وأن التركيز الحقيقى للروح نادر نسبيا ، لأن طاقة العقل تميل

الى التشرد Vagabonder بمجرد التمكن من ذلك ؟ ان أحـدا لا يفكر فى أن هـذه الخاصية حتى عندما تصل الى مستوى حلم اليقظة تثبت أن الشخص نائم حالم فى المعنى المـألوف للكلمة •

ومع ذلك فهذا هو نوع النقد الذى يعترض به على ابطارحين عندما يتحدثون عن اختباراتهم ، وقد وقفنا عنـده لأنه هام جدا ، ولأنه هـو الاعتراض الوحيد ذو المظهر المنطقى الذى يمكن توجيهـه الى صـحة الاختيارات الكوكبية المماثلة ••• ومع ذلك فهذا ليس اعتراضا منطقيا كما يعلم أى إنسان اختبر طرحا روحيا حقيقيا واعيا لجسده الكوكبى • ولنقل من جديد الى النـاقدين : « اختبروا الطرح الكوكبى ، وعندئذ فحسب ستعرفون ما هو » •

* * *

ثم يقول المؤلفان نقلا عن شارل ريشيه (جائزة نوبل فى الفسيولوجيا) انه من المفيد جدا امكان التمييز الدقيق بين ما هو موضوعى وما هو ليس كذلك • فاذا كانت الظـاهرة منظورة فانها يمكن أن تسمى شخصـية اذا كانت لا تؤثر فى لوح فوتوغرافى حساس ، أو اليست عرضة لأن تؤثر فيه • ولكن بما أن هـذا الاختبار لا يمكن استخدامه الا نادرا ، فانه ينبغى العثور على معيار عملى أكثر منه ، ونحن نقول أن الظـاهرة تكون موضوعية عندما يتلقى جميع الأشخاص الذين يشاهدونها نفس الانطباع الحسى •

ومن ثم توجد درجات متعددة فى « الموضوعية » لأنه عندما يتصور وسيطان أنهما يشاهدان نفس الشبح ، فان هذا الشبح يصبح موضوعيا من زاوية أو من أخرى رغم أن الشبح يمكن ألا يؤثر فى اللوح الفوتوغرافى •

ثم يقولان « توجد بلا ريب — على ما قرره ريشيه — درجات متعددة من « الموضوعية » • وهذا ما لا تدركه سوى قلة من الباحثين ، لكننا نجد أنفسنا مجبرين على افهامه للقراء منذ البداية • فدرجة « موضوعية » شبح يمكن أن تتفاوت من الشكل العقلى الذى يميز بصعوبة الى التجسد الكامل •

ولذا لا يمكن وضع حد فاصل بين ما هو موضوعى وما هو شخصى، لأن الظواهر الروحية أكثر رقة ومرونة من ذلك . ولا ريب أن الكثير من صعوبات الماضى نجم عن محاولة الباحثين ادراج كل ظاهرة فى نوع محدد ، مع أن ثمة تغيرات بل وتحولات Mutations فى هذه الظواهر كما هو الشأن فى النباتات وفى الأعضاء الحية ...

والسيدة هنرى سيدجويك H. Sidgwick (١) انتهت بدورها فى مقال لها عن « المنازل المسكونة » فى « مضابط جمعية البحث الروحى » — بعد أن قدمت عدة نظريات تفسيرية — انتهت الى القول بأن هذه الظواهر يمكن أن تفسر بجميع هذه النظريات مجتمعة ، أو بنظريتين أو أكثر منها . وهذا القول يصح بوجه خاص على حالات طرح الجسد الكوكبى عندما تتبادل الخصائص الداخلية والخارجية للظاهرة التأثير بعضها فى البعض الآخر بأسلوب يصعب تحليله ...

ويكتب الدكتور أوستى Osty فى مؤلف له عن « الأوجه فوق المألوفة للطاقة وللمادة »(٢) ، « كشأن المعرفة غير المألوفة للحقيقة فى الزمان أو فى المكان ، فان المعرفة غير المألوفة للوظائف المنظمة للحياة تكشف أن وراء نشاط الروح التى تفكر ، وتشعر ، وتتصرف فى المادة ، يوجد مستوى آخر عاقل للانسان، لا يكون ظاهرا فى المعتاد ، لكنه يحتوى فى الراجح الحقيقة العظمى من أنفسنا ، ويكون جزءا من مخطط للحياة مغاير تماما لذلك الذى نمارس فيه ذكاءنا المعتاد »(٣) .

ثم يقول المؤلفان : « من الطبيعى أن يدرك جميع الناس أن الحلم

---

(١) هى قرينة هنرى سيد جويك أستاذ الأخلاق بجامعة كامبريدج والرائد الروحى المعروف .

(٢) Aspects Supranormaux de L'Energie Et De La Matière. P. 39.

(٣) عن كتاب « ظواهر الطرح الروحى » للمؤلفين كارنجتون وملدون . الترجمة الفرنسية ص ٢٨ — ٤٨

العادى عبارة عن محض بنيان شخصى ، ويقبل غالبا التفسير • والأشخاص البدائيون جدا يتصورون وحدهم أن كل الأحلام تمثل سياحات للروح فى مستوى آخر ••• أن غالبية الأحلام غامضــة ، ضعيفة الأثر ، ويسهل نسيانها • أما عندما يكون الحلم مخالفا للمألوف مخالفة صريحة فإنه على العكس من ذلك يكون مركزا ، وقوى التأثير ، وقلما ينساه الحالم •

ويمكن لهذا الحلم أن يكون تخاطريا ، أو كشفيا (عن طريق الجلاء البصرى) ، أو تنبؤيا • وعندما يتضح أن الحلم حقيقى وثابت فإن الحالم يتذكر هذا الحلم ، ويظل يعيد الحــديث عنه لسنوات عديدة • وقــد لا يكون اختبر هذه الحالة سوى مرة واحدة فى حياته ، ولكن هذه المرة الواحدة تكون قد أحدثت فيه أثرا عميقا ، ونقشت فى ذاكرته •

فاذا كان الأمر كذلك بالنســبة لمجرد حلم تخاطرى أو كشفى فهو كذلك من باب أولى بالنسبة لاختبار يحدث فى الطرح الكوكبى الواعى • فإن هذه الاختبارات الأخيرة أندر من غيرها ، وأوقع أثرا ، وتحدث تأثيرا لاينسى فى الشخص الذى عرف اختبــارا مماثلا • وقد يغير كل مجرى حياته • فهل هذا محض حلم بسيط ، وهل الحلم الكشفى بمقــدوره أن يحدث نتيجة كهذه ؟

الجواب كلا لأن الشخص الذى جرب طرحا كوكبيا حقيقيا يتأثر بصدقه تأثرا عميقا ، وكذلك يتأثر بتفرده فى الخواص • بمغزاه العميق ، لأنه قد يدرك ــ وربما لأول مرة ــ أنه ليس مجرد عنصر فى جسده ، بل أنه كائن روحى ، قادر على أن يوجد وأن يتصرف بدون جسده الفيزيقى ، وبالتالى خالد بفطرته • ووقع هذا التفكير الشاسع الأبعاد هو الذى يولد الذهول •

ولا نملك أفضل من أن نختتم هذا الجزء بايراد كلمات العلامة بوزانو عندما يقول : « ان كل شىء يسهم فى اظهار أن لغز الوجود ، الذى كان سببا فى تشييد ذلك العديد من الأنظمة الفلسفية فى خلال ثلاثين قرنا ،

والتى تنافست عبثا فيما بينها ، سيصبح محلولا فى اليوم الذى يتقبل فيه العلم وجود جسم أثيرى متداخل فى الجسم العضوى وقابل للخروج منه ، وبعبارة أخرى أن ظاهرة الطرح تكفى وحدها كيما تحل اللغز الشاسع الأبعاد الذى عجزت جميع الفلسفات عن اختراقه » .

ثم يقول المؤلفان « اذا كانت المادة فى نهاية المطاف طاقة ، واذا كان الفكر نفسه قدرة هى أيضا مظهر للطاقة (فى المعنى النفسى للكلمة) فانه من الجائز بالتالى أن الطاقة المكونة للروح تكون عاملا هاما فى درجة كثافه هذا الجسد الأثيرى فى وقت وجوده الحقيقى (خارج الجسد الفيزيقى). ولقد وجهنا الأنظار فى مؤلفنا عن « طرح الجسد الكوكبى » (ص ٢٠٨) الى أن ملابس الشكل الكوكبى تبدو متجسدة ، أو مصوعة بقوة العقل اللاشعورى . ولا يبدو من المتصور لنا الا أن نفترض أن يكون الجسد الكوكبى نفسه يصبح منظورا ، وشبه متجسد عن طريق نفس التأثير العقلى ، أى الصانع المؤقت له .

ومن ثم فان درجة « مادية » الجسد الكوكبى يمكن أن تتفاوت وتتراوح بمقدار التركيز الارادى عند صاحبه ، تماما على نفس النحو الذى وصفته الوسيطة الشهيرة اسابيا بلادينو E. Palladino عندما قالت ان بمقدورها تحريك الأجسام المادية بجوارها اذا كانت ارادتها صلبة بما يكفى . ولا ريب أنه من العسير علينا أن نتفهم بطريقة محددة ماذا تعنيه هذه العبارة الغامضة ، لكن المشكلات التى تناقشها هنا دقيقة . ولا يسعنا الا أن نقرأ ما بين سطورها آملين أن علم الروح سيتمكن فى المستقبل من القاء أضواء متزايدة فى قدراتها على حل هذه المشكلات الصعبة .

ووجود جسم روحى للانسان قد تأيد بالجم من الظواهر الروحية المتنوعة ، والمتفاوتة فى قوتها . فيوجد ابتداء المعتقدات والشهادات

الانسانية منذ فجر التاريخ فى جميع بلاد العالم ، وفى الشعوب المتحضرة وغير المتحضرة . ثم توجد أمامنا حالات ظهور الأطياف التى فيها يكشف الطيف عن ذكاء وعن ارادة خاصين به ، خصوصا عندما يقدم بيانا ما مجهولا ممن شاهده ، اذا اتضحت صحته فيما بعد . وثالثا فان لدينا الحالات التى يحقق فيها الشبح آثارا مادية ، أو يظهر شبكته على صورة . ورابعا لدينا ظواهر التجسدات التى شوهدت فى حضور وسطاء شرفاء عديدين . وخامسا لدينا حالات الطرح الكوكبى التى فيها يشاهد الطارح جسمه الفيزيقى الخاص ، وقد يشاهد فيها الآخرون شكله الشبحى . وفى هذه الحالات الأخيرة بوجه خاص لدينا أدلة على أن الشكل الشبحى يملك طاقة عقلية خاصة به مستقلة ومتميزة عن المخ وعن الجسم الفيزيقى الذى يمكن أن يشاهد فيما بعد مستريحا فى فراشه .

والكتلة المتكدسة من هذه البينات تثير الانتباه تماما ، وتسمح لنا بالاعتقاد بوجود هذا الجسد الروحى الذى ذكره بولس الرسول منذ مدة طويلة ...

لقد تقبل العلم الحديث فكرة أن شيئا ما يمكن أن يكون غير منظور لكن حقيقيا ، وأن الحواس بمقدورها أن تدرك أشياء منظورة أو غير منظورة وأن كل الطاقات والحقائق غير منظورة وستظل كذلك دائما . والوعى هو أعظم الحقائق ، مع ذلك فان أية حاسة من الحواس المألوفة لم تصل اليه . والانسان العادى ينظر الى نفسه بوصفه جسدا يحوز روحا مؤقتة ، والحقيقة أن الانسان روح تحوز جسدا مؤقتا . وان هذا الأمر هام الى حد اننا لا نجد أنفسنا بحاجة الى الالحاح عليه . وهو يعطينا نظرة صحيحة عن الانسان فى علاقته بالكون ...

وبعض الأشخاص لا يريد أن يجعل هذه الحقيقة محلا للمناقشة ، لكن لحسن الحظ فان أشخاصا آخرين ينظرون الى هذه الاختبارات من وجهة نظر علمية ، وتعنيهم جدا النتائج . وبفضل هذا الصنف من الرجال

تمكنا من عمل هذا المؤلف ، وتلقينا معلومات كثيرة لها قيمتها . ولذا قال الأستاذ رالف شيرلى Ralph Shirley فى مقدمة كتاب « الطرح الكوكبى » : « فلنتجه نحو جهود الباحثين العلميين الذين يدرسون مستويات الوعى الأرق من غيرها ، لا نحو خطب الجعجعة السياسية ، اذا أردنا انقاذ الانسانية من طوفان المادية المدمرة الذى يوشك أن يبتلع أنبل ما حققه الجنس الانسانى » (١) .

موضع « الطرح الروحى » من سائر الظواهر الروحية

والنتيجة التى خلص اليها المؤلفان بعد بحوثهما الطويلة فى ظاهرة الطرح الروح ، وسائر الظواهر الوساطية الأخرى ، هى أن ظواهر « التلباثى » (تراسل الفكر) ، والجلاء البصرى ، وتحريك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية ، والمنازل المسكونة ، والعلاج الروحى ، تشير الى أن كل واحد منا مكون من جسمين جسم فيزيقى ، وآخر كوكبى أو أثيرى . فكل واحد منا « مزدوج » ولكل واحد منا « مقابل » غير منظور .

وفى المعتاد يقطن «المقابل» أى الجسد الكوكبى ، أو جسد الاحساس والشعور فى الجسد الفيزيقى ويبعث فيه الحياة . ولكن فى ظروف معينة — ودائما عند الموت — يغادر الجسد الكوكبى الجسد الفزيقى نهائيا . وهذه الحقيقة تتضمن فى نظر المؤلفين التفسير المنطقى الوحيد لجميع الاختبارات الروحية الأخرى ، كما تتضمن الاجابة على كثير من الأسئلة التى أثارها الباحثون الروحيون بغير أن يجيبوا عليها .

وفى شرح هذا الموضوع يقول المؤلفان : « بالنظر الى الحالات التى نشرت حتى الآن (عن الطرح الكوكبى) لا يتأتى للانسان الا أن يؤخذ بأوجه التشابه العديدة التى توجد بينها .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٥٦ — ٧١ .

ففى نسبة مئوية عالية منها يقول صاحب الحالة انه حلق ، أو ارتفع فى الهواء ، أو كان فوق جسمه ونظر اليه من عل ، أو طار فوق جسمه الفيزيقى ، أو كان معلقا فى الهواء •

كما يجرى غالبا الحديث عن « حبل كوكبى » يصل بين الجسمين ، وعن أحاسيس « بالطقطقة » ، أو تحطيم أشياء ، أو أصوات فى الرأس ، أو تخشب ، أو « تنميل » فيزيقى مع عجز عن الحركة ، أو عن توقف فى الوعى فى لحظة الخروج من الجسم وعند العودة اليه • وعن احساس بالهبوط قبيل الطرح مباشرة ، وعن احساس بتأثر فيزيقى فى لحظة العودة الى الجسد ، وعن اعتقاد بالموت ••• الخ •

فهذه الخصائص توجد كثيرا فى الحالات المنشورة ، ومن المهم أن نذكر انها تبدو شائعة أيضا ومتماثلة ، وذلك يتطلب بلا ريب بعض التفسير •

فالطرح الكوكبى ، حتى يعتد به كاختبار خارج الجسد المعترف به (الفيزيقى) يفترض الاحساس الواعى بالذات ، اذ أن الشخص الذى يطرح نفسه ينبغى أن يعلم أنه مطروح • وهذه الخاصية الأساسية تميز جميع هذه الاختبارات عن الأحلام « التلباثية » (أى تلك التى تتضمن قراءة الفكر) ، والأحلام ذات الجلاء البصرى ، كما تميز أيضا الجسد الكوكبى عن الأشكال الشبحية العادية أى الأطياف • فليس من الواضح عادة أن هذه الأخيرة يغذيها وعى ايجابى حين أنه فى الطرح الثابت لايبدو الشخص فحسب واعيا ، بل يبدو أيضا واعيا عن واقعة ظهوره ، وبعبارة أخرى يكون هو نفسه الشبح •

وكثير من الأشخاص لا يجد فارقا بين ظواهر الجسد الكوكبى ، والأشباح Apparitions والتجسدات Materialisations لكن يوجد فارق ضخم بينها ، فكثير من الأشباح محض هلوسة رغم أنها ترد على الخاطر

بلا ريب عن طريق التخاطر « التلباثى » • والتجسدات تمثل الى حد ما أجساما صلبة فى نفس الفراغ الذى نعيش فيه ، وتشاهد عادة فى جلسات التجريب الروحى •

والصفة المميزة للطرح الكوكبى هى أن الوعى يصاحب الشخص المطروح ، فهو اختبار شخصى • وقد سردنا فحسب الحالات التى كان فيها أصحابها واعين لطرحهم ، لا تلك الحالات التى ظهروا فيها فحسب لشخص آخر غيرهم •••

والأدلة تتزايد شيئا فشيئا — لكن بيقين — فى جانب وجود جسم كوكبى سيكون قبوله ذا أهمية ومدلول ضخمين للبحث الروحى العلمى • والمؤلفون الذين يدافعون عن حقيقة وجود جسم كهذا لم يتأثروا — على أى وجه كان — بارادة الاعتقاد فيه ، أو حتى بمجرد الرغبة فى هذا الاعتقاد • انما تأثرنا فقط بالكتلة المتدفقة من الأدلة على وجوده ، وبالاختبارات العديدة لواحد منا (سيلفان ملدون) • والافتتان بالخلود لم يظهر له أبدا مهما جدا ، لكنه انتهى الى صحة الخلود تحت ثقل الوقائع نفسها • فلا يمكن بالتالى أن يقال ان اقتناعه الوثيق بالخلود قد توقف على رغباته من أى وجه كان التوقف • بل ان الحقيقة فرضت نفسها عليه شاء أم لم يشأ ذلك •

ومن الحق أن أشخاصا كثيرين يرغبون بشدة فى دوام حياة أرواحهم • ويشعرون أن الحياة لا تستحق الا بعناء أن نحياها بغير هذا الدوام • وهؤلاء يمكنهم بالأقل أن ينعموا بأن الأدلة قوية الى جانب دوام الحياة بعد الموت وتعززت كثيرا عن طريق ظواهر الطرح الكوكبى هذه ، ويبدو أن الكون لا يخرج عن جوهر هذا المفهوم من الناحيتين العقلية والروحية » (١) •

---

(١) المرجع السابق ص ٤٠٤ — ٤٠٨ من الترجمة الفرنسية .

ماذا يقول كروكول ؟ !

ويناقش روبرت كروكول نفس المشكلة فى ضوء تعليل هذه الظاهرة فى كل صورها بنظرية تلعب دورا هاما فى الفقه الروحى هى نظرية « الأشكال العقلية » Thought Forms • وهذا التعبير يستخدمه — كما يقول المؤلف : « أولئك الذين يناقشون الظواهر الروحية فى معنيين مختلفين ، ففى كتب البحث الروحى والروحية يعنى « الشكل الروحى » استرجاع عقلى لجسم فيزيقى مثل كرسى ، أو منضدة ، أو جسم انسان • وبالتالى ينطبق هذا المعنى على ظهور شخص ، وعندما ينتمى هذا الظهور الى شخص حقيقى يطلق عليه « هلوسة بأمر صحيح » Veridical hallucination .

ولا يعنى ذلك أن الشخص الذى كان محل هلوسة بأمر صحيح موجود هناك فعلا سواء فى صورة عقل بلا جسم ، أو فى صورة شخصية ، أو كعقل مغلف فى نوع ما من جسد لا فيزيقى Non physical ، بل على العكس من ذلك أن من المعتبر أن ظهورا كهذا هو محض صورة عقلية تلقاها المستقبل تخاطريا •

ومع ذلك فبحسب بعض الوسائل الروحية يوجد بعض « الهلوسات بأمور صحيحة » التى هى عبارة عن صور عقلية تخاطرية « أشكال عقلية » ويوجد أيضا بعض آخر من أساليب الوجود الجسمية الحقيقية ، ولو أنها ليست فيزيقية •

وبحسب الرسائل الروحية جميع الصور ، والأفكار ، والرغبات ، والأمانى ، والمخاوف عبارة فى الواقع عن ظواهر وصور نشاط عقليه ، وليست كلها — كما يفترض المتزمتون من النفسيين — عقلية صرف ، لكن لها آثارها ذات الطبيعة غير الفيزيقية • وبالتالى فهى تذهب الى القول بوجود مواد مادية من طبيعة أرق من المادة الفيزيقية •

وتعبير « شكل عقلى » كما يستخدمه الأدب الثيوصوفى عادة ، وفى كتب روحية كثيرة ، له معنى مغاير فهو يعنى عندهم أن الجسم الفيزيقى للانسان مغلف بهالة بيضاوية الشكل تنتمى الى الجسم غير الفيزيقى(١) . فعندما يكون للانسان أفكار وأمان ، ورغبات معينة فان هذه الهالة تلقى بمناظر اوباشكال مكونة من مادة لافيزيقية ، ويطلقون عليها أيضا « أشكالا عقلية » وهى تتناسب فى حدودها ، وفى أضوائها ، مع طبيعة الأفكار والأمانى ، والرغبات ... الخ ...

ماذا عن الخطأ فى تشخيص الموت ؟

فالطرح الروحى ظاهرة مسلم بصحتها الآن ، لكن ينبغى التمييز بين الطرح الروحى المؤقت ، والطرح الروحى النهائى أى الوفاة ، التى هى عبارة عن انفصال نهائى للجسد الأثيرى عن موطنه أو بالأدق عن سجنه المؤقت وهو الجسد المادى . وظواهر الطرح الروحى عندما تكون مصحوبة بغيبوبة عميقة ، وأحيانا بتوقف كل مظاهر الحياة فى الجسد المادى مثل توقف نبضات القلب والتنفس نبهت العلماء الى أفدح خطر قد يهدد الانسان فى مرضه وهو احتمال الخطأ فى تشخيص الموت ، وهو احتمال أكثر شيوعا مما قد تتصور .

ذلك أنه اذا لم ينفصل الحبل الكوكبى فلا يحدث الموت ، حتى وان راح الوعى أحيانا فى غيبوبة كاملة بسبب الطرح الروحى قد تلتبس فى بعض الأحيان مع غيبوبة الموت الحقيقى ، وقد يتوقف أثناءها جميع الأعضاء والأجهزة عن العمل فيبدو الجسد المادى ميتا وما هو بميت . وقد تحدث نفس هذه الأعراض فى وقت الاحتضار . وبعض حالات الغيبوبة العميقة نبهت العلماء الى حقيقة هامة وهى وجوب عدم التسرع فى دفن الموتى بوجه عام عقب الاحتضار مباشرة ، لأنه فى بعض صور « الغيبوبة الحيوية » قد تتوقف كل أعراض الحياة ، ومنها دقات القلب والتنفس ودورة الدم بغير وفاة حقيقية . فاذا تنبه الميت الى وعيه وهو

---

(١) راجع ما سبق عن الهالة فى ص ٢٧٥ — ٢٨٥ .

فى قبره قاسى أهوالا جساما تجل عن الوصف الى أن يموت موتا رهيبا بطيئا أشد فظاعة من كل صور التعذيب التى عرفهـا البشر • فارحموا موتاكم ، وتأنوا فى الجزم بالوفاة أيها الأطباء والأقرباء •

وذلك خصوصا وقد أثبت التحقيق العلمى المتواصـل أن انسلاخ الجسـد الأثيرى بالوفاة عن المـادى لا يتم بغتة ، ولا انقطاع الحبل الأثيرى الذى يصل بينهما • كما أثبت أن « الوفاة » قد تكون فى حقيقتها غيبوبة كاملة عميقة قد تحدث بسبب الألم أو الاعياء أو فى بعض الحالات العصبية ، وقد تكون مصـحوبة بتوقف التنفس ونبض القلب وسائر الوظائف الحيوية •

وهناك تجارب متنوعة لبعض فقراء الهنود الذين أمكنهم عن طريق مران ارادى روحى شاق السيطرة ــ ولو الى حد ما ــ على جميع هذه الوظائف الحيوية • ومنهم من تحدى الأطباء وظل مدفونا فى صندوق محكم الاغلاق تحت الرقابة العلمية لمدة أربعين يوما أو أكثر ، ثم عاد من جديد للحياة ، تحت بصر الأطباء المذهولين وسمعهم • وتم بعض هـذه التجارب فى الهنـد وبعضها الآخر فى بعض العواصم الأوروبية ، حيث أمكن لأحـد الوسطاء الفرنسيين فى بارس أن يتحـدى جميع الفقراء الهنود ، ويظل بلا نبض ولا تنفس ــ ولا غـذاء طبعا ــ فى صندوق زجاجى محكم الاغلاق لمدة ضرب بها جميع الأرقام القياسية السابقة •

وهـذه الظواهر ليست تافهة بالمرة ، ولا هى لمجرد التسـلية أو الطرافة ، بل انها عظيمة القيمة فى اثبات امكان ظاهـرة الطرح الروحى لأمد طويل ، ناهيك بقدرات خطيرة للعقل على الجسم ، وباثبات الطبيعة الروحيـة للحياة بوجه عام بما فى ذلك ظواهر التنفس ، ودورة الدم ، والتمثيل الغذائى ، وتجدد الخلايا ووظائف الأعضاء •••

ويسرد الأستاذ الدكتور مصطفى الديوانى الطبيب العـلامة بعض هـذه التجارب المذهلة نقلا عن كتاب آخـر للمؤلفين سيلفـان ملدون

وهيروارد كارنجتون عنوانه « طرح الجسد الكوكبى »(١) وفيه يقرران « أن أحد فقراء المصريين أبدى فى هذا الميدان مهارة عجيبة ، فبقى مدفونا مدة ساعة فى اتلانتا (بالولايات المتحدة الأمريكية) ، وثلاث ساعات فى نيوجرسى ، وسبع ساعات فى سان دييجو . والغريب فى حالته أن التراب أهيل على جسده فى حفرة عميقة دون أن يوضع فى تابوت مغلق كعادة فقراء الهند .

وذكرا مثلا آخر لفقير هندى ظل مدفونا فى قبر محكم الاغلاق مدة ثلاثين يوما بالتمام بعد وضعه فى صندوق أحكم اقفاله تحت رقابة محايدة من كبار موظفى المنطقة . منهم الأمير رانجيت سنج ، وسير كلود ويد . والفرق بين كل هذه الحالات والموت الحقيقى هو بقاء الحبل الأثيرى سالما يصل الروح المطروحة بالجسد المادى . فاذا أفلت هذا الحبل من الجسد حدث الطرح الروحى الدائم أى الموت ... »(٢) . وهذه الاختبارات كلها تلقى على الأطباء مسئولية ضخمة جدا عند تشخيص حدوث الوفاة وتحرير الاذن بالدفن . كما تلقى نفس المسئولية على الأهل والأقارب .

* * *

وفى هذا الشأن يقرر الدكتوران كارنجتون وميدر Carrington & Meader فى مؤلف لهما عنوانه « الموت — أسبابه وظواهره »(٣) أنه فى كل أربع وعشرين ساعة يدفن خطأ شخص واحد حى فى الولايات المتحدة على أقل تقدير وأن « جمعية لندن الخيرية » London Human Society بينت أنها قد أعادت الى الحياة خلال اثنتين وعشرين سنة ٢١٧٥ شخصا دفنوا أحياء ، أى أن موتهم كان ظاهريا ، وأن جمعية مماثلة فى آمستردام أنقذت

---

(١) The projection of Astral Body.
وهو غير المرجع الذى أشرنا اليه آنفا ، وان كان لنفس المؤلفين ويعالج نفس الموضوع .

(٢) عن كتاب « قصة حياتى » (١٩٦٥) للدكتور مصطفى الديوانى ص ١٤٠ .

(٣) Death. its Causes and Phenomena.

٩٩٠ شخصا فى خمس وعشرين سنة ، وأن جمعية ممانعة فى همبورج أنقذت ١٠٧ أشخاص فى أقل من خمس سنوات .

ويصرح المؤلفان بأنهما شخصيا يعرفان عدة حالات من هذا القبيل . والأرقام التى يوردانها رغم فداحتها لا تمثل بطبيعة الحال جميع الحالات ، بل تمثل فحسب تلك التى أمكن اكتشافها قبل فوات الأوان ؛ أما تلك التى لم تكتشف فلا يعلمها الا علام الغيوب .

ثم ينبغى أن يراعى أن هذه هى الأرقام التى سجلتها فى كل مدينة جمعية واحدة فحسب من الجمعيات الكثيرة القائمة على دفن الموتى دون باقى الجمعيات الأخرى ... فما أخطر الأرقام التى تذاع فى كل مكان ، وما أفدح ما تثيره من مشاعر ، وما تستلزمه من احتياطات .

واذا كان هذا هو ما يجرى فى بعض بلاد الحضارة فما بالك بما يجرى فى بلاد أخرى حيث يزداد التسرع فى الدفن وتقل العناية باجراء أى كشف طبى جاد أو غير جاد ... فما أيسر الحصول فى بلادنا مثلا على شهادات الوفاة حتى بدون اجراء أى كشف .

وقد تحدى أحد الأشخاص يوما وكيل نيابة شبرا فاحضر له شهادة بوفاته هو — أى وكيل النيابة — مستكملة البيانات والتوقيعات والأختام كلها وهو جالس على مكتبه ، كيما يبين له الى أى مدى بلغ الاستهتار الفادح فى اعطاء هذه الشهادات ... على مانشرته الصحف السيارة فى حينه .

* * *

وكتب الدكتور ادوار فولوم E. P. Vollum فى موضوع الدفن المعجل وأخطاره مبينا فيه مجموعة من الحوادث ، ومستشهدا بما جاء فى قاموس كوين الطبى من أن مدة الغيبوبة قد تمتد من بضع ساعات أو أيام الى عدة أسابيع أو شهور ثم قال : « لقد نشرت المجلات الطبية

البريطانية الصادرة فى الخمسين سنة الأخيرة (حتى ١٩١٠) حالات عدة استرد فيها الموتى ظاهريا حياتهم من مجرد ادراكهم لما يجرى حولهم من الاستعدادات لاغلاق التوابيت عليهم •

وقد تعرض لمثل هذا الخطر كثيرون من مشاهير الرجال ، منهم العلامة ونسلو Winslow أستاذ التشريح ، والكردينال الفرنسى دونيه ، ودزرائيلى رئيس الوزراء البريطانى ، وقد ظل الأخير فى هذه الحالة أسبوعا كاملا • وختم فولوم تقريره بالاحصاء الآتى :

أن ما عرف من هذه الحالات لابد أن يكون قليلا جدا اذا هو قيس بما لم يعرف منها • ويقول الدكتور ليونس لنرموند Lionce Lenormond أن من يدفنون أحياء فى كل عام يبلغون واحدا فى كل ألف منهم • ويقدر الدكتور جوين Guen حالات الدفن المعجل باثنين فى الألف ، وقد جمع ٢٣١٣ حالة من مصادر موثوق فيها •

وذكر الدكتور مور راسل فلتشر Moore Russel Fletcher فى كتاب له عنوانه « ألف شخص يدفنهم أصدقاؤهم أحياء » فواجع كثيرة من هذا الطراز • وجمع الدكتور كارل سكستاس Carl Sextus ١٥٠٠ حالة للموت الظاهرى وقعت خلال خمس عشرة سنة ، وهو يقدر المدفونين أحياء باثنين فى المائة ! !

وذكر بروهيه Bruhier فى كتاب له عنوانه « بحوث فى التباس حالات الموت » ١٨١ حالة — اثنتان وخمسون منها لأشخاص دفنوا أحياء ، وأربع لأشخاص شرحوا أحياء ، وثلاثة وخمسون أفاقوا وهم مدرجون فى أكفانهم قبل الدفن ، واثنتان وسبعون حالة أخرى من حالات الموت الظاهرى •

وفى أول مارس سنة ١٩٠٩ قرر مجلس العموم البريطانى طبع وثيقة « لاصلاح القانون الخاص بدفن الموتى » وتوزيعها • وقد أقر

أعضاء اللجنة التى وكل اليها أمر هذا الاصلاح بأنه كان الأدلة التى قدمت اليهم عند فحص هذا الموضوع وقع شديد فى نفوسهم ، لأنها أثبتت بشكل حاسم أن الوسائل الطبية المألوفة فى تشخيص الوفاة لا تكفى بالمرة ، ولذا أشاروا بوجوب زيادة التدقيق فى وسائل الفحص والاختبار .

ويقول الدكتور شبلى شميل فى مقال له عن هذا الموضوع : « ولا أذكر أنى جزعت فى كل أطوار حياتى من كل أنواع الموت مثل جزعى عند تصور هذا الدفن ، وما ذلك منى من تلك الغفوة التى لا تحب ، بل من تلك اليقظة التى ترهب ...

والحق يقال ان الطب مهما دقق فى التحرى للتأكد من الموت الحقيقى فلا يسعه الا الاعتراف بأن كل العلامات المعول عليها قد تخطىء ما عدا علامة واحدة هى التعفن (أو بالأدق ظهور البقع الزرقاء على الجثة) فيجدر بالناس والحكومات والحالة هذه أن لا يعولوا فى اجازة الدفن على علامة أخرى . ولأجل ذلك يجب أن يكون فى كل مدفن محل معد لهذا الغرض تنقل الجثث اليه ، وتحفظ فيه الوقت الكافى حتى تظهر فيها العلامة الصادقة ثم تدفن .

والغريب أن الناس مع علمهم بذلك وشدة حرصهم على حياتهم وراحتهم مقصرون فى هذا الأمر مع أنه أهم وألزم وأوجب وأرحم من بناء القبور الفخمة ، واقامة المآتم العظيمة التى يتباهى بها الأحياء على حساب الموتى ... واذا جاز لى أن أطلب شيئا ممن بيدهم حينئذ أمرى فلا أطلب منهم سوى شىء واحد معقول أستعطفهم فيه شفقة علىَّ ، وألتمسه منهم رحمة بى . فأنا لا أخاف الموت ، ولا أخاف ما بعد الموت ... ولا أخاف يقظة القبر . فأنا لا أطلب الا أن أدفن ميتا حقيقيا لا يجوز أن ترد الىَّ الحياة ولو فى أقل الاحتمالات ... » (١) .

---

(١) للمزيد راجع كتاب « ظواهر الطرح الروحى » للمرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير (١٩٤٦) ص ٥٩ — ٦٩ .

واقعة لهـا دلالتهـا

وفيما يلى نسرد تلخيص واقعـة هامة تأيدت الى أدق تفاصيـلها بأساليب التحقيق المـادى المـألوفة • وهى مفرطة فى دلالتها على العناية التى ينبغى أن يحظى بها هذا الموضوع الذى قد يبدو غريبـا على بعض الأذهان •

وهذه الواقعة تتلخص فى أن جلسـة روحية عقدت داخـل جامعة كامرينو Camerino بايطـاليا بنـاء على طلب السـنيور جوزيبى سـتوبولونى Giuseppe Stoppoloni أسـتاذ التشريح بالجـامعه الذى كان معنيا فى نفس الوقت بالبحوث الروحية (توفى فى سنة ١٩٦٥) وكان الوسيط يدعى راؤول بوتشى Raoul Bocci • ولمـا راح فى غيبوبته هيمنت عليه سـيدة قالت انهـا تدعى روزا مينيتشلى Rosa Menichelli وأنها كانت على الأرض قرينة السيد جيوفانى سبادونى Giovanni Spadoni وأنها دفنت حية بسبب التسرع فى تشخيص الوفاة • وكانت عنـدئذ فى الثامنة والثلاثين من عمرها • وأن جثمانهـا موجود فى المقبرة المحلية •

وبعدئذ توجه الدكتور ستوبولونى بتاريخ ١٣ سبتمبر سـنة ١٩٥٠ ومعه اثنان من زملائه الأطباء الى المقبرة المشار اليها ، وبعد بحث مثابر أمكنهم التوصل الى المدفن الخاص بهذه السيدة التى قيل انها «توفيت» بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وورد فى شهادة وفاتها انها بسبب « حمى نفاسية وهبوط فى القلب » •

وفتح القبر فى حضور الأطباء الثلاثة وعدد من الرسميين فى الناحية • وتبين أن الهيكل العظمى كان راقدا على ظهره ، لكن الجمجمة كانت تنظر ناحية اليسار • وكان الذراع الأيسر منحنيا والأصابع واليـد فى داخل الفم وتجويف الحنجرة ، وقد عضت الأصابع من هول النزع والألم •

وقد أكد الأطباء الثلاثة صحة هذه الوقائع التى أيدت المعلومات الوساطية الى أدق تفصيلاتها • وبعدها أعلن البروفسور ستوبوبوبى حملة ضخمة لتفادى التسرع فى دفن « الموتى » • فحذار ثم حذار أيها الأهل والأقرباء من التسرع فى الجزم بالوفاة مهما قيل لكم ان الأعراض حاسمة وقاطعة ، ما لم تظهر على الجثة بقع زرقاء واضحة •

احتياطات ضرورية

ولدرء هذا الخطر الفادح — خطر دفن أحد الأعزاء حيا — تشير الوسيطة جلاديس أوسبورن ليونارد G. Osborne Leonard بضرورة قطع شريان أو وريد فى جسم الميت قبل الدفن بيوم ، (أوقبيل الدفن رأسا) للاحتياط ضد هذا الخطر المحتمل على أية حال مهما كان احتماله ضئيلا • وهى تشير بضرورة ذلك بعد اختبار حالات متعددة شاهدت فيها بنفسها أن الحبل الأثيرى لم ينقطع بالوفاة ، وأن الجسد الأثيرى كان بالتالى لا يزال ملازما للجثمان (١) •

كما يقترح بعض الأطباء أن يحقن الميت ، بكمية قليلة من مادة مثل محلول الفورمالين ، لأن من شأنه أن يجعل عودة الحياة الى الجثة أمرا محالا عند افتراض الخطأ فى تشخيص الوفاة ، مهما كان احتمال هذا الافتراض ضئيلا ، أو مهما ظهر ضئيلا ، بل معدوما ، فى نظر أساليب الطب التقليدى ، كما يطبقها بعض المتسرعين الواثقين من أنفسهم على غير أساس من الواقع •

ولا ريب أنه لدرء هذا الاحتمال من أساسه شاعت طريقة حرق الجثث ، التى لها بالاضافة الى ذلك مزية أخرى ، وهى تجنيب الميت أن يرى جثمانه فى مرحلة التحلل ، أو أن يحاول هذه الرؤية بدافع من حنين طبيعى • وقدأكدت ذلك أرواح كثيرة ، ودافعت عنه خصوصا بالنسبة لمن يموت منتحرا ، حيث قد يضطر الميت الى ملازمة جثمانه ، بحكم

---

(١) The Last Crossing.

ناموس طبيعى ، وهو ما يمكن انقاذه منه بحرق الجثـة ، وتحريره من أسـارها نهائيـا . وقـد اتبع ذلك الأسـقف الأمريكى جيمس بايك James Pike عندما مات ابنه جيم Jim منتحرا (١) .

ولكن يراعى أنه حتى عنـد رغبة حرق الجثـة أو تحنيطها بسبب النقل أو لغيره ينبغى ألا يحدث ذلك قبل التأكد تماما من حدوث الوفاة . هـذا التـأكد الذى لا يكون بالكشف السـطحى المـألوف على النبض والتنفس ، بل بانتظار ظهور البقع الزرقاء ، الذى لا يمكن أن يتـأخر عن ٢٤ ساعة الا فى النادر جدا ، أو باتخاذ احتياطات ضرورية قلما يتخذها الأطباء رغم لزومها ، ورغم انها تدرأ خطرا رهيبا لا يوجد أى خطر يدانيه فى جميع الاحتمالات الأليمة التى يمكن للانسان — فى كل تعاسته وبؤسه — أن يتخيلها .

بعض المراجع فى الطرح الروحى

ولا يتسع المقام لأكثر من ذلك عن ظاهرة الخروج من الجسد التى هى من أهم الظواهر الروحية ، وأجدرها بالدراسـة الهادئة النـاقدة ، لصلتها بموضوعات هامة كثيرة :

- منها التكوين الحقيقى للانسـان من النـاحية النفسـية — البيولوجية .
- ومدى الارتباط بين الاحساس والحواس فى الزمان والمكان .
- وبالتالى مدى استقلال الانسان الحقيقى عن مركبته الزائلة .
- وهذا كله وثيق صـلة بقضـايا الخلود والأحلام ، والنشـاط الشعورى واللاشـعورى للعقل ، وظواهر الغيبوبة الروحيـة والمغناطيسية ، وازدواج الشخصية وغير ذلك من الموضـوعات الخطيرة التى يعنى بها علم الروح الحديث .

---

(١) فى كتاب له عنوانه : The Other Side.

والمراجع فى شأن الطرح الروحى بالذات كثيرة منها بوجه خاص المؤلفات الآتية :

أولا : باللغة الانكليزية

- سيلفان ملدون S. Muldoon وهيروارد كارنجتون H. Carrington ولهما مؤلف عنوانه « ظواهر الطرح الكوكبى » [1] (١٩٢٩) وآخر عنوانه « طرح الجسد الكوكبى » [2] .

- وسيلفان ملدون بمفرده وله مؤلف عنوانه « قضية الطرح الكوكبى » [3] .

- هـ . ف . برفوست باترسبى H. F. Prevost Battersby وله مؤلف عنوانه « الانسان خارج نفسه » [4] (١٩٤٣).

- روبرت كروكول R. Crookall وله مؤلف عنوانه « دراسة الطرح الروحى وتطبيقه » [5] (١٩٦١) ، وآخر عنوانه « المزيد من الطرح الروحى » [6] (١٩٦٤) ، وثالث عنوانه « تقنيات الطرح الروحى » [7] (١٩٦٤) ، ورابع عنوانه « أثناء النوم : امكان التعاون » [8] (١٩٦٤) .

- ادموند جيرنى Edmund Gurney وله كتاب « أشباح الأحياء » [9] .

---

(١) The projection of Astral Body.
(٢) The phenomena of Astral projection.
(٣) The case for Astral Projection.
(٤) Man Outside Himself.
(٥) The Study and Practice of Astral Projection.
(٦) More Astral Projections.
(٧) The Techniques Of Astral Projection.
(٨) During Sleep. The possibility of Co-operation.
(٩) Phantasms of the Living.

— أني بيزانت Annie Beasant ولهـا كتاب عنوانه « الانسـان وجسده »(١) .

— الأسقف شـارل ليـدبيتر Ch. Leadbeater وله مؤلف عن « الانسان المنظور وغير المنظور »(٢) .

— دوريال Doreal وله كتاب عن « الذات العليا للانسان »(٣) ، وآخر عن « الطرح الكوكبى »(٤) .

— جون ميتل John Mittl وله كتاب عن « الطرح الكوكبى »(٥) .

— أوليفر فوكس Oliver Fox وله كتاب بنفس العـنوان وهو « الطرح الكوكبى »(٦) .

— شـارل هالوك Ch. Hallock وله مؤلف عن « الأجسـاد المضيئة »(٧) .

— جون فاديس John Vadis وله « مغامرات فى الوعى »(٨) .

— ستيوارت ادوارد هوايت S. E .White وله « كتاب بتى »(٩) ، و « عبر المجهول »(١٠) .

---

(١) Man and his Body.
(٢) Man Visible and Invisible.
(٣) Man's Higher Self.
(٤) Astral Projection.
(٥) Astral Projection.
(٦) Astral Projection.
(٧) The Luminous Bodies.
(٨) Adventures in Consciousness.
(٩) The Betty Book.
(١٠) Across the Unknown.

— ك . سكالتورب C. Sculthorp وله « رحلات الى عالم الروح » (١٩٦٢)(١) .

— هيلين م. ويلز Helen M. Wells ولها « مغامرات فى عالم الروح »(٢) .

— ومنها مؤلفات الكولونيل آرثر باول Arthur G. Powell وبوجه خاص « المقابل الأثيرى » (٣) ، و « الجسد الكوكبى » (٤) ، و « الجسد العقلى » (٥) ، و « الجسد المسبب والذات » (٦) .

— وسوزى سميث Suzy Smith ولها مؤلف عن « تجارب الخروج من الجسد »(٧) (١٩٦٥) .

— وبراد ستايجر Brad Steiger وله كتاب « المسافرون بالعقل »(٨) .

— ورالف شيرلى Ralph Shirley وله مؤلف عن « لغز المقابل الانسانى »(٩) .

— وكورا تابان رتشموند Cora Tappan Richmond وهى وسيطة طرح روحى ولها كتابان أولهما عن « تجاربى خارج الجسد »(١٠) ، والثانى عن « النفس : طبيعتها وصلاتها وتعبيراتها »(١١) .

---

(١) Excursions to the Spirit World.

(٢) Adventures in the Spirit World.

(٣) The Etheric Double.

(٤) The Astral Body.

(٥) The Mental Body.

(٦) The Causal Body and Ego.

(٧) Out of Body Experiences.

(٨) The Mind Travellers.

(٩) The Mystery of the Human Double.

(١٠) My Experiments out of the Body.

(١١) Soul - Its Nature, Relations and Expressions.

وراجع عنها : — H. B. Barret : The Life and Work of Cora L. V. Richmond (1895).

ثانيا : باللغة الفرنسية

ــ الكولونيل البيردى روشا A. de Rochas وله كتاب « بروز القوة المحركة »[١] (١٨٩٦) ، وكتاب « بروز الحساسية »[٢] (١٨٩٩) .

ــ جابريل ديلان G. Delanne وله كتاب « أشباح متجسدة للأحياء والأموات » [٣] (١٩١١) فى جزئين .

ــ هيكتور ديرفيل Hector Durville وله كتاب عنوانه « شبح الأحياء . دراسات تجريبية عن ازدواج جسد الانسان » [٤] (١٩١٤) . وله أيضا « لأجل ازدواج الجسم الانسانى »[٥] .

ــ شارل لانسلان Ch. Lancelin وقد عالج هذا الموضوع فى مؤلف له عنوانه « الروح الانسانية . دراسات تجريبية فى علم النفس الفسيولوجى »[٦] (١٩٢١) ، وفى مؤلفه عن « أساليب الازدواج الشخصى »[٧] .

ــ بول جاجو Paul C. Jagot وقد تناول الموضوع فى مؤلفه عن « المغناطيسية ، والتنويم المغناطيسى والايحاء »[٨] .

ــ ب. ا. كورنيلييه P. E. Cornillier وقد تناول الموضوع بدوره فى مؤلفه عن « الروح الانسانية »[٩] .

---

(١) L'extériorisation de la Motricité.

(٢) L'éxtériorisation de la Sensibilité.

(٣) Apparitions Materialiseés des Vivants et des Morts.

(٤) Le Fantome des Vivants. Recherches. Experimentales sur le Dédoublement du Corps de L'homme.

(٥) Pour Dedoubler le Corps Humain.

(٦) L'Ame Humaine. Etudes Experimentales de Psychophisiologie.

(٧) Méthoodes de Dedoublement Personnel.

(٨) Magnetisme. Hypnotisme. Suggestion.

(٩) L'Ame Humaine.

— ج • ب • كروزية J. P. Crouzet وقد تنـاوله بدوره فى مؤلف له عن « معجزات الروحية »(١) •

— ادولف داسييه Adolphe D'Assier فى مؤلفه عن « الانسانية فيما بعد »(٢) •

— ايرام Yram وهو اسـم مستعار « لطارح » فرنسى — وقـد عرض اختباراته الخاصة الكثيرة منذ مطلع هذا القرن فى مؤلف له عنوانه: « طبيب الروح »(٣) •

— ا• دانجلمون D'Anglemont وقد تنـاوله أيضـا فى مؤلفه عن « الروح الانسانية »(٤) •

— بول جـوار Paul Joire وقد تنـاوله بدوره فى مؤلفـه عن « الظواهر الروحية وغير المألوفة »(٥) •

— ا • بوسـك دى فيز E. Bosc de Veze وله مؤلف بعنوان « عشرون ليلة من الطرح الواعى »(٦) •

— وتناوله أيضا م • هينـدل M. Heindel فى الجزء الثـانى من مؤلف له عنوانه « أسئلة وأجوبتها »(٧) •

— كما تنـاوله دانييل هيمير Danielle Hemmert واليكس رودين Alex Roudene فى مؤلفهما عن « عالم الأشباح » (١٩٧٢)(٨) •

ثالثا : باللغـة العربيـة

— أحمد فهمى أبو الخير : « ظواهر الطرح الروحى » (١٩٤٦) •

---

(١) Les Mérveilles du Spiritualisme.

(٢) L'Humanité Posthume.

(٣) Le Médecin de l'Ame.
وقد ترجم الى الانكليزية باسم : Practical Astral Projection.

(٤) L'Ame Humaine.

(٥) Phenomènes Psychiques et Supranormaux.

(٦) Vinght Niuts de Dégagement Conscient.

(٧) Questions et Réponses.

(٨) L'Univers des Fantomes.

الباب الخامس
فى العقل والفطرة والأحلام
بين السيكولوجى والبارا سيكولوجى

تمهـــيد

تحدثت فى الباب السابق عن مفهوم « التكوين الروحى » للانسان بعد التحـــول من السيكولوجى الى الباراسيكولوجى ، وبينت كيف أنه لم يعد ثمة شك عند دوائر العلم فى وجود جسد هيولى أو أثيرى لكل كائن حى . وهذا الجســـد تنبعث منه طاقة حيوية نشطة ذات خصائص مركبة لم يستكشف العلم بعد كل أسرارها . ويكشف عن هذه الطاقة وجود حقل بيولوجى له اشعاعات كهرومغناطيسية تتجاوز فى نطاقها أبعاد الجسد المــادى ، بل أيضا حدود الجسد الهيولى أو الأثيرى . وهذه الاشعاعات يطلق عليها وصف « الهالة » .

ووجود تكوين روحى للانسان قائم بذاته يتضمن الى جانب الجسد الهيولى ــ وحقله البيولوجى ــ عنصرا عقليا تتميز به الكائنات الحية . ولكل كائن حى عقل غريزى بالأقل ، وعقل استدلالى بالأكثر(١) . وهذا العقل متميز عن الروح فى البحوث العلمية ، وان كان اجتماعهما معــا فى الانسان لا غنى عنه لنجاح الحياة الانسانية فى أداء رسالتها فى الوجود .

وهــذا العنصر العقلى فى الانسان من أدق عناصر البحث ــ حتى فى اطار السيكولوجى التقليدى . ومن المحال أن نحيط به من كل جوانبه هنا ، لكن تلزم مع ذلك الاحاطة ببعض جوانبه المتصلة اتصــالا مباشرا بالتكوين الروحى للانسان والمتميز تماما عن تكوينه العضوى .

---

(١) أى عقل يستخدم أسلوب الاستدلال المنطقى الواعى ، ولا يقتنع بأســلوب اللاشــعور الغريزى فى أداء كافة صـــور نشاطه فى اليقظة أو فى النــوم .

وهذه الجوانب التي يلزم التعرض لها في الباب الحالي والتي تعد من أهم الجوانب اللازمة للتعرف على بعض أسرار « العقل ، والفطرة ، والأحلام » ثلاثة : —

— فيلزم في فصل أول أن نعالج موضوع « العقل والمخ » لنحدد نوع الصلة القائمة بينهما من ناحية محاولة الاجابة على هذا التساؤل الجذري وهو : أيهما ينبغي أن يعد مصدرا للآخر ؟ والاجابة هنا لا تنفصم عن الفلسفة الصحيحة التي ينبغي أن يعتنقها الانسان عن الوجود . ذلك أنه حين كانت الفلسفة المادية تؤكد أن المخ هو مصدر العقل ، اذا بالبحوث الروحية تؤكد أن العقل هو مصدر المخ . وفي اطار الباراسيكولوجي ينبغي أن يكون الاحتكام للوقائع المادية الملموسة ولا شيء غيرها .

— ويلزم في فصل ثان أن نعالج موضوع « العقل والتكوين الفطري » من ناحية محاولة تحديد مفهوم التكوين الفطري . وما يرتبط به من الحديث في الغرائز ، والتطور ، والاكتساب والوراثة ، والاحساس بالمجهول ... وهي تؤدي الى حدوث انفعالات فطرية وثيقة صلة بالتأمل ، وبالصلاة ، وبالحب ... وكلها محل عناية خاصة من دراسات الباراسيكولوجي .

وفي فصل ثالث وأخير من هذا الباب يلزم أن نعالج موضوعا أخيرا مرتبطا بنوعية العقل والتكوين الفطري تحت عنوان « العقل والأحلام » من زوايا عديدة قد تلقي أضواء هامة على أسرار السلوك الانساني في اليقظة والنوم ، وفي حالات قد تقع بين اليقظة والنوم ، مع عقد مقارنات عديدة بين موقف السيكولوجي والباراسيكولوجي من هذه المشكلة التي أبرز فرويد مدى أهميتها ، لكنه عند محاولة حلها ارتبط بفلسفته المغلولة عن الجنس ، واللاشعور . أما أبحاث الباراسيكولوجي المعاصرة فقد فتحت لمحاولة حلها سبلا لم تكن مطروقة من قبل كما سيبين للقارىء فيما بعد .

الفصل الأول

فى العقل والمخ

عن الصلة بينهما

لا ريب أنه كان للدراسات الحديثة فى الظواهر المألوفة وغير المألوفة فضل كشف النقاب عن بعض جوانب الصلات الخفية بين العقل والمخ • فمثلا لقد كشف التنويم المغناطيسى عن عدم الارتباط المحتوم بين العقل والمخ ، وعن امكان استقلال العقل عن المخ فى الزمان والمكان ، خصوصا عند محاولة تتبع ذاكرة المنوم وتنقلها بين مراحل التنويم المختلفة ، واتساع نطاقها حينا وضيق هذا النطاق حينا آخر • ثم جاء دور دراسة الظواهر الوساطية المتنوعة — العقلية والفيزيقية معا — كيما يلقى بعض أضواء جديدة فى طريق محاولة تحديد أبعاد العلاقة بين العقل والمخ تحديدا صحيحا مبنيا على أسس من التجريب الواقعى ، لا الافتراضات النظرية التى طالما ضللت الباحثين القدامى •

ولقد كان لدراسة هذه الظواهر الأخيرة الدور الأكبر فى توجيه علم النفس الحديث وجهة صريحة نحو نفى تبعية العقل للمخ تبعية محتومة ، وهى النظرية التى سادت تفهم العلاقة بينهما فى ظل المدارس المادية لتعليل الحياة ، وسادت بالتالى فى بحوث علوم متعددة وبوجه خاص فى الطب والفسيولوجيا ، الى المدى الذى قد لا يعبر عنه شىء قدر تأكيد العالم الألمانى كارل فوجت C. Vogt (١٨١٧ — ١٨٩٨) أن التفكير عبارة عن مجرد افراز يفرزه المخ كما يفرز الكبد الصفراء مثلا •

وهذا التأكيد الأخير كذبته مشاهدات وضعية متعددة ، ونفاه منذ مطلع هذا القرن شارل ريشيه Ch. Richet فى مؤتمر علمى انعقد تحت رئاسته عندما صرح بأنه « يمكن دون كبير كباء تصور وجود الذكاء

دون أن يكون المخ جهازا له ، ولو أن ذلك يبدو لأول وهلة أمرا غير معقول » . كما نفاه قبل ريشيه العالم المعروف كلود برنار C. Bernard بحجة منطقية بسيطة ، وبغير أى بحث فى العلم الروحى الحديث عندما قال « اننا بقولنا أن المخ يفرز التفكير نكون كمن يقول ان الساعة تفرز الزمن أو فكرة الوقت . أن المخ والساعة جهازان أحدهما حى والآخر ميت ، وهذا هو كل الفارق بينهما » .

ومن الملاحظة التشريحية اتضح أن عددا ملحوظا من الأشخاص أمكنه أن يحتفظ بذكائه حتى آخر أيام حياته ، مع أن المخ كان قد لحقه تشويه خطير . فقد ذكر مثلا الدكتور هوزلاند Husseland فى جريدة « الطب العملى » (١) . الحالة الآتية بمناسبة كلامه عن المخ البشرى « ان شخصا كان مريضا منذ زمن طويل بالشلل — ولكن لم تبد عليه حتى ساعته الأخيرة أية أعراض لاضطراب عقلى ما — وجدت جمجمته عند التشريح أشبه بصندوق خال الا من الماء فحسب » . وأشار بعض مجلات الطب الى حالات أخرى من هذا النوع .

ومنها حالة تحقق من صحتها الدكتور روبنسون Robinson وقدمها ادموند بريبه Perrier الى أكاديمية العلوم بباريس فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٣ وهى حالة انسان عاش عاما كاملا ، وكان عادى المظهر ، ومع ذلك كان مخه عبارة عن صديد مغلى لا غير(٢) .

لذا نجد أن الجراح المعروف الدكتور محمد كامل حسين مدير جامعة عين شمس السابق يكتب فى هذا الشأن قائلا : « لقد أجريت عمليات قطعت فيها الصلة التشريحية تماما بين الجزء الجبهى من المخ كله وبين بقية المخ ، ولم يتغير تفكير الناس ولم يفقدوا ذاكرتهم أو عواطفهم ، كأن الصلة بين المخ الجبهى والجسم صلة لا علاقة لها بالاتصال المادى

(١) عدد أكتوبر ١٩٣٨ .
(٢) المرجع السابق ص ١٠٩ ، ١١٠ .

التشريحى ، ولعله اتصال كهربائى أو كيميائى أو الكترونى ، والأرجح أنه اتصال بطريقة لم تعلم بعد ... » .

وهذه الطريقة التى لم تعلم بعد يقول علم الروح أنها عبارة عن اتصال لا مادى أو بالأدق أثيرى بين « كهربائية » العقل المرتبط بالروح — مصدر كل ذاكرة وعاطفة ، بل مصدر كل حياة — وبين الجهاز العصبى الخاضع للعقل عن طريق المخ .

ثم يستطرد الجراح الكبير فى مكان لاحق قائلا : « ولاشك أن للنفس حياة خاصة ، وأن دراستها تحتاج الى طريقة بحث جديدة ، ولكن التحليل النفسى ليس الطريقة الجديدة المرجوة ، انما هو تطبيق التفكير العصرى الحالى على ظواهر لا يصلح لتفسيرها »[1] ، وكان ذلك بصدد ما يريده المفكر العميق من اثبات أن علم النفس بمفهومه التقليدى ، علم ضال مفرط فى ضلاله ، وأنه لا يقل ضلالا عن الكيمياء عندما كانت خلوا من كل فكرة صحيحة عن طبيعة الأشياء .

هل العقل مصدر المخ ؟

هذا وقد بحث عدد ضخم من علماء النفس (السيكولوجى) وما وراء النفس (الباراسيكولوجى) لمدى سنين طويلة وبكافة الوسائل المعملية هذا الموضوع المفرط فى أهميته ، وهو موضوع تحديد الصلة الحقيقية بين الوعى والمخ وطبيعتها . وقد أثبتت هذه البحوث بما لا يدع مجالا لأية مكابرة الآن امكان استقلال الوعى الانسانى عن الجسد المادى فى شتى صور الادراك التى تصل الينا عن طريق حواسنا الخمس ، وبالتالى امكان استقلال الشعور عن الحواس المادية والوعى عن المخ ولو فى أحوال نادرة . أو بعبارة أخرى لقد ثبت انتفاء الارتباط المحتوم بين الأمرين بغير

---

(١) فى مؤلفه « متنوعات » طبعة ٢ ص ١٠٥ . ومثل هذا اتانه يضا فى كندا جراح معروف للمخ يدعى ويلدر بنفيلد Wilder Penfield مدير مؤسسة جامعة ماكجيل Mc Gill لجراحات الأعصاب مؤيدا بوقائع حاسمة عن جراحات عديدة فى المخ أجراها بنفسه .

انكار فى نفس الوقت للروابط الوثيقة بينهما ، فالعقل قد يعد مصدرا للمخ ، أو هو بالفعل مصدره المباشر الصحيح ، ولكن لا يجوز القول بأن المخ يصح أن يعد مصدرا للعقل سواء اعتبرناه مصدرا مباشرا أم غير مباشر •

واذا صح أن العقل يصلح مصدرا للمخ ، كما تصلح البذرة مثلا مصدرا للشجرة ، فانه يصلح بنفس المقدار لأن يكون مصدرا للجسم المادى كله • ومتى توصل العلم الى اثبات هذه الحقيقة الخطيرة بطريقة قاطعة فانه يكون — بنفس المقدار — قد نفى فناء الفعل بطريقة بيولوجية صرف • وذلك لأن فناء الجسد المادى بالموت — أو بالأدق تحلله الى عناصره الأولى — أمر مؤكد ، حين لا يوجد دليل علمى واحد على فناء العقل أو على تحلله بالموت • أما اذا كان العكس هو الصحيح ، وهو أن العقل من صنع المخ فان فناء العقل بفناء المخ يصبح هو الأمر الثابت علميا ، أو بالأقل هو الأمر الظاهر منطقيا •

واذا قلنا أن المخ من صنع العقل فان تلاشى المخ لا يؤدى بالضرورة الى تلاشى العقل • وبالتالى فانه اذ صح تشبيه العقل بزهرة فان المخ ينبغى أن يعد ظلا لها ، فاذا ما تلاشت الزهرة تلاشى ظلها حتما ، أما اذا تلاشى الظل فان ذلك لا يعنى بالضرورة تلاشى الزهرة ، لأن ظل الزهرة يمكن أن يتغير شكله ، أو أن يغير مكانه ، أو أن يضعف ، أو أن يقوى ، أو أن يتلاشى لأسباب أجنبية مستقلة عن الزهرة ذاتها • وهذا هو حجر الزاوية فى القول بامكان بقاء الوعى الانسانى حتى بعد انفصاله بالموت عن الجسد المادى ، وهو جوهر العلم الروحى الحديث وخلاصة ما يستند اليه من حقيقة مقررة •

وفى تشبيه آخر يمكننا أن نشبه المخ بأنه آلة موسيقية من رسالة العقل أن يعزف عليها فى حدود طاقته الموروثة والمكتسبة • وهذا العزف قد يكون جيدا أو ضعيفا بحسب مدى نمو العقل وحسن سيطرته على آلة العزف هذه • وأيضا بحسب جودة هذه الآلة الموسيقية أو عدم

جودتها . واذا فسدت الآلة مع مضى الوقت فسد العزف حتما ، رغم أن ملكات العازف قد لا تكون مصابة بأى فساد أو ضعف ، بل ربما تكون قد نمت وتطورت للأمام مع مضى الوقت . وهذا هو بالضبط ما قد يحدث مع تقدم المخ فى الشيخوخة ، أو فى حالة اصابته بضعف مكتسب (١) أو متوارث (٢) . فعندئذ قد تبدو تصرفات صاحبه مختلة مضطربة ، بغير أن يشير هذا الاضطراب بالضرورة الى ضعف مقابل فى ملكاته العقلية التى يحتمل أن تكون — على العكس من ذلك — قد تهذبت ونضجت مع الخبرة المتواصلة التى يكتسبها العقل بمضى الزمن .

وهذا التهذيب والنضج لا يمكن أن يظهرا على حقيقتهما الا عند اصلاح آلة العزف ، وهى المخ ، أو عند استبدالها بآلة أخرى جديدة ، وهو ما يحدث — بحسب كشوف الروحية — عند الانتقال من مستوى المادة التى تتحكم فى العقل — وهى هنا المخ — الى مستوى العقل الذى يتحكم فى المادة ، وهو المستوى الأثيرى للوجود المحكوم بالعقل حكما مباشرا على ما سبق بيانه (٣) .

آراء خطيرة لبرجسون

وممن بحثوا بعناية موضوع نوع الصلة بين العقل والمخ وطبيعتها هنرى برجسون Henry Bergson الفيلسوف الفرنسى العظيم . وبحوثه تجريبية صرف جرت فى « المعهد السيكولوجى العام بباريس » ، وفى « الكوليج دى فرانس » ، وفى « جمعية البحث الروحى » بلندن . وقد انتهت به الى نتائج حاسمة وصريحة عن انتفاء الارتباط المحتوم بين الوعى والجسد ، وربط بين ذلك وبين احتمال دوام الحياة بعد موت الجسد المادى . ومن أقواله فى هذا الشأن فى محاضرة عنوانها « الروح والجسد » ألقاها بباريس فى ٢٣ من أبريل سنة ١٩١٣ :

---

(١) كما فى تصلب الشرايين المخى .

(٢) كما فى بعض سلالات مدمنى الخمور أو المخدرات ، أو مرضى الأمراض العضوية أو العصبية التى تلعب الوراثة دورا فيها .

(٣) راجع ما سبق فى ص ٢٨٦ — ٣٣١ ، ٣٧٦ — ٤٠٧ .

« ماذا تقول لنا التجربة فى الواقع ؟ انها تبين لنا أن حياة النفس ، وان شئت فقل حياة الروح مرتبطة بحياة الجسد ، وأن ثمة تضامنا بينهما ، ولا شيء غير ذلك . ولكن هل ثمة من أنكر هذه النقطة ؟ الا أنه شتان بين أن نقرر ذلك وبين أن تقول أن الدماغى معادل العقلى ، وأن فى الامكان أن نقرأ فى الدماغ كل ما يجرى فى الشعور المقابل .

ان الثوب الذى علق على مسمار متضامن مع هذا المسمار ، فاذا وقع المسمار وقع هو معه ، واذا اهتز اهتز ، واذا كان رأس المسمار حادا تمزق . ولكن لا ينتج عن هذا أن كل جزء من أجزاء المسمار يقابل جزءا من أجزاء الثوب ، ولا أن المسمار معادل للثوب ، ولا أن المسمار والثوب شيء واحد . نعم ان الشعور معلق بدماغ ، ولكن لا ينتج عن ذلك أبدا أن الدماغ يرسم كل تفاصيل الشعور ، ولا أن الشعور وظيفة للدماغ ، وكل ما تسمح لنا المشاهدة والتجربة (أعنى العلم) بتقريره هو أن ثمة علاقة بين الدماغ والشعور » (١) .

ثم يقوم فى موضع لاحق عن صلة العقل بما قد يصيب الدماغ من أمراض متنوعة : « لما كانت مهمة تحضير الكلمات منوطة بالدماغ ، وكان عمل الدماغ فى هذا المضمار يضؤل ويقل ويبسط بنسبة ما تستفحل الاصابة فى المنطقة المختصة ، فلا غرابة أن يكون التلف الدماغى الذى يفقدنا تذكر الأسماء ، والأعلام ، والأسماء النكرات لا يؤثر فى تذكر الأفعال . وهكذا نرى أن الوقائع تدل هنا — كما تدل فى كل موضع — على أن النشاط الدماغى ليس معادلا للنشاط النفسى ، وانما هو جزء منه يتجلى بحركات معينة .

ولكن اذا لم تكن الذكريات مختزنة فى الدماغ ، فأين اذن تقيم ؟ ! الحق أننى لا أدرى أى معنى لسؤال « أين » ؟ حين لا يكون الحديث عن

(١) عن كتاب « الطاقة الروحية » لبرجسون تعريب الأستاذ سامى الدروبى . الطبعة الأولى ص ٣٣

الجسد . الانطباعات الفوتوغرافية تحفظ في علبة ، والتسجيلات الصوتية تحفظ في خزانة ، لكن ما حاجة الذكريات الى مخزن ، وما هي الأشياء التي ترى وتلمس ، بل كيف يمكن أن يكون لها مخزن ؟ . واذا كان لا بد من مخزن تقيم فيه الذكريات بالمعنى المجازى للكلمة ، فهذا المخزن هو الروح . وما أنا الآن بمن يفترض افتراضا ، ويقول بوجود كائن غيبى . اننا ندرك وجود الشعور ادراكا مباشرا بديهيا أكثر من أى شيء آخر . والروح هي الشعور ، والشعور انما هو الذاكرة قبل كل شيء » .

ثم يقول برجسون « وتلكم هي أيضا وظيفة الدماغ بازاء الفكر على وجه العموم . أنه يستخلص من الفكر كل ما يمكن أن يتجلى بحركة ويدخل الفكر في هـذا الاطار المتحرك فيضطره بذلك الى أن يحد نظرته في الغالب ، ولكنه يضطره بذلك أيضا الى أن يكون ناجح الفعل ، ومعنى هذا أن الروح تطفو على الدماغ ، وأن النشاط الدماغى لا يقابل الا جزءا يسيرا من نشاط النفس .

ولكن معنى هذا أيضا أن حياة الفكر لا يمكن أن تكون نتيجة لحياة الجسد ، بل ان الجسد ما هو الا خادم للفكر وأنه لا يسوغ لنا ، والحال هـذه ، أن نفترض أن الجسد والروح مرتبطان أحدهما بالآخر ارتباطا لا انفصـام له . وطبيعى أننى لن أقطع في نصف الدقيقة البـاقية (من المحاضرة) برأى في مسألة هي أخطر ما طرح على الانسـانية من مسائل على الاطلاق . ولكننى لا أستطيع كذلك أن أتهرب منها . فمن أين أتينا ؟ وماذا نعمل ها هنا على هذه الأرض ؟ والى أين المصير ؟ .

فاذا كان صحيحا أن ليس لدى الفلسـفة ما تجيب به على هـذه الأسئلة الهامة الحيوية ، أو كانت غير قادرة على أن توضحها بالتدريج كما توضح مسألة بيولوجية أو تاريخية ، أى اذا كانت لا تستطيع أن تجعلها تستفيد من تجربة ما تنفك تتسع ، وملاحظة ما تزال تدق ، اذا كان عليها أن تقتصر على مهاجمـة أولئك الذين ينكرون الخلود لأسباب مستمدة

مما يفرضـــونه للنفس والجســـد من جوهر ، فانه على جانب عظيم من الأهمية أن نستطيع منذ الآن أن نقرر تجريبيا أن البقاء الى زمن ما ممكن بل محتمل (١) .

وندع لغير الفلسفة أمر القطع بأن هـذا الزمن محدود أو غير محدود . وأعتقد أن المسألة الفلسفية المتعلقة بمصير النفس — اذا اقتصرنا فيها على هذه الأجزاء المتواضعة — قابلة لأن تحل . فلو كان عمل الدماغ يقـابل مجموع الشعور كله ، وكان ثمرة تعادل بين الدماغي والنفسي لأمكن أن يتبع الشعور مصير الدماغ ، وأن يكون الموت نهاية كل شيء .

أما اذا كانت الحياة النفسية — كما حاولنا أن نبرهن على ذلك — تطفو على الحياة الدماغية ، وكان الدماغ لا يزيد على أن يعبر بحركات عن جزء صغير مما يجرى فى الشعور ، فان البقاء يصبح عندئذ معقولا جدا ، بحيث يقع واجب البرهان بعدئذ على عاتق من ينكر لا على عاتق من يدعى ، لأن الباعث الوحيد الذى يدعو الى الاعتقاد بفناء الشعور بعد الموت هو رؤية الجســـم يفنى . ولا يكون لهذا الباعث من قيمة اذا كان استقلال جل الشـــعور ، ان لم يكن كله عن الجسم : ظاهرة مرئية هى الأخرى (فانظر وتأمل ! ! .) .

اننا حين نعالج مسألة البقاء على هذا النحو فننزلها من القمم التى وضعتها فيها الميتافيزياء ، تتنازل ولا شك عن الحصول على حل نهـائى دفعة واحدة . ولكن ماذا تريدون ؟ انه لابد فى الفلسفة من الاختيار بين طريقتين : طريقة التفكير المحض الذى يرمى الى نتيجة نهائية ، فلا يتكامل لأنه يفترض لنفسه الكمال ، وطريقة الملاحظة الصـابرة التى تؤدى الى نتائج تقريبية فحسب ، الا انها قابلة لأن تصحح وتكمل باستمرار .

---

(١) « ممكن » و « محتمل » هو دائما أسلوب برجسون فى التعبير عن آرائه اذ كان يرفض الجزم بأى أمر مهما كان مقتنعا به تاركا للقارىء بذلك حرية التقدير والاقتناع .

أما الطريقة الأولى ، فلأنها أرادت أن تأتينا باليقين دفعة واحدة فانها قضت علينا أن نظل أبدا فى أحضان الاحتمال ، بل الامكان المحض ، اذ قلما تعجز عن البرهان على رأيين متعارضين ، وكلاهما ممكن بدرجة واحدة . أما الطريقة الثانية (طريقة البرهان التجريبى) فانها لا تهدف فى أول الأمر الى غير الاحتمال ، ولكنها اذ تسير فى طريق يزداد فيه الاحتمال باستمرار ، تفضى بنا شيئا فشيئا الى حالة تكاد تعدل اليقين . وبين هاتين الطريقتين فى التفلسف تم اختيارى أنا ، وكم يسعدنى أن أوفق الى المساهمة ولو قليلا فى توجيه اختياركم » (١) . وهكذا وصل برجسون عن طريق « البرهان التجريبى » فى الصلة بين المخ والعقل الى عدم فناء العقل بالضرورة بسبب فناء الجسد ، كما سلم مرارا بوجود روح الانسان مستقلة عن هذا الجسد وبأن وظيفة المخ ليست الذاكرة ، بل هو مجرد أداة لنقل الصور العقلية كيما تصبح كلمات مسموعة ، فكأن دوره هو أنه يعطى الخط donner la communication للعقل كيما يعبر عن نفسه عن طريق المخ لا أكثر ولا أقل .

وفى هذا الصدد يتحدث الدكتور مراد وهبة عن برجسون قائلا « انه انتهى خلال دراسته لأمراض الذاكرة وأخصها أمراض التعرف ، ومرض الحبسة ، وفقدان الذاكرة الى نفس النتيجة ، وهى أنه لا يوجد محو للذكريات بل اضطراب فى الأجهزة المحركة . وفى عبارة أخرى يقول برجسون ان وظيفة الدماغ هى العمل على أن يكون الفكر حينما يحتاج الى ذكريات قادرا على أن يحصل من الجسم على حركة معينة ، هى بمثابة الاطار الذى فيه تدخل الذاكرة من تلقاء نفسها ، فمهمة الدماغ اذن هى تقديم الاطار دون الذاكرة ... ويخلص برجسون من ذلك الى أن الفكر مستقل عن الدماغ . ومع ذلك فهذا الاستقلال ليس انكارا للتضامن الوثيق بينهما . وانما هو انكار لفكرة أن النفسى يعادل الدماغى ويوازيه . وبرجسون حينما يقرر هذه العلاقة انما هو يقررها مستندا فى ذلك الى

(١) المرجع السابق ص ٤٨ — ٥٠ .

الرؤية والتجربة ... »[1] .

عن بحوث ج.ب. راين

ومن أهم البحوث العلمية الدقيقة عن الصلة بين المخ والعقل بحوث قسم الباراسيكولوجى بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية . وقد دامت هـذه البحوث لمدى عشرات من السنين باشراف الأستاذ جوزيف بانكس راين J. B. Rhine وقد حسمت هذه البحوث كل شك حول هذا الموضوع ، ولخص الأستاذ راين نتائجها فى عدة مؤلفات له ، منهـا واحد عن « الوصول الى العقل » The Reach of the Mind

وفى هذا المؤلف يقول راين « وعلم النفس هو الميدان الذى تنتمى اليه هذه القضـية ، فطبيعة العقـل أو النفس هما بالتحديد مادة بحث السيكولوجيا . غير أنها فقدت اهتمامها منذ أمد طويل بالنفس ، وحتى كلمة العقل كما يستخدمها الانسان العادى بمعنى يختلف عن معنى المخ لم تعد فى وضع يؤدى المعنى المقصـود منها . ولذلك أصبح الباحث فى النفس لا يجد عنها شـيئا فى مصـادر السيكولوجيا الحديثة ، ولا فى المحاضرات التى تلقى عنها . وربما وجد هناك القليل عن العقل كحقيقة مستقلة ، وبدلا من ذلك فهو يطالع الكثير عن السـلوك وصلاته بمناطق المخ وخطوطه .

أما العلاقة بين العقل والجسم فقد أضحت موضوعا قديما ، وكذلك الرأى الاثنينى (أى أن العقل غير المخ ، وغير تابع منه) فقد أصبح فى السيكولوجيا الحديثة من النظريات البائدة ، ومن بين النفسيين قد غاب عن الأنظار أولئك الأوائل الذين دافعوا عن هذه النظرية الاثنينية ، وهم وليم جيمس ، ووليم مكدوجال ، وهنرى برجسون ، ثم هانز دريش ،

(١) عن « المذهب فى فلسـفة برجسون » للدكتور مراد وهبـة . القاهرة ١٩٦٠ ص ١٣٢ .

(٢) وله ترجمة عربية بمعرفة الدكتور محمد الحلوجى أعطاها المترجم عنوان « العقل وسطوته » وعليها نعتمد فى الاحالات الواردة هنا .

ولم يظهر خلفاء لهم يمكن أن يقارنوا بهم » (١) .

وقد أصبحت النظرية القائلة بوجود نفس للشخصية فى ذمة التاريخ النفسى « ومع ذلك فان أغرب الأشياء أنه لا يوجد شخص واحد استطاع أن يبرهن على مادية العقل ، ولم تسجل قط نظرية مادية واحدة لحالة شعورية عقلية . وانه لمن المدهش حقا أن يقبل فرع من الفروع رأيا بغير دليل ايجابى ، بل حتى بغير فروض نظرية لتعليله . وانما يمكن فقط أن يوصف هذا التقهقر بأنه نوع من الاعتقاد المجرد — كأنه من أعمال الايمان — ومع ذلك أصبح هذا الاعتقاد مثاليا فى دوائر العلم ، تماما كما كان الاعتقاد فى وجود الروح سائدا فى مدارس اللاهوت ! » .

كما يقول راين أيضا عن نتائج بحوثه فى الادراك عن غير طريق الحواس التى جرت على أشد المناهج دقة وتحفظا ، ودامت لمدى عشر سنوات متتابعة « وهذه الفترة من السنوات العشر دفعتنا للأمام مرحلة طيبة فى البحث فى مشكلة الانسان . ففى نهايتها علمنا أن العقل يمكن أن يحصل على نتائج يمكن الوثوق بها عن المادة بدون تداخل الحواس ، وأن الادراك خارج الحواس للأشياء هو مظهر لهذا التفاعل والادراك ، وهو يعنى نوعا من العلاقة الوظيفية بين الشخص المدرك والشىء المدرك .

فاذا استطاع العقل أن يفعل ذلك وهو نفسه الى حد ما غير مادى فان وجهة النظر الروحية للانسان تكون قد حصلت على سند قوى . وكانت هذه المكتشفات هى بالضبط ما يحتاج لمعرفته والالمام به أولئك الذين أزعجتهم الفكرة الآلية للانسان . ودلت النتائج على أن الرأى القائل بأن المخ هو المحور للانسان تدليس علمى لم يكن له أساس حقيقى » (٢) .

---

(١) وهؤلاء الأربعة النفسيون الكبار من أعلام البحوث الروحية الحديثة ، وكانوا أعضاء فى جمعيتى البحث الروحى ببريطانيا وامريكا .
(٢) المرجع السابق ص ٥١ .

كما يقول فى مكان آخر من مؤلفه السابق « واثبات أن العقل يختلف عن المخ فى بعض النواحى الرئيسية مما يؤيد النظرية الروحية للانسان ، وهذا يعنى أن العقل عامل قائم بنفسه فى الهيكل العام للشخصية ، وعلى ذلك فان عالم الفرد لا يتركز تماما فى العمليات العضوية للمخ المكون من المادة . والمشكلة هى هل هناك شىء خلاف المادة أى روحى فى طبيعة الانسان ؟ ... والجواب الذى تمليه الدراسة التجريبية هو بالايجاب ، فلدينا الآن الدليل على أن هذا العامل الخارج عن المادة موجود فى الانسان، ونظرية الروح كما حددناها قد ثبتت بالمعنى الذى حددناه بها»(١) .

آراء أخرى

وفى عدة بلاد بحث علماء كبار هذا الموضوع الخطير وانتهوا الى نفس النتائج التى انتهى اليها أمثال برجسون ، ومكدوجال ، وراين . فمن الانجليز نجد مثلا فيلسوفا وعالما نفسيا وأستاذا للفلسفة الأدبية Moral Philosophy بجامعة كامبريدج منذ سنة ١٩٣٣ وهو الدكتور تشارلى بروض Ch. D. Broad يعلن انتفاء الارتباط المحتوم بين العقل والمخ فى مؤلف له عن « العقل ومكانه فى الطبيعة » (٢) ، كما يعلن ذلك فى عدة مقالات ومحاضرات له ، وقد وجه فيها الأنظار الى النظرية القائلة بأن وظيفة المخ والمجموع العصبى تعمل على حمايتنا بابعاد المعلومات غير اللازمة ، وترك ما يكون ذا فائدة . وهو يرى أن توسيع هذه النظرية فى النواحى الروحية قد يفسح أمامنا مجالا كبيرا للبحث . فهو لا يعتبر المخ مصدرا للتفكير بقدر ما يعتبره حاجزا يحمى العقل بابعاد المعلومات غير اللازمة عنه واستبقاء ما قد يكون ذا فائدة .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٨ .

(٢) ص ٢٩٩ – ٣٠١ The Mind and its Place in Nature

وللدكتور بروض مؤلفان فى علم النفس هما : –

Educational Psychology, Practical Psychology.

ولنا عودة فى الباب التاسع الى الآراء التى خلص اليها بروض بشأن خلود النفس ، والنظرية المركبة للعقل ، والعودة للتجسد .

وقد شرح بروض آراءه أيضـا فى سلسلة من المحاضرات فى البحث الروحى(١) ألقاها فى جامعـة كامبريدج خلال عامى ١٩٥٩ — ١٩٦٠ ، وتناول فيها بوجه خاص تجارب الدكتور سول Soal والأساتذة شاكلتون Shackleton ، وستيوارت Stewart ، وبرات بيرس Pratt-Pearce وتيريل Tyrrell ، والآنسة جونسن Johnson وبالاضافة الى تجارب تمت فى « جمعيـة البحث الروحى » مع الوسطاء ليونارد Leonard وويليت Willett ، ووارين ايليوت Warren Elliot

* * *

وممن تصـدوا أيضا لبحث الصلة بين العقـل والمخ العالم النفسى تشارلس فوكس Ch. Fox مدير احـدى كليات كامبريدج ، وله فيهـ مؤلف عن « العقـل وجسـده »(٢) وفى ختـام بحثه ينتهى الى أن الاعتراض على خلود النفس بضرورة الارتباط بين العقل والجسد يرجع الى تفكير خاطىء « لأن العقل يحصل عن طريق الارتباط بالجسد على التجربة اللازمة فحسب ، ومن ثم فان سمو الروح مستمد من متابعتهـا للأشياء ذات القيمة الدائمة ، وان من حسن قدر الانسان ومصـيره أن يحصل على الخبرة مؤملا أن ما قد يحصل عليه منها ، بما أنه غير مرتبط بالجسد ، لا يمكن بالتالى أن يكون الى فناء » ، ثم يعد المؤلف قراءه بأن يعالج موضوع الخلود هذا فى مؤلف لاحق .

وقـد انتهى الى نفس النتيجة أيضـا ارنست هولمز Ernest Holmes فى مؤلفه عن « علم العقل » (٣) (١٩٣٨) وفيه يقرر فى طبعته الخامسة والعشرين (أغسطس ١٩٥٧) « ان المخ لا يفكر ... انما هو المفكر الذى يستخدم المخ ، فهو الذى يفكر شأنه شأن الانسان الذى

---

(١) Lectures on Psychical Research.

(٢) The Mind And Its Body.

(٣) The Science of Mind. ص ٣٧٤ — ٣٧٥

يستخدم قدرة النظرة ، لأنه ينظر خلال نوافذ العين ، فهو الذى يرى لا العين . والروح تحتاج الى جسد مادى هنا ، والا فانها ما كانت لتنجح فى تطوير جسد لها ، ولكن عندما لا يعود الجسد المادى آلة مناسبة تستخدمها الروح بسبب مرضه ، أو فساده ، أو بسبب حادثة ما ، فان الروح تدع جسدها الحاضر جانبا . وتستمر فى استخدام جسد آخر أكثر منه رقة ومرونة » .

ثم يتساءل المؤلف : عندما نغادر هذا المستوى هل سنكون مجردة أرواح أم ستكون لنا أجسام محسوسة ؟ ويجيب قائلا « ان الشكل لازم للتعبير عن الذات ، فلا يمكن أن يوجد وعى بدون أن يوجد شىء يعيه ، ومن القوانين الأولى للوعى أنه ينبغى أن يرتدى شكلا ما . والروح تغطى نفسها برداء هنا ، واذا كانت ستواصل العيش بعد مغادرتها للجسد المادى ، فانه من المنطقى أن نستنتج أنها ستظل محتاجة الى جسد وأنه سيكون لها هذا الجسد . واذا كان بمقدور الروح أن تصنع هنا جسدا وتحافظ عليه . فلا يوجد سبب لانكار قدرتها على أن تصنع جسدا هناك وتحافظ عليه . فنحن هنا أرواح بقدر ما سنكون أبدا كذلك . وقوانين العقل والروح لا تتغير بالتخلى عن الجسد المادى ، ولكن السؤال الذى ينبغى أن يثار « من أية مادة ستصنع الروح لها جسدا جديدا ؟ » والفكرة الجديدة عن الأثير تقدم نظرية مناسبة فى هذا الشأن » .

وبعد أن يشرح المؤلف هذا الموضوع الدقيق ، وهو الأثير الذى يخرج عن نطاق الفصل الحالى — يقول فى مكان لاحق « انى أؤمن باستمرار الحياة الشخصية بعد القبر ، وباستمرار المجرى الفردى للوعى بتذكر تام لنفسه ، وبمقدرة على أن يعرفه الآخرون ... وانى أعتقد أن بعض التجارب قد أعطتنا بينة متسعة النطاق لتدعيم دعوى الخلود . وانى أعلم أن تجاربى الخاصة تبرر قبولا تاما فى تقديرى لخلودى وخلود

الآخرين ... »(١) .

وفي موضع آخر يقول المؤلف « أنه بالتأكيد توجد حجج وبينات الى جانب النظرية القائلة بامكان الاتصال بالأرواح أكثر مما يوجد ضدها ، وبقدر صلتي بهذا الموضوع فاني مقتنع تماما بصحة هذه البينة (على الخلود) ... فاذا كان بمقدور العقل أن يتصل بالعقل بدون معاونة الجهاز الفيزيقي (الجسد) فان الاتصال بالروح بنبغي أن يكون أمرا ممكنا . ومادمنا نعلم أن الوقائع الآنف الاشارة اليها صحيحه ، فليس لدينا بديل آخر الا أن تتقبل البينات الحاسمة ، وأن نتبين أن الاتصال بالمنتقلين — وان جاز أن يكون أمرا صعبا — الا أنه قد حدث بالفعل . ومن الجلي أن أي اتصال كهذا ينبغي أن يكون عقليا ، أي ينبغي أن يكون عبارة عن انتقال فكر عبر آخر — Thought Transference أو بالأدق تخاطر عقلي Telepathy (٢) .

* * *

وهنالك بحوث أخرى كثيرة عن الادراك عن غير طريق الحواس انتهيت الى تأكيد وجود عنصر روحي في الحياة يمكن أن يستكشف رياضيا . وغير تابع للمخ ، ومنها بحوث المهندس الفرنسي رينيه وارکولییه René Warcollier الذي كان مديرا « للمعهد الدولي لما وراء الروح بباريس » (٣) ، والطبيب الألماني كارل بروك Carl Bruck ورودلف تشنر R. Tichner ، والمكتشف البريطاني سير هيوبرت ولكنز H. Wilkins (٤) ، والباحث الأمريكي أبتون سنكلير Upton Sinclair .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٨٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٧٩ .
(٣) راجع عنه ما سبق في ص ١٣٦ — ١٤٠ .
(٤) راجع عنها كتاب « حواسك الزائدة في خدمتك » تأليف هارولد شيرمان ترجمة د. علي راضي ١٩٧٠ ص ٢٨ وما بعدها وهو كتاب قيم حافل بالبينات عن صحة الادراك خارج الحواس .

وهذه الحقائق لا تستقيم — حتى مع ندرتها البالغة — مع التعليل المادي للتفكير وتستقيم مع التعليل الروحي له ، وبالأخص قاعدة احتمال بقاء التفكير بعد انفصاله عن جهازه المادي وهو المخ . وذلك يتمشى بدوره مع ما تقول به الروحية الحديثة من أن الانسان قد يكون بعد الموت بفترة كافية أذكى منه قبل الموت حين كان يستخدم المخ المادي بكل ما فيه من عوامل الضعف المتوارث بحكم قوانين الوراثة ، فضلا عن تأثير السن وأمراض سوء التغذية ، والدورة الدموية اذا كان المنتقل قد تعرض لشيء منها قبل انتقاله بفترة طويلة أو قصيرة . مادام الانسان يستخدم العقل بعد الموت متحررا من قيود جهازه الأرضي البالي وهو المخ .

كما يستخدم العقل حواسه هناك متحررة من قيودها الأرضية البالية التي تحد منها ، وتعيق الكثير من امكانياتها الفطرية . ومن ثم تعود الحواس طبيعية حتى ولو كان المنتقل قد فقد احداها تماما قبل الانتقال . بل تظهر للانسان تدريجيا بعد الانتقال حاسة جديدة هي حاسة التلباثي أو قراءة الفكر ، وهي موجودة هنا لكنها دفينة ومعطلة تعطيلا شبه تام لدى الانسان العادي بسبب العائق المادي وهو المخ الذي يستخدمه العقل الى حين . كما تعود هناك أعضاء الجسم التي بترت في مثل حرب أو حادثة قبل الانتقال ، وذلك لأن الأعضاء الأثيرية المتصلة بالجسد الأثيري غير قابلة للبتر ، فهي من طبيعة ضوئية كطبيعة الجسد الأثيري كله .

وهذا الجسم الأثيري أو اللامادي على المستوى المادي ، له كيان مادي على المستوى الأثيري ، وان كانت مادته أرق بكثير من المواد الأرضية وألطف . وهو كيان مفرط في رقته وفي مرونته وذو طابع موجي اشعاعي ، وهو يحمل هناك عقل الانسان وأدوات الاحساس على المستوى

الأثيرى ، حين يحمل الجسد الترابى أدوات التعبير عن العقل والاحساس على المستوى المادى الذى نحيا فيه مؤقتا لهدف سام تعرفه نواميس الطبيعة ، وهو حصولنا على قدر لازم لنا من نمو العقل والأخلاق يؤهلنا لحياة أرقى بكثير فى وسائلها وأهدافها من هذه الحياة الأرضية العابرة(١) .

---

(١) راجع ما سبق فى شأن الجسد الأثيرى فى ص ١٦٤ — ١٦٨ ، ٢٨٦ — ٣٣١ ، ٣٧٦ — ٤٠٦ .

الفصل الثانى

فى العقل والتكوين الفطرى

المبحث الأول

الفطرة والتطور

عن التطور بوجه عام

أيا كان الرأى النهائى فى شأن الصلة بين التكوين الفطرى والسلوك الانسانى ، ومهما يقال من ان ظواهر السلوك لها — أو لا صلة لها — بالتكوين الطبيعى لبنى البشر ، فان تعبير الفطرة أو التكوين الفطرى فى هذا المقام له أكثر من مفهوم • فمثلا يفهمه بعض كبار التطوريين من أمثال داروين على أنه يشير الى التكوين الجثمانى ، لكن طائفة أخرى من التطوريين تعتقد بأنه يشير الى تزاوج التكوين الروحى — الجثمانى ، هذا التزاوج الذى يربط الكائن الانسانى برواسب أصله الحيوانى المتطور التى لا تزال تحدث أثرا متفاوتا فى نوازع سلوكه المختلفة ، خصوصا بالنسبة لبعض صور السلوك الشاذ التى لا تصدر عن الجانى ذى التطور الطبيعى ، وذى الاستعدادات والميول المألوفة لدى غيره •

ولا ريب أن هذا المفهوم الثانى انتصر تدريجيا عند علماء التطور على المفهوم الأول ، وأصبح من الأمور المألوفة الآن النظر الى الانسان بوصفه كائنا متطورا فى العقل والجسد معا ، وربما بنفس المقدار • بل يبدو أن التطور العقلى هو الذى يفسر التطور الجثمانى ويتحكم فيه على نحو ما • فالتطور فى الواقع يصدر من داخل الذات حتى وان بدا قادما — بسبب قابلية التكيف بالبيئة الخارجية ، وهى ذات صلة مسلم بها بناموس الاختيار الطبيعى وبقاء الأصلح — من تأثير البيئة الخارجية فى وظائف الأعضاء على نحو أو آخر •

وذلك لأن هذا التأثير لا يمكن أن يجيء مباشرة ، بل عن طريق التأثير فى التكوين الروحى ــ العقلى ابتداء • وهذا التأثير أو ذاك محكوم بنواميس طبيعية تلقائية ــ بيولوجية وبيوكيميائية ــ مغالية فى دقتها وفى تعددها وتركيبها لا يزال العلم يحبو فى محاولة كشف النقاب عن بعضها ، ويلزمه أمد طويل للكشف الصحيح عن هذا البعض •

وفى الواقع ان البحث فى المصدر الحقيقى لسلوك الانسان لا ينبغى أبدا أن يغفل تكوينه العقلى ــ الروحى ، فان هذا التكوين هو كل شيء فيه تقريبا ، ولذا قال ماركوس أوريليوس بحق « ان حياتنا من صنع أفكارنا » • وبالتالى فان التكوين الحق للذات ينبعث من العقل ، ويؤثر بعدئذ فيما يتلقاه هذا العقل عن طريق الحواس من مشاعر ومن أفكار وفيما يصدر عنه منها •

ومن ثم فان مدى تطور التكوين العقلى ــ الروحى ينبغى ان يحسب له كل حساب من الناحية الفردية للسلوك ، كما ينبغى ان يحسب حسابه من الناحية الاجتماعية • واذا كانت أسرار التكوين الجثمانى قد لقيت عناية خاصة من علم الاجرام الحديث خصوصا عند من بحثوا بعناية موضوع تصنيف الجناة فان أسرار التكوين العقلى ــ الروحى ينبغى أن تلقى عناية مماثلة • وذلك بالنظر للصلة الوثيقة بين الانسان الظاهر وبين الذات العاقلة الروحية التى هى الانسان الحقيقى •

وهذه الصلة هى التى تفسر جميع المحن والمباهج والاختبارات التى يتعرض لها بنو البشر فى كل يوم ، والتى تهدف بها الطبيعة الى النهوض التدريجى بأفكار الناس وملكاتهم ودوافعهم ومشاعرهم وضمائرهم ، وذلك حتى تحسن التأثير فيما يحيط بها من ظواهر الحياة حالا ومستقبلا •

* * *

وحضارة العقل والعاطفة تكون على هذا النحو هى الهدف الأسمى

من نشوء الحياة بكل ما يكتنفها من أسباب لا تنتهى للآلام ، وللكفاح ، وللمرور باختبارات من كل صنف عن طريق الحواس ، وبالتالى عن طريق العقل الذى يعمل من وراء الحواس . ولعله لتحقيق هذا الهدف الضخم تصور برجسون الكون كله بمثابة « آلة لصنع آلهة » كما يقول . أى للصنع الانسان المنطور المتناسق ، الذى يملك عدة غرائز عريقة جدا توجه سلوكه ، لكنه يملك أيضا قدرة ولو محدودة للسيطرة على غرائزه وميوله واندفاعاته ، والذى ينبغى أن يملك قبل كل شىء آخر مشاعر نقية حقيقية نحو كل ما يحيط به من ظواهر الوجود .

وهذه الغرائز حتى وان بدت بحسب ظاهرها متنوعة ومتعددة فى مصادرها وفى انفعالاتها ، الا انها ترجع كلها الى أصل مشترك عريق واحد . وفى الواقع أننا « اذا تأملنا مجموعة الغرائز البشرية أو الحيوانية لألفيناها جميعها متفرعة من غريزة أولى عامة تجمعها تحت كنفها ، وهى غريزة حب البقاء التى تعتبر بحق أم الغرائز . فغريزة حب الذات وما يتفرع عنها من غرائز (مثل غريزة الطعام ، وغريزة الاعتداء ، وغريزة الاقتناء ، وغريزة حب الاستطلاع ، وغريزة الاعتداد بالذات وما اليها من الغرائز المتعلقة بحياة الفرد) ترمى الى بقاء الفرد وحفظ حياته .

والغريزتان الجنسية والاجتماعية بما يتفرع عنهما من غرائز (مثل الحب الجنسى ، والحب العائلى ، والحب المعنوى ، ومحبة الجماعة ، والطاعة ، والمعاشرة ، وتضحية الذات ، والمشاطرة والمحاكاه) ترمى الى بقاء النوع .

ومن ذلك يتضح لنا أن الغرائز اطلاقا تجمعها تلك الغاية المشتركة التى تشمل جميع عناصر الحياة فى الوجود على اختلاف أشكالها وصورها وهى حب البقاء . فهى شجرة الخلد التى غرسها الله فى نفس الخلية جدتنا

الأولى فى عالم الأحياء[1] . فما حياة النوع الا استمرار لحياة الفرد فى صورة أخرى تتم بانفصال قطعة منه تستمر فيها مظاهر الحياة ، وبذلك يتم للحياة النقل من سلالة الى سلالة .

وهكذا تنتهى بنا الحياة الى غاية لا يعلمها الا الله ، وما باقى الغرائز الأخرى الا أغصان تفرعت عن ذلك الأصل على مر الأجيال جريا على سنة التطور التى تعمل فى الوجود ، والتى هى بمثابة مظهر الحياة والحركة فى هذا الكون .

كما تعتبر حركة التطور من أقوى الأدلة على ما وراء هذه الحياة الكونية من قوة عظمى مسيطرة مديرة مبدعة ، تقف من هذا العالم وما يتمتع به من مظاهر للحياة موقف الروح العليا أو العقل الكونى الأكبر وهى الله سبحانه وتعالى .

فالغريزة مثلها مثل العالم فى تطور دائم غير مستقر ، لا أثر للجمود فيه ، تؤثر فيها عوامل البيئة وتقلباتها المستمرة ، كما يؤثر فيها تشعب أغراض الحياة واختلاف النزعات . كما أن للعادات المكتسبة أبلغ الأثر فى تطور الغريزة ، بل ربما كانت العادة هى الخطوة الأولى بل وخطوة لازمة لهذا التطور ، اذ أن العادة طبيعة ثانية كما يقولون ..

فالخطوة الأولى فى سبيل تكوين الاستعداد الغريزى هى اجراء شعورى أولا ، ثم يصبح بالتكرار عادة أو عملا نصف شعورى ، ثم يتحول مع طول الزمن والمثابرة على القيام به الى عمل لا شعورى . فاذا عمَّ بين أفراد النوع أصبح عادة قومية متواترة ، فاذا توارثته السلالات

---

(١) من الأمور المرفوضة علميا الآن أن تكون الخلية الحية هى «جدتنا الأولى » كما يقول المؤلف ، لأن الخلية الحية قد تعلل حصول الانسان على جسمه الراهن ، لكنها لا تعلل حصوله على عقله الراهن ، وذلك متى سلمنا باستقلال العقل عن الجسم وهو ما يمثل اقتناع قمة العلماء النفسيين المعاصرين .

المتعاقبة جيلا بعد جيل ، فلا يلبث أن يصبح استعدادا طبيعيا ، أو بعبارة أخرى غريزة متأصلة فى النفس ، فالعادة أم الغريزة ... » [1] .

موقف بعض العلماء منه

ولا ريب أن كل دارس لأثر البيئة فى الكائنات الحية من الناحيتين العضوية والسلوكية معا يجد أن دراسته يمكن أن تنتهى به الى قبول مبدأ التطور ، مادام أن هذه الكائنات تخضع لظروف بيئتها ولو على الأمد البعيد الى حد لا محل للمكابرة فيه ، ومادام أن للاكتساب دورا لا ريب فيه فى سلوك الكائن الحى بوجه عام ، والكائن الانسانى بوجه خاص .

وقد فطن الى ذلك عدد كبير من الفلاسفة — حتى قبل ظهور نظرية التطور فى قالبها الحديث — ومنهم مثلا هيلفتيوس ، وجان جاك روسو ، وجون لوك ، وآدم سميث ، وجون ستيوارت ميل وغيرهم ...

وهذا هو نفس النظر الذى تبنته فيما بعد المدرسة الفرنسية فى علم الاجتماع ، ودافع عنه بمهارة اميل دور كايم Emile Durkheim ولكن يمكن أن يؤخذ عليها أنها بالغت أكثر مما ينبغى فى تقييم دور البيئة الاجتماعية والطبيعية ، حتى كاد السلوك الانسانى أن يصبح محض اكتساب من البيئة ، ومعزولا تماما عن العوامل السلالية ، والفطرية ، وبالتالى عن ميراثه من نفسه ومن أجداده .

لكن الحقيقة التى لا تنبغى المكابرة فيها أبدا هى أن السلوك العضوى والنفسى والروحى والاجتماعى ... مزيج من فطرة موروثة ومن اكتساب طبيعى واجتماعى ، ويستوى أن يكون هذا السلوك سويا أم غير سوى . ولا يمكن حتى الآن الجزم بتفوق دور الفطرة على الاكتساب أم دور الاكتساب على الفطرة ، وان كان يرجح جدا — فى تقديرى — تفوق دور الفطرة فى العدد الأكبر من مظاهر هذا السلوك .

---

(١) عن محمد فتحى . المرجع السابق الجزء الأول ص ٥٨ — ٦١ .
هذا ولنا وقفة كافية فى الفصلين الأول والثانى من الباب التاسع للحديث فى التطور من ناحية تعليله ، وتعيين أهدافه ، واتصاله بالشعور وباللاشعور .

وعلى أية حال فان التسليم بأى دور للاكتساب الطبيعى — الاجتماعى ولو على الأمد البعيد تسليم فى الواقع بأهم سند لنظرية التطور — وهو التكيف — خصوصا عند الربط بين الاكتساب العضوى ، والاكتساب السلوكى عند جميع الكائنات الحية من الأميبا الى الانسان .

ونظرية التطور هذه لم تعد مقصورة على الكائنات الحية ، بل لقد غزت تدريجيا كل فروع العلوم الطبيعية ، بما فى ذلك علم الفضاء حيث أن من الثابت الآن أن الكواكب ، والشموس ، والنجوم ، والسدم ، وكل ما يعمر رحبات الكون عبارة عن أجسام متطورة . ولا يمكن أن يقف تطورها عند حد محدود .

ناهيك بكل فروع العلوم الانسانية ، حيث يلعب التطور دوره فى تفسير كافة مناحى السلوك الانسانى فى اطار علم الانسان ، أو النفس ، أو الاجتماع ، أو طبائع الجناة(١) ، بالاضافة الى دوره فى ارساء عمد هذين العلمين الحديثين نسبيا ، وهما علما العقل والروح .

وفى الواقع ان جميع البحوث العلمية الجادة فى نطاق علم العقل ، أو فى نطاق علم الروح الحديث ، انتهت الى نتائج تلتئم تماما مع مذهب التطور ، أو بالأقل لا تتعارض معه . ومنهـا ما ألقى أضواء جديدة على مذهب التطور ، ومنها ما أعطاه أسانيد وضعية متجددة لم يكن داروين نفسه يحلم بشىء منهـا مستمدة من الطبيعة الروحيـة ـ العقلية التى سادت التطوَر بوجه عام وهيمنت عليه ، وسادت تطور الانسان بوجه خاص وهيمنت عليه .

فمثلا من يتأمل قليلا فى حقيقة وجود جسد أثيرى للانسان ، يتبين له أن ناموس التطور والارتقاء ، عن طريق الانتخاب الطبيعى ، يصبح غير

---

(١) للمزيد راجع مؤلفنا فى « أصول علمى الاجرام والعقاب » طبعة خامسة ١٩٨١ . ص ٣٠١ — ٣٨٤ .

مفهوم بغير وجود هذا الجسد الأثيرى المتطور الذى يحمل العقل . فالتطور يبدأ فى العقل أولا ، ثم يفرضه العقل على الجسد الأثيرى ، ثم يفرضه هذا الأخير على الجسد المادى على الأمد البعيد خلال مصاحبتهما الأرضية اللازمة بحكم الصلة المحتومة بين العقل والمادة ، وقد تبين أنه ليس هناك من كيان متصور لأحدهما بدون الآخر (١) .

فالعقل لا يستغنى عن المادة بحكم حاجته للتعبير عن نفسه ، والمادة لا تستغنى عن العقل للمحافظة عليها فى أضعف الفروض ولخلقها فى أقواها . والعقل ينمو عن طريق صلته بالمادة ، لأنها تقاومه وتؤثر فيه فتؤلمه وتدعوه الى العمل الدائب فى سبيل التغلب على عقباتها . ثم انها تفرض عليه بقاء محتوما فى عالم شقى ـ كأشد ما يكون الشقاء ـ محكوم بنواميس المادة ، وهى شديدة الوطأة على الروح بما يدفع العقل الى النمو التدريجى البطىء عن طريق الألم الذى يفرضه عليه الالتصاق بالمادة الصلبة والخضوع لنواميس عالمها الأرضى .

كما ينمو العقل عن طريق التأمل فى حقائق هذا العالم المادى ، ومن الخبرة التى يحصل عليها تدريجيا بسبب صلاته المحتومة بعقول الآخرين ، والمحكومة أيضا بمطالب الجسد المادى الملازم له الى حين وذلك قبل أن ينطلق الى عالم من مادة رقيقة « أثيرية » تخضع لتأثيره المباشر ولا يخضع هولها فلا يعود يتألم بها ، ولا ينشىء من الصلات الا ما يلتئم مع احتياجاته العقلية دون البدنية (٢) .

فكأن مادة الجسم الحيوانى تتطور عن طريق صلتها بالعقل فى تطوره البطىء عندما يحدث تأثيره فيها تدريجيا على مر الحقب والأجيال ،

---

(١) راجع ما سبق فى صفحة ٢٨٦ ـ ٣٣١ .

(٢) ومع مراعاة أن كلمة « أثيرى » غير مستخدمة بالمعنى الحرفى بل تشير فحسب الى أى مستوى اهتزازى يعلو مستوى العالم المحسوس ، بما فى ذلك أى مستوى كوكبى ، أو روحى ، أو عقلى . . . .

لأن العقل هو الذى يوجه فى النهاية المــادة الحيوانية التى تعطيه جسما وشكلا خارجيا ، مهما بدأ محكوما بها بسبب شــديد وطأتهــا عليه ، ولذا كانت عملية التطور بطيئة غاية البطء ، ومن هنا جاء ناموس التطور واضحا مفهوما عن طريق التسليم بالعقل وبالجسد الأثيرى وبالخلود ، ناقصا ، وغامضا غير مفهوم عن غير هذا الطريق .

ولذا لم يقف فهم التطور لدى ألفرد راسل والاس عند حد التسليم بوجود عوامل روحانية وراء تطور الحياة على هذا الكوكب الضئيل ، بل راح يؤكد أيضا اقتناعه الصريح بوجود الملائكة ــ هذا الاقتناع الذى كان يبدو أمام علماء القرن التاسع عشر فى أوربا مبعثا للسخرية ــ غير عابىء بسخريتهم ، بل راح هذا العالم الفيلسوف يؤكد « ان للملائكة دورهم فى النشــاط الكونى ، بل فى تفسير ســير عجلة الحياة فى العالم .. وأن مجموع العالم عبارة عن مظهر للقوة العظمى التى تبعث فى الكون الحياة ، وربما لا تبعثها رأسا بل عن طريق توسط سفراء لهذه القوة وهم الملائكة الذين يعمل كل منهم بحسب درجة ذكائه وقدرته ... فلا يمكن أن توجد هوة لا نهاية لها بين الانسان وبين الروح العظمى للعالم ، ان افتراضا كهذا يبدو غير راجح الى أقصى اندرجات » .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن سير ألفرد راسل والاس (١٨٢٣ — ١٩٠٣) هذا كان باحثا فى الظواهر الروحية ، وله أكثر من مؤلف فيها ، وقد اقتنع تماما بصحتها ، وبصحة دلالتها على خلود الانسان (١) .

ومن أقواله بشأنها « ان ظواهر الروحية ليست فى جمتها بحاجة الى المزيد من التأييد . لقد ثبتت تماما كما ثبتت الوقائع فى العلوم الأخرى » (٢) .

ومنها أيضا « لدينا الآن كتلة من البيّنات عن شخصية الأرواح التى تتراسل معنا ، وعن أنها عبارة عن رجال ونساء حقيقيين عاشوا على الأرض .

---

(١) منهــا : A Defence of Modern Spiritualism
Miracles and Modern Spiritualism.

(٢) لاحظ أن هذه الأقوال الواثقة قيلت منذ قرن كامل مضى !

ففى كل مكان على الأرض نجد نفس هذه الظواهر ، ســـواء فى أوروبا أم فى أمريكا ، أم فى استراليا • وانى أعلم أن هذه الوقائع تمثل ظواهر طبيعية صادقة » •

وبفضل هذا الاقتناع الجازم بصحة الخلود ، وبصحة وجود تأثير مستمر لعالم الروح فى عالم المــادة ، أقام راسل نظريته فى التطور على أسس روحية مغايرة تماما لتلك الآسس التى كان يسيل اليها من قبـــل ، والتى كان يشارك فيها داروين ، الذى أعلن معه ، وفى نفس العام نظرية التطور • وهذه الأسس الروحية الجديدة للتطور فى رأى ألفرد والاس تتلخص اجمالا فى وجود تخطيط عاقل أخلاقى محكم وراء هذا التطور، وتساهم الكائنات غير المنظورة بدور شاق للغاية فيه •

وفى هذا الشأن يقول أيضا روبرت بروم R. Broom عضـــو « الجمعية الملكية لتقدم العلوم » (المجتمع العلمى البريطانى) ، ومن أبرز علمـــاء البيولوجيا المعاصرين ، أن بحوثه الخاصـــة فى البيولوجيا خلال الخمسين الســـنة الأخيرة لم تقنعه فحسب أن الصـــور الحديثة للحياة نجمت عن التطور ، بل أيضـــا أن التطور لم يأت عفوا ، لكنه تم بقيادة مصمم روحى أو مصممين عديدين « وقد وصـــلت الى ذلك بالبينة التى أرضتنى ، وأن داروين رغم المكانة الكبرى التى سيحتلها دائما فى تاريخ الحيوان والنبات ، الا أن نظريته فى الانتخاب الطبيعى تبدو فى تقديرى أبعد ما تكون عن الارضاء ، بل حتى الفرد راسل والاس وهوالذى أعلنها مع دارين فى سنة ١٨٥٨ قد عدل عنها فيما بعد •

أما أن التطور قد حدث فعلا فذلك أمر مؤكد ، لكن لا توجد لدينا حتى الآن نظرية مرضية تماما لتعليله • ونظرية لامارك Lamarck التى تتضمن الاعتراف بعنصر روحى فى التطور أقرب الى الصدق من نظرية

داروين ، لكنها ليست مع ذلك مرضية تماما على النحو الذى خلفها لنا فيه لامارك» . ثم يضيف بروم قائلا ان الفرد راسل والاس انتهى فى أواخر أيامه الى تعليل مذهبه فى النطور بايمانه بعدة عوامل روحانية لا تسمو الى القدرة الكاملة ولا الى الحكمة الكاملة .

وأمران يبدو أنهما محققان : أحدهما التطور الذى أفضى الى خلق الانسان من تدبير قدرة روحانية عظيمة . والأمر الآخر أن هذا التدبير تتولاه عوامل ثانوية تخطىء فى انجازه . ولكن الغاية المطلوبة تتحقق فى النهاية على الرغم من هذه الأخطاء . ان ملاءمة الحيوانات لبيئتها ترجع فيما يبدو الى عنصر روحى غير واع فى الحيوانات . وان عددا من علماء الحيوان يعتقد بوجود قوة روحية تقود التطور نحو غاية محددة ، ومنهم روبرت تشامبرز Robert Chambers الذى يبدو أن عنده فكرة واضحة تماما فيما يبدو أنه الحقيقة ، وكذلك برجسون الذى يبدو أنه قد تأثر ببينات كثيرة عن وجود قوة موجهة خلف التطور » .

ثم يضيف بروم : « وكان راسل والاس فى شيخوخته يعتقد أن الكون المادى هو مظهر للكون الروحانى ، وأن فى الكون الروحانى أنماطا من العوامل الفعالة من القوى العليا الى الطاقات الكامنة فى الخلايا الحية . وربما تعذر اثبات هذه التقديرات بالبرهان القاطع ، ولكنها فيما نراه أصلح لتوضيح الوقائع من أى تقدير يأخذ به الماديون . وأن آراء تيندال Tyndall لا تستحق فى هذه الأيام أى اعتبار جدى .

كما أن نظريات داروين وهكسلى ، بل وحتى نظرية داروين المعدلة تبدو بسهولة غير كافية على الاطلاق . بل ان ميفارت Mivart منذ سنوات كثيرة ماضية لم يتردد فى أن يصف نظرية داروين بأنها فرض صبيانى ، وينبغى أن أدرج نفسى بين أولئك الذين ينظرون الى نظرية داروين (عن مادية التطور) بوصفها نظرية غير مرضية على الاطلاق فى أية صورة كانت » .

ثم يقول بروم : « ومتى ســوغ الباحث لنفسه أن يقتنع بصدور التطور عن قوة أو قوى توجهه الى خلق الانســان ــ فس النتــائج التى تنساق اليه مع هذا الاقتناع طواعية أن ظهور كائنات كبيرة الدماغ تسير على قدمين لا يعقل أن يكون هو غاية القصد من تمهيــد ملايين السنين ، وأحرى أن يكون القصد من هذا التدبير انشاء كائنات روحية تبقى بعد موت الجسد ، وبالتالى ينبغى أن ينظر الى جميع الناس بوصفهم أخوة .

وهناك نتيجة هامة تبدو مترتبة على دراسة التطور ، وهى أن القوى التى طورت الانسان يبدو منها أنها ذات خبرة ، وأنها قادت فيما مضى ــ وفيما يبدو كنتيجة محتومة ــ خطى التطور فى أكوان أخرى ، وأن هناك كائنات لا تخالف الانسان ينبغى أن تسكن فيما يبدو آلافا ، وربما ملايين من الأكوان الأخرى . ان العلم يقود الى نتائج لا تخالف تلك التى نجم عما وصل اليه بالالهام والكشف المعلمون الدينيون الكبار » (١) .

ويقول نفس العالم فى مؤلف له عنوانه « أصول الانسان » (٢) ، « من الجائز أن تكون القوى القائمة على التطور لم تعد حريصة على تطور الأجساد ، لكنها أصبحت مشغولة بالعمل الأهم ، وهو تطور العناصر العليا من شخص الانسان .

ومن الجائز أن ما نطلق عليه الضمير ليس سوى مجموع الايحاءات ، والنداءات الصادرة من أسمى هذه القوى وأنبلها . وأن ما نطلق عليــه الخطيئة ليس سوى انعكاس ارادى ، أو تجاهل غير واع لنداءات القوى العليا ، وفى نفس الوقت خضوع لايحاءات صادرة من قوى سفلى .

وفى المستقبل القريب ســيبدأ الانسان بلا ريب فى أن يتفهم المركز

---

(١) ص ٢٩ ــ ٣١ من مجموعة « الروح العصرى تتجه نحو فلسفة للايمان » الصادرة فى سنة ١٩٥١ .
Modern Spirit Towards A Philosophy Of Faith.
Les Origines de L'homme. (٢)

الخطير الذى يشغله على الأرض • وستحدث تغيرات ضخمة عندما يدرك بوضوح أنه ، وقد تم على وجه التقريب انجاز تطوره الجثمانى، فان تطور شخصيته لم يكد يبدأ بعد ، وأن هـذه الشخصية يمكن أن تتطور الى مستويات لا يمكن تصورها •

ومن الجائز أن التطور اللاحق لشخصيته يجىء من ناحية التعرف الأوضح مما كان على وجود قوى روحية سـامية أخرى ، ومن ناحية قبول العيش فى اتساق معها ، وتسليم زمام القياد لها •

وفى عصور حديثة نسبيا رأينا حالات عديدة لرجال ولنساء يبدو أنهم على صلة بهذه القوى الروحية ، التى نجحت فى تجديدهم • ويبدو أنهم كفوا عن أن يكونوا مجرد آدميين لكى يصبحوا سـفراء لهذه القوى السامية » •

هذه هى شهادة بروم العالم المعروف نعرضها على القارىء بوصفها تمثل وجهة نظر عالم حديث فى « علم الانسان » •لكى يتبين بنفسه الى أى مدى بلغ التطور فى فهم نظرية التطور ، وما كان لنظرية التطور أن تصاب بدورها بالجمود والتوقف ! ! ولكى يتبين أيضا الى أى مدى بلغ عمق الارتباط بين كشوف الروحية الحديثة وبين حقائق البيولوجيا فى آخر أطوارها ، اذ لم تعد هـذه الحقائق تقف بأية حال عقبة كأداء فى وجه الايمان بالروح وبالخلود ، كما كان يظن بعض المفكرين الى عهد قريب مضى •

التطور يتطلب قوة مدبرة

وفى هذا الشـأن يكتب العلامة المرحوم محمد فريد وجدى مقالا ضـافيا يقـول فيـه : « أن الأسـتاذ الكبير الفرد راسـل والاس Alfred R. Wallace الذى اكتشف ناموس الانتخاب الطبيعى هـو وداروين فى آن واحد ، وأحدهما بعيد عن الآخر قال فى كتابه عن « الانتخاب

الطبيعى » صفحة ٣٣٢ : ان الانسان عالم قائم بنفسه وأنه متمتع بروح وأن روحه تخلد بعد هذا العالم .

والأستاذ الطبيعى الكبير فيركو الألمانى يهزأ بالداروينية ويعدها مفسدة للأخلاق ومحللة للاجتماع « راجع كتابه فى نقد الداروينية الاجتماعية » .

والعلامة الفيزيولوجى دى كاترفاج de Quatrefage قال فى كتابه عن « النوع البشرى » بعد تحليل دقيق للأصول الداروينية : « لسنا نستطيع أن نعلم الناس أن الانسان متسلسل من القرد أو من أى حيوان آخر ، بل لا نستطيع أن نعتبر القول بذلك مسألة علمية » .

وهذا العلامة الجليل — كلود برنار Claude Bernard — الذى يدعوه البيولوجى المشهور لودانتك بأبى الفيزيولوجيا كان لا يعتقد بالمذهب الداروني ويعتبر جميع التطورات الانسانية حاصلة بواسطة القوة الحيوية الثاوية فى أجسادها(١) ...

ثم يقول العلامة وجدى أن « كرنر الطبيعى الألمانى كان يقول بوجود قوة حيوية فى الوجود تمد كل كائن بما يحتاج اليه من الغرائز والوسائل .

أما توماس هكسلى T. Huxley البيولوجى الانجليزى الكبير فكان يقول أن الحياة نفسها قوة مدبرة ومنظمة ، وأنها هى التى تهدى الكائن الضعيف لكل ما يحتاج اليه حتى عمل القوقعة ، وتلهمه زخرفتها وتكوينها .

والأستاذ هيكيل Haeckel الألمانى المتشدد فى اثبات نشوء الحياة بالعوامل الآلية لم يستطع أن ينكر أن فى كل ذرة عضوية ، فضلا عن كل خلية روحا وعقلا وارادة تدبرها وتؤتيها بما يصلحها « راجع كتابه عجائب الحياة » .

---

(١) لنا عودة الى بعض آراء لودانتك فى صفحة ٥٦٧ - ٥٦٨ .

هذه هى أقاويل المذاهب الكبرى ، وكلها مجمعة على ضرورة وجود قوة مدبّرة فى الكائنات الحية تمدها بالوسائل المقومة لها على خلاف بينها فى تصورها • أنا لا أنكر أن أكثر هـذه الافتراضات لا يقوى على النقد ، ولكنها تدل القراء على مبلغ حيرة العلماء فى تعليل وجود هذه الغرائز الغريبة بتأثير العوامل الآلية المجردة من العقل •

ومهما يكن الأمر فهل تخرج هذه الأقاويل عن دائرة الأمور الظنية التى لا يمكن تحقيقها ، والتى هى بتخالفها يهدم بعضها بعضا ؟ هذا كله لا يعنينى وانما الذى يهمنى أن أقف قراء العربيـة على ما يدلى به بعض الكتاب اليهم تحت نواميس بيولوجية ومشاهدات علمية فى هذا الموطن وغيره مما لا يمكن تمحيصه تحليلا وتركيبا ، وكله من قبيل الظنيات التى لا تغنى عن الحق شيئا •

فهى لا تصلح لأن تشكك مؤمنا فى ايمانه ، ولا أن تمد ملحدا فى الحاده ، وتجعل باب العلم مفتوحا على مصراعيه للفتوح الجديدة المؤيدة بالمشاهدة والتجربة ، ومنها ما يقيم أقطاب العلم صرحه تحت اسم المباحث الروحية ، فقد انكشفت للعقول بثبوت الروح والعالم الروحانى ينـابيع القوى الحقيقية للحياة الكونية • وهو عمل ضخم بذل العلماء فيه تسعين سنة متوالية (الآن أكثر من قرن وربع) ، ولم يبالوا بارجافات المرجفين• كما لم يبال بها مسمر ، ولافوازيه ، وجالفانى ، وباستور من كاشـفى مساتير الطبيعة الكبرى •••• » (١) •

وفى الواقع أن نظريات التطور — حتى مع تسليمها كلها بمبـدأ تطور الحياة — لا تزال فى تطور مستمر ، وأيضـا فى تناحر لا يتوقف • ويبدو أن عودة الانسان للتجسـد على نحو أو آخر ، وفى وقت أو آخر ،

(١) عن مقال له فى جريدة الأهرام عدد ٤ أكتوبر سنة ١٩٣٨ بعنوان « ناموس التطور والتسلسل ونشـوء الغريزة الأخلاقية فى الانسـان » ص ٣ ، ١٥ . وكان ذلك بمناسـبة اعتراض اثاره احـدهم على البحوث الروحية باسم نظرية التطور .

ولسبب أو آخر ، تمثل ناموسا حقيقيا يلعب فى تحقيق تطور الحياة دورا أعمق وأخطر بكثير مما كان يجول فى الأذهان ، خصوصا منها أذهان العلماء الماديين الذين كانوا على استعداد لقبول مبدأ التطور وليسوا على استعداد لمناقشة مبدأ « العودة للتجسد » أو لمحاولة تفهمه ، أو حتى لتحقيق أسانيده وهى آخذة فى النمو وفى الوضوح بشكل مضطرد ، ولنا عند هذا المبدأ وقفة طويلة فى الأبواب الثلاثة الأخيرة .

بين تطور العقل وتطور الجسد

وليس من السهولة تحديد معنى التكوين الروحى — كما سبق أن بينت — لكن يمكن اجمالا القول بأنه ينصرف فى هذا المقام الى التكوين الناجم عن اجتماع النفس والعقل معا . أو ان شئت عن اجتماع العقل مع الشعلة الخفية التى تمثل مبدأ الذات التى تهب الحياة لصاحبها . هذا الاجتماع الذى يعطى الانسان كل خصائصه التى تعبر عن ذاته التى يحاول عن طريقها تحقيق هذه الذات على نحو معين أو على آخر .

وهذا التعبير وهو التكوين الروحى كان يهرب منه « علم الانسان » فى القرن الماضى لارتباطه الوثيق بفلسفة مادية مزمنة عن الوجود ، لكنه أصبح فى القرن الحالى يستخدمه كثيرا عندما تحقق تماما أن التكوين المادى لا يفسر فى الانسان شيئا يذكر ، بل لعله لا يفسر فيه شيئا على الاطلاق عند من لا يقنعون بالوقوف عند مستوى الأشكال والصيغ الخارجية فى بحثهم عن حقائق الأمور .

وهذا التكوين الروحى — العقلى يحدث أثره فى التكوين المادى عن طريق نواميس بيولوجية وبيوكيميائية لا تحصى ، تسلم بها بيولوجيا القرن الحاضر التى اتجهت تدريجيا — وخلال صراع مرير مع فهم خاطىء لمذهب التطور — الى التسليم بالأهداف الروحية الخلقية للحياة ، فأصبحت بذلك البيولوجيا الحديثة بيولوجيا حيوية بعد أن كانت — على حد وصف برجسون — محض بيولوجيا ميتة لا حياة فيها .

وهـذه البيولوجيا الحديثة اذا قورنت ببيولوجيا المـاضى القريب ينبغى أن تعتبر حيوية بوجه خاص لأنها لا تفصل أبدا بين دراسة الروح والجسد ، أو بين دراسة العقل والجسد ، فى استكناه أغوار الانسان ، وكشـف النقاب عن أسرار سـلوكه أيا كان التقدير لهذا السـلوك •

فلا ينبغى أن يفوتنا فى هذا الشأن أن التمييز بين العقل والجسد ، أو بين الروح والجسد ـ على مايلاحظه كارل ج•يونج Carl. G. Jumg « تمييز صناعى يعتمد بلا نزاع على خصائص الفهم العقلى أكثر مما يعتمد على طبائع الأشياء ، لأن اختلاط الخصائص الجثمانية والروحية وثيق الى حد أننا لا يمكننا فحسب أن نسـتدل بعلامات ـ قريبة الى حد ما من الصـدق ـ عن التكوين الروحى عن طريق التكوين الجثمانى ، بل انه يمكننا أن نسـتدل على الخصائص الروحية من الخصائص الجثمانيـة المقـابلة •

ومن الصحيح أن هذا الاستدلال الأخير أكثر مشـقة ، لكن الأمر المؤكد أن ذلك لا يرجع الى أن تأثير الجسـم فى العقل أضخم من تأثير العقل فى الجسم ، بل يرجع الى سبب آخر مغاير تماما ، وهو أننا اذا اتخذنا العقل كنقطة ابتداء فاننا نتسق طريقنا من الأمر غير المعلوم لنا نسبيا الى الأمر المعلوم ، أما فى الحالة العكسية فان لنا مزية الابتداء من شىء معلوم لنا هو الجسد المنظور •

ورغم السيكولوجيا التى نعتقد أننا نحوزها الآن فان الروح لا تزال أكثر غموضا بلا حدود من السطح المنظور وهو الجسد ، فالروح لا تزال تمثل اقليما أجنبيا لم يستكشف أغلبه ، لانملك عنه الا معرفة غير مباشرة ، وصـلنا اليها عن طريق الوظائف الواعية التى تنطوى على امكانيات غير محدودة لخيبة الأمل ! واذا كان الأمر كذلك فانه من الأسلم لنا أن نبدأ من الخارج الى الداخـل ، من المعـلوم الى المجهول ، من الجسـد الى

العقـل » (١) •

وقوانين البيولوجيا يدخل فيها بطبيعة الحال تلك المتصلة بالوراثة ، وتستوى فى ذلك وراثة الذات من أجدادها مع وراثتها من نفسها ، ومن ماضيها العريق اذا صح النظر الى العقل بوصفه أعرق بكثير من الجسد المـادى الذى يغلف هذا التكوين العقلى — الروحى الى حين •

ويدخل فى هذه القوانين أيضا صلة هذه الشعلة القدسية — التى تزود بالحياة العقل والجسد معا — بوظائف الأعضاء والغدد الصماء وغير الصماء التى هى فى حالة تعامل دائم معها ، وبالتالى مع الحالة الروحية — العقلية للانسان • هذا التعامل الذى يظهر فى تأثر افرازات الغـدد بهذه الحالة ، وتأثر هذه الحالة نفسها بافرازات الغدد • والذى سجله علماء كثيرون ممن اعتبروا أن خلل افرازات الغدد قد يكون هو بداءة السلوك الشاذ أو الاجرامى ، ونسوا أن هذا الخلل قد يكون بنفس المقدار نتيجة خلل فى اهتزازات هذه الذات الروحية التى تهيمن على الجسد المـادى عن طريق توسط الجسد الأثيرى الذى يقطع بوجوده الآن أبرز علمـــاء الباراسيــيكولوجى •

وهذا الجسد الأثيرى وصفه كارل يونج بأنه الانسان الســـماوى لأنه يمثل فى تقديره مركبة الخلود ، وحامل شعلتها • كما يؤمن به بنفس المقدار عدد وافر من علماء الفيزياء والرياضة الحديثة ، وغيرهم من العلماء الذين أصبحوا يرفضون من أساسها دعوى مادية الحياة وآلية الوجود (٢)•

ولعل النقص الخطير الحالى فى معرفة أسرار هذا التكوين العقلى —

---

(١) C. G. Jung : Modern Man In Search of A Soul.
Eng. Trans. by W. S. Dell and C, F. Baynes 1966 pp. 85-86.

(٢) للمزيد راجع مؤلفنـا « مفصــل الانســـان روح لا جســد » ١٩٧٥ — ١٩٧٦ الجزء الأول ص ٨٤١ — ٨٨٩ والصـــور الحاســمة فى ص ٩٤٨ — ٩٤٩ ، ٩٥٥ — ٩٥٧ ، وفى الجزء الثانى ص ١٣٥ — ١٧٦ ، وفى الجزء الثالث ص ٧١٤ — ٧٣٢ وماسبق فى صفحة ٢٣٧ — ١ ٣ ٠

الروحى هو الأمر الذى يفسر لمـاذا يختلف الباحثون فى نفسير السلوك الانسانى فى كل كبيرة وصغيرة حتى من تلك الأمور التى كان يصح أن تعـد من الأوليات الأساسية ، والتى ستصبح كذلك حتما فى يوم ما • فيتجادلون فى أثر الوسط ، والتعليم ، والاطلاع ، والتقاليد ، والعادات ، والبيئة الجغرافية والحضارية والاقتصادية • كما يتجادلون فى أثر التكوين الجثمانى ــ العضوى كما لو كان يمكن أن يكون معزولا عن التكوين العقلى ــ الروحى ، وفى أثر افرازات الغدد الصماء وغير الصمـاء ، وفى الجملة فى أثر جميع العوامل البيولوجية والوظيفية •

وذلك مع أن كل هذه العوامل تعمل عن طريق هذا التكوين الروحى الداخلى للانسان الحقيقى الذى لاتزال أسراره مجهـولة من العلم ، كما يعمل التكوين الروحى الداخلى عن طريق كل هذه العوامل مجتمعة بحكم التفاعل الدائم بين نواميس الحياة الطبيعية التى تعمل من داخل الانســان ومن خارجه عن طريق التزاوج الحتمى بين العقل والمـادة بصورة ينبغى أن تكون متوازنة ، مما يجعل نوازع كل ســلوك انسانى مشكلة مفرطة فى دقتها ، ومع ذلك لم يبدأ العـلم محاولة كشف بعض ألغازها بصورة جدية الا منذ عهد قريب نسبيا •

عن تعليــل التطــور

ولا يمكن القول بأن الغرائز تصلح مصدرا للعقل أو للوجــدان ، أو مصدرا للروح حاملة العقل والوجدان ، لكن محاولة ضـبطها تلعب دورها المحسوس الواضح فى تحقيق التطور الروحى ــ العقلى والامساك بزمامه الى الاتجاه الصـحيح • هـذا التطور الذى لا نعرف له بداية ولا نهاية ، والذى يعد تطور الأجســاد ظلا باهتا له وأثرا من آثاره ، والمحكوم فى النهاية بمدى قدرة الارادة على الاتساق مع أسمى أهداف التطور والارتقاء •

وهـذه الارادة اذا ألغينا دورها فسيكون علينا ان نبحث عن طاقة أخرى وراء هـذا التطور العقلي ــ الروحي تربط بينه وبين نواميس الحياة ... وأين هي هذه الطاقة ؟ وأي تفسير يمكن أن يقدمه هنا أي مذهب من المذاهب المادية أو الآلية عن هـذا التطور الدائب المرتبط بأعمق خلجات الوجدان والذي لا ينازع فيه أي نظر علمي محايد ؟

فهذا التطور الروحي العريق للذات لا يمكن أن يعلل أبدا بالمبادىء الآلية للكون على ما لاحظه برجسـون الذي يرى أن نظريات لامارك وداروين تعجز عجزا تاما عن تفسير هذا التطور « لأن هم هؤلاء قد انحصر في بحث المـادة وحـدها ، فلم ينفذوا الى جوهر التطور الذي هو عبارة عن وثبة حية أشبه ما تكون بانبثاق الحياة وتدفقها ... وليس التطور اذن وليد الصدفة ولا ثمرة الآلية . وليس التطور تابعا من وراثة خصائص يكتسبها الكائن أصلا بالعادة . وانما التطور يتم دفعة واحدة على قفزات مباغتة . التطور ينجم من الباطن ولا يأتي من الخارج ، وهو ينجم عن هذه الدفعة التي تولد كل جديد وتبتدع كل طريف » .

فالعقل في نظر برجسون « ليس غريزة مصقولة مستكملة ، وليست الغريزة بقيـة موروثة من عادات الجنس البشري ركزت في الأفراد على مر الأجيال . لأن الانسان والحيوان لايقفان علىخط واحد في التطور... فالطبيعة شاءت أن تجعل الانسان كائنا مبتكرا مبتدعا فزودته بعقل قادر على كل شيء ، صالح لكل شيء ، الا أن الانسان كثيرا ما يتعثر في مجالات التجربة ، وكثيرا ما يقع في الخطأ . وبين الغريزة الحيوانية والعقل الانساني فارق طبيعي رغم ما نلاحظه هنا وهناك من ظل عقلي يحوط الغريزة وظل غريزي يكتنف العقل (١) ... » .

ولا يتسع المقام الحالي للخوض في هذا التطور من ناحية التساؤل

---

(١) راجع محمد فتحي الشنيطي في « المعرفة » طبعة ٣ سنة ١٩٦٤ ص ١٩٩ — ٢٠١ .

عما اذا كان يأتى تدريجيا أم يأتى على دفعـات ؟ وعما اذا كان يأتى من الخارج أم يأتى من الداخل ؟ وما اذا كان الانسان والحيوان يقفان على خط واحد فى التطور أم لا ؟

فمثل هذا التساؤل أو ذاك لا يلزم هنـا ، بل ان كل ما يلزم هو الاعتراف بأن الغرائز لا تصلح لأن تعتبر مصدرا للعقل الواعى الاستدلالى المنقب عن حقائق الوجود ، الذى يميز الانسان عن الحيوان ، ولا تميزه عنه تلك الغرائز التى تنتمى الى حب البقاء . كما يلزم أيضـا الاعتراف بتطور الحيـاة فى العقـول وفى المشـاعر نحو الأمام عن طريق التزاوج المحتوم بين العقـل والمـادة فى صـيغة التركيب الروحى ـ الجثمانى للانسـان (١) .

وبقدر ما تتطور العقول والمشاعر بقدر ما ينمو تدريجيا دور الارادة الانسانية ، أو بالأدق تنمو قدرتها على اثبات وجودها ، ولو أن هـذه القدرة وهذا الوجود سيظلان أبدأ محكومين بنواميس طبيعية «بيولوجية» وخلقية للحياة التى لا تعرف التوقف ، بل هى تمثل حلقات متتابعة تتردد دواما بين وجود عقلى يغلب فيـه أن يكون محكوما بالمـادة ، ووجود مادى يغلب فيه أن يكون محكوما بالعقل . كما تتردد بين وجود حـر يكتنفه تسيير ووجود مقيد تكتنفه حرية اختيار محـدودة ، لأن الوجود لايستغنى عن اجتماعهما معا مهما ظهر من تفوق دور أحدهما على الآخر بحسب الزاوية التى قد نراقب منها سير الأحداث وتتابعها .

وعن طريق هذا التزاوج المحتوم بين العقل والمـادة يحدث التطور فى هذا الكون الفسيح . وأقوى مظاهر هـذا التزاوج ، وذاك التفاعل يتمثل فى داخل الانسان نفسه ، أى فى داخل ذاته الحقيقية لا فى داخل جسده المـادى . فنحن نتعرف على الانسان بجسده المـادى ، لكن من المحال أن نعرف فيه شيئا مذكورا عن طريق هذا الجسد الذى لا يساوى

---

(١) ولنا عودة الى هذا الموضوع فى الباب التاسع .

أكثر من بضعة قروش قليلة اذا قيس بما يحويه من معادن ، والذى يتجدد دواما بتجدد الخلايا والأنسجة ، كما يتجدد تماما جسد العصفور أو الفراشة ، حتى أنه يتغير تماما كل بضع سنوات فيقطع الجسد الجديد كل صلة له بالقديم .

أما الذات فهى شىء أعمق من ذلك بكثير ، ومع أنها نامية متطورة كالجسد المادى الا أنها لا تعرف كيف تقطع صلتها بماضيها ولا بحاضرها ولا بمستقبلها ، وهى مع ذلك قابلة للنمو وللتطور . وتطورها أكثر عمقا وأقوى ارتباطا بالأهداف الخلقية للحياة . فنموها يمثل نمو اللب وتطورها يمثل تطور الجوهر بعد الشكل والمظهر ، لأنه يمثل خلاصة تفاعل الذات مع نفسها ومع نواميسها الروحية الخلقية ، كما يمثل تطور الجسد خلاصة تفاعل هذا الجسد مع نواميسه البيولوجية .

* * *

كما يلزم أيضا الاعتراف بوجود نواميس روحية تحكم التطور الى جانب تلك النواميس المادية التى كشفها العلماء فيما مضى . « والذى يثير دهشتنا حقا هو استمرار المعتنقين للفلسفات المادية التى قيل بها قبل الكشوف الذرية فى ايمانهم وتقديسهم للمادة . لقد كان هذا الايمان ممكنا علميا قبل أن يكتشف العلم بأجهزته ، ومن منطلق العلوم الطبيعية التجريبية لا الفلسفية سقوط مسلمة الوجود المادى للأشياء .

كيف يسوغ مع تلك الكشوف التى لم تصبح الآن حديثة اذ مر عليها ما يقرب من النصف قرن ، القول بأن المادة هى الخالق والمخلوق ، وأنها لا تفنى ولا تستحدث . ان كل ذلك مبنى على حقيقة كانت الى وقت قريب لا نزاع فيها ، ولم تعد كذلك الآن بقطع ويقين علمى ، فلا يمكن أن نقيم صرحا لفلسفة مادية معاصرة تشيد على منطق مادى لا يؤمن بالغيبيات أو ما وراء الطبيعة . اذ أن هذا المنطق نفسه هو الذى يوجب الآن هدم الفلسفة المادية . فهل يقبل الماديون الاستمرار

فى ماديتهم استنادا الى غيبية معاصرة قائمة على فرض علمى لا على مادة محسوسة ؟

هل يقبل هؤلاء بناء فكرهم المادى على بناء من الموجات أو الأثير الفرضى ؟ ان هذا الأثير الفرضى ، وهذه الموجات الفرضية هى حقيقة الوجود الجديد . أما المادة فهى مرحلة فى التطور الانسانى دخلت ذمة التاريخ ، وتبعها بالضرورة المنطق المادى ، وما بنى عليها من فلسفات قال بهـا أصحابها الأول ، وماتوا قبل بزوغ فجر الكشوف الذرية المحطمة لمسلَّمة الوجود المادى .

ان الاستمرار الخاطىء للاعتقاد المذكور نشأ عن عدم الربط بين منجزات العلوم الطبيعية من جانب والعلوم الانسانية من جانب آخر . ومن هنـا تبرز أهمية الربط بينهما ، وأثر ذلك فى الدراسات القانونية والانسانية بوجه عام ....

ونحن فى دائرة العلوم الانسانية وبالنسبة لدراسة الظاهرة الاجرامية علينا استخلاص النتائج الخاصة بنا فى الدراسات الانسانية التى تقوم بها من التطور العلمى فى ميدان الظواهر ، ويكون هذا الأمر متعينا على وجه الخصوص ، ونحن بصدد دراسة ظاهرة طبيعية تتعلق بالانسان ككائن طبيعى ، ونقصد بذلك دراسة الظاهرة الاجرامية » ... (١) .

وهذا المنهج العلمى الحديث له صلة وثيقة بكل الدرسات الطبيعية والانسانية . فهو مرتبط بالبيولوجيا المعاصرة وبالتطور ، بمقدار ارتباطه بدراسة نوازع السلوك الانسانى عندما تكون أخلاقية أو منافية للأخلاق، وعندما تكون اجتماعية أو منافية للمجتمع . خصوصا وأن هذه النوازع لا يمكن اسنادها الى جسد الانسان ، بل بالعكس الى ذاته الدفينة التى

---

(١) راجع د. عبد المنعم عبد الرحيم العوضى فى مؤلفه بعنوان « مقدمة فى أصول الدراسة المنهجية للاجرام » . صفحة ٤١ ــ ٤٢ .

يطلق عليها وصف النفس أو الروح ، وهى الكائن الطبعى الحقيقى الذى يقع وراء المادة ، التى أضحت سرابا فى الطبيعة الحديثة .

* * *

وهذه الذات من المحال أن يصل اليها مبضع الجراح ، ولذا أفلت أمرها من الباحثين فى أسرار السلوك الانسانى عن طريق التشريح ، أو علم وظائف الأعضاء ، أو الملامح الخارجية ، كهدف مقصود لذاته فى دراسة أسرار السلوك . كما أفلت أمرها من المتحدثين عن الجزيئات والذرات ، ولكن لم يفلت أمرها ممن تعودوا فى تشريحهم للانسان أن يتغلغلوا الى أعمق من الجسد ومن الجزيئات والذرات ، كى يتعرفوا على حقيقة نوازع سلوكه ، بل عناصر حياته وحيويته خلال ذاته الحقيقية، هذه الذات التى وصفها أحد حكماء الهند بأنها « لا ترى لكنها ترى، ولا تسمع لكنها تسمع ، ولا تدرك لكنها تدرك ، ولا تعرف لكنها تعرف ، هذه هى الذات الآمر الداخلى الذى لا يفنى » .

فنحن نحيا حياتنا الحقيقية فى أعماق هذه الذات لا فى الجسد البالى الذى نكشفه للعالم لكن لا نكشف به العالم ، والتى قال فيها طاغور « أليست الشمس عينها تطلع غدا لتغرب ، ثم يتجدد شروقها وغروبها على غير انقطاع وتبديل ؟ وكذلك نحن نطلع ونغيب ولكننا باقون أبدا فى اللانهائية الشاملة كل الوجود » .

والانسان يشق دائما طريقه فى الظلام الدامس ، وبين الأشواك الكثيرة ، لكنه يمكنه أن يصل — عن طريق النضال المتواصل — الى تحقيق ذاته تدريجيا والى انماء هذه الذات . وبعد التعثر والسقوط مرارا وتكرارا قد يصل الى بعض السيطرة على نزواته وضعفاته . ويصل بالتالى الى حيازة بعض القوة الأدبية التى تضىء له بعض طريقه وتجتث له بعض أشواكه .

وحتى لو ظهر لنا — فيما بعد — أن اختيارنا لم يكن فى محله تماما

بل أخطأه التوفيق ، فان الجهد المبذول فيه قد تم سجيله فى خلجات اللاشعور . وهذا التسجيل يؤدى دوره فى اثراء العقل وتطور الذات ، ولعل دور الجهد الفاشل أعمق أثرا فى هذا الشأن من الجهد الناجح ، لما يسببه من ألم يتجاوز ألم هذا الجهد الأخير.والألم هو أقوى دوافع التطور والنمو لو عرفت الذات كيف تتعظ منه ، بدلا من التمرد عليه والمكابرة فى حقيقة مصدره ودواعيه ! .

فكلٌ يحاول تحقيق ذاته عن طريق ما وصل اليه من نمو فى العقل وفى الوجدان ، ومن قيم وامكانيات للفكر وللحركة . فكل هذا يلعب دوره المحتوم فى تحقيق الذات على نحو أو على آخر ، أى فى تحقيق حكمة الحياة فى كل ذات ناطقة عن طريق حرية الفكر والحركة التى تتفاعل مع نواميس الحياة ــ فى كل بهجتها أو فى كل ضيقها .

وكلٌ يقوم برسالته فى الحياة فى اطار من حرية اختيار محدودة لكن ينبغى أن تستخدم على نمط عاقل وحكيم فى محاولة مطلوبة ــ لكنها قلما تتحقق ــ للاتساق مع أسمى نواميس الايثار وضبط النفس ، وهما مصدر كل عدالة وكل حكمة . وهذه الحرية المحدودة هى التى ينبغى أن تهيمن فى النهاية على سير موكب الأحداث فى السجن وخارجة ، فى مقام العدالة والفضيلة ، كما فى مقام الانحلال والجريمة .

صلة التطور بالوراثة وبالاكتساب

ولا يتسع المقام الحالى لتناول مشكلات الوراثة وهى لا تنتهى ، وصلة هذه الوراثة بالجينات Genes ، وعددها وتأثيرها فى شكل الانسان ، وفى طبعه الفطرى . انما يكفى أن نسجل هنا أن علم الروح الحديث لا ينازع فى وجود عوامل وراثية قوية قد تؤثر فى التكوين الجسدى للانسان عن طريق الجينات ولا ينازع فى وجود تفاعل دائم بين التكوين العقلى ــ الروحى وبين التكوين الجسدى .

ولكن هناك فارقا هاما بين البيولوجيا التقليدية فى هذا الشأن وبين البيولوجيا الحديثة . وهى أن الأولى تعتبر أن الجينات هى المسئولة الأولى عن التكوين العضوى - الروحى للانسان . أما فى الثانية فان الجينات تعتبر نتيجة وليست مصدرا للتكوين الروحى للانسان . وبعبارة أخرى أن التكوين الروحى - وهو عريق أكثر مما نتصور - هو الذى يحدد عدد الجينات وتكوينها ، وليس العكس .

فالبيولوجيا الحديثة تعتبر أن الجينات والكروموزومات Chromosomes عبارة عن مجرد جزيئات للطاقة تصنعها تكويناتنا الروحية التى تمثل ثمرة هذا التطور الانسانى الموغل فى القدم . فالجينات أو ما يقابلها فى التكوين الروحى تباشر نوعا من الجذب المغناطيسى على نموذج الصلة أو القربى التى تربط روح الجنين بوالديه ، وبأسرته .

وهذه الأمور كلها قد تصبح أكثر وضوحا عند تناول موضوع العودة للتجسد ، وصلته التى لا يمكن فصمها بمشكلات التطور . والوراثة ، واللاشعور .... وهى موضوع الباب التاسع من هذا الكتاب .

* * *

وأيا كان الرأى فى تعليل التطور ، فانه وثيق الصلة أيضا بقابلية الكائنات الحية كلها للتكيف مع البيئة adaptation والتكيف مع البيئة ناموس طبيعى لا يثير اعتراضا عند أحد ، ولكن عندما نصل الى التساؤل الهام عن أيهما أقوى أثرا فى هذا الشأن : الوراثة أم البيئة ؟ نجد كل صور الخلاف فى الرأى قد أثيرت بين العلماء وبين الفلاسفة ، حيث اتجهوا فى هذا الشأن الى فريقين أساسيين بالأقل : -

« فالفريق الأول وعلى رأسه فونتينل Fontenelle ، وأوجست كونت Auguste Comte ، وسبنسر Spencer ، وشوبنهور Schopenhauer ، وجالتون Galton يذهب الى أن الصفات الوراثية

هى كل شيء فى الانســـان وأن الوراثة هى التى تقدّر مصـــير الشخص ومستقبله من النواحى الجســـمية والعقلية والخلقيـــة فينفذ ما قدّرت وتشكل طباعه وميوله وغرائزه وانفعـــالاته وعواطفه وسائر قواه العقلية ونزعاته الفردية والاجتماعية فى الصورة التى تنفق مع قوانينها فيتم لها ما أرادت ، وأن التربية المقصودة لا تستطيع سبيلا الى نقض ما حكمت به الوراثة ولا الى تحويره •

فمن ورث سواد البشرة أو القصر عن أصله لا نستطيع مهما بذلنا من جهد أن نغيّر من لونه أو نزيد شروى انملة على طوله • ومن قضت عليه الوراثة بالعته أو العباوة أو ضعف الذاكرة أو الخوف المفرط أو الميل الى الانتحار أو الى نوع خاص من الاجرام ••• تعجز كل وسائل تربيتنا المقصودة عن أن تنتزع منه أية صفة من هذه الصفات •

وأما الفريق الثانى وعلى رأسه جان جاك روسو J.J. Rousseau وجون لوك John Locke وآدم سميث Adam Smith وهيلفيتوس Helvitius وستوارت مبل Stewart Milll ودلاج Delage فيخالف الرأى المتقدم ويعتقد أن الفرد مدين بأهم صفاته للتربية المكتسبة، وأن أثر الوراثة فى الفصـــيلة الانسانية ليس شـــيئا مذكورا بجانب أثر البيئة الطبيعية والمنزل والمدرســـة والمجتمع والتربيـــة المكتســـبة على العموم ••••

وذهب بعضهم الى أبعد من هذا كله فأنكر أثر الوراثة ، واعتقـــد أن الناس كلهم يكادون يكونون سواسية بحسب الفطرة ، وأن الفروق التى تشـــاهد لديهم فى الصفات الجســـمية والعقلية والخلقية ليست فى الواقع الا نتيجة لمـــا اكتنفهم من ظروف بيئتهم وما أخذوا به من تربيـــة مقصودة •••

ويشبه جون لوك عقل الطفل بصحيفة بيضاء ينقش عليهـــا المربى

ما يشاء . ويقرر ديلاج أن الطفل اذا شابه والديه أو أحدهما فى الصفات العقلية والخلقية ، فان ذلك لا يرجع الى الوراثة ، وانما يرجع الى اتحاد ما أحاط بهما من بيئة واكتنفهما من ظروف وأثر فى حياتهما من شئون خارجة عن تكوينهما الأصلى ...

والذى يظهر لنا أن كلا الفريقين قد ركب متن الشطط فى تقدير الناحية التى يتعصب لها . والرأى الصحيح هو أن لكل من الوراثة والتربية المكتسبة أثرا عظيما فى نشأة الطفل وتطوره من النواحى الجسمية والعقلية والخلقية . وأن الكائن الانسانى ليس مدينا بصفاته وشخصيته للوراثة وحدها ولا للتربية وحدها ، بل هو مدين بذلك للوراثة والتربية مجتمعتين متضافرتين . أو بعبارة أدق أن الكائن الانسانى بصفاته وشخصيته هو نتيجة لاقتران الوراثة بالتربية المكتسبة وتفاعلهما معا ، كما ينشأ الماء بصفاته ومميزاته نتيجة لامتزاج عنصرى الأوكسجين والهيدروجين وتفاعل أحدهما مع الآخر »(١) .

وهذا القول الأخير فى محله ويكاد يتفق مع اجماع الرأى فى العصر الحاضر ، ولكن يجب أن يضاف الى دور وراثة الانسان من أبويه وأجداده وراثته من نفسه ومن ماضيه السحيق ، وذلك متى سلمنا باستقلال الروح عن الجسد مع تطور الروح وتجدد الجسد ، وذلك كقانون من قوانين الطبيعة التى تحكم الكون فى اتساق تام مع نفسها .

وتستوى فى ذلك قوانين الطبيعة المعروفة مع قوانينها المجهولة ، وقوانينها التى تحكم عالم الشهادة مع تلك التى تحكم عالم الغيب ، الذى يبدو بعيدا عن حواسنا لكن الاحساس به يتسلل الى أعمق مشاعر بنى البشر فيؤثر تأثيرا فعالا فى تطورهم ، شأنه فى ذلك شأن سائر النواميس الطبيعية التى تعمل فى تناسق تام فيما بينها لتحقق الهدف الأعظم للطبيعة، وهو التطور الى ما هو أسمى فى الصفات الذهنية والروحية وأرفع ،

---

(١) راجع على عبد الواحد وافى فى مؤلفه عن « الوراثة والبيئة » ١٩٧٠ ص ٥٤ - ٦٢ .

رغم كل صنوف المعوقات التى قد تعوق التطور ولو الى حين عن تحقيق أروع انجازاته •

من خصائص العقل المتطور

وعلى أية حال فان العقل العصرى - بعد تطور عريق طويل - أصبح عقلا مركبا ، وبالتالى محتاجا الى المنطق مع الايمان ، كما هو محتاج الى الخيال مع التعقل ، والى التحليل مع التركيب ، والى التقابل مع التنسيق • وهذا كله من متطلبات العقل المتطور ، والشعور النامى بسبب حركة التطور ذاتها • والعقل اذا نقد فلا يرضيه شىء سوى التعقل الكامل ، والشعور اذا نما فلا يرضيه شىء سوى الاشباع الصحيح الى حد الاحساس بالسلام التام مع النفس •

ولن يتحقق رضاء العقل ولا سلام النفس الا عن طريق التوفيق المرجو بين العلم والاعتقاد • وهذا التوفيق يحتاج الى جهد طويل ، ومواجهة شجاعة من صفوة العلماء والمفكرين التى ينبغى أن تمسك وحدها بزمام التطور العقلى والوجدانى فى اتجاهه الصحيح •

وعندما تتشرب نفوس الشباب والشيوخ بتلك المفاهيم العلمية المتجددة المترابطة مع كل حقائق الوجود ، وتصبح بمثابة الخلايا الحية فى نسيج العقول والوجدانات ، يتراجع تدريجيا ذلك الفراغ الدينى ، ومعه كل صور الصراع الغبية البائسة مع العصر ، والتطور ، والحضارة، بل أيضا مع الأخلاق الفاضلة ، ومع حقوق الآخرين •

ولذا فمن الأهمية القصوى أن تكون تصوراتنا صحيحة تماما عن حقيقة مصائرنا ، وعن حقيقة صلاتنا بالله وبالكون ، وعن حقيقة التزاماتنا بمقتضى نواميس الحياة ازاء الأسرة ، والوطن ، والانسانية جمعاء ، ولا يتأتى ذلك الا اذا كانت هذه التصورات طابعها الاعتدال التام لا التطرف ، وركيزتها الأساسية هى رغبة الارتباط بحقائق الوجود ، ولا شىء غيرها •

وينبغي علينا — مهما كنا من أنصار حرية الايمان — ألا نهدر الحقيقة التى لاحظها الفيلسوف جوهان فشتة J. Fichte ، القائلة بأن البون ليس شاسعا بين العقل والايمان • فلا ينبغى بالتالى الدفاع عن أى فصل بينهما مهما كانت الذرائع والأهداف براقة ومن شأنها أن تستهوى نفرا من المتطرفين والجامدين فى كل ملة ودين •

والفصل بين العقل والايمان ليس ممكنا ولا مشروعا خصوصا متى سلمنا بأن العقل والايمان يمثلان فى بداية المطاف ونهايته وجهين متقابلين للوعى • فالوعى هو المستودع الآمن المشترك لجميع المفاهيم الروحية والعقلية • أى لجميع تلك المعارف التى انزلقت الى الشعور عن طريق الاستدلال الواعى وتداعى المعانى ، أو الى اللاشعور بسبب كل اختبار مر به صاحبه فى اليقظة أو فى النوم •

وفى هـذا الميدان — ميدان تطوير المفاهيم الدينية نحو الأفضل والأرقى — فليعمل العاملون المخلصون من العلماء والمفكرين اذا أرادوا حقا وصدقا ملء الفراغ الشاغر بل اثراء الوازع الدينى بالمعرفة الصادقة وتصحيح المسار اذا ما انحرف المسار •••• ولكن أين هم هؤلاء ؟ ! وكيف نعثر عليهم ؟ ! ••• هذه هى المشكلة الكبرى التى تتضاءل أمامها كل مشكلات التطور والارتقاء ، وترتبط بقضايا السلوك والتعامل فى المجتمع الانسانى ، وتوفير العدل والأمن للجميع ، ناهيك بأحكام الضمير اليقظ التى ينبغى أن تحكم ركب التطور •••

وهى أم المشكلات لأنها تتطلب فى مواجهتها الكثير من الحرية مع البصيرة ، والتطور مع المعرفة ، والاطلاع مع الشجاعة • وذلك حتى تعطى المواجهة ثمارها فى تخفيف الغلو ، وفى الحد من أسلوب التطرف وهو أسلوب مميز لكل ارتباط انفعالى بالحرف — وما أقتل الحرف عندما يحجب عن البصيرة أبسط حقائق الحياة ويربطها بالغلو وبالتطرف •

ولذا فلا بد من الاستعانة بالعلم قبل الحرف ، وبالعقل قبل الايمان ، وبالأخلاق قبل الطقوس ، وبحقائق الوجود قبل النصوص ، وبالمبادىء قبل الشخوص ، وباللباب قبل القشور ، وبالحب لا بالنفور أو بالغرور ... وتلك مرحلة متقدمة تماما فى تطور العقل والوجدان . ولعل الحضارة لم تدركها على النحو المطلوب الا منذ عصر النهضة الأوروبية التى اشتعلت نورا ونارا — منذ نهاية القرن الخامس عشر ، لكنها لم تبلغ ذروتها هناك الا منذ ثورة سنة ١٧٨٩ فى فرنسا .

ومنذ ذلك العصر بدأ العقل الأوروبى يشق سبيله فى وضوح وجلاء — عن طريق إزدهار الفلسفة والفن والأدب — بين الخطأ والصواب ، وبين الوهم والواقع ، والقبح والجمال ، حتى فى القيم والمفاهيم السائدة ، أو تلك التى ينبغى أن تسود .... ولاقى الرواد من الفلاسفة والمصلحين كل عنت وارهاق . لكنهم آثروا النضال بل الموت ذودا عن الحقيقة على العيش مع البهتان فى أمن وأمان ....

وفى هذا المقام يقول المفكر توماس باين Thomas Payne ان عصر ديدرو Diderot وغيره من فلاسفة الثورة الفرنسية كان عصر العقل « وأن هؤلاء الرجال لم يرتابوا فى أن العقل هو الامتحان البشرى النهائى لكل أنواع الحقيقة والخير . لقد قالوا دع العقل ينطلق ويتحرر وسيقوم ببناء حياة مثالية فاضلة فى أجيال قليلة » . ولعله لذلك قال ديدرو « ان الفلسفة هى أنبل شىء فى الانسان وأعظم اختبار له ... ولنقنع بتقدم معتدل فى المعرفة بدلا من أن نحيك أنظمة خرافية من صنع أوهامنا الكاذبة » . وهذا ما ينتقل بنا الى موضوع المبحث الثانى .

المبحث الثانى

الفطرة والاحساس بالمجهول

عن الاحساس بالمجهول بوجه عام

لا ريب أن الجانب الأكبر من الطبيعة هو جانبها المجهول ، وأننا لا نلمس من ظواهرها سوى جانب ضئيل لا يستحق الذكر ، هو ذلك

الجانب منهـا الذى يخضع لحواسنا المـادية المقيدة ، والمغلولة بأوثق الأغلال .

وحتى بالنسبة للجانب المحســوس من الطبيعة لا نعلم الا أقل من القليل عن النواميس التى تحكمه.أما النواميس التى لا نعرفها،فلا نعرف عنها الا شيئا واحدا فحسـب ، وهو أن الطبيعة قد تغير شـكلها لكنها لا يمكن أن تغير موضوعها ، ولا أن تناقض نفسها ، ولذا كانت النواميس المعروفة فى علم البيولوجيا أو الكيمياء أو الفلك أو النفس ثابتة لا تتغير، أما نواميسها غير المعروفة فمن المحال سبر كنهها لكن ليس من المحـال القول بأنها موجودة ، وأنها لا تناقض النواميس المعروفة . وانها تعمـل فى خدمة نفس الهدف السامى الذى تعمل هذه الأخيرة فى خدمته ، وأن لها بالتالى دورها كما أن للارادة الانسانية دورها فى اطار هذه النواميس التى تحكم تطور الحياة خلقيا وبيولوجيا .

ونمو دور الارادة الانسانية متوقف على مدى قدرتها على الاتساق الصحيح مع الأهداف الخلقية للحياة العقلية ، وهى الحياة الحقيقية ، أو هى جوهر الحياة ولبها ، وهـذا الاتساق متوقف بالتالى على مدى نضج العقل الذى يعمل من وراء الارادة ، ونقاء الروح التى تعمل من وراء العقل والارادة معا . وكل هذا لا يكتسب دفعة واحـدة ولا هو نتيجة صدفة من الصدف العمياء أو المبصرة . بل هو ثمرة تطور روحى عريق . وهو تطور يتوقف فى مدى سرعته واتجاهه على مدى القدرة الانسانية على أن تتسق اتسـاقا صحيحا مع تلك النواميس الطبيعية فى أهدافهـا الخلقية التى لا تعلو على الادراك ولا على الاحساس ، والتى على الذات أن تسعى جاهدة الى الارتباط بها مهما تعثرت بالعقبات الجسـام فى كل خطوة من خطوات وجودها .

وهذه النواميس الطبيعية قد تكون أوثق اتصـالا باللاشعور منها بالشعور . أو هى بالأدق أوثق اتصالا بالذات العليا للانسان منها اتصالا

بذاته السفلى القابعة فى ثنايا عقله الباطن • ومن هنا جاءت الحاسة الخلقية للانسان وجاء تفاوتها تفاوتا ضخما بين انسان وآخر بسبب مدى عراقة التطور • وأيضا مدى اتجاهه فى الطريق الصحيح أو الخاطىء • وهذه الحاسة أو الغريزة الأخلاقية هى التى يعبر عنها فى علم الأخلاق والفلسفة بوصف الضمير •

والغرائز كلها ــ بوصفها طاقات ايجابية ــ تلعب دورا هائلا فى تنمية هذه القدرة على الاتساق الصحيح مع الأهداف الخلقية للحياة • وتستوى فى ذلك غريزة حب البقاء ، مع الجنس ، مع الدفاع عن النفس ، مع البحث عن الطعام ، مع حب الاقتناء ، مع الاحساس بالمجهول • فهذه الغرائز كلها ، ولو أنها قد تبدو مسخرة بحسب الظاهر لخدمة الجسد . الا أنها فى النهاية مسخرة لخدمة تطور العقل والوجدان اللذين يتصارعان صراعا مستمرا مع انفعالات هذه الغرائز وبسببها • وعن هذا الصراع ينبثق تطور الروح كما ينبثق أيضا تطور الجسد وهو مطية الروح •

ويمكن بسهولة أن يلاحظ الانسان تفاوتا ضخما فى انفعالات غريزة الجنس مثلا بين شخص وآخر ، وبين بيئة وأخرى ، بل تفاوتا قد يجعل من نفس الغريزة مصدرا لعلاقات اجتماعية منظمة ، أو مصدرا للضغائن والأحقاد ، كما قد يكون فى بعض الأحيان مصدرا « لبارانويا العشق »•

كما يمكن أن يلاحظ نفس التفاوت فى انفعالات غريزة الاحساس بالمجهول التى قد تصنع من هذه الغريزة نفسها مصدرا للحرية وللعبادة النقية ، أو مصدرا للأغلال • ومبعثا للبحث فى لهفة وتعقل عن المعرفة الصحيحة ، أو مبعثا للتخيل السقيم ، وللذعر من المجهول ، وللتعالى وللضغينة ، وللجمود الضار ، وبالتالى للانطواء المدمر لأسمى ملكات العقل والوجدان •

وربما أضحت هذه الغريزة مصدرا « لبارانويا التدين » ولبعض أعراض العصاب الدينى التى يصادفها الأطباء النفسيون على نطاق واسع

فى داخل المصحات وخارجها ، ويعتبرونها صــدى للوسواس الدينى ، ومصدرا للعديد من صور السلوك غير الاجتماعى التى قد تصل أحيانا الى حد عدوان الانسان على نفسه أو على الآخرين • أى مصــدرا لتعذيب الذات ، أو لتعذيب أوثق الناس اتصالا به •

وفى الجملة فان التعلق بالدين ـ كما يقول علم النفس الحديث ـ « يتخذ ثلاث صور : فى الأولى يتصور الفرد الدين تصورا صحيحا بأن يعتبره وسيلة لحماية الانسانية جمعاء من الأذى الذى تصيبها به الشرور • وفى الثانية يتصور المرء الدين تصــورا خاطئا بأن يعتبره وسيلة لحماية الفرد نفســه من الأذى والشرور ، وضمان سعادته فى الدنيا والآخرة • وفى الثالثة يتصــور المرء الدين على أنه قوة سحرية غير طبيعية تضفى حمايتها على الفرد حتى عندما يقتل ويعتدى فتقيه شر مطاردة رجال الشرطة وتنجيه من قبضة العدالة » (١) • وهذا التصور الأخير هو أبعدها كلهــا عن الصواب وأدعاها للسلوك الاجرامى •

ولا ريب أن أمثال هــذه التصورات تقع وراء العديد من صــور الصراع المذهبى ، بل الحروب التى عانت منها الانسانية طويلا ، خصوصا فى عصور الجهالة والتخلف •

وعلى أية حال فمن المقطوع به فى دوائر علم النفس الحــديث أن غريزة الاحساس بالمجهول تقع وراء العديد من أهم انفعالات الانسان ، وبوجه خاص وراء الذعر من الموت ومن الأبدية ، والذعر هو العــدو الأول للانسان • كما تقع وراء العــديد من الايمان بالخرافات والأوهام الباطلة التى تبلغ غايتها فى الاساءة الى العقل والوجدان عن طريق هــذا الذعر نفسه •

ومهمة العلم الحديث هى أن يضىء الى العقل بعض جوانب هذا الرابع

(١) راجع محمد أحمد المنجى فى رسالته عن « الاختبار القضائى » جامعة الاسكندرية سبتمبر سنة ١٩٧٩ صفحة ٤٢٢ .

المجهول من معارف الانسان ، حتى يحل الاطمئنان محل الذعر ، والحقيقة محل الخرافة ، والحب محل الكراهية • والايمان النقى محل الشك والقلق ، أو محل الايمان المحوط بكل صور الترهات والأوهام الضارة وبالتالى حتى يحتل الوازع الدينى محله الصحيح فى الامساك بزمام النفس فى كل نوازع سلوكها نحو نفسها ونحو الآخرين •

ولهذا فان صقل انفعالات هذه الغريزة على النحو المطلوب — وفى الاتجاه الصحيح — كفيل بأن يحقق للبشرية دفعة قوية للأمام فى الوصول الى السلام الاجتماعى الذى تصبو اليه ، وبالتالى الى درء السلوك المضاد للمجتمع فى ميدان من أرحب ميادين نشاطه •

كما هو كفيل بمواجهة البعض من الأمراض النفسية التى قد يكون لها دورها الدفين فى توجيه سلوك الانسان — مهما كان متدينا — اما الى وجهة الانطواء السلبى الضار ، وأما الى وجهة السلوك العدوانى الضار • وهذه هى فى جملتها رسالة علم النفس الحديث الذى هو فى نفس الوقت فرع من أصل أو جزء من كل هو « علم الروح الحديث » •

ويتحدث بعض المفكرين عن الفراغ الدينى بوصفه مسئولا — على نحو ما عن العديد من أوجه السلوك المضاد للأخلاق ، بل أيضا المضاد للمجتمع • ومن ذلك مثلا اقبال الشباب على ادمان الخمور والمخدرات ، والافراط فى الجنس ، واتجاه البعض الى ممارسة الارهاب والعنف ، والعدوان على الآخرين ، ناهيك باشعال الحواجز النفسية ازاء التطور الانسانى والحضارى بوجه عام •

ولا ريب فى أن الفراغ الدينى موجود ، وفى أن ملء هذا الفراغ يمكن أن يلعب دورا فعالا فى تقوية الوازع الدينى ، وبالتالى فى درء العديد من صور السلوك المضادة للأخلاق وللمجتمع • وفى هذا الشأن يمكن للوازع الدينى — متى اتخذ مساره الصحيح — أن يؤدى دورا أقوى من دور التلويح بالعقوبة أو بالتدبير الاحترازى فى تقويم

الاعوجاج — فى جانب منه أو أكثر — عند المنحرفين البادئين والعائدين على حد سواء •

لكن المشكلة الحقيقية هى فى تعريف مدلول هـذا الفراغ الدينى وفى انتهاج المنهج الملائم لمواجهته•ومتى سلمنا بأن هناك غريزة للاحساس بالمجهـول فطر عليها بنو البشر جميعا ، وهو ما يسلم به بلا كبير تردد علم النفس الحديث ، فان الخلاف حول مدلول هذا الفراغ الدينى يمكن أن يتراجع ولو الى حد ما •

وبحسب تقديرى فان الفراغ الدينى تعبير يشير الى عجز العديد من المفاهيم الدينية السائدة عن أن تشبع انفعالات هذه الغريزة على النحو المطلوب • وذلك رغم قوة هذه الانفعالات التى لا تقل فى مدى تأثيرها عن انفعالات سائر الغرائز الأخـرى مثل تحقيق الذات ، أو البحث عن الطعام ، أو عن الأمن ، بل ربما تتجاوزها فى التأثير•وكلها تتطلب الاشباع على وجه كاف ، صحيح علميا واجتماعيا ، تطمئن معـه فعلا خلجـات الوجدان ، ويلتئم تماما مع موضوع الغريزة محل الاشباع •

ومن المحـال — مع تطور العقول الى الأمام ، وتزايد نطاق كل المعارف فى كل اتجاه — أن يقال ان اشباع انفعالات غريزة الاحسـاس بالمجهول يكون بالاصرار على صحة كل المفاهيم المتوارثة القديمة • ومع محاولة غرسها فى النفوس من جديد بكل ما فى بعضها من غلو وتطرف ، وبكل ما قد يرتبط ببعضها من أساطير جوفاء لا آخر لهـا ، ومن حواجز شاهقة من الصخور بين الشـعوب والأجناس ، شيدتها الأنانية وعلاها الغرور •

وهـذه وتلك ترفضها حقائق العلم المتطورة ، ولا تتسق مع رغبة الالتزام بالمنهج الموضوعى الناقد • وهذا الالتزام حق طبيعى لأى باحث عن الحقائق ، وبالتالى لأى صاحب عقل متفتح أو شعور نام ، اذا كان يحـاول اشباع خلجات غريزة الاحساس بالمجهول الاشباع الذى يلتئم

فعلا مع موضوع هـذه الغريزة ناهيك بالتئامه مع خلجات عقله المتطور وشعوره النامى •

والنتيجة المحتومة عند انتفاء الاشباع الصحيح الملائم هى تزايد هـذا الفراغ الدينى بدلا من تراجعه • وهذا التزايد يؤدى الى اشتعال نوع من الصراع النفسى عندما تفتقد النفس تلك المفاهيم الصحيحة ، النامية ، التى ترضى العقل والوجدان ، وتكون متسقة تماما مع تزايد المعرفة بطبيعة النفس البشرية ، ومع الكشوف العلميـة النامية المترابطة التى هزت العديد من المفاهيم القـديمة الراسخة هزا عنيفا • ولا يغنى الايمان فتيلا فى هـذا الشأن الا اذا صـح للايمان أن يصبح نوعا من الاذعان ، ومن الحصار البغيض على خلجات العقل والوجدان •

ثم ان ما كان يصلح لاشباع خلجات انسان القرون المـاضية من المحـال أن يصلح لاشباع خلجات العصر الحاضر ، لأن الوعى العصرى بوجه عام أصبح بسبب مرحلة التطور التى بلغها الانسان أميل الى النقد منه الى الاذعان ، والى التعقل منه الى الايمان • خصوصا متى كان هذا الوعى مرتبطا بالاحساس بالمجهول • وهو منبع شعور بالحق دفين لايزال يعيش فى قلوب الناس أجمعين •

وكيف يمكن — بحسب قول الفيلسوف عمانوئيل كنط — « لهذا الشعور بالحق أن يعيش ان لم نكن نحس فى أعماق قلوبنا وقرارة نفوسنا ان هذه الحياة ليست الا جزءا من حياة ، وأن هذا الحلم الدنيوى ليس الا مقـدمة لميلاد جديد وبعث جديد ••• ان عقولنا تجيز لنا أن نعتقد بأن وراء الأشياء الها ، وشعورنا الأخلاقى يأمرنا بالاعتقاد فى ذلك »•••

موقف يونج من الاحساس بالمجهول

لذا يعتبر يونج أن حيازة فكرة صحيحة عن العالم تتطلب أن يكوِّن الانسان صورة عن العالم وعن نفسه أيضا ، لأن من يعرف ماهية العالم يعرف ماهيته الخاصة • ومن المبالغة أن تتطلب حرفيا هذه المعرفة لأنه

ليس بمقدور أحد أن يعرف ماهية العالم ، ومن باب أولى ليس بمقدور أحد أن يعرف ماهية نفسه . ولكن المطلوب هو الحصول على أصح قدر ممكن من المعرفة .

وأصح معرفة ممكنة تتطلب الالمام ، وتنفر من الافتراضات المرتجلة ، ومن التأكيدات التحكمية ، ومن الآراء الآمرة . لأنها على العكس من ذلك تبحث عن النظريات المؤسسة على أسس متينة ، بدون أن تنسى أبدا أن كل معرفة لابد محدودة ، والخطأ فيها جائز .

فاذا كانت الصورة التى نخلقها عن العالم لا تتجاوب مع أنفسنا ، فاننا سنقنع عند ذلك بخداع أنفسنا بمظهر جميل ، ذى خصائص تخلبنا . لكن الخداع الذى نعطيه لأنفسنا سوف يقع ضرره علينا ، ويصنع منا أشخاصا خرافيين ، غير عاقلين ، وغير قادرين . فعندما نناضل لأجل صورة مخادعة للعالم ، فان تفوق الأمر الصحيح كفيل بأن يصرعنا . وهكذا نتعلم كم يهمنا أن نحوز فهما صحيحا للعالم ، أقيم وأكمل بأعظم عناية .

وفهم العالم لا يصح أن يكون محض افتراض ، ولا بندا من بنود الايمان . فالعالم يغير وجهه ، والدهور تتغير ونحن بداخلها . وليس بمقدورنا أن نرى العالم الا بصيغة صورة روحية بداخلنا وليس من السهل دائما عندما يحدث تغير فى الصورة أن نقرر ما اذا كان العالم هو الذى تغير ، أم نحن ، أم كلانا قد تغيرنا . فصورة العالم بمقدورها أن تتغير فى كل لحظة ، كما يمكن أن تتغير أيضا الفكرة التى نصنعها بأنفسنا عن أنفسنا ، فكل كشف جديد ، وكل فكرة جديدة بمقدورهما أن يضفيا على العالم وجها جديدا (١) .

---

(١) C. G. Jung : Problèmes de l'Ame Moderne P.P. 102 — 103 (Trad. fr. de Roland Cahen. Paris 1960).

وتأسيسا على هذا التطور المستمر فى الفكرة الصحيحة عن الحياة الروحية ينقد يونج أسلوب التحليل النفسى التقليدى كما تركه فرويد ، لتأسيسه على افتراضات مطلقة خاطئة تماما ، وبالتالى لعجزه عن الوصول الى أسرار التكوين العقلى - الروحى للانسان(١) .

ويقول يونج ان أهم الحركات الروحية المعاصرة هى « الحركة الشيوصوفية » Théosophique أو « حركة الحكمة القديمة » ، مع شقيقتها الأوروبية وهى حركة « حكمة الانسان » Anthroposophie أما الاهتمام بعلم النفس التقليدى فهو اهتمام ضئيل .

وهذه الحركة الروحية (التى يشبهها يونج بالحركة الغنوطسية gnostique فيما مضى) تستند الى الظواهر الروحية التى تعودنا وضعها فى المؤخرة . وهى تتغلغل معنويا الى الأعماق التى لا تزال غامضة . والمتعلقة بالمذهب اليوجى الهندى Kundalini yoga فى قالبه الأوروبى . وهذا ما ينطبق أيضا على ظواهر الباراسيكولوجى ، وأولئك الذين يعرفونها يشهدون بذلك .

والحماس للعناية بهذه الظواهر يستهدف بلا ريب العناية بالطاقة الروحية التى كانت مصدراً لصيغ من المفاهيم الدينية التى قد عفى عليها الزمن ، حتى ولو كان لهذه الطاقة جانب علمى . واذا كان الدكتور شتاينر Steiner يعلن أن حركة « حكمة الانسان » تمثل « علم الروح » la science de l'esprit . (٢) ، فان هذا الاعلان نفسه

(١) راجع منه بوجه خاص ص ١٠٠ - ١٢٩ ، ٣٩٥ - ٤٠٥ .
(٢) الاشارة الى رودلف شتاينر Rudolf Steiner وهو متصوف ملهم mystic وفيلسوف سويسرى ذائع الصيت (١٨٦١ - ١٩٢٥) . ويرجع اليه الفضل فى انشاء « جامعة علم الروح » Goetheanum de Dornoch ببلاده ، فضلا عن عدد من المعامل ، والعيادات الروحية النشطة لغاية الآن . وهو رائد حركة « حكمة الانسان » هذه . وصاحب حوالى أربعين كتابا رائعا فى الفلسفة ، والدين ، والروح ، والتربية منها :
||

يبيّن الى أى مدى ساءت سمعة الدين عنـد الناس ، كما ساءت سمعة السياسة ، وسمعة اصلاح العالم .

فهل تتجاوز الحدود بالتالى اذا ما قلنا ان الوعى العصرى — على عكس وعى القرن التاسـع عشر — أصبح يوجّه تطلعاته الوجـدانية العميقة والدفينـة الى الايمان بالروح ؟ حتى ولو حاول أن يضفى على هذا الايمان صبغة علمية ... فالايمان يريد أن يسمو من جـديد على المعرفة ، لكن أصبح الايمان لا يتقبل الدين الا بمقدار ما يحتوى الدين على معرفة تتفق مع الظواهر الروحية بعـد اختبارها . فهـو يريد أن يعرف ، أى أن يحصل على اختبارات مبدئية .

* * *

ثم يقول يونج ان التزايد الضخم للاهتمام بعلم النفس فى العـالم كله خلال الأعوام العشرين الأخيرة (السابقة على صدور كتابه) يثبت بلا نزاع أن الوجدان العصرى تباعد قليلا عن الحقائق المـادية الخارجية كى يتجه نحو الحقيقة الداخلية الشخصية ....

واهتمام علم النفس المعاصر يتوقع من الروح شيئا ، شيئا لم يمنحه بلا نزاع العالم الخارجى ، شيئا كان يجب أن تتضمه أدياننا ، ولايزال يفتقده فيها الانسان العصرى . فالأديان بالنسبة له لا تجىء من الداخل ، أى لا تجىء من الروح لكنهـا تكون جزءا من « قائمـة » العـالم الخارجى .....

ان الظواهر التى كان الانسان يضعها فى المؤخرة لأنها غامضة وذات

La Philosophie de la Liberté. La Direction Spirituelle de = l'Hunmanité. Mystique et esprit Moderne. L'Initiation. Théosophie. Merveilles du Monde. Le Monde des Sens et le Monde de l'Esprit. L'Apparition des Sciences Naturelles. Pensée Humaine, Pensée Cosmique. L'Univers, La Terre, et L'Homme. Philosophie, Cosmologie, Religion. Du Sens de la Vie. Les Bases Spirituelles de l'Education. L'Education des Educateurs ..

مظهر مرض التى تجرى بداخل الروح أصبحت تشد الاهتمام ، رغم أنه من الصعوبة أن نفسر كيف أن تلك الظواهر — المرفوضة فيما مضى — أصبحت هامة بغتة . لكن هذه هى الحقيقة ، وهى أنها أيقظت الاهتمام العام ، وهذا مالا يمكن نكرانه ....

وعندما أتحدث عن الاهتمام بعلم النفس لا أعنى فحسب الاهتمام الذى يشد الأفراد الى علم النفس العام ، وأقل منه ذلك الاهتمام الذى يبديه البعض نحو علم نفس فرويد ، لكننى أعنى ذلك الاهتمام المتزايد جدا بالظواهر الروحية ، وبالتجريب الروحى ، وبعلم الفلك ، وبالثيوصوفية ، وبالباراسيكولوجى ....

ان قرإننا يرغب فى أن يختبر الروح . وهو يرغب فى اختبار مبدئى ، وفى رفض كل افتراض فى الوقت الذى يستخدم فيه جميع النظريات التى عرفتها الأديان لتحقيق غاياتها ، ويستخدم العلم الصحيح أيضا . والانسان الأوروبى المعاصر قد يشعر بغضاضة خفيفة عندما ينقّب بعمق فى هذا الميدان ، ليس فقط لأن الموضوع يبدو غامضا وعجيبا ، بل لأن الأسلوب نفسه قد يهدد فى تصوره أحسن فتوحاته الروحية ...

ويقول يونج ان فرويد — وهو مؤسس التحليل النفسى — كان يكره أية محاولة لالقاء أضواء على كل ما كان يعتبره غامضا ، بل سببًا من ظواهر هذا الصنف . وكان يفسرها الى الحد الذى يجعل أى انسان يتصور أنها من ظواهر « النفاية »(١) .

لكن محاولته لمنع بحثها لم تنجح ومحاولته لتنفير الناس منها انتهت الى نتيجة عكسية ، وهى الاعجاب بها . وهو مالا يمكن تفسيره الا بأن هؤلاء الأشخاص الذين أعجبوا بهذه الظواهر لديهم هاتف خفى يدعوهم الى الروح ....

---

(١) وقد سبق أن بينا كيف أن فرويد بدأ يعدل عن هذا الموقف المعارض منذ سنة ١٩٢١ . راجع ما سبق عنه فى ص ٦٥ — ٧٠ .

ان كل التجديدات العظيمة فى العلوم لم تجىء من أعلى بل من أسفل . فالأشجار لا تسقط من السماء ، بل تنبت من الأرض ، بعد أن تكون البذور قد سقطت من أعلى فيما مضى . وزعزعة عالمنا الخارجى (عن ماديته) لا تكون الا اذا اهتزت معه مشاعرنا .

فكل شىء يصبح نسبيا وبالتالى محلا للشك ، وعندما يكون الشعور مترددا وقلقا ، فانه يعتبر هذا العالم زائلا تدوى فيه شعارات السلام والصداقة ، والديموقراطية والدكتاتورية ، والرأسمالية والشيوعية ، لكن تطلعات الروح تسمو عنها ، باحثة عن جواب حاسم فى وسط دوامات الشك والقلق هذه ....

وبعدئذ يعود يونج الى الحملة على فرويد وأتباعه الذين غرروا بالجماهير والبيئات العلمية بشأن موضوع الظواهر الروحية ، وصرفوا الجميع عن ضرورة متابعتها ودراستها ، الى حد أن أعدادا أكثر مما ينبغى من الأشخاص أصبحت أقرب الى علم نفس فرويد مما هى الى الانجيل (بكل ما فيه من ظواهر روحية) . وأصبح للشيوعية عندهم مغزى أكثر من مغزى الفضيلة اذا جاءت من الطبقة البورجوازية . وكل أولئك أخوة لنا مع ذلك ، وداخل كل واحد منا صوت واحد بالأقل متعاطف معهم ، لأننا كلنا نشكل فى النهاية جزءا من روح واحدة .

والنتيجة غير المتوقعة لهذا الاتجاه هى أن يصبح العالم ذا وجه قبيح الى الحد الذى لا يمكن لأى انسان أن يحبه . بل أيضا الى الحد الذى لا يمكن معه أن نحب بعضنا بعضا . والى الحد الذى لا يوجد معه من خارجنا أى شىء بمقدوره أن يشغلنا عن أرواحنا . وهذه هى بلا ريب النتيجة التى يريدون الوصول اليها فى الواقع (أى أنصار علم النفس المادى) .

ماذا تريد الثيوصوفية فى الواقع عندما تنادى بفقه الكارما والعودة للتجسد ، اللهم الا القول بأن هذا العالم المظهرى ليس أكثر من دار

عبور ، واستشفاء معنوى من رذائلنا ؟ انهــا أيضــا تجعل من الأمور النسبية الاحساس الباطن للعالم الحاضر ، لكن بأسلوب مغاير عن طريق الوعد بوجود عوالم سامية بدون أن تدحض قيمة هذا العالم الأرضى .

ولنعترف بأن كل هذه الأفكار لا تشــغل البيئات الأكاديمية التى لا تزال تتجاهل يقظة الوجدان المعــاصر الى الروح ، وتنشــغل بنظرية النسبية لأينشتين أو بأبحاث الذرة أكثر مما تنشغل بالروح . والفيزياء نفسها تستحوذ على العالم المــادى . ولا شىء فى ذلك يدعو الى العجب (قبل كتابة هــذا الكتاب) . ولكن الانســان العصرى يعود الآن ــ وبطريقة لا يمكن تفاديها ــ الى التنقيب عن حقيقته الروحية ، كى يستمد منها الأمن الذى يرفض العالم المــادى اعطاءه اياه .

وروح الانسان فى الغرب توجد الآن فى مركز دقيق ، ودقيق بقدر مازلنا نفضل خداعات الذات على حقائق الروح التى لا يغتفر انكارها . فهو يحيا وراء غيمة من ثمالة الذات تخفى عليه وجهه الحقيقى .... وعلم النفس الحالى يخدعنــا ويعطينــا صورة مزيفة عن أنفســنا من جميع الجوانب ، ويمنعنا من أن نرى النواحى المنفرة فينا لأننــا لا نريد أن نراها(١) .

موقف يونج من القبس الالهى فى الانسان

وبحسب يونج يحمل كل انسان فى الأعماق الباطنة الخاصة جــدا لروحه قبسا من الألوهية ، يوصــله الى معرفة ذاته ، وهــذا هو بعينه القبس الالهى فى الانسان الذى تحدث عنه كبار المتصوفين منذ القرون الوسطى من أمثال ايكارت **Eckhart** ، وجان تاولر **Jean Tauler** وهنرى سيزو **Henry Suso** .

وهذا القبس الكائن فى أعماق الروح لا يصــل اليه صاحبه عن

---

(١) تلخيص عن كارل يونج . المرجع السابق ص ١٧٦ ــ ١٨٥ .

طريق التأمل الشخصى المتمركز عنـد محاولة رؤية الذات فى مرآتهـا الخاصة ، بل عن طريق حب القريب • فالانسان يصل الى ذاته عن طريق التجرد ، والتخلى عن كل مطلب أنانى ، مع الارادة الذاتيـة ، واللهفـة على المعرفة • ولذا يجب أن تخلو الى نفسـك ، وتغرق فى وجدانك ، وتسلم قلبك الى الله •

وبهذا الأسلوب يصل الانسان الى أعماق نفسه ، الى ذاته المختفية بداخله ، الى باطنه السامى النبيل ، النابع عن الله ، المكوّن من جوهر روحى نقى ومتجرد • فهناك تقع مملكة الله ، وهناك يقيم الله ويعمل • وعند متصوفى العصر الوسيط يظل هذا العمق المقـدس للروح محض عمق روحى ، لا يتضمن اطار الخليقة الطبيعية ، ولا المـادة ، بل بالعكس يتطلب من الانسان أن يبدأ بالنأى عن المخلوقات • أما عند يونج فهـو يرى بحسـب اختباره الروحى الأساسى ــ أن هـذا العمق المقـدس للروح يمثل عنصرا من الطبيعة بعيش فى تناسق معها واندماج فيهـا • ولذا فهو لا ينصح بالاعتزال عن الآخرين ، أو بالنأى عن الطبيعة بكل ما فيها من بهاء وتناسق(١) •

ويقول يونج فى كتابه عن « حيـاتى » اننا فحسب عنـدما يرتبط وجودنا باللانهائى بفضل النـافذة المفتوحة على الأبدية (نافذة النفس المستورة) يصـبح لهذا الوجود مغزى ! « فانى فقط اذا ما علمت أن اللانهائى (أو غير المحدود) هو الجوهر ، واذا ما امتنعت عن الربط بين مصـلحتى وبين التوافه ، والأمور الخالية من قيمة حاسـمة ••• واذا ما عرفنا وشعرنا أننا حتى فى هذه الحياة مرتبطون باللانهائى ، فان رغباتنا وخططنا سيلحقها التغيير • فاننا فى النهاية لن نساوى شيئا الا بالجوهر الذى فينا ، فان لم نجد السبيل اليه ، فقد ضاعت حياتنا هباء •

---

(١) عن Marie — Louise Von Franz : C. G. Jung : Son mythe en Notre Temps P.P. 165 — 166.

وفى علاقاتنا بالآخرين يتعين أيضا أن نعرف ما اذا كان الاحساس باللانهائى يلعب دوره أم لا ؟ لكننى لا أصل الى الاحساس بغير المحدود الا اذا كنت أنا محدودا للغاية . وأكبر تحديد للانسان هو ذاته ، ويظهر هذا التحديد فى الاقرار الذى أعيش فيه عندما أقول « ما أنا الا هكذا » .

والاحساس الوجدانى بتحديده الضيق الكائن فى ذاتى هو الذى يربط بينى وبين اللاشعور غير المحدود . وعندما أشعر بذلك فانى أمر بهذا الاختبار : وهو أننى محدود ، وفى نفس الوقت أزلى(١) .

وهذا هو أيضا ما عبّر عنه دورن Dorn عندما قال ان معرفة الذات تعنى النظر من خلال نافذة الأبدية ، وهى فى نفس الوقت تؤدى الى الربط بين جوهرنا الخاص وبين الحجر الذى نعيش فيه (كناية عن الجسد المادى) . فهذه المعرفة عبارة عن توسيع بلا حدود لذواتنا ، وتضييق بالغ الحدود لها .

وجلى من كل ذلك أن مفهوم الوجدان عند يونج مغاير تماما لمفهومه عند فرويد ، وله رسالة تغاير رسالته عند فرويد . وأنه — بالأقل — يتضمن عنصرا ساميا مغايرا لمفهوم الذات العليا عند فرويد ، لكنه مماثل الى حد ما لمفهوم النفس المستورة Subluminal عند وليام جيمس(٢) .

* * *

ولذا قال كارل يونج عبارة لها وزنها فى هذا الشأن وهى أن « بين كل مرضاى فى النصف الثانى من عمرهم ، أى من ممن تجاوزوا الخامسة والثلاثين ، لم أجد حالة واحدة لا تتحصل مشكلتها فى نهاية المطاف فى للعثور على نظرة دينية عن الحياة » .

---

(١) Carl G. Jung : Ma vie P. 369 — 370.

(٢) راجع ما سبق فى هذا الشأن فى صفحة ٩٥ — ٩٦ .

ولا يقصد يونج الاشارة الى الانتمـاء الى دين ما أو الى مذهب معين ، بل يقصد الاشارة الى الحاجة الأساسية لكل روح انسانية كيما تحصل على اتصال حي بالحقائق الغيبية التي تتجاوز حـدود الذات . والبحث عن هذه الحقائق والاتصال بها ، بطريقة منهجية منظمة مدروسة، هو موضوع علم الروح الحديث الذى أخذ يطفر الآن طفرات سريعـة نحو اشباع انفعالات غريزة الاحساس بالمجهول ، بالأقل فى جانب من أهم جوانبها ، وهو جانب العرفان الذى يلزم أن يغـذى الايمان بمفهوم التعلق بالدين ، ويوضح جوانبه حتى لا يؤول الايمان الى محض اذعان غير مدروس ، أو انفعال غير محسوس .

فالعاطفة الدينية يمكن اعتبارها عاطفة فطرية فى الكائنات العاقلة . وهى ليست نابعة عن مجرد انتماء الى اعتقاد دينى أو آخر ، لأنها مستقلة عن هذا الانتماء ، وواحدة فى جوهرها مهما تعددت صور الانتماء بتعدد العقائد والمذاهب الى مئات أو آلاف عديدة منها .

وبعبارة أخرى فان الطفل يولد بهذه الغريزة الفطرية ، لكن يتأخر اشباع انفعالاتها الى مرحلة لاحقة من النمو ، كما قد يتـأخر اشـباع انفعالات سائر غرائزه الى مرحله أو أخرى من مراحل العمر ، كل بحسب ظروفه وامكانياته .

كذلك انفعالات هذه العاطفة الدينية لا تستيقظ عند الطفل الا بعد بلوغه بضع سنوات من عمره ، عنـدما تتجه مشـاعره نحو البحث عن المجهول اتجاها تلقائيا ، فيجد من أبويه توجيها نحو اشباع عاطفته عن طريق توضيح بعض أمور الاعتقاد له بالقدر الذى يناسب عقله الصغير . وأيضـا عن طريق دفعه الى الاتجاه الى الله بالدعاء ، أو الابتهـال ، أو الصلاة .

* * *

وايمان يونج بالقدرة الخالقة مسـتمد من أمور كثيرة منها وجود روابط زمنية لا سببية ، روابط تجمعها صـور من التماثل فى تسلسل

الأحداث الخارجية التى لا تربط بينهـا رابطة العلية ، لكنها تحدث مع ذلك معا ، لأنها تتجه كلها فى اتجاهات متلازمة زمنيا Synchronicité .

وهذه الظاهرة تفترض وجود اتجاه سابق محدد فى الطبيعة نفسها ، ظهر قبل ظهور الوعى الانسانى . وهو ما يفيد بعبارة أخرى وجود عامل ثابت فى قلب الطبيعة ، لا يمكن تعليل مصدره . لأنه على العكس يسبق كل نشاط شعورى ، وكل محاولة للتفسير من جانب الانسان . وهـذا العامل الثابت لاتجاه الظواهر نحو هـدف محدد من قبل يطلق عليـه يونج وصف « المعرفة المطلقـة » savoir absolu وهى مطلقة لأنهـا مستقلة عن معرفتنا الشعورية .

وفيما يبدو فان هذه المعرفة المطلقة لها اصلة بالسلوك العاقل للكائنات الدنيا المجردة من العقل . لأن المعرفة المطلقة تبدو أيضـا مستقلة عن أية معرفة تجىء عن طريق أعضاء الاحساس وتشير بالتالى الى وجود احساس قائم بذاته فى الطبيعة وهدف محدد من قبل .

وهذه الصـيغة من سلوك الكائنات الدنيا لا يمكن الا أن تكون سماوية أوعلوية transcendantale ، لأنها موجودة فى مكان نسبى روحيا . وفى وقت مقابل لها ، وهو ما يظهر أيضا عند التنبؤ بالأحداث المستقبلة أو البعيدة (١) .

وفى الجملة فان هذه الروابط الزمنية غير العلية ، التى تحكم بعض الظواهر ، هى أفعال للخلق فى الزمان . وهـذا بذاته يعنى — لا أكثر ولا أقل — ان نشاط القدرة الخالقة لا يزال مستمرا الى الآن فى مفهوم نظرية « الخلق مستمر » Creatio Continua وهذه الأفعال الخالقة تحدث دائما فى اطار نظام موجود منـذ الأزل من جانب أول ، ونظام متجـدد

---

(١) لنا عودة الى هذا الموضوع فى الفصل المقبل ، وفى الفصل الثانى من الباب السادس .

بحرية من جانب آخر . وهذا ما يعنى وجود « اتجاه » أو « مغزى » .
ولهذا السبب فان هذه الظواهر كان ينظر اليها دائما على أنهــا تعبر عن وجود الألوهية ، أو كما يقال فى الصين عن ظهور « التاو » Tao فى مفهوم « الاتجاه أو المغزى الكونى » (١) .

موقف يونج من صلة التحليل النفسى بالاحساس بالمجهول

والحب عند يونج هو لب الدين ، بل لب الحياة والابداع والالهام الراقى ، والنجاح فى كل شىء حتى فى التحليل النفسى . ولذا كان يقول ان النظرية والفن العلاجى ليس بمقدورهما أن يحيطا بالروح الانسانية ، بل ينبغى على المحلل النفسى أن يواجه بكل شخصيته الخاصة المجموع الكلى الحى للمريض . ويرعى أن تشــييد علاقة للثقــة بينهما أهم من تطبيق نظرية علميــة متينة فى العلاج . واذا كان للمحلل ما يقوله فان للمريض أيضا ما يقوله ، وكل علاج عبارة عن حوار ، وعن لقاء يتداخل فيه صوت المريض ، وتعابير وجهه ، وحركاته ، وأخيرا وليس آخرا خلجات اللاشــعور .

ويستشهد يونج بالمبادىء التى نادى بها باراسيلز Paracèlse (٢) والتى منها « أنه حيث لا يوجد حب لا يوجد فن » لذا فعلى الطبيب أن يتعاطف مع مريضه ، وأن يحبه الى المدى الذى يؤمن الانسان بوجوده بين الله والناس ، لأن الطبيب هو الواسطة التى تتداخل بها الطبيعــة فى الشفاء . وما يحققه الطبيب ليس من عنده . وممارسة مهنة العلاج لهــا موضعها فى القلب فاذا كان قلبك زائفا ، فان الطبيب الذى بداخلك يكون زائفا أيضا .

وكان يونج يؤمن بذلك كله ويطبقه فى عيادته الى حد أنه صادف يوما شابة مريضة اشترطت عليه عنــد بدء العلاج شرطا قاســيا ، وهو

(١) المرجع السابق ص ٢٧١ — ٢٧٣ .
(٢) راجع ما سبق عنه فى هامش (٢) من صفحة ٢٥٣ .

ألا يتحدث عن آرائه ، ونظرياته ، وتفسيراته • بل أرادت أن يكون حديثها معه طوال الوقت عن حياته الخاصة ، بما فى ذلك ما يفعله فى اجازاته ! فقبل يونج هذا الشرط القاسى الأليم أساس للعلاج ، وحقق العلاج نجاحا تاما ، مما يبين الى أى مدى كان يونج يتوائم مع مرضاه ، حتى ولو كانت المواءمة ضد طبعه الخاص(١) •

واطلع يونج على تحقيقات روحية متنوعة منها تحقيقات كروكس Crookes ، وزولنر Zoellner ، واختبر ظواهر روحية عديدة وحققها بنفسه واشترك معه فى التحقيق أحيانا زميله أوجين بلولير Eugène Bleuler •واستخلص من كل ذلك آراءه فى اللاشعور ، ورأيه فى اعتبار المادة وجها نوعيا للروح ، وفى رفض كل تفسير مادى صرف أو روحى صرف للكائن الانسانى •

والاحساس بالسلام مع النفس هو موضوع هذه الغريزة الدينية الفطرية • وهو ليس هدفا سهل المنال ، لأن الانسان حسبما يقول يونج يعيش أبدا فى حرب • فالذات الانسانية عبارة عن قائد لجيش صغير يحارب ما يحيط به • وكثيرا ما يحارب فى جبهتين عندما يحارب من أمام لأجل الوجود ، ويحارب من خلف ضد طبيعته الخاصة المتمردة الثائرة • وحتى اذا لم يكن الانسان متشائما ، فان الوجود يبدو بمثابة معركة ، قبل أن يبدو بمثابة أى شىء آخر •

فحالة السلام حالة استثنائية ، واذا حدث أن شخصا ما أمكنه أن يقيم سلاما مع العالم ومع نفسه ، فانها تكون واقعة تستحق التسجيل • وازاء هذه الحالة المزمنة من الحرب فنحن بحاجة لاتخاذ خطة منظمة بعناية • واذا فرضنا أن شخصا ما أمكنه أن يصل الى سلام قابل للاستمرار فان الحفاظ على هذا السلام ولو لفترة متواضعة يحتاج الى درجة عالية من الاعداد المعتنى به ، ومن الجهد المدروس •

---

(١) المرجع السابق صفحة ٧١ ــ ٧٢ .

والنتيجة أنه أيسر للانسان بكثير أن يحيا حياة الذات فى الحركة ، بين مد الأحداث وجزرها ، من أن يظل فى حالة من الاتزان المتواصل التى قد تصل به الى ملل لا يطاق ، مهما كانت روعة ما يصاحبها من احساس بالسمو وبالكمال .

ولذا فنحن لا نخطىء اذا افترضنا أن حالات السلام الداخلى ، أى حالات انتفاء الصراعات ، مهما كانت تتسم بالاعتدال والسمو والاتزان لفترة ما من الوقت ، فانها ترتكز دائما على اتخاذ مواقف متطورة بوجه خاص ، وناضجة ، ومتفاوته ... (١) .

عن « التأمل »

وبطبيعة الحال فان بنى البشر يتفاوتون تفاوتا ضخما فى مدى تعلقهم بالدين ، وفى مدى التزامهم بأوامره ونواهيه ، وفى أنواع ردود الفعل التى تنجم عن هذه الغريزة التى تحاول دائما البحث عن المجهول ، والتى تتفاوت تفاوتا ضخما بين انسان وآخر ، ولو كانا ينتميان الى نفس الاعتقاد ، والمذهب ، والبيئة ، والأسرة ...

وأسمى انفعال لهذا الاحساس بالمجهول هو انفعال الرغبة فى الاتجاه الى الله ، أو بالأدق ذلك الانفعال الرفيع الذى يختلج فى نفوس بنى البشر أجمعين فيدعوهم الى الصلاة ، أو الى التأمل Meditation . والصلاة كما نفهمها فى الشرق الأوسط ، وكما يفهمونها فى الغرب ، هى التوجه بالحديث الى الله تعالى ، أما التأمل فهو الانصات اليه . وهذا التأمل هو من صور العبادة الصوفية الشائعة فى أنحاء عديدة من الشرق الأقصى خصوصا فى الهند ، والصين ، واليابان ....

ويقول والتر ستارك Walter Starcke فى التمييز بين الصلاة والتأمل « ان الصلاة عبارة عن نشاط روحى موجه » ، أما التأمل فهو

---

(١) عن كارل يونج . المرجع السابق ص ٩٨ — ٩٩ .

توقف النشاط لكى تتصل بالروح ، وكلاهما لازمان للانسان » (١) •
ويضيف راينور جوسون Raynor C. Johnson — مدير كلية الملكة بجامعة ملبورن باستراليا — الى ذلك ، أنه مع لزوم الصلاة والتأمل مجتمعين معا للانسان فانهما يقودان العقل الى نفس الحالة (٢) •

فالكلمات أو الأفكار التى قد تبدأ بها الصلاة لا تلبث أن تذوب — بمقدار عمق الصلاة — فى الصمت العقلى الذى يتطلبه التأمل • والتأمل بنفس المقدار ينتهى الى نفس هذه الحالة الأخيرة • ومن بين الأسئلة التى ينبغى أن نضعها فى الاعتبار هذا السؤال ، وهو : ماذا نحاول أن نحقق عن طريق التأمل ؟ وما هو أسلوبه أو فنه ؟ وما هى الصعوبات أو العقبات التى يلزم التغلب عليها لتحقيقه ؟ والى أين يقودنا ؟

وعندئذ يلزم أن نذكّر أنفسنا بأن العقل يحتل موقعا استراتيجيا فى تكوين الانسان • فهو الجوهرة المركزية للفرد التى يمكن أن تسمى — للتبسيط — الذات العليا ، والتى تستمر خلال جميع ولادات الفرد ومياته •• فالعقل مصباح الروح الذى يحتوى على الضوء المقدس النقى للنفس الخالدة • شأنه فى ذلك شأن الجسد السببى Causal (أو الهيولى الذى سبق أن تحدثت عنه فى الباب الرابع) (٣) ، وشأن بعض قدرات الاحساس الكامنة فى العقل •

وباقى العقل يتحكم فى مستويات الشخصية التى تتحول وتتغير فى كل تجسد (لنا حديث طويل عن « العودة للتجسد » فى الأبواب الثلاثة الأخيرة) •

---

(١) The Ultimate Revolution. New York P. 122.

(٢) فى مؤلف له عنوانه « الطريق الروحى »
The Spiritual Path. London 1972 P. 180.

(٣) راجع ما سبق فى صفحة ٢٨٦ — ٣٣١

فالعقل الفردى يمثل فى الواقع نظاما مركبا من الأفكار والمشاعر التى تستجيب آليا للبيئة المحيطة به • وهـذه الانفعالات الشخصية ، والمشـاعر ، وردود الفعل متمركزة فى الذات ، وتسـيطر على حيـاة الشخص •

والعقل يمثل غيمة مشبعة بالأنانية فى صورها الفجة أو المهـذبة ، وتحجب وعينا العادى الشعورى عن أية معرفة للذات العليا ، التى تشرق دائما كما تشرق الشمس فوق سماء مظلمة ملبدة بالغيوم • لكننا نحيـا حياتنا الشـخصية فى جهل بهـا ، ولذا يكون وجودنا حزينا ، والأمور مختلطة عليه ، ويكون شقيا ، ومشدودا بين أطراف المتناقضات ، ويتصور أحيانا أنه لا يملك سبيلا فى الحياة ولا مغزى لها •

والهدف من التأمل هو محاولة النفاذ من خلال غيوم العقل كيمـا يصبح العقل واعيا للذات العليا•واذا ما أمكن تسكين العقل ، والاتصال بالذات العليا ، فان كل حياتنا فى الجسد تبدأ فى التغير ، اذ تفقد اختلاط الأمور عليها ، كما تفقد توترها ، وغياب المغزى من الوجود ، فتعثر بذلك على السلام •

وقد تحدث معلمون قلائل عن تأثير العقل فى الحيـاة • منهم بوذا الذى كان يعلّم أن « ما نحن عليه هو نتاج ما فكّرنا فيه »• وأبكتاتوس Epictetus (فيلسوف اغريقى رواقى المذهب) عندما قال « ليست الأشياء هى التى تقلق النـاس ، بل نظرة النـاس الى الأشياء هى التى تقلقهم » •

* * *

وقد وصف قيمـة التأمل كتاب حديث صـغير ، قالت فيه مؤلفته « ان تطبيق التأمل هو اذا جهد يبذله الانسان الصادق لكى يغيّر ردود الفعل الآلية العادية لطبيعته الشخصية ، حتى تصبح هـذه الردود أكثر

هدوءا وتفتحا لتأثير الروح » (١) • ولذا فان التأمل يتطلب القدرة على التركيز العقلى •

وهذا يعنى طبعا أنه يتعين علينا أن تتأمل فى أنفسنا تأملا واعيا ، بمساعدة أحلامنا ، وبأساليب أخرى ملائمة • ويتعين علينا عندئذ أن نضبط نفوسنا ، حتى تبدد غيوم الأنانية التى بداخلنا تدريجيا • وحتى تبدأ اشعاعات الشمس المشرقة للذات العليا فى الوصول اليها • وكل هذا يتحقق مباشرة عندما نهتم بأن نحيا حياة أكثر انضباطا وفاعلية فى وجودنا الراهن • لكن الهدف البعيد العظيم مرتبط بتطور الروح ونضجها • ولذا فالتأمل يمثل أهم نشاط فى الطريق الروحى •

والعقل لا يحب انضباط الالتفات الذى تفرضه عليه الارادة لأنه يفضل بطبيعة الحال الحرية لكل مسالك الفكر ، حتى تتحرك الأفكار على شاشة اليقظة بلا ضوابط • ومع ذلك فالقدرة على اعادة العقل بعد شتاته الى التركيز على نقطة محددة بالذات أمر مرغوب فيه ، لأن السيادة ينبغى أن تكون لارادة الذات العليا •

ودراسة التركيز ليست فحسب نشاطا روحيا فى أى مفهوم كان ، بل ان التركيز يمثل ملكة يمكن استخدامها لتحقيق غايات روحية متنوعة كما يحدث فى التأمل • ويمكن أيضا استخدامها لاستبعاد الأحاسيس الشعورية غير المرغوب فيها ، على نفس النحو الذى يحدث فى المناقشات العقيمة عند مايشد موضوع خاص انتباه الشخص • بالاضافة الى أن التركيز العقلى له قدرة أكبر سواء للتخاطر ، أم للايحاء الذاتى • وكم سمعنا شخصا يشكو قائلا فى اطار من القلق الذهنى « ان الأفكار تجول وتجول برأسى » • وهذا هو ما يمكن الخلاص منه عند تسليم السيادة للذات العليا (٢) •

---

(١) الاحالة الى الكتاب الآتى :

Adelaide Gardner : Meditation, A Practical Study.

(٢) عن راينور جونسون • السابق ص ١٨٠ — ١٨٧ •

وتسلم السيادة الى الذات العليا — أى الى العقل متحررا من شوائب المشاغل الأنانية التى تشغله — هو الهدف من التأمل . وكما أن الصلاة تختلف باختلاف العقائد والمذاهب فان للتأمل كذلك عدة أساليب . والأسلوب الشائع هو أن يخلو الانسان الى نفسه ، ويجلس بالوضع الذى يرتاح اليه بشرط أن يكون العمود الفقرى منتصبا ، والرأس متوازنة بين الكتفين ويغلق عينيه ، ويركز تفكيره فى منطقة تقع بين العينين (١) ، وينسى جسده أيضا ، ثم يضبط تنفسه على وتيرة واحدة .

وبعد ذلك على العقل أن يتناسى همومه ، وعلى القلب أن يتحرر من أحقاده . ثم يقوم المتأمل بعمل سياحة ذهنية فى حديقة رائعة ، يتنقل فيها تدريجيا وبهدوء — وهو على نفس هذا الوضع المريح — بين أشجارها ، وأزهارها ، وأطيارها ، وخمائلها ، ونوافيرها الوهمية . أو يقوم بنفس السياحة الذهنية على ضفاف نهر جميل أو فى بحيرة رائعة عامرة بالمناظر الطبيعية الخلابة . واذا كان المتأمل سبق أن زار فعلا حديقة رائعة ، أو قام بسياحة حقيقية فى نهر جميل أو فى بحيرة خلابة ، فان عملية السياحة فى التأمل تكون أيسر منالا . وهى على آية حال عملية تحتاج الى تدريب متواصل ومران ، للتوصل الى اخلاء العقل من مشاغله وهمومه .

ويا حبذا لو أمكن للمتأمل أن ينقل حبه ذهنيا الى المريض كيما يشفيه ، والحزين كيما يواسيه ، والمحروم كيما يغنيه . ولا يلزم أن يكون قريبا منه ، أو قريبا له ، بل يستحسن — على العكس من ذلك — ألا يكون من نفس دينه ، أو وطنه ، أو جنسه . فالحب الصادق لا يعرف حاجزا من دين ، ولا من وطن ، ولا من جنس ..... لأنه ينتمى الى نواميس

(١) لعل لهذه المنطقة صلة ما بالغدة الصنوبرية ، التى تقع تحت قاعدة المخ ، والتى يرجح أنها تمثل نقطة اتصال الروح بالجسد المادى ، كما قال ديكارت ، وكما أيده فيها عدد من كبار العلماء والباحثين .

الكون العليا ، أى ينتمى الى الانسانية جمعاء ، وهى تسمو على حواجز الدين ، والوطن ، والجنس •

وهذه الأخيرة حواجز وهمية تنتمى الى أساليب الغرور ، والتعصب وبالتالى الى الأنانية فلا تجمعها بقانون الحب صلة أو رابطة ، بل يقع الحب على النقيض منها • وهو وحده كفيل بالتغلب التدريجى عليها ، فالحب عدو للأنانية ، كما أن الأنانية عدوة للحب ، وهذه هى سنة الله فى الوجود ، ولن تجد لسنة الله تبديلا •

ومدة التأمل تتوقف على ظروف كل شخص ، لكنها يمكن أن تتراوح فى المتوسط بين ثلث ونصف ساعة • ويمكن أن يجرى التأمل فى أية ساعة فى النهار أو فى الليل ، وتكفى مرة واحدة فى اليوم ، مع المثابرة ، بحثا عن المزيد من قدرة التركيز العقلى للاستماع فى سكينة ونشوة الى « صوت الصمت » •

* * *

وصوت الصمت لا يجىء سراعا ، بل عن طريق الابتهال الحار الهادىء الى القدرة الخالقة ، اذا صدر من نفس مشبعة بمبادىء العدالة ، والشرف ، والصدق ، نحو بنى البشر أجمعين • ثم عن طريق الرغبة الصادقة فى الاتجاه بالعقل والروح الى هذه القدرة غير المحدودة ، كى تساعد المتأمل على أن يستخدم أنبل ملكاته العقلية ، فى اصرار وفى انكار للذات ، للاستماع الى صوت الصمت ، الذى يمكن أن يجىء فى صورة ومضات خاطفة من الالهام الراقى ، أو الحدس ، من ذلك المصدر المتدفق للحياة ، الذى لا ينضب معينه •

والحدس وحده لا يعطى القدرة على استخدام هذه الطاقة الكونية الحية التى تقع وراء كل نشاط فى الطبيعة ، والتى تقود الحياة والسلوك • لأنه من الجائز أن يوجد عقل لا يستقبل الحدس ، لكن لا يمكن أن يوجد حدس بدون عقل يستقبله • والحكمة هى فى النهاية نتاج التوازن التام بين العقل والحدس •

والتأمل هو الذى يساند العقل ويدعمه ، كما يعجل بحدوث الحدس والالهام • ولذا يمكن أن يقال أيضا ان التأمل قد يصلح مصدرا للحكم الصحيح على الأمور ، وللنضج الروحى • ولتقوية الارادة حتى تسيطر على موكب العمليات العقلية التى تقوم بتوجيه ذلك البحر من الطاقات الكونية الذى يصنع حياة الانسان من نواحيه الفيزيقية ، والعاطفية ، والذهنية •

ولعل مما يلتئم مع هذا فى جملته ما قرره هنرى برجسون من أننا بمجهود ضئيل بمقدورنا أن ندفع الى أجسادنا بحيوية أكثر مما تعودنا ، وبمجهود ضخم يمكن أن ندفع اليها بطاقة غير محدودة • كما يلتئم مع ما قرره وليام جيمس من أن هناك مستويات عالية من الوعى يمكنها أن تهبط الى أسفل ، وتمسك بزمام مستويات هابطة من الوعى ، وتسمو بها الى مستواها الخاص •

والهدف الأساسى من التأمل ومن الصمت هو أن تصل الذات الى قلب المركز الروحى الكائن بداخلها • فهذا الجهد فى اعادة تخزين الطاقة وتقويتها بحاجة الى بؤرة أو الى مركز يلقى العقل برمته زمامه اليها ، هى هذا المركز الروحى الكامن فينا جميعا(١) •

والتأمل ليس وسيلة عبادة ، وارتقاء خلقى فحسب ، بل قد يصلح أيضا وسيلة لعلاج بعض الأمراض ، خصوصا منها تلك المتاعب النفسية مثل القلق النفسى والاكتئاب ، وبعض المتاعب العضوية ذات الأصل النفسى أو الروحى أحيانا Psychosomatic مثل الصداع النصفى • وقد يساعد التأمل أيضا على التغلب على متاعب المس الروحى ومضايقات الشغب الروحى (٢) •

(١) للمزيد راجع :

Helen Rhodes Wallace : How to Enter The Silence.

W. y. Evans — Wentz : Tibertan Yoga and Secret Doctrines. London 1967.

Benjamin Walker : Beyond The Body. London 1974

(٢) لنا فى الباب السابع وقفة كافية عند ظواهر المس الروحى من ناحية صلتها ببعض جوانب سلوك الشواذ ، ناهيك بصلتها ببعض الأمراض والمتاعب العضوية .

وفى النهاية قد يساعد التأمل على انشاء صلات مع كائنات عليا متطورة خصوصا اذا كان المتأمل صاحب قدرة وساطية خاصة كالاستشفاف السمعى أو البصرى • والتأمل يساعد أيضا على انماء وتهذيب القدرات الوساطية الدفينة بوجه عام ، وأرقاها كلها الالهام •

لهذه الاعتبارات — مجتمعة — أعطى المتصوفون الكبار قيمة خاصة للتأمل بوصفه من مستلزمات الخلوة الصوفية الراقية ، لاخلاء العقل من مشاغله التافهة ، ولمحاولة الوصول الى أثمن كنز ينبغى أن يبحث عنه الانسان العاقل ، وهو السلام مع النفس ، قبل السلام مع الآخرين مهما كانوا • والسلام مع النفس لا يتحقق الا عند محاولة الاتساق مع النواميس العليا للكون ، وأولها قانون المحبة ، وما يرتبط به من محاولة سحق الأنانية وانكار الذات••••والويل لكل من يتحدى هذا القانون ، أية كانت الأسباب ، أو الذرائع •

والأنانية تتخفى دائما بأثواب براقة زاهية اسمها المصالح المشروعة، وتتستر بشعارات مضللة مفادها أن الله لنا لا لغيرنا • وهى تحسن أبدا اتقان التخفى والتستر حتى تبلغ غايتها على الأمد البعيد من تدمير عقل الانسان ، وملكاته ، وأخلاقه • ولا يقف فى وجهها شىء سوى قدرة المحبة الايجابية ، مع الايمان الصادق ، مع الصلاة النقية ، مع التأمل الأمين •

وكل هذه قدرات مرتبطة بالقيم الروحية السوية ومدى رسوخها فى قلوب بنى البشر ومشاعرهم أجمعين • وبالتالى مدى قدرتها على الامساك بزمامهم فى شتى مناحى سلوكهم ، وعلاقاتهم بالآخرين ، والهامهم بالحل السديد فى مواجهة مشكلاتهم المستعصية مواجهة سديدة أخلاقية(١) •

---

(١)لنا عودة الى هذا الموضوع الهام عند الكلام فى « العقل والأحلام » فى نفس هذا الباب الخامس ، وعند الكلام فى الباب الثامن عن اللاشعور ، خصوصا من زاوية صلته بالالهام .

عن الصــلاة

واذا كنت قد قمت هنا ببعض التركيز على مفهــوم التأمل فليس معنى ذلك أبدا انكار دور الصــلاة ، ولكنى تعمــدت ذلك لأننا كلنــا نعرف شيئا عن مفهوم الصلاة ، ولا نعرف شيئا البتة عن مفهوم «التأمل» مع أنهما وظيفتان متكاملتان للروح ، ولا تغنى احــداهما عن الأخرى كما ذكرت آنفا ، وكل واحدة منهما تنتهى الى الأخرى بحكم الضرورة .

والمقام ليس مقام كلام فى العبادات حتى أقف طويلا عند الصلاة ، ولكن تكفى الاشارة الى أن للصلاة دورها حتى فى العلاج العادى وفى الشفاء وذلك الى الحــد الذى دفع أوليفر لودج Oliver Lodge — عالم الفزياء العظيم — الى القول بأنه « سيجىء الوقت الذى يعتبر فيه من الحماقة أن يتناول المريض دواءه بلا صلاة ، كما ننظر الآن الى المريض الذى يصلى للشفاء بدون أن يتعاطى دواء .... وعندما نعرف أكثر مما نعرف حاليا عن الطاقات التى تجرى فى العناصر العليــا للانسان (الهيولية) ، وعن تبادل التأثير فيما بينها ، ســوف نرى بوضــوح أن اعطاء نفس الدواء أو نفس العلاج العضــوى لأشخاص ذوى أوضاع متغايرة عقليا وشعوريا ، سوف يرتب نتائج متغايرة .

وبالتالى فان معالجة حالة عقلية أو نفسية بدون الاعتراف بوجود طاقات روحية تنتمى اليها ، وبمقدورها أن تؤثر فى العقل الأســمى ، تكون معالجة غير فعالة . فهذه الطاقات لها أهمية قصوى لمحاولة العلاج الفعال لبعض الاضــطرابات العقلية . ولذا فان النظرة الروحية للمحلل النفسى ، ونوعيته ، أمور هامة فى هــذا التحليل . ومن الأهمية بمكان للمحلل النفسى أن يكون طيبا ، وصــبورا ، وعطوفا ، وانســانا مثقفا روحيا ، كما يلزم للجراح أن يستخدم أدوات معقمة فى جراحته » .

وللصلاة دورها أيضا فى تحقيق السلام العالمى المنشــود ، وتوثيق

(١) عن « الطريق الروحى » المرجع السابق ص ١٤٦ .

روابط الاخاء الصحيحة بين بنى البشر أجمعين ، أو بحسب التعبير الروحى تحقيق الاتساق أو الانسجام Harmony بين النفوس فى مشارق الأرض ومغاربها ، مهما بعدت بينها الفروق والمسافات .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الشأن أن «الاتحاد الدولى للروحيين» I. S. F. (ومقره الرئيسى فى أوتاوا عاصمة كندا) أرسل دعوة الى جميع أعضاء الاتحاد فى أنحاء العالم أجمع كيما يتجهوا بقلوبهم منفردين أو مجتمعين — بصلاة حارة الى منطقة الخليج الفارسى ، لتبديد عناصر البغضاء ، وصور الخلافات التى كانت سببا فى الأحداث الدامية التى اندلعت فى أرجاء أفغانستان ، وايران ، والعراق ...

ومما يلفت النظر أن صاحب هذه الدعوة الموجهة الى الروحيين عالم من أبرز علماء الباراسيكولوجى فى العالم الآن ، وهو أندريجا بوهاريتش Andrija Puharich . وهو متخصص فى تأثير العقل فى المادة ، وقدرة العقل على الانتقال عبر المسافات البعيدة ، وقدرة الصلاة على تحقيق المعجزات . فهو ليس رجل دين ، بل رجل علم بالمعنى الدقيق(١) .

وهكذا تجد أن الحواجز بين العلم والدين آخذة فى التراجع التدريجى ، وأن الأخوة الانسانية — فى أجمل معانيها — آخذة فى تثبيت أقدامها عن طريق هذا الاحساس العميق الذى يسود نفوس الروحيين بوجه خاص — عن وجود تضامن عالمى حقيقى بين بنى البشر فى السراء والضراء ، يلزم تقويته على الدوام لخير الانسانية جمعاء(٢) .

وهذا هو الشعور الذى دفع هذا العالم الجليل الشأن الى الاقتناع

---

(١) واجع ما سبق عن بورهاريتش فى صفحة ١٠٣ ، ١٦١ ، ٤٩٧ .
(٢) واجع نشرة « نشرة الاتحاد الدولى للروحيين » الصادرة فى نوفمبر سنة ١٩٨٠ .

بأن بمقدور بنى البشر أن يبددوا عناصر البغضاء التى تحلق فوق منطقة الخليج الفارسى عن طريق قدرة الصلاة مجتمعة مع قدرة الحب الايجابى، والفكر الخلاق فى وقت واحد (١) . وذلك اذا ما صحت عزائمهم على ذلك ، ، لدرء شرور الأحداث الدامية الأليمة التى تجرى هناك ، أو فى أية رقعة فى العالم ، لأن توجيه الصلاة مع تركيز الفكر يجرى دوريا بالتنقل من أية رقعة فى العالم الى أخرى بحسب ظروفها وبحسب الاقتراحات التى يتلقاها الاتحاد الدولى فى هذا الشأن .

* * *

وليس يكفى فى هذا الشأن أن تتجه نفوس بنى البشر — فى مشارق الأرض ومغاربها — الى أن يحب بعضهم بعضا ، ويتجهوا بقدرة الصلاة ، مجتمعة مع قدرة الحب الايجابى ، مع الفكر الخلاق لدرء شرور الحروب وأخطارها . بل أهم من ذلك كله أن يتعود الفرد منا على أن يفكر بكل قلبه ومشاعره لخير الانسانية جمعاء .

وبعبارة أخرى أن يروض الانسان نفسه على أو ينسى الانتماءات الموروثة أيا كان نوعها ..... ويتذكر دائما أن بنى البشر جميعا خليقة رب واحد ، وأبناء طبيعة واحدة و « لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى » .

وعندما ينجح أى شخص فى الوصول حقيقة الى هذا الهدف الصعب المنال يجد أن ينابيع الالهام النقى قد تدفقت عليه من حيث لا يدرى . فاذا به روح ووجدان يعلو الى مستوى « الانسان » . ومن لا يعلو الى مستوى الانسان من المحال أن يكون كاتبا أو مفكرا يخلد ذكره الزمان ، أو حتى يحصل على مكافأة الوجود الكبرى وهى اطمئنان العقل والوجدان .

لكن كم مفكر فى هذه المنطقة من العالم يستحق بجدارة هذا

---

(١) The Creative Love Thought.

الوصف : وهو أنه يفكر ويكتب — حقا وصــدقا — للانسانية جمعاء ؟ وأنه نسى تماما تلك الأغلال البغيضة التى توحى اليه أبدا أنه فى موقف « المتهم » وأن عليه أن يناضل أبدا دفاعا عن أى انتماء ينتميه ، بأى دفاع يبديه ؟ ! أخشى أن أقول ان عددهم فى هذه المنطقة من العــالم نادر ، بل قد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة .....

وفى هذا الميدان بالذات فلينقّب المنقبون عن مصدر اغلاق الفكر والشعور عند جمهور الكتاب حتى ولو حسنت عباراتهم ، وعند جمهور المفكرين حتى ولو حسنت نواياهم .

وفى هذا الميدان بالذات فليعمل العاملون الساعون الى ايقاظ روح الشرق العريق من سباتها العميق ، حتى تؤدى دورها فى العطاء للانسانية جمعاء ، بعد طول اغلاق لينابيع الالهام ، والابداع ، والارتقاء !!.....

* * *

واذا ما بدأ أى عقل يفكر للانســانية جمعاء ، فسيدرك فورا دور النقد الذاتى ، بدلا من نقد الآخرين ، ودور الاندماج فى المجرى الكونى للحضارة بدلا من اغلاق المنافذ على التفكير النقى بلا رحمة ولا هوادة . وســيبدأ فى معالجة قضــايا العصر بروح العصر بدلا من التنقيب كثيرا فى ترهات المــاضى القريب أو البعيــد . وسيبدأ فى البحث عن حقائق الوجود ، بدلا من التشبث الحزن بأوهام الاغلاق وأساليبه .....

وسيعنى كثيرا بالبحث فى أغوار النفس الانسانية ، وبتقصى مصادر آلامها ومتاعبها ، ومحاولة الاســهام بدور ايجابى فى تخفيف تلك الآلام والأهوال بدلا من التعالى عليها ، والاستزادة من أسبابها . وسيبدأ فى الاستجابة الصادقة لهذا الناموس الكونى الذى يحكم الكون منذ الأزل والى الأبد ، ألا وهو ناموس التطور والارتقاء .

وعندئذ سيحوز قدرة واضحة للتمييز بين ما هو نسبى وما هــو

مطلق ، وما يناسب العصر والبيئة ، وما لا يناسب العصر ولا البيئة •
وسيشعر تماما بأن الغاية لا تبرر الوسيلة فى أى ناموس من نواميس الأخلاق والفضيلة • وأن شرف الغاية لا يعرف الا من شرف الوسيلة • وليس من الوسائل الشريفة فى شيء أن يخفى الانسان حقيقة وسائله ونواياه ، ويتصور أنها مخفاة — بنفس المقدار — عن سواه •

وسيعرف تماما أن أنبل ما فى الانسان هو أن يعرف كيف يستخدم قدرة الاستدلال انواعى استخداما صحيحا فى كل شئون دينه ودنياه • وعندئذ سيكون قد أصبح بالفعل انسانا يحسن التفكير للانسانية برمتها• ومن يفكر للانسانية برمتها بمقدوره أيضا أن يوجه طاقة حبه الايجابى نحوها وفكره الانسانى للاسهام فى تخفيف بعض آلام المتألمين وما أكثرهم فى هذا الكوكب الحزين • وهذه هى أنبل صور العبادة ، وأسمى ما يربط بين بنى البشر وبين الله رب العالمين ، برباط لا يفصم من الحب الصادق الأمين •••

واذا ما وضع أى مفكر نصب عينيه أن يفكر للانسانية جمعاء ، فان أفكاره تصبح تراثا مقدسا لكل العصور ، فلا تفقد قيمتها بعد رحيله من دار الفناء ببضع سنين بل انها تكون كالدرة الثمينة التى تتزايد قيمتها على مر الدهور •

ولهذا السبب خلدت أعمال الفلاسفة والمفكرين الكبار نفسها بنفسها، ولم تحتج لأى « تخليد » صناعى من أى انسان • بل بالعكس لقد قاومها فى زمانها معاصروها ، وأعلنوها حربا شعواء عليها • أما بعد مضى زمن طويل أو قصير فقد أصبحت هى بذاتها محلا للاعتبار والتقدير •

وأصبح من يقرؤها مليا يشعر تماما أنها تشد أفكاره الى الحاضر بل الى المستقبل مع أنها قد كتبت منذ أجيال عديدة والسبب فى ذلك أنها تتجاوب تجاوبا حقيقيا مع حركة التطور العقلى — الروحى للأمام • أى أنها صدى صحيح لهذا الناموس الطبيعى الذى لا فكاك لأحد منه ، وهو ناموس التطور والارتقاء •

وبطبيعة الحال لابد للأفكار المتطورة من آن تصـــدم ــ مؤقتا ــ مشاعر قرائها ، ولكن لابد لقرائها من أن يعودوا أنفسهم على تقبل النقد والتطور للأحسن مهما كان مرا قاسيا • وهذا هو بالضبط ما يلزمنا ، حيث ألفنا أن نرفض النقد مهما كان تافها سطحيا • وحيث عشنا ، ولا نزال نعيش ، فى زهو بأنفسنا وفى تراكم متزايد لمثالبنا رغم فداحتها ••••

وفى الجملة لقد أصبحنا طغاة بغاة حتى على أنفسنا وعلى الآخرين، بل على حركة التطور نفسها ••• فهل من رائد للانقاذ يدرك جيدا مدى مسئوليته ازاء أعباء الانقاذ هذه ، وتضحياتها الجسام ، ويشعر جيدا أن لرؤيه الانسانية الصحيحة آفاقا أرحب بكثير مما تعودنا وألفنا ، وأوسع مما ألفت تقاليدنا ، وقيمنا ، التى ضاعت بين براثن زهونا واعجابنا بكل أحلامنا وأوهامنا ؟ !

عن الاخاء الانسانى العام

هذا وقد لمست الأديبة الفرنسية سيمون سانكلير Simone Saint - Clair وهى صاحبة قلم جذاب فى الموضوعات الروحية ــ مدى رسوخ مبدأ الاخاء الانسانى العام فى نفوس الروحيين عند ترددها على لنـــدن لزيارة الجمعيات والمعاهد الروحية فقالت :

« تبينت فيما بعـــد أن الروحيين ، خصوصا منهم خدام القضـــية الروحية ، يأخذون مأخـــذا جديا المبدأ الثـــانى فى « قانون ايمانهم » Catéchisme وهو المبدأ الخاص بالأخوة الانسانية •

وتبادل المـــساعدة بين بنى البشر لا يمثل للانســـان الروحى محض أسطورة ، بل أمرا واقعا • فهو حقيقة وتتيجة ضرورية للنشاط • ومنذ أول جلســـة شـــعرت بطيبة الوســـيطة ، ورغبتها الملحة كى تخف الى مساعدتى » ••

وكان هدف هذه المؤلفة الاتصال بروح ولدين لها قتلا فى الحرب ،

وهى تتحدث عنهما بمنتهى البساطة والاطمئنان ، قائلة ان ثمة أشخاصا ستستولى عليهم الدهشة عندما أفعل ذلك ، لكننى أقول لهم : عندما يحصل اى انسان على اليقين بأن « الموتى » أوفر حياة من « الأحياء » يصبح بمقدوره أن يتحدث عن غير المنظورين بنفس السهولة التى يتحدث بها عن أولئك الذين نشاهدهم من حولنا •

ومع ذلك ــ تقول المؤلفة ــ وبدون تكرار الدوافع التى دفعتنى الى تحرير هذا الكتاب ، فاننى لا أقدر على أن أمنع نفسى من اعادة القول بأننى عندما أفتح أبواب قلبى على مصراعيها على هذا النحو ، فاننى أقدم الى القارىء تضحية حقيقية ••••

وليس الانسان بحاجة لأن يلح كثيرا فى الحديث عن قيمة الدليل الشخصى • وكل ما بمقدور أشخاص مخلصين وذوى نوايا طيبة جدا ــ يعتقدون أنهم كانوا شهودا أو موضوعا لظواهر روحية ــ أن يحدثونا عنه يجب أن يزعزع قيمة شكوكنا فى الموضوع » (١) •

والمبادىء التى يعتبرها الروحيون بمثابة قانون لايمانهم ، والتى أشارت اليها سيمون سانكلير هى تلك المبادىء التى اعتمدها « مجلس النشاط المشترك للروحيين » (٢) ، والذى أصبح يضم الآن ممثلين لعدة جمعيات واتحادات روحية لها نشاط واسع ، فى جميع أرجاء العالم ، منها أكثر من ألف جمعية روحية منظمة فى انجلترا وحدها •

وهذه المبادىء سبعة وهى :

أولا : أبوة الله للجميع •

ثانيا : أخوة الانسان للانسان •

ثالثا : خلود النفس بخصائصها المميزة •

---

(١) عن مؤلف لها عنوانه « الشعلة الملتهبة » ص ٧١ ــ ٧٢ .
Le Flambeau Ardent. Paris 1971.

(٢) Spiritualist Council for Common Action.

رابعــا : الحقائق الثابتة عن الاتصال (أو الشركة Communion) بين أرواح المنتقلين ، والأحياء •

خامسا : المسئولية الشخصية للانسان بمفهوم حرية الاختيار •

سادسا : الثواب والعقاب بعــد الموت عن كل فعل خير أو شرير يجرى هنا •

سابعا : ان باب التطور الأبدى مفتوح أمام كل نفس تريد أن تطرق هذا الباب المؤدى الى طريق الخير الأبدى •

ويهمنا منها هنا المبدأ الثانى وهو « أخوة الانسان للانســان » • وفيه يقول هارى بودنجتون، Harry Bodington ان مفاد هذا المبدأ هو أنه يلزم أن يكون بنو البشر أمناء ، وآمنين من الغدر أو الغش • وأن نمحو من أساليب عيشنا كل ما يحول بيننا وبين العيش فى طهارة مادية ومعنوية : فى السياسة ، فى العمل ، فى المنزل ، وفى كل شيء • وأن نزيل النفاق من طريقنا ، لأن الروحية تجعل الأفعال لا الانتماءات المختلفة هى الطريق الى السماء (١) •

أما اذا جعلنا الانتماءات لا الأفعال هى الطريق الى الســماء ، فهنا تبرز ــ بكل ضراوتها ــ كل صور الغرور ، والأنانية ، والشرور ، التى لطخت تاريخ الانسان بالأوحال وبالدماء •

* * *

ثم تقول سيمون ان أعظم انتصــار للانسان ليس هو ذلك الذى

---

(١) راجع :
Harry Boddington : The University of Spiritualism.
London 1967 P. 44 — 45.
والمؤلف صاحب خبرة أربعين عاما فى الظواهر والفلسفات الروحية. وكان نائبا لرئيس « الاتحاذ الروحى الأهلى » بلندن N. S. U. ورئيســا لمجلس مقاطعة لندن فى هذا الاتحاد . ومن مؤلفاته الاخرى « التجسدات » و « أسرار الوساطة » (وراجع عنه ما سبق فى صفحة ٢٧٦) •

يحققه على المـادة ، بل على الموت ، عنـدما يكشـف الأسرار التى يخفيها ، بمعنى أن يثبت أن لا وجود للموت الا بحسب الظاهر فقط ، وأن الحياة هنا ليست الا خطوة قصيرة فى طريق تطورنا . وبالتالى فالموت ليس عبارة عن تغير وحشى وكلى لحياتنا الى مجهول مرعب ، بل هو بكل بسـاطة انتقال الى وسـط مألوف ، سنتمكن فيه من أن ننمى ملكاتنا الخامدة .

فالاعتقاد بدوام الحياة بعد الموت بوصفه حالة طبيعية لا يشبه أى اعتقاد فى نظام ، أو فى فقه مؤسس على محض فروض ، لأنه يمثل بكل بساطة التعرف على قانون لا ينقض من قوانين الخليقة .

وفى هذا الشأن تساءلت المؤلفة اليونور نيكيل Eleonore Niquille عما اذا كان الذعر من الموت يجىء فى جانبه الأكبر من انفصال العقل عن قوانين الكون ؟ ! ومن ثم علينـا أن نرسخ فى العقل هـذا الاحساس بالتضامن مع الطبيعة ، أو بالأكثر هذا الاندماج الضرورى فى الطبيعة . فلا أوجد أنا ثم باقى الطبيعة ، بل توجد الخليقة . ويلزمنا أن نتعلم بأن نشعر بأننا نعيش فى الطبيعة ، ومع الطبيعة .

ولذا تقول سيمون ان الاعتقاد بدوام الحياة بعـد الموت أفضـل مهذب لأخلاق الانسـان ، لأنه يبعد النـاس عن العبوديه التى تولدها الخرافة والحقد ، ويعود بالوضع الانسـانى الى طريقه الطبيعى الذى انحرف عنه . وبمقدورى أن أضيف أنه بحاجة الى نفس القـانون والى نفس الايمان . لأنه اذا كان القـانون الوضـعى لا يحكم فى المعتـاد الا شعبا واحدا ، فانه يوجد قانون عالمى واحد مشـترك يجب أن ينبع من الايمان(١) .

ثم تقول سيمون ان ألمها لفقدان ولديها لا ينبغى أن يحجب عنهـا

---

(١) عن المرجع السابق صفحة ١٤٤ — ١٤٥ .

هذه الحقيقة ، وهى أن من فقدناهم يريدون أن يرونا جـديرين بهم ، والا نبكى عليهم ، وأن نكون مستعدين دواما للعمـل الذى ينبع من القلب وحده ، لأنهم يعرفون أن آلام هـذا العالم الدنيوى يمكن أن تمحى عن طريق اليقين المتزايد بأن سعادتهم لاتزال مشعة فى نطاق الروح • وكيمـا نصـل اليهم يلزم أن تتخلص من كـل شىء كانوا لا يحبونه •

وفى العام المـاضى كتبت فى مفكرتى أن « انسحبى الى صـمت نفسك ، واستجمعى وعيك فيمـا أنت عليه ، وارتقى الى فوق ، فأنت لا شىء لكنك كل شىء ، بلا كبرياء ولا أنانية •

اسحبى نفسك فى نفسك ، واصـعدى عن طريق المساعدة والحب بدون أن تدينى أحدا • واذا كنت أنا قد وصلت الى هـذه الحالة من الاسترخاء ، والى بذل هذا الجهد فى تحسين نفسى ، فذلك بداهة عن طريقهما (طريق ولديها المنتقلين فى الحرب آلان Alain وكلود Claude) وبسببهما ، عندما عانيت الكثير من آلام فراقهما •

وهذا الألم كان ضروريا لنا نحن الثلاثة ، لأنهما قـد ظلا نقيين وسيمين ، أما أنا فقد طهّرتنى تضحيتهما ، عندما ضحيا بشبابهما • لقد كشفا لى عن مغزى الحياة ، وعن ثمن الحياة الذى كنت سأجهله لولا فراقهما ، وهو تطورنا جميعنا •

لقد فتحا لى بحنانهما آفاقا متزايدة تدفعنى لأن أعيش على أحسن ما فى وسعى فى هذا الحاضر الأزلى • وأن أرعى بداخلى هذا القبس من الضوء الكائن • وأن أناضل بتواضع لكن بحرارة لقيام حضارة أخرى أوفر تناسقا ، وانسانية ، وروحانية مما كانت • وهذا ما طلباه منى بعد انتقالهما ، كما طلبا منى أن أكتب هذا الكتاب كى أقدم فيه فلسفتى ••• التى أردت أن أجعل منها « شعلة ملتهبة » تقودنا الى طريق الوضـوح الذى لا يفنى (١) •

---

(١) المرجع السابق • ص ١٥٣ — ١٥٥ •

ماذا عن الحب ؟

والقانون العالمي للايمان هو قانون الحب . فلا قيمة لأي نداء ، أو دعاء ، أو انتماء ما لم نعرف أولا كيف نحب وكيف نخلي قلوبنا للحب الايجابي النقي. فهو الطاقة الحقيقية التي تصنع المعجزات ، والتي صنعت أم المعجزات كلها وهي الحياة ، ودوام الحياة . وعلى هذه المعاني يصر جميع المراسلين الروحيين في جميع أنحاء العالم ، ولحساب حب بني البشر أجمعين ، ورغبتهم في الاتجاه الى الله بوصفه مصدرا للحب الايجابي الأمين .

— ففي رسالة من روح يدعى فيرو Verro يقول « في كل مرة يقصر فيها الانسان في الحب يجرح الشعور الالهي نفسه » .

— وفي رسالة من رولان Roland (١٩٧٣) يقول « اذا لم توجد الا حياة الأرض لكان من العسير أن تقول ان الله محبة » . وتعقيبا على ذلك يقول جان بريير Jean Prieur — الباحث الروحي الفرنسي — ان الله محبة عندما يهبنا الحياة الأزلية كتعويض ملغز . فالحب هو الذي يربط العوالم فيما بينهما ويربط الممالك المتنوعة بقلب العالم . والعالم الذي لانجد فيه شيئا نحبه ، وشخصا نحبه ، يكون عالما قاتما : مثل تلك المناطق التي لا يجد فيها الضوء شيئا يضيئه ولا شخصا .

— وفي رسالة من لانسلو Lancelot يقول « يوجد نقاب عظيم وضعه الله حول الأرض ذو ضوء ذهبي ، لأنه من ضوء الحب ، وهذا النقاب هو نحن » .

— ويقول الروح بيير Pierre « الحب هو الجسر الذي يصل بين السماء والأرض » .

ـ ويقول ألبير بوشـار Albert Pauchard (١) « أى دافع يدفعنا كيما نحضر اليكم ؟ انه حب عظيم يريد أن يشرككم معنا فى النعم الذى لم تحصلو عليه بعد . نعم ان الحب يصنع الجسور » .

وتعقيبا على هذه الأقوال يقول جان بريير ان الحب ليس عبـارة عن ماء معطر . بل هو شيء كثير المطالب وقويها ـ لأنه عبارة عن النار التى تلتهم حطب الضغينة .... وغضب السـماء قد يجيء من رفضنا لحبها المتدفق ... فهل يتأتى ارتكاب عدوان على أى انسان أقسى من رفض حبه ، أو أكثر ايلاما ؟

وحتى هنا على الأرض يمثل غياب الحب ـ سواء من جانبنا أم من جانب الآخرين ـ اللعنة الحقيقية ، لأن هذا الغياب ينتزع من الحيـاة الروحية كل قوتها ، بل من الحياة كل وجودها ، وقـد يثير فينا رغبة الموت . وغياب الحب هنا قد يشعرنا بوجود الحب هناك . ولذا فالأرض بلا حب تتحدث كثيرا عن الحب ، على لسان الفلاسفة ، والكتاب ، وعلى الشاشة ، وفى الاذاعة (٢) .

وتوافر شخصية لنا فى هذا العالم وفى العـالم الآخر يمثل حقيقة مطلقة . والخلود يصبح خرافة بدون بقاء الفرد والذاكرة ، لأنهما بمثابة الضامنين للخلود ، والقاعدة له . وبدون الشخصية لا يمكن أن يوجد حب ، لأن الحب فى جوهره عبارة عن صـلة من انسان الى انسان . ويعرف ذلك جيدا كل من أحب ، وكل من رأى الحب يموت !

وهذه الروح التى بداخلنا ، أو بالأدق هذه الروح التى هى أنفسنا

---

(١) كان فى حياته الأرضية باحثا روحيا سويسريا ، وبعـد انتقاله أملى عـدة رسائل من ١٩٣٥ الى ١٩٣٧ على زوجته الوسيطة أنتوانيت بوشار فنشرتها فى كتاب عنوانه
L'Autre Monde, et ses Possibilités Infinies. Génève.

(٢) تلخيص عن جان بريير Cet Au Déla Qui Nous Attend : Paris 1974. P.P. 188—194.

عبارة عن فكر ، وتذكر ، وحب • ويقول الروح بيير Pierre فى هـذا الشأن « كمـا أن العبور من الطفولة الى المراهقة ، ومن الرجولة الى الكهولة ، لا يمنع من القول بأننا لازلنـا نحن أنفسنا ، فان العبور من حياة الأرض الى الحياة الرحبة الحرة فى السماء لا يمنع من أن تكون أنت نفسك واحدا أمام الله » •

وكل ما يحوزه الانسان من كسب عاطفى وروحى وعقلى يسـتمر بعد هذا التحول ، وتستمر روابط الحنان ، والنضـج فى طريق الخير والحق • وكل المعارف التى تثبت فى عقل الانسان لا تتبدد عند انهيـار المخ الفيزيقى (بالموت) •

وبما أنه لا يوجد مصـيران روحيان متماثلان تماما ، سـواء فى الجسد أم فى خارج الجسد ، فانه ينجم عن ذلك انه سوف تجىء حتما تلك اللحظة التى ينبغى فيها على أى روحين متحابين أن تنفصل احداهما عن الأخرى • لكن سوف يكون بمقدور كل منهما أن ترى الأخرى عند الرغبة فى الرؤية(١) •

لذا فسوف يقابل الابن أمه ، والشقيق شقيقه والزوج زوجته ما دام الحب بينهما لا يزال قائما ، بل سوف ينمو هذا الحب وسوف يكون تبادل الحب فى الروح أقوى مما كان فى الجسـد كمـا قال سـويدنبورج Swedenborg (٢) •

* * *

وفى تقدير هذه الأمور كلها يلزم أن نعرف وأن نعترف بأن الحب الصادق لا يمثل مجرد عاطفة يتحدث عنها اللسان ، أو يزعمهـا لنفسه

---

(١) عن المرجع السابق . ص ١٩٥ — ١٩٧ .

(٢) متصوف ، وفيلسوف سويدى روحى ، وصاحب كشف والهام من طراز رفيع . ولعله أبرز فيلسوف انجبته السويد حتى الآن (١٦٨٨— ١٧٧٢) راجع عنه « المفصل » جـ ١ ص ٢١١ — ٢١٤ .

أى وجدان ، بل انه الطاقة الحقيقية وراء الحيـاة ، والخلود والخلق ، والتطور ، والابداع ، والفضيلة ، والايمان ، والنجاح ٠٠٠٠

وهو لا يجىء بغتة ولا جزافا ، بل هو ثمرة تطور طويل عريق فى الاتجاه الصـحيح للتطور ٠ وهو يمثل وسـيلة التطور فى الاتجـاه الصحيح ، والهدف الأسمى منه ٠ واذا ما بدأ الحب فى الانسان بوصفه محض عادة ، فمن شأنه مع مضى الوقت أن يصـبح بالاكتساب محض فطرة ، شأنه فى ذلك شأن سائر فطرات الانسان وغرائزه الأخرى ، التى قيل انها بدأت مجرد عادات وقتية ، وبالاكتساب تطورت الى فطرات وغرائز دفينة توجه سلوكه نحو الصواب أو نحو الخطـأ بحسب مدى سيطرة العقل والارادة عليها ٠

هذا وقد تبين من اختبارات تصوير الهـالة الانسانية ، أى ذلك الحقل الكهرومغناطيسى الذى ينبعث من الجسد الهيولى ويتخلل كل ذرة من ذراته — على ما وضـحته آنفـا — أن عاطفة الانسـان ، وميوله وخلجاته الحقيقية ، أمور لها وثيق اتصال بنشاط هذا الحقل ، وبتأثيره فى صحة صاحبه وأمراضه ، ناهيك بتأثيره فى عناصر العلاج الروحى اذا كان صاحبه يحوز أية طاقة حيققية للعلاج الروحى (١) ٠

ومن مجموع هذه الاختبارات ثبتت صحة هذه الحقيقة التى عرفها علم النفس التقليدى ، وهى أنه لا يصح أبدا الفصل بين صحة الانسان العضوية والنفسية ، وبين شتى انفعالاته العاطفية ، لأن بين هذه وتلك يوجد تفاعل متبادل مفرط فى عمقـه وأهميته ٠ ودور الباراسيكولوجى هنا أنه أثبت هذه الحقيقة بوسائله المتطورة المعملية ، ورتب عليها نتائجها الحتمية فى حياة المـادة وما وراء المـادة ٠

وكل هذا يلتئم أيضا مع تلك الحقيقة المعروفة حتى فى اطار علم النفس التقليدى وهى أن الانسان يتصرف بوحى من عاطفته الدفينة فى

---

(١) راجع ما سبق فى صفحة ٣١٥ — ٣٧٣ ٠

حنـــايا اللاشعور أكثر مما يتصرف بوحى من منطق عقله الاستدلالى المرتبط بالشعور • وهو يتصرف على أية حال ــ بوحى من ماضيه كله ــ حسب تعبير برجسون ــ أكثر مما يتصرف بوحى من ظروفه الراهنة ، وملابسات الساعة التى تواجهه •

ومن هنا يجىء التشبث الشديد للناس بآرائهم خصوصا عند غياب النضج الكافى للعقل وللعاطفة ، كما نلاحظ كلنا فى حيـــاه كل يوم فى علاقاتنا بالآخرين • وهذا ما يلزم أن نلاحظه أيضا فى تصرفاتنا الخاصة نحو الآخرين ونراقب أنفسنا فيه ، اذا ما أردنا أن تتسم تصرفاتنا نحوهم بجانب ولو ضئيل من الحكمة ، ومن الاتزان ، ومن المنطق السديد •

لذا ينبغى أن نضع فى الاعتبار دائما أن الحب ليس هبـــة الطبيعة العظمى التى قد تمنحها لبعض النـــاس ، وتحرم منهـــا بعضهم الآخر ، فالطبيعة لا تمنح ولا تحرم اعتبـــاطا ، ولا تعرف التخبط فى موازينهـــا وأحكامها • بل تعمل بتدخل قانون العلة والمعلول هنا أيضا ، كما يتدخل هذا القانون فى كل مقام آخر بسلطانه الصـــارم الذى لا يعرف تحيزا ، ولا افتئاتا على انسان •

كما ينبغى أن نضع فى الاعتبار أن الحب الصادق بمقـــدار ما هو مزية عظمى للانسان ، هو أيضا مسئولية أعظم • والمسئولية تتطلب مشقة دائمة للقيام بهـــا على وجهها الصـــحيح بلا تراجع ولا تكاسل • وأول مســـئوليات الحب أنه يتطلب الكثير من ترويض النفس على ضـــبط الشهوات والميول •

وهو حتى بوصـــفه ملكة أو فطرة يكون دائمـــا محتاجا للتدريب الشاق والمران الطويل للحفاظ عليه وتنميته ، كما هو الشأن بالنســـبة لملكة الشعر ، أو الموسيقى ، أو الرسم ، أو حتى بالنسبة للصحة البدنية للانســـان •

فبمقدار ضرورة التدريب الرياضى للحفاظ على صحة البدن ، يلزم التدريب على الحب للحفاظ على صحة النفس ، وبالتالى على السعادة الحقيقية من ينابيعها الحقيقية ، والتى لا يوجد مصدر آخر غيرها للسعادة .

والتدريب على الحب الصحيح عبارة عن مزيج من خدمات تؤدى للآخرين بلا مقابل ، ونسيان لاساءاتهم بغير حساب . ومع الاتجاه الخالص للقدرة الخالقة ، فى رضا ، وثقة ، وتأمل ، وتركيز ، واستغراق ، وشكر ، وتفان .... وأين نحن من هذا كله الآن ؟ ! ...

بل أين من ذلك كله عالم غارق فى الأحقاد ، والدمار ، والأهوال... وسيظل غارقا فيها مالم يعرف طريقه الى الروح ، أو الى « اختبار الروح » كما يرجو العاملون لتخفيف آلام بنى الانسان فى كل مكان ، ممن يناضلون دواما لتحقيق هذا الأمل الحق فى دنيا العقل والواقع ، لا فى دنيا الآمال والأحلام .

الفصل الثالث

فى العقل والأحلام

موقف السيكولوجى بوجه عام

للأحلام فى مدرسة فرويد طرازان رئيسيان وهما : حلم التجربة أو حلم الحالة الشعورية الراهنة التى يعيش فيها الحالم من جديد مرة أخرى فى خلال حلم بذكريات أو أحداث مؤكدة أليمة مكبوتة أو منسية . والطراز الثانى هو حلم اشباع رغبة معينة أو اشتهاءات تهفو النفس اليها ربما يجهلها الشعور .

ومعظم الأحلام تخدم فى الأصل الغرض النافع والجدى من اشباع الرغبة ، أى أنها ترضى بقدر ما وبوسيلة ما المشتهيات اللاشعورية للنفس . وقد يكون هذا اشباعا بسيطا لرغبة عند الطفل ، أو ارضاء عاديا للجوع أو الظمأ أو الحرية ، أو كالحلم باحدى وسائل الراحة والرضا ، أو يكون حلما له خطة ما لاشباع الرغبة ، ويميل الى اخماد أو تهدئة مشتهيات اللاشعور من حاجات ومطالب بيولوجية(١) .

والحلم اما أن يكون صريحا ومكشوفا فى تكوينه ، واما أن يكون معناه الحقيقى أو الدافع الجوهرى له مستترا ومكنونا . ومحتوى الحلم أو مضمونه يتأثر الى حد بعيد بشخصية الحالم وتكوينه الروحى . أما بشأن الأطفال فالحلم لا يهمه أن يستتر أو يستخفى كالحال فى حلم المراهق . « فكلما كان الرقى العقلى أقل كان الحلم أكثر ميلا للواقعية . ولذلك نرى أن الحلم عند المراهق المستنير أو المثقف يميل دائما الى الرمزية العالية ، أى أن الدافع الحقيقى للحلم اما أن يكون ممعنا فى التستر ، واما أن تصونه الرموز وتحميه مختلف المؤثرات الأليمة التى تحرف المعنى أو الشكل .

---

(١) Freud : Interpretation of Dreams P. 103 — 112.

ونادرا ما نستطيع تذكر الحلم فى صورته الصافية ، الصريحة ، الحقيقية ، كما نراها فى حلمنا بالضبط . أما صيغة الحلم التى نذكرها أو نسترجعها فتسمى المحتوى الظاهر .

والرغبة الحقيقية الأصلية ، أو المحتوى الكامن للحلم يواريها منهج من الرموز معقد ومشوش (يقصد فرويد انتفاء المنطق الواضح فيها) .

وأما ما نسميه « الرقيب النفسانى الداخلى » أو ديدبان العقل ، فهو يقوم بالحراسة دائما ، ويسدل الستار على صورة الحلم فيحصل بذلك على العثرة أو الزلة التى كثيرا ما تراقب الحلم . ويميل هذا المؤثر الآلى الذى نوهنا عنه الى وقاية فهمنا وادراكنا للحلم ، ويحجب الصورة الغامضة المبهمة عن الشعور (١) .

وبطبيعة الحال « ان حضارة بضعة آلاف من السنين لم تضف الى أخلاق الانسان وسلوكه الا قشرة طفيفة خفيفة . فهو فى كفاح مرير دائب دائم ضد البواعث الحيوانية والرغبات الهمجية . وانحدارات ما قبل البشر متأهبة دائما أبدا تنبرور من وراء الحجاب الاجتماعى الحصيف .

فبوساطة الحلم كان للانسان أسهل وأبسط أسلوب للتعبير عن هذه الشهوات المتأصلة . وكان القمع الضرورى للتهيئة السوية وللاصلاح الاجتماعى أحد المؤثرات والمحرضات الحقيقية للاشعاع برموز الحلم .

فالطفل مثلا كائن أقل خبرة فى الشئون الخاصة بالأمور الدنيوية لا يحتاج الى تلك الأساليب الملتوية باللف والدوران حول قواعد وارشادات اجتماعية .. ولكونه « همجيا صغيرا » لا حاجة به مطلقا لتلك الوسائل من التعمية والتستر ، فهو لا يمكن أن يصطدم بالشهوات الفطرية التى يمكن أن تؤثر تأثيرا مباشرا على عقل المراهق .

(١) فرويد : المرجع السابق ص ٢٤٧ — ٢٤٩ .

فالرموز اذن هى التراث المتجمع والمحكم عمله منذ ظهور الانسان. ولكل عصر مجموعته من الرموز • ولقد طورت حضارتنا الحديثة الرموز وأضافت اليها رموز العصور الغابره ، فكان لنا منها مخزن فنى عظيم فى استطاعتنا أن نختار منه ما نشاء وقتما نشاء ••• » (١) •

* * *

وبطبيعة الحال فان تفسيرات فرويد ترى أن الطابع الجنسى فى الأحلام هو الطابع الغالب فيها وأن الأحلام جميعها ليست مجرد رغبات فحسب ، ولكنها تحقيق لرغبات جنسية • فهى لغة اللاشعور • ولما كان اللاشعور فى رأيه يتألف بكامله من رغبات جنسية ، لهذا كانت الأحلام لديه مرتبطة برغبات مكبوتة •

وهو يرى أن الطابع الجنسى فى الأحلام يكون فى كثير من الأحيان واضحا صريحا لا خفاء فيه ••• الا أنها فى أحوال أخرى تكون رمزية ، ولكنها لا تتخفى عندئذ الا قليلا •••

ومن أجلّ ما أسهم به فرويد فى نظرية الأحلام رأيه فيما أطلق عليه اسم عملية الحلم ، أو أساليب تحايل الحلم • وهذه العمليات تصبح ضرورية نظرا لأن الحلم يحاول التعبير عن رغبات لا شعورية لا تليق بمقتضيات الذات أو النفس الواعية ، ولذا كان من الضرورى أن تتحول الى شىء ترضى عنه النفس • وهذا يعتبر فى المقام الأول من فعل ما « قبل الشعور » الذى يقع مجال عمله فيما بين اللاشعور والشعور • وبدون أن نفهم ضروب التحايل هذه يكاد يصبح من المستحيل علينا أن ندرك معانى الأحلام اذ تبدو عندئذ خليطا مشوها •

ويقول ج • ا • هادفيلد J. A. Hadfield ان فرويد « يحاول بواسطة عمليات تحريف وقلب الأحلام واستخدام الرموز وغير ذلك أن يدعّم

---

(١) عن الدكتور عبد العزيز جادو فى مؤلفه « العقل منبع الحكمة » ١٩٧٨ ص ٢١ •

رأيه القائل بأن كل حلم ما هو الا تحقيق لرغبة مهما بدا الأمر مخالفا لذلك في الظاهر • وهو يقول ان تحقيق الرغبة هو الهدف الوحيـد للحلم ، بل ان الأحلام ذات المحتوى الأليم تنحل آخر الأمر الى تحقيق رغبة ، وينتهي من ذلك الى أن الحلم تحقيق مموه لرغبة مقموعة أو مكبوتة • وعلى أية حال فمن واجبنا أن نقول في صراحة ان فرويد يزاول في بعض الأحيان عنتا شديدا في استخلاص التأويلات من الأحلام التي أوردها في أمثلته التوضيحية لكي يدعّم وجهة نظره » (١) •

للأحلام أهـداف هامة

ومن ثم فليس الحلم مجرد رغبة ، لأنه وسيلة تشجيع ومصدر الهام أيضا • ولمـا كان الحلم يعرض على الفرد ما يمكن أن يحققه فانه بذلك يهبه القوة ليكون كما رأى في نومه • ثم ان الحلم ليس مجرد تفكير آمل فحسب ، لأنه خلاق وذو هدف يرمي اليه ، وهو لا يقف عند حد اتاحة النوم في أثناء الليل ، لأنه يشجعنا أيضا على العمل بالنهار • ولذا فللأحلام وظيفـة بيولوجية تؤديها وليسـت الأحلام مجرد تصورات أو أوهام فحسب •

لقد كان بالوسع أن تصادف آراء فرويد قبولا أوسع نطاقا لو أنهـا أضفت على الرغبة مفهوما أكبر مما فعل ، ولم تكن مقصورة على مجرد الارضاء الوهمي — لا سيما اذا أخذنا في الاعتبار أن الأحلام جميعها في نظر فرويد وهمية • ولعله كان من الأوفق لو أننا استخدمنا في الترجمة مفاهيم مثل « الحافز » أو « الامكانيات » أو حتى التعبير السيكولوجي « ميول نزوعية » أو « النشاط الموجه بتأثير الهدف » لأن هذه التعبيرات تتميز بمدلول بيولوجي أعمق من مدلول الرغبة •

ان ثمة حوافز بيولوجية في حياة الانسان ، من أهمها الحافز الجنسي ،

(١) في مؤلفه عن « الحلم والكابوس » Dreams and Nightmares الترجمة العربية بمعرفة صلاح الدين محمد لطفي سنة ١٩٥٢ ص ٣٥ ، ٤١ ، ٤٦ •

ومنها كذلك الحافز الاعتدائى ، والأمى (نسبة الى الأم) ، والجوع ، والبحث عن الطعـام ، والتعجب المتطلع لكل جديد مستغرب ، والدافع الى القوة . وهى جميعها ، وكثير غيرها ، ضرورية لبقاء الفرد والنوع ، ومن ثم تتطلب التعبير عنها . ثم انها معرضة للفشل ، وقد ينجم عن بعض منها صراع ، ومن ثم فانها مصـادر محتملة لمشكلات يمكن أن تبرز فى أحلامنا ، ووظيفة الحلم أن يدرس هذه المشكلات ويحاول حلها .

ونحن اذا نظرنا الى هذه الدوافع على هذا النحو تبين لنـا أنها ليست أمورا نرغبها فحسـب ، بل أنها جوهر ما نحتاج اليه فى حياتنا . وما الرغبة فى واقع الأمر الا تعبير عن حاجة . وهذا هو التعديل الذى استحدثه يونج فى الفكرة حين قال ان الأحلام ليست مجرد ممارسة لرغبة مكبوتة ، وانمـا هى تعبير عن قوى وامكانيات تترجم عما نحتاج اليه فى حياتنا . وخيرا نفعل اذا ما أعرنا هذه الأحلام ما تستحقه من عنايتنا واهتمامنا . وهذا حرى به أن يضفى على الأحلام قيمة ايجابية ، ويؤدى بنا الى الرأى التعويضى فى الأحلام كما قال به يونج (١) .

ونلخص القول فى أن فرويد فتح لنـا أبواب مملكة الأحلام بأسلوب لم يسبقه اليه أحد ، وشجع على دراسة الأحلام ببيان ما تنطوى عليه من عناصر معقولة تكمن خلف ظاهرها المستغرب ، وذلك حين أكد الطـابع الديناميكى للعمليات العقلية بصفة عامة والطابع الغرضى للأحلام بنوع خاص ، وحين قام بوصف الحيل المتدخلة فى تشكيل الأحلام .

الا أن نظرية تحقيق الرغبات التى نادى بها كان من الممكن أن تحظى بقبول أوفر بكثير مما صادفته اذا لم يكن قد التزم فى المقام الأول التزاما متشددا بالرأى القائل بأن جميع الأحلام دون اسـتثناء ترتبط بالرغبات الجنسية على وجه التخصيص .....

---

(١) ها دفيلد . المرجع السابق . ص ٥٢ .

ومن الشواهد الدالة على أن ما وجهناه من نقد الى فرويد يستند الى مبررات سليمة أننا نجد فرويد فى الطبعة التالية من كتابه « تفسير الأحلام » يعدل آراءه السابقة تعديلا هاما ... لأن فرويد أصبح حينئذ يأخذ بآراء سبقه اليها من قبل آدلر ويونج خلال معارضتهما لآرائه . وفى هذا دليل على مرونة فرويد اذ لم يتوان عن تعديل آرائه . وكم كنا نود لو اعترف بدينه لهذين المؤلفين ، لا سيما وأنه لا يمكن أن يكون قد غفل عن آرائهما ، اذ الواقع أنه لا يشير فى كتابه « تفسير الأحلام » أية اشارة الى يونج الا حيث يقتضيه الأمر اقتباس شىء منه ليدعم به وجهة نظره (١) ...

واذا كان فرويد يرى أن الأحلام جميعها تدور حول الرغبات الجنسية ، فان آدلر من جانبه يرى أن الأحلام ترتبط جميعها بمشكلة الخضوع والاستيلاء ، وليس مضمون الحلم الا رموزا تشير الى هذه المشكلة . ومن ثم تكون علاقة الأعلى والأدنى اشارة ترمز لعلاقة السيطرة والخضوع بالنسبة للفرد تجاه فرد آخر ، على حين تكون علاقة اليمين باليسار رمزا يشير الى علاقات شخصية يتمثل فيها التمتع بميزة مرجحة وافتقادها .

وقد يرمز الطيران فى السماء الى الانتصار ، والسقوط الى وهدة الفشل . بل ان الشخص اذا حلم حلما جنسيا فقد يكون فى ذلك تعبير رمزى عن الرغبة فى اخضاع شخص آخر واستظهار القوة عليه ، ولايصدق هذا فقط بالنسبة للذكر بل بالنسبة للأنثى كذلك . لأنها حين تشتهى الاستكانة الجنسية وتخضع للذكر فانها تجبره فى الوقت نفسه على أن يخضع لرغبتها وتتغلب عليه بهذه الطريقة . انها تنحنى ولكنها تفعل ذلك كى تهاجم وتقهر .

ولما كان اعتقاد آدلر فى اللاشعور أضعف بكثير من اعتقاد كل من

---

(١) ها دفيلد . المرجع السابق ص ٥٣ .

فرويد ويونج ، فانه يرى أن أحلام الليل أساسا لا تعدو أن تكون أشكالا أكثر تخفيا وتنكرا من أحلام اليقظة مع توفر دافع « تحقيق الرغبة بوضوح » (١) .

موقف يونج من الأحلام

ويرى يونج أن دراسة الأحلام والمعتقدات الوهمية ، والأفكار الغريبة غير المألوفة التى تراود من بهم لوثة تبرهن بوضوح على أنها تنطوى على أمور لا يمكن أن تصدر عن خبرة شخصية ، وانما هى مشتقة بالضرورة من مصادر ومستويات عقلية عتيقة جدا . ولا يمكن أن نستبين منابعها وأصولها الا فى أسلافنا البدائيين وخبرات السلالة البشرية جمعاء . وفى ذلك يقول يونج : « ان اللاشعور يفصح عن محتويات معينة تختلف كل الاختلاف عن محتويات الشعور » .

ومن ثم فان يونج يميز بين اللاشعور الشخصى الذى يتألف من الأمور التى كانت فى وقت من الأوقات شعورية ثم تناولها الكبت وهو يتفق مع فرويد فى هذه النقطة ، واللاشعور الجماعى أو السلالى الذى يتألف فى رأيه من رواسب متخلفة عن خبرات الأسلاف ، والتى تفصح عن نفسها فى صور أولية أصيلة .

ويقول يونج « لقد تخيرت لفظة جماعى لأن هذا الشطر من اللاشعور ليس شخصيا ولكنه عام ، وهو على النقيض من الذات الشخصية ، يضم بين دفتيه محتويات ومنوالات فى السلوك تكاد تكون بعينها ثابتة لا تتغير فى كل مكان ولدى جميع الأفراد » .

ومن الحق أن نقول ان نيتشه Nitsche الفيلسوف الألمانى قد سبق يونج الى هذا الرأى عندما قال « فى نومنا ، وفى أحلامنا نمر بجميع أفكار البشرية القديمة . وأعنى بهذا أن الانسان يدرك فى أحلامه

---

(١) ها دفيلد . المرجع السابق ص ٦٢ .

ما أدركه فى أثناء حالات اليقظة منذ آلاف السنين ... فالحلم يرجع بنا الى حالات قديمة من التهذيب الانسانى ، ويقدم لنا الوسيلة لتفهمها بطريقة أجدى وأحسن » .

ثم يقول يونج ان هذا اللاشعور السلالى يتألف من قوى وامكانيات الخيال البشرى الموروثة « انها ذلك الراسب الذى يسيطر ويتحكم فى كل شىء ، والمتخلف من خبرات السلف من ملايين السنين التى لا تحصى . وصدى حوادث دنيا مضت سابقة على التاريخ يضيف اليها كل قرن يمر قدرا من التغيير والتمايز متناهى الضآلة . وهذه الصورة الذهنية الأولية هى أقدم وأعم وأعمق ما فى فكر البشر .

فاللاشعور الجماعى اذن لا يحتوى على كل فكرة أو شعور جميل عظيم فحسب ، بل يحتوى كذلك على كل سلوك شيطانى مخجل بوسع مخلوق بشرى أن يرتكبه . ويؤثر اللاشعور الجماعى دائما فى عاداتنا وسلوكنا دون أن ندرى عن ذلك التأثير شيئا لأنه أحد المقومات المتحكمة فى خبرتنا .

ولا يدعى يونج أن هذه الأفكار والصور العقلية تنحدر الينا فى ذاتها وبحالتها هذه ، ولكن الذى ينحدر الينا هو الاستعداد لها أو امكانياتها . فهى ليست انتقال تصورات بالذات ، وانما مجرد انتقال الاستعداد لحدوث تصورات كهذه ، وهو أمر كما يقول يونج بحق جد مختلف ....

هذا ولم تستطع كشوف العلم الحديث ذاتها أن تخلصنا من هذه المخاوف اللاشعورية ، فالفيلسوف والعالم معرضان بنفس القدر لمخاوف لا سند لها بقدر ما نحن معرضون ، وذلك لأن « تلك الاستنارة التى جردت الطبيعة والنظم الاجتماعية البشرية من الآلهة قد غفلت عن اله الخوف الوحيد الذى يربض فى أعماق النفس » .

وفضلا عن ذلك فهى مصدر الاجرام فى الفرد . ولعل القاتل يكون على حق حين يقول « ان شيئا ما غلبنى على أمرى » فلم يستطع له فهما ولا ردا فى حينه ، وكأن الدنيا قد أظلمت فلم يعد يرى شيئا . وفضلا عن ذلك فان الصراع لدى الفرد قد يتخذ هيئة اضطرابات عصابية نفسية تجيش فيها القوى والغرائز المتهورة فيتولد عن ذلك حالات القلق والهستريا والحصار . وفى الحالات المتطرفة حيث لا يكون الفرد قوى التكوين بالقدر الكافى تخترق هذه القوى اللاشعورية السياج ، وتفقده التوازن بحيث يصبح مذهونا ملتاثا تستحوذ عليه تماما أوهام غريبة ، وشهوات جامحة ، وأفعال تتصف بالعنف ، وعادات مبتذلة غريبة كل الغرابة عن كل سلوك سوى (١) .

وفى الواقع ان آراء يونج فى علم النفس بوجه عام ، وفى الأحلام بوجه خاص ، يصعب فهمها أو تبريرها الا اذا وضعنا فى الاعتبار ما صرح به هو نفسه من أنه ينظر بعطف كبير نحو عقيدة العودة للتجسد كما يعرفونها فى الشرق الأقصى ، وأنه قابل فى اختبارات التحليل النفسى التى مرت به حالات عديدة تلتئم مع هذه العودة .

ويقول أكثر من محلل نفسى من تلامذة يونج انه كوّن فى أخريات حياته اعتقادا نهائيا وجازما بالعودة للتجسد . ولنا الى ذلك عودة تفصيلية فى الأبواب الثلاثة الأخيرة من هذا الكتاب (٢) . ولا ريب أن انتشار الاقتناع بهذه العودة للتجسد يمثل أخطر نقطة تحول فى علم النفس المعاصر بالمقارنة بالماضى ، خصوصا فيما يتعلق بموضوعات الأحلام ، والتطور ، واللاشعور ، وما يرتبط بها من مناهج التحليل النفسى .

عن الأحلام والالهام

ومنذ فجر التاريخ تحدث عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين والشعراء عن الأحلام بوصفها مصدرا للالهام ، كما قد تكون أحيانا ـ كما لاحظ

---

(١) عن المرجع السابق ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) Clarice Toyne : Heirs to Eternity 1976 P. 20—21.

يونج مصدرا للأهوال والآلام . فالالهام فى الحلم الكامل أو فى حلم اليقظة هو الجانب المقابل لجانب الفزع أو الكابوس فى الحلم ، أيا كان تعليله .

وفى هذا الشأن يتحدث جـ . هـ . هادفيلد J. A. Hadfield العالم النفسى الكبير قائلا عن « الأحلام والحدس وأثرهما فى الكشوف العلمية » « نرى من الملائم أن نلفت انتباه القارىء الى أقوى الشواهد على مانقول، وهو أن الكثير من المعضلات العلمية قد تسنى حلها على هذا النحو . وأن بعض الكشوف العلمية العظيمة قد دانت لأصحابها فى أحلامهم ، وأن هذه الطريقة يلجأ اليها العلماء دائما قاصدين عندما تواجههم صعوبة معينة .

ولنضرب على ذلك مثلا من بين الأمثلة الكثيرة الشاهدة عليه . فهناك تلك القصة الشائعة التى تقول بأن العالم الألمانى كيكوليه عثر بطريق الصدفة على فكرة « حلقة البنزين » ، وهى فكرة أحدثت انقلابا فى الكيمياء العضوية .. مما دفعه الى أن يقول (بعد أن روى تفصيلات الواقعة « كأن ومضة من برق أيقظتنى من سباتى ، فقضيت ما تبقى من ليلتى أفكر فى مختلف احتمالات هذا الفرض ... أيها السادة دعونا نتعلم كيف نحلم » (١) .

ان الأمر يتعلق فى هذه الحالة ، كما هو الشأن فى الأحلام ، بحل مشكلة معقدة حلا آليا عن طريق عمليات تمت فى مستوى دون الشعورى . وقد تسنى هذا كما هو الحال فى الأحلام باستخدام الرموز ، لا عن طريق الاستدلال المنطقى الذى ثبت فشله أحيانا .

وليست هذه الحالة فريدة فى نوعها ، فهناك الكثير من الأمثلة لكشوف علمية تيسرت بفضل ومضات البصيرة . فمن ذلك أن أوتو ليفى

(١) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب عنوانه « فن التحقيق العلمى » لمؤلفه و . أ . بفردج W. I. Beveridge ص ٥٦ .

Otto Lévi ، أستاذ علم العقاقير استيقظ ذات ليلة وفى رأسه فكرة باهرة عن التوسط الكيميائى وأثره فى السيالات العصبية ، فلجأ على الفور الى تدوين الفكرة . وفى الصباح كان ذعره بالغا عندما وجد نفسه عاجزا عن فك رموزها . ومن حسن الحظ أنه فى الليلة التالية صحا من نومه على ومضة البصيرة نفسها ، ولكنه احتاط هذه المرة فلم يجازف بشىء (١) .

ولكن هذه الومضات لاتترك هكذا رهنا للصدف والظروف ، وانما يعمد اليها بعض العلماء قاصدين ، حيث يسلمون أنفسهم لحالة استرخاء : سواء فعلوا ذلك وقت انشغال عقولهم بالمشكلات التى يبحثونها ، أم بعد أن يكونوا قد صرفوها من رؤوسهم ، وعندما تتهيأ لهم هذه الومضات من هذا السبيل .

يقول بفردج « اننا فى سعينا وراء الأفكار المبتكرة الأصيلة يكون من المجدى لنا أحيانا أن ننبذ التفكير الموجه المضبوط ، وأن نطلق سراح خيالنا كى يمرح منطلقا فى أحلام اليقظة » .

ويذكر الأستاذ كانون طبيب الأمراض العصبية الشهير ، أنه كان معتادا منذ شبابه على أن يستلهم فطنته العون فيأتيه فجأة وعلى غير انتظار وأنه كثيرا ما كان يذهب للنوم وعقله مثقل بالتفكير فى مشكلة ما ، ثم يصحو فى صباحه وقد أصبح الحل فى متناول يده . ويقول « لقد أصبح من المألوف لدى أن أركن الى العمليات اللاشعورية واثقا من أنها ستسدى الى خدمة ما » فكان من ثم يستخدم النوم لحل مشكلاته .

ان العالم الذى يستخدم المنهج العلمى فحسب يتبع طرق الملاحظة والتصنيف ، والتجريب ، والتعميم ، وهى طرق تركناها كثيرا فى حجرات الدراسة . أما المستكشف النابه فيركن من ناحية أخرى الى الحدس والفطنة أكثر مما يعتمد على التفكير . ولعل فى هذا سر ما يصيبه من

---

(١) يحيل المؤلف القارىء الى المرجع السابق ص ٦٩ — ٧٠ .

نباهة فى عمله كمستكشف دون أن يكون ذلك راجعا الى التزامه فنون البحث العلمى المتزمتة •

قد يتبادر الى أذهاننا أن رياضيا مثل اينشتاين لابد وأنه قد توصل الى نظرياته عن طريق العمل المضنى والتفكير المنطقى • ولا شك أن لهذا الأسلوب نصيبا وفيرا فيما انتهى اليه من استكشافات . ولكن أينشتاين نفسه يعتبر الحدس العامل الأهم فيما توصل اليه ، اذ يقول « ليس هناك من سبيل منطقى يمكن أن يؤدى الى تلك القوانين الأولية . وأنما الوسيلة الوحيدة هى الحدس » (١) • وهو يخبرنا أن ما ورد فى نظريته من تعميمات أساسية تيسر الوصول اليه وهو راقد فى فراش المرض ••••

وهذا هو ما يحدث على وجه الدقة فى الأحلام : فنحن ننحى جانبا مشكلاتنا اليومية ، سواء أكانت مشكلات عملية أم أخلاقية أم غير ذلك ، ولكن الحلم لا يلبث أن يتلقفها ويحلها بطريقة دون الشعورية ، وبصورة فعالة تفوق ما يمكن أن نتوصل اليه عن طريق التفكير الشعورى •

* * *

أما كيف يحدث هذا فلا علم لنا به ، ولا نستطيع الا أن نرد الأمر الى العمليات دون الشعورية التى لا ندرى عنها الا القليل • ولكن الأبحاث الحديثة فى استجابات المخ الكهربية تؤكد هذه الحقيقة وتلقى عليها الضوء • حقا أنه من المستطاع صناعة مخ اليكترونى بسكنه أن يحل فى دقائق معدودة مسائل رياضية تقتضى من عالم الرياضيات أسبوعين أو ثلاثة لحلها • وهذه الأداة ذات قدرة خارقة على الملاءمة بينها وبين الظروف الجديدة التى تطرأ عليها ، وأن تستعيد لنفسها حالة التوازن •

وهى كالمخ البشرى معرضة للاصابة « بالانهيار العصبى » وذلك عندما تكون المشكلات المعروضة من الصعوبة بحث يتعذر حلها ، كماهو

(١) يحيل المؤلف القارىء الى المرجع السابق ص ٥٦ .

الحال عنـدما يتعين عليهـا أن تستوعب دوائر كهربية أكثر مما تطيق . وفى مثل هذه الحالة يعمد العقل الاليكترونى الى قطع احـدى الدوائر حتى يستعيد بذلك أداءه العادى لوظائفه .

فاذا كان من الجائز أن نصنع الآلات الكهربية بحيث تستطيع أن تتوافق مع المواقف والصعوبات التى تعرض لها ، وتعالج المشكلات وتحلها حلا آليا ، فلماذا لا يحدث مثل ذلك فى المخ البشرى ؟ واذا كانت الأحلام تستطيع أن تحل مشكلات رياضية معقدة ، وأن تحقق كشوفا علمية هامة، فلماذا يخامرنا الشك فى قدرتها على حل المشـكلات الأكثر بساطة فى حياتنا ؟ ...

ويستخدم المحلل النفسى هذه الطريقة ذاتها فى العلاج ، فهو يجعل المريض يرقد مسترخيا على أريكة حيث تبين أن المريض فى هذه الحالة نصف الحالمة لا تتوارد على ذهنـه ذكريات المـاضى والعوامل المسـببة للعصاب فى يسر فحسب ، بل انه يستطيع فى هذا الوضع كذلك أن ينظر فى مشكلاته بوضوح ويتبين ما يلائمها من حلول .

ومن الصعب علينا أن ندرك السبب فى أن يونج ، وهو الذى يؤمن الى حد كبير بوظيفة الحدس ، يعارض طريقة الاسترخاء هذه وما يتصل بها من تداع طليق لصالح طريقة أخرى ذات طابع شعورى أوضح ، وتعتمد على أسلوب المحادثة والمناقشة القائمة على أسس منطقية .

ان بوسعنا أن نعتبر ما لدينا من استعدادات للانشغال بمشكلاتنا حتى تنتهى فيها الى حل من عمل ما يطلق عليه فى الشائع « العقل دون الشعورى » ، وان كان أدق من ذلك أن نتحدث عنها باعتبار كونها من عمل « العمليات دون الشعورية » .

ان مصطلح « العقل دون الشعورى » (أو ما دون الشـعور) أصبح الآن أقل استعمالا لسوء الحظ رغم أنه كان سابقـا متداولا منذ

جيل مضى • ونحن نقول « لسوء الحظ » لأن عمليات ما دون الشعور تختلف عن عمليات اللاشعور ، وعمليات العقل الواعى الشعورى(١) •

ثم يضيف ها دفيلد أن هذا ليس يعنى .أن جميع الحجج والأحكام التى يتقدم بها العقل دون الشعورى ، والتى يلجأ فيها الى طريقة التمثيل والاستهواء تكون على صواب بصورة مضطردة • فكثيرا ما أدت الى نتائج خاطئة تماما كما يحدث عند الحدس •

بل اننا لا نستطيع القول بأن النتائج التى تتوصل اليها فى الحلم تكون بالضرورة فى جانب الصواب ، فمما يتفق مع التفكير السليم القول بأن الأحلام اذا كانت تحاول حل المشكلات ، فهى تتغير دائما مجربة حلا بعد الآخر ، ومن ثم فهى بحاجة بعد ذلك الى اخضاعها لحكم العقل الاستدلالى والبرهان المنطقى • ان أينشتاين — على حد قوله — لم يكن يستطيع الاستغناء عن أسلوب الحدس فى كشوفه العظيمة ، ولكن هذا لم يمنعه من اخضاع هذه الكشوف للتجريب والبرهان المنطقى(٢) •

صلة الالهام بالتكوين الروحى ـ العقلى

وبطبيعة الحال فان مقتضى هذا أنه لا غنى عن استخدام أسلوب الاستدلال المنطقى الواعى فى النهاية ، مهما كان الحدس يساعد أصحابه من آن لآخر ببعض الومضات الخاطفة ، ومهما كانت الأحلام تمسك بزمام العلماء أحيانا نحو بعض الحلول لبعض المشكلات •

وبالتالى على ألئك الذين يتذرعون بالحدس أو بالحلم أن يحذروا ، وأن يتأكدوا أنه لا مفر فى النهاية من الاحتكام الى المنطق الواعى الذى هو من خصائص التكوين الروحى ـ العقلى الناضج الذى يعمل فى يقظة كافية ، وفى المام صحيح بالمقومات اللازمة للتوصل الى نتائج منطقية صحيحة •

---

(١) عن كتاب « الحلم والكابوس » تأليف ج. أ. ها دفيلد المرجع السابق ص ١٦٨ — ١٧٣ •

(٢) نفس المرجع ص ١٧٩ — ١٨٢ •

ولا ريب أن هذه الأمور الهامة كلها لا يحلهـا مع ذلك النظر الى العقل بوصفه نتاجا للمخ ، وهو النظر الذى كان يسود المدارس التقليدية عن العقل والمخ ، بل انها تظهر مشكلة العقل أكثر تعقيدا مما تصور علماء القرنين المـاضيين . ولعل مما قد يساعد على القاء بعض أضواء جديدة على مشكلات العقل والأحلام ما ثبت الآن من أنه فى حالات عـديدة يمكن للعقل الحالم أن ينعم بمباشرة بعض ملكاته الحسية ، مثل النظر عن غير طريق العين ، ومثل سائر ظواهر الادراك عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception التى تعنى بهـا كل العنـاية أبحـاث الباراسيكولوجى منذ بدأت تشق طريقهـا الى الوجود ، ولعلهـا الآن أشدها جذبا لاهتمام الباحثين ، وأوفرها غنى فى المراجع الموثقة .

وهذه الاعتبارات تلقى مجتمعة بعض أضواء على ما يصح وصـفه بأنه حلم الالهام الصادق أو خاطر الحدس الصحيح ، الذى لا يجـد أى تعليل مقنع فى تفسيرات فرويد للأحلام . وأحلام الالهام الصادق كثيرة ومثلها حالات الحـدس الصحيح ، وأقر بها عـدد من أبرز المكتشفين والمخترعين الذين أشرنا الى بعضـهم آنفا ، والذين تدين لهم الأنسانية بالشىء الكثير فى تخفيف آلامها ، وتذليل الصعوبات من طريقها .

ومنهم أيضـا ميكل فراداى Michaël Faraday (١٧٩١ — ١٨٦٧) المكتشف المعروف فى الكيمياء والكهـرباء ، والمغنـاطيسية ، وصاحب الفضل الكبير فى تطوير هذه العلوم كلها . فقد كان محـدود الثقافة ، ولمـا سـئل عن سر كشوفه الفـذة ، قال انه ينظر الى طبيعة الأشياء فيرى كأن ريشة سحرية تكتب على صفحات عقله أفكارا جديدة ولمـا يطبّقها فى معمله يجد أنها تمثل الحقيقة المنشودة .

ومنهم سير فردريك جرانت بانتنج Frederick Grant Banting (١٨٩١ — ١٩٤١) العالم الكندى مكتشف الأنسولين Insulin لعلاج مرض السكر ، وهو يقول بصدد اكتشافه انه بعد أن لقى فشلا متكررا فى تجاربه لمحاولة استخلاص الأنسـولين نام نوما مضطربا وفى الثانية

صباحا استمع الى صوت يهمس فى أذنه ، فدونه وهو يغالب النوم • وكان نصه « اربط قناة البنكرياس فى الكلب ثم انتظر ستة أسابيع الى ثمانية حتى تضمر ، ثم استأصل باقيها ، واصنع منه خلاصته » ••• وبعدئذ أجرى تجاربه على عشرة كلاب ، ونجح فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٢١، فى استخلاص الأنسولين الذى يعتبر حتى الآن العلاج الوحيد لداء السكر • وقد حصل باتنتج بسبب كشفه الهام على جائزة نوبل فى الطب فى سنة ١٩٢٣ ومعه مساعده ماكلويد •

ومنهم هنرى بوانكاريه H. Poincaré (١٨٥٤ — ١٩١٢) • العالم الرياضى الفرنسى الذى سبق أينشتين فى كشف العديد من أسرار النسبية ، فانه يقول أنه حاول ذات مرة أن يستكشف قانونا عاما لحل مجموعة معينة من معادلات الرياضة ، فلم ينجح فى ذلك الا بعد أن رأى الحل مكتوبا أمامه فى أثناء نومه •

وهناك أقوال كثيرة مماثلة وردت على لسان العديدين من المخترعين، وهى ، تجعل أمرا مفهوما ما قرره أحدهم وهو سير همفرى ديفى Humphrey Davy (١٧٧٨ — ١٨٢٩) أحد أعلام الكيمياء عندما قال « كان من حسن حظى أنى لم أجبر وأنا صغير على الالتزام بخطة محددة للدراسة ، ولا أمرنى أحد بالاجتهاد فى دروسى ، وهذا هو السبب فيما تولّد عندى من ذوق علمى » ! !

فليست الدروس والكتب هى كل شىء ، ولا الأحلام أيضا ، بل هو النضج العقلى — الروحى الذى تسانده أحيانا ومضات خاطفة من الالهام الصحيح فى اليقظة أو فى النوم ، عن طريق الشعور ، أو قرب الشعور ، أو اللاشعور ، وفى هذا كله يتعذر تماما وضع قاعدة عامة •

وفى وصف ذلك يقول سير همفرى ديفى هذا متحدثا عن صلته بالهاماته فى خطاب له الى أحد أصدقائه « لاتخش أيها الصديق ولا تجزع من تأثير المجتمع الصاخب فى عقلى ، لأن فى الرجال الذى يميلون الى

العمل بالشئون العلمية عناصر وطبائع لا تتغير • ولهم خيال لا يستقر ولا يرتوى • والبحث عن العلم هو بحث عن الجمال الخفى وعن السحر المجهول » •

وعندما شعر ديفى أن شمعة حياته على وشك الانطفاء كتب يقول « هأنذا على فراش الموت ، ولقد ضعفت حواسى ، وأخذت أعضائى تتهاوى الى الهوة التى تعود فيها الى ذراتها الأولى • لكن عقلى لايزال صامدا ، لأن الفلسفة التى أذكت حرارة الحياة فى دمائى فى خلال أيامى ، لم تترك ربيبها وحيدا وهو على فراش الموت • وانى أعتقد أن شمس الخلود التى أضاءت من خلال هيكل جسدى بنور باهت ، سوف تغمرنى دائما فى أرجاء النعيم » ••••

وللموضوع صلة وثيقة بالتكوين الروحى ــ العقلى للانسان الذى وقفنا عنده وقفة كافية فى الباب الرابع • فهذا التكوين يسيطر على جسم الأنسان بالأشعاعات الأثيرية المنبعثة منه ، وعلى الهالة البشرية • كما يتلقى عن طريق هذه الاشعاعات تأثيرات متنوعة من الكائنات الأخرى المتجسدة وغير المتجسدة ويعطيها •

أى أن ثمة تأثيرات متبادلة قد تحدث بين تكوين روحى ــ عقلى معين ، وبين تكوين آخر وتعمل فى اطار من قانون التوافق الروحى ، أو قانون « كل شبيه منجذب الى شبيهه » (١) • فيجىء الألهام عن طريقها ــ فى صورة ومضات خاطفة متقطعة ــ فى اليقظة أو فى النوم •

ولا تجىء هذه الومضات جزافا مالم يعززها الى جانب ذلك كله قدر كاف من المعرفة الصحيحة ، ومن النضج العقلى • ومن اللهفة على الوصول الى الحقائق وسبر بعض ألغاز الوجود ، بسبب حب ملتهب للحقائق فى ذاتها ، ورغبة مشتعلة لخدمة الآخرين ، وتخفيف آلامهم

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٢٨٦ ــ ٣٣١ عن التكوين الروحى وفى ص ٤٨٨ ــ ٥٠٠ عن التأمل والصلاة .

ومتاعبهم . وبهذه الخصال كلها تتميز الصفوة من العلماء والفلاسفة والمفكرين . وفي تعليل هذا الالهام يقف طبعا علم النفس التقليدى عاجزا ، والعجز يولد دائما الغرور ، والمزاعم الكاذبة بالاحاطة بكل شيء .

الأحلام بين النفس والروح

هذا وقد تناول الدكتور جان فيليب كروزيه Jean-Philippe Crouzet موضوع الفروق بين التفسيرات التى يقول بها علم النفس التقليدى للأحلام ، وتلك التى توصل اليها علم الروح الحديث ، ويقول انه يمكن اجمالها فى ثمانية نقاط : —

١ — أن علم الروح يسلم بوجود أحلام بسبب مشاهد حقيقية قد يراها الجسم الكوكبى ، عندما يغادر أحيانا الجسم الفيزيقى فى أثناء النوم(١) (وهى طبعا لا يعترف بها السيكولوجى) .

٢ — أن علم الروح يسلم باحتمال مشاهدة رؤى صحيحة عن المستقبل خارج اطار تداعى المعانى ، والاختبارات السابقة لصاحبها (وهذا مالا يسلم به السيكولوجى) .

٣ — أن علم الروح يسلم باحتمال رؤية الحالم لبعض ذكريات مرت به فى حيواته السابقة ، وهذا مالا يقره علم النفس التقليدى . (ولنا الى هذا الموضوع الهام وهو موضوع العودة للتجسد وقفة طويلة فى الأبواب الثلاثة الأخيرة من هذا الكتاب) .

٤ — أن علم الروح وصل الى امكان مشاهدة أحلام رمزية لأحداث واقعية تجرى فى العالم الفيزيقى ، ويدركها الحالم عن طريق جسده الكوكبى . (وهذا هو ما قد يجىء بسبب الطرح الروحى مع الجلاء البصرى مقترنا بتداعى المعانى فى ذهن الحالم) .

---

(١) راجع ما سبق فى هذا الشأن فى ص ٣٧٦ — ٤٠٧ .

٥ — أن علم الروح وصل الى وجود أحلام نفسية ذات صبغة عامة تبدو كما لو كانت تهدف الى احداث تأثير ما فى مخ الحالم . وهذا التأثير قد يحدث انطباعا عميقا فى لاشعور الحالم ، وبالتالى قد يؤثر فى وعيه اليقظ ، وفى ميوله ، وسلوكه فى العالم المادى .

٦ — أنه يمكن دائما التسليم بوجود أحلام ذات مصدر فيزيقى صرف مثل الآلام المرضية العادية ، أو سوء الهضم .....

٧ — أن علم الروح يعترف بوجود أحلام قد تجىء من الخارج بسبب أرواح قد تفذ من الوسط الكوكبى . وهذا الوسط يحتوى على أرواح طيبة ، كما يحتوى على أرواح شريرة قد يحلو لها أن تعذب وجدان الحالم ، فتسبب له كابوسا ، بأن تعطيه مثلا نبوءة مكذوبة تسبب له قلقا وضيقا ، حتى بعد يقظته . وهى بذلك تسخر من الحالم عمدا ، وتضحك لما تسببه له من متاعب بسبب تخلفها العقلى والخلقى .

٨ — أن علم الروح يسلم بوجود أحلام هى عبارة عن ذكريات زيارات قام بها الجسم الكوكبى فى أثناء النوم فى العالم الكوكبى . ويقول المؤلف بشأنها انها ليست مؤسسة على مجرد افتراض نظرى . لأنه توجد أدلة حقيقية على أن الروح الانسانية بمقدورها أحيانا أن تهرب من الجسم المادى فى أثناء النوم ، وتتقابل مع أرواح تعرفت بها من قبل فى عالم المادة أو فى عالم الروح ، ويقدم المؤلف لكل هذه الأقوال أسانيد متعددة(١) .

ويربط المؤلف بين ذلك وبين الأطباق الطائرة قائلا انه توجد — بحسب بعض الرؤى والروايات — أطباق طائرة فى بعض المستويات الكونية تستخدمها الكائنات أحيانا فى التنقل من مجموعة شمسية الى

(١) روى كارل يونج أنه اختبر شخصيا هذه السياحات فى العالم الكوكبى (راجع ما سبق فى ص ٧٩ — ٨٠) .

مجموعة أخرى مقابلة لها فى العالم الكوكبى ، وأن لها خاصية مقاومة قانون الجاذبية الأرضية .

ويقول المؤلف ان بعض الأطباق التى شوهدت فى أجوائنا عبارة عن أطباق طائرة كوكبية تجسدت مؤقتا لتحقيق أهداف معينة (١) .

وهذا الرأى الأخير قد يبدو غريبا لأول وهلة ، لكن هناك أسانيد كثيرة تؤيد احتمال صحته ، وقال بها بعض المتخصصين فى موضوع هذه الأطباق التى لاتزال تحيّر جميع البيئات المعنية فى العالم أجمع ، ويضيق المقام الحالى عن تناول هذا الموضوع ، لأنه مقام مخصص لدراسة تفسير الأحلام ، لا لتفسير الوقائع المشاهدة فى اليقظة أيا كان نوعها (٢) .

* * *

لهذه الاعتبارات مجتمعة يقول المؤلف ان تفسير الأحلام — بحسب منهج التحليل النفسى المألوف — تفسير زائف . وقد وجد انتشارا واسعا رغم زيفه لأنه يثير فى الأذهان صور الحياة الجنسية . والتحليل النفسى نفسه — على حد وصف المؤلف — ليس علما ، بل يمثل نظرية افتراضية مادية تقوم على ذريعة لم يقم عليها أى دليل . وهذه الذريعة هى أن الوعى نتاج للمخ ، ولا يعمل الا بداخل المخ . وبالتالى فاذا رأى الحالم نهرا أو سيارة ، فان المحلل النفسى يعزو الحلم الى الحياة العقلية للحالم .

---

(١) راجع :

Jean-Philippe Crouzet : Les Merveilles du Spiritisme. Paris 1965 P. 87 — 120.

(٢) مما قد يؤيد هذا التفسير الروحى للأطباق الطائرة أن هناك شهودا عديدين شهدوا بأنهم رأوا ولمسوا أشخاصا يغادرون هذه الأطباق بعد نزولها على الأرض ، ثم اختفوا فجأة بطريقة غير مألوفة وقد فشلت — حتى الآن — كل المحاولات للامساك بطبق طائر واحد أو للامساك بأحد ركابه ولكن نجحت الكاميرا فى التقاط صور عديدة لها ، منشورة فى الكتب المعنية بهذا الموضوع وهى كثيرة .

لكن هــذه الذريعة الافتراضية التى يقوم عليهــا التحليل النفسى لم يقم الدليل على صحتها ، وقام على عكسها ، أى على أن الوعى ليس — ابتداء — نتاجا للمخ ، ويمكنه أن يعمل خارجا عن المخ (كما فى حالة الطرح الروحى والازدواج dedoublement) • فهناك كمية من الأدلة الموضوعية المــادية التى تدل على امكان نشاط الوعى خارجا عن المخ : منها تلك الظواهر الوساطية الخاصة بالتجسدات ، وبالمجلوبات ، وبصور النشاط الفيزيقية فى أثناء الازدواج الواعى(١) •

وبالتالى هناك شواهد عديدة على أن بمقــدور العقل أن يقوم فى أثنــاء النوم ببعض سياحات الى الأجواء أو المســتويات الكوكبية ، والمستويات الكوكبية متعددة بلا حدود • لأن كل مستوى منها عبارة عن مستوى شيّدته القدرات العقلية لقاطنيه • ومن ثم فان المســتويات العقلية المنخفضة التى قد يزورها أحد النائمين فى أثنــاء النوم يجب أن تكون مســتويات متغيرة ، وأقل اســتقرارا من مســتويات السمرلاند Summerland التى يتحدث عنهــا الروحيون(٢) (المستوى الكوكبى الثــالث) •

والجنة التى يتحدث عنها رجال الدين هى بعينها السمرلاند ، التى تطوى العالم الكوكبى والعالم العقلى أيضا • لكن العالم العقلى أصعب فى وصفه من العالم الكوكبى • فهو عالم رائع ، وتقريبا يتعذر وصــفه كما يقول ليدبيتر Leadbeater فى كتابه عن « العالم الســماوى » (٣) • فهو الجنة الحقيقية •

ومن رجال علم النفس من يرفض قبول أى تحليل علمى للأحــلام فى ضوء العلوم الروحية ، لأن هــذا التحليل سيذهب بهم الى اتجــاه

(١) عن المرجع السابق ص ٨٨ •
(٢) راجع وصفها التفصيلى فى « مفصل الانسان روح لا جسد » • الجزء الثانى ١٩٧٦ صفحة ١٩٩ — ٤٥٢ •
(٣) Le Monde Celéste.

عكسى « للتآمر على الصمت » الذى يقف منذ زمن بعيد فى وجه الكشف الرسمى عن الجانب الخفى من الأمور .

ومن جانب آخر فان رجال علم النفس التقليدى أرادوا أن يتفادوا الصدمة التى قد تصدم الأشخاص الذين لا يفهمون أحلامهم ، عندما يفهمونها على وجهها الحقيقى (وهى أنها قد تمثل سياحات حقيقية فى العالم الغيبى) . أو قد تمثل أحيانا اتصالات جنسية حقيقية فى ذلك العالم ، بما سوف يلازمها من تأنيب للضمير اذا كانوا متزوجين ! !

ومن الخطأ القول بأن كل « أصحاب الكشف voyants » وصلوا الى مرحلة أو أخرى من ازدواج الوعى ، فكثيرون منهم لم يصلوا الى هذه المرحلة . وقد يكونون من « أصحاب الكشف » فى اليقظة ، لكنهم فى النوم يحلمون بالضبط كما يحلم سائر الناس الذين ليسوا من « أصحاب الكشف » . لكنهم قد يرون من آن الى آخر « رؤى حية » أكثر من تلك الأحلام العادية . وهذه الرؤى الحية يمكن أن تكون لديهم بمثابة باب يقود الى حالة الازدواج الواعى .

فهم يكونون عندئذ قريبين من الازدواج الواعى . وتلك الأحلام — بخصائصها المتنوعة — تمكنهم من السيطرة على الوعى . فتوقظ هذا الوعى وتجعله يحيا فى جسدهم الكوكبى خارجا من جسدهم الفيزيقى ...

ومن الخطأ أن يعتقد الانسان أن دراسة الأحلام ذات قيمة محض نظرية ، لأنها على العكس من ذلك ذات قيمة عملية ، حتى بالنسبة لرؤية أحداث المستقبل أحيانا [1] .

وفى هذا الكتاب يروى المؤلف وقائع عديدة عن سياحات واعية قام بها بعض الوسطاء وذوى الكشف الى مستويات متنوعة من عالم الغيب

(١) راجع جان فيليب كروزيه . المرجع السابق ص ١٢٢ — ١٢٤ .

وسياحات أخرى قاموا بها فى عالم المادة ، وبعض الأشخاص فى أثناء نومهم العادى . و لايتسع لها المقام الحالى ، لكن ينبغى أن يتسع لواقعة لها فى تقديرى قيمة خاصة فى الايضاح .

وهذه الواقعة ظروفها أن سيدة انجليزية شابة تعودت أن تحلم مرارا بأنها تزور منزلا معينا رسخت أوصافه من الداخل والخارج فى ذهنها جيدا ، لفرط تكرار ترددها عليه فى أحلامها . ثم سافرت مع زوجها الى اسكتلندة فى سياحة عادية لزيارة بعض معارفهما . وأثناء مرورهما بالريف الاسكتلندى فى سيارة ، أوقفتها عند منزل ريفى عادى . وأشارت نحوه قائلة الى زوجها باصرار « هذا هو المنزل الذى ازوره فى نومى مرارا » !!

وعندئذ دفعهما الفضول الى أن يطرقا بعد تردد بابه الخارجى ، ولما فتحت الباب سيدة اسكتلندية عجوز وشاهدت السيدة الانجليزية الشابة صرخت مذعورة . وباقى قاطنى هذا المنزل ذهلوا جميعهم عند مشاهدتهم الشابة الانجليزية ، ولما سألهم زوجها عن السبب فى ذهولهم قالوا له « منذ مدة طويلة منزلنا مسكون haunted والساكنة هى زوجتك هذه » ! !

وأجمعوا على أنهم — كلهم — شاهدوها مرارا وتكرارا فى حالة شبه تجسد فيزيقى وهى ترتاد منزلهم فى أثناء يقظتهم . وكانوا يتصورون طبعاأن الشبح الذى يرتاد المنزل شبح انسان متوف كما قد يحدث أحيانا فى وقائع عديدة منحوادث الشغب المجهول المصدر Poltergeists (٢). فلم يدر بخلد أحد منهم اطلاقا أن صاحبة هذا الشبح شابة لا تزال على

---

(١) المرجع السابق ص ٩٠ .

(٢) للمزيد فى هذا الشأن راجع كتاب « الاتصال بين عالمين » الطبعة العربية ١٩٨١ ص ٢٤ — ٣٨ ، ٩٧ — ١٧٣ . وكتابا حديثا من تأليف أستاذين بجامعة كامبريدج وهما آلان جولد Alain Gauld وتونى كورنل Tony Cornell عنوانه The Poltergeists (١٩٧٩) . وبه دراسات موسعة لخمسمائة حالة من حالات الشغب المجهول المصدر القديمة والجديدة مع التحليل العلمى الدقيق .

قيد الحياة الأرضية ، وتقطن بعيدا عنهم فى انجلترا ، وأنها بكامل صحتها الجسدية والعقلية ... (١) .

أساليب جديدة لدراسة الأحلام

وعلى أية حال فان دراسة الأحلام أصبحت موضوعا لبحوث متواصلة متنوعة تجرى فى المعاهد العلمية بأساليب حديثة . منها أنه مع تطور وسائل قياس حركات العين السريعة وتقدم وسائل الأبحاث الفسيولوجية والبيولوجية أصبح من الممكن استخدام هذه الوسائل فى دراسة الأحلام .

وللقيام بهذه الاختبارات الحديثة تأسس معمل خاص لدراسة الأحلام فى « مركز مايمونيدس الطبى » (٢) ببروكلين بنيويورك منذ سنة ١٩٦٢ . وبدأت فيه أبحاث هامة باستخدام رسام المخ الكهربائى ، وبمراقبة التغيرات الروحية ــ الفسيولوجية منذ عام ١٦٩٤ ، انتهت الى امكان اثبات حدوث التخاطر العقلى أثناء الأحلام ، بالاضافة الى ظواهر الجلاء البصرى .

ويضيق هذا المقام عن سرد جميع النتائج التى انتهوا اليها ، والتى تؤيد تماما النظرية الروحية عن العقل وتتعارض مع النظرية المادية عنه . ومنها مثلا أنه طلب من النائم المتطوع فى بعض الاختبارات أن يحاول أن يرى فى منامه صورة فنية مجهولة منه كانت موضوعة فى صندوق ومعلقة فى سقف غرفة نومه . وفى نفس الوقت كان أحد الوسطاء يحاول أن ينقل « تليباثيا » الشعور بصورة أخرى دون أن يعلم المتطوع النائم بذلك .

---

(١) وأغلب الظن أن الصلة التى تربط هذه الشابة الانجليزية بالمنزل الاسكتلندى صلة « صلة كارمية » ترجع الى تجسد سابق لها فيه .

(٢) أطلق على هذا المركز اسم الشاعر الاغريقى مايمونيدس لأنه رأى فى حلم له رؤية صادقة عن غرق مركب كان مزمعا ركوبها فى اليوم التالى للسفر بها ، فتراجع عن السفر ، وكان تراجعه سببا فى نجاته لأن المركب غرقت فعلا بجميع ركابها وانقطعت أخبارها .

ووجد المختبرون توافقا مباشرا بين حلم المتطوع النائم وبين الهدف المطلوب رؤيته بواسطة الجلاء البصرى فى كل ليلة من ليالى التجربة الأربع ، وهذا الهدف عبارة عن الصور الموضوعة فى الصناديق المغلقة • ولم يكن هناك توافق مع الصورة الأخرى المنقولة عن طريق التلباثى (لا عن طريق الجلاء البصرى) الا فى ليلة واحدة فقط • وهذا يوحى بأن الوعى بالمكان والزمان والارادة عناصر هامة لحدوث ظاهرة الادراك عن غير طريق الحواس فى الدراسات المعملية التجريبية •

وكانت المسافات بين المتطوع النائم والوسيط المتيقظ تتراوح كثيرا فى تلك التجارب فكانت فى بعض الأحيان تبلغ تسعة وعشرين مترا ، وأحيانا كانت تبلغ ٢٣ كيلو مترا ، وأحيانا ٧٢ كيلو مترا • ومع ذلك سجلت الأختبارات نتائج ايجابية عديدة (١) !!

وعندما تحتوى « الأهداف » المراد نقلها بالطرق غير العادية على مضمون عاطفى فان انتقالها أيسر من تلك الأهداف الخالية من مثل هذا المضمون • وتلك الأهداف كانت عبارة عن صور متنوعة لا يعرف المتطوع النائم عنها شيئا الا عن طريق « التنباتى » فكانت الصور الأيسر نقلا هى تلك التى تحوى على محتويات حادة وخطيرة تؤدى الى تحريك غريزة الرغبة فى الحياة فى الأفراد أو فى الجنس كله • وكانت الأهداف

---

(١) هذا عند النوم ، أما فى اليقظة فقد سجل الباحثون نجاح بعض تجارب التلباثى على بعد آلاف الأميال . فمثلا فى تجارب حديثة بمعرفة الأجهزة المختصة فى ادارة بحرية الولايات المتحدة الأمريكية كانت المسافة بين الوسيطين ١٥٠٠ ميل ، ومع ذلك بلغت نسبة النجاح ٧٠٪ وكانت فيها انطباعات المستقبل صحيحة وواضحة .

وفى تجارب ناجحة أجراها فى الاتحاد السوفيتى عالم الباراسيكولوجى ليونيد فاسيليف Leonid L. Vassiliev كانت المسافة ١١٠٠ ميل . ولاتزال هذه التجارب تجرى حاليا فى ثمانى مراكز للباراسيكولوجى بالاتحاد السوفيتى وحده .

والاعتقاد الشائع هو أن كل ظواهر الادراك عن غير طريق الحواس لا تعترف بالمسافات مهما بعدت ، لأن للفكر قدرة على الانطلاق أسرع من الضوء بكثير .

(الصور) ذات المضمون الجنسى أو العدوانى تثير تخيلات وأحاسيس قوية ومماثلة فى المتطوع النائم •

وعندما استخدمت الأهداف (الصــور) ذات الموضوعات المثيرة لأكثر من احساس ، كتلك المتضمنة عناصر بصرية ، وسمعية ، وتذوقية ، وشمية ، كانت النتائج أقرب الى الصواب (مثل صــورة تمثل فاكهــة وزهورا وآلة موسيقية مثلا) •

وفى هذه الأختبارات تأكدت ظاهرة الادراك المسبق Precognition الذى يحدث أحيانا فى هذا الصــنف من الأحلام التنبؤية • ومع تكوين السجل المركزى للأحاسيس المسبّقة هناك أصبح ثمة محل لتحليل وتقييم اختبارات الأفراد الذين يعتقــدون أنهم رأوا أحلاما تنبؤية يرغبون فى تسجيلها فى ذلك المركز (١) •

ومن ظواهر الجلاء البصرى التى جرت فى هذا المعمل ما جرى مع ستين متطوعا قسموا بالتســاوى الى أربع مجموعات منهــا : مجموعة شــديدة التــأثر بالتنويم المغناطيسى ، ومجموعة ثانية أقل تأثرا به ، ثم مجموعة ثالثة شــديدة التأثر بالايحاء suggestion فى تصورات اليقظة ، ورابعة قليلة التأثر به •

وقد طلب الى جميع المتطوعين محاولة تخمين طبيعة اللوحات الفنية التى كانت مخفاة فى أربعة أظرف مغلقة ، وكان ذلك اما تحت تأثير التنويم المغناطيسى (مؤديا الى رؤيا فى أثناء التنويم) واما فى اليقظة باستخدام موهبة الجلاء البصرى • وكانت النتائج فى جملتها مقنعة احصائيا بالنسبة

---

(١) ويمكن أيضا تسجيل هذه الأحلام — قبل تحققها — عن طريق ارسالها الى هذا المركز على العنوان الآتى :
Maimonides Central Premonition Registers
Box 482, New York 10036.

للمجموعة الشـديدة التأثر بالتنويم المغناطيسى (١) • والاختبارات كلها فى هذا الشـأن جديرة بدراسة على حدة ، فما أخطر هذه الدراسـات الحدثة التى تعودنا فى الشرق الأدنى — وحده — على تجاهلها تماما لغير أية حكمة مفهومة ولأى هدف مشروع ! !

* * *

وهكذا تجد أن دراسة الأحلام بدأت تلقى أضواء كثيفة على طبيعة الانسان ، وعلى استكشاف أغوار ملكاته الدفينة التى كان لا يسـلم بها فيما مضى علم النفس فى مفهومه التقليدى •

وهكذا ابتدأت تدخل فى تفسير الأحلام تدريجيا — وبمشقة بالغة — عناصر جديدة غير مجرد التعبير عن الرغبات المـألوفة المكبوتة حاليا فى اللاشعور ، مما يصاحبها حتما من عملية تداعى المعانى :

— منها — بوجه خاص — نشاط بعض ملكات الادراك عن غير طريق الحواس E. S. P. فى النوم ، وربما أحيانا بصـورة تفوق نشـاطها فى اليقظة ، ومنها بوجه خاص ملكات التخاطر (التلباثى) والجلاء البصرى •

— ومنها قدرات الخـروج من الجسـد O. B. E. أو الطـرح الروحى ، بما يصاحبها عادة من نشـاط بعض ملكات الادراك عن غير طريق الحواس ، ومن صورها الأحلام التنبؤية •

— ومنها أيضا احتمال يقظة الذكريات السحيقة التى ربما تكون قد انزلقت الى اللاشـعور من تجسد سابق ، والتى ربما تعطى تفسيرا لمصدر هذا اللاشعور ، وللخزانة العجيبة التى يحتويها ، تفسيرا قد يبدو أقرب الى المنطق الواضـح من غيره من التفسيرات • وقد أصبح هذا التفسير الآن أغناها بالأسانيد المعملية •

---

(١) للمزيد راجع مجلة « العلم والمجتمع » وهى الطبعة العربية من مجلة Impact التى يصدرها مركز مطبوعات اليونسكو عـدد يونيو — اغسطس ١٩٧٥ ص ٨٢ — ٩٣ •

وهكذا أخذت هذه الدراسات الموسّعة فى كل ظواهر الادراك عن غير طريق الحواس تلقى أضواءها على المفاهيم العلمية على أوسع نطاق ممكن ، وتحدث فيها ، وفيما يتصل بها من فلسفات ، ثورة جذرية ، فيما تعلق بتحديد علاقة الانسان بالكون ، والتى كان البعض يتصور فيما مضى أنها يمكن أن تكون علاقة محض مادية ، نابعة عن صلة حواس الانسان المألوفة وحدها بهذا الكون نفسه •

وهكذا كلما توغل العلماء فى دراسة العقل كلما ازدادوا اقتناعا بهذه الحقيقة التى عبَّر عنها اندريجا بوهاريتش Andrija Puharich — وهو علامة باراسيكولوجى من أرفع طراز — عندما قال « أنا لا أشك فى وجود عقل غير متجسد بمقدار ما لا أشك فى وجود عقل متجسد ، فهما جانبان من قطعة عملة واحدة ، واذ ما توصلنا الى فهم أحد الجانبين تماما فاننا سنتوصل كذلك الى فهم الجانب الآخر » (١) •

الأحلام والتنبؤ

وموضوع الأحلام وثيق صلة بمدى امكان تنبؤ عقل الانسان بأحداث المستقبل المؤسسة على أحداث الماضى أو الحاضر ، وذلك سواء فى اليقظة أم فى النوم ، وهذا موضوع وثيق صلة بدوره بمعنى الزمان والمكان فى حواسنا من ناحية ، وفى نواميس الحياة من ناحية أخرى •

وسوف أعرض لهذا الموضوع فى الباب المقبل من زاوية صلته بمبدأ حرية الارادة وبمفهوم الزمن ، اذ تبيَّن فى شأن التنبؤ أن الأحداث المستقبلة قد تلقى ظلالها الباهتة بصورة ما قبل وقوعها ، وأن هذه الظلال قد يراها بعض الأشخاص أو بالأدق قد يشعر بها بصورة تتفاوت فى وضوحها ، فيتوقع أمورا مستقبلة توقعا قد يصح حينا وقد يخطىء أحيانا ، كما يحدث نفس الأمر على المستوى المادى ولكن بأساليب مختلفة ومتقدمة نوعا

---

(١) من مؤلفاته الحديثة :

The Sacred Mushroom (1960).
Beyond Telepathy (1962).

بطبيعة الحال • وكلما ازداد نضج الروح وحسن تقديرها لأمور الحاضر — ومشاعره وانفعالاته بوصفها أسبابا — كلما ازداد نضجها وحسن توقعها لبعض أمور المستقبل بوصفها نتائج محتومة لأمور الحاضر •

وما يصدق فى ذلك على الأرواح الناضجة فى عالم الروح يصدق على البشر فى عالم المادة ، فالقوانين المسيطرة « على التنبؤ بالمستقبل » واحدة هنا وهناك ، حتى مع التسليم بأن الشعور بالزمان وبالمكان مختلف هناك عنه هنا ، وبأن حساسية الأرواح وملكاتها الذهنية مرتفعة عما يقابلها — فى المتوسط العام — عند الأرضيين • وذلك لأن ارادة الانسان ترسم له بالتالى حدود حاضره ومستقبله معا فنفس الأسباب تولد نفس النتائج • وبالتالى فنحن اذا ما أحطنا احاطة تامة بكل عناصر الحاضر لأمكننا من الناحية النظرية وحدها أن نعرف ولو بعض معرفة عناصر المستقبل ، ما دامت عدالة الله اقتضت أن يكون مستقبلنا مرتبطا بحاضرنا برابطة لا تنفصم هى رابطة السببية • وبعبارة أخرى أرادت أن يكون مستقبلنا من صنع حاضرنا ، كما أن حاضرنا من صنع ماضينا •

لكن كيف تتأتى عمليا هذه الاحاطة التامة بعناصر الحاضر؟ (١)••• هذه هى فى حقيقتها كل مشكلة التنبؤ باحتمالات المستقبل فى اليقظة عن طريق العقل الواعى ، وفى النوم أو الغيبوبة الوساطية أو المغناطيسية عن طريق العقل الباطن ، بعد اعطائه تعريفه الصحيح بوصفه عقل الانسان الذى يعمل عن غير طريق المخ ، وبغير ارتباط محتوم به •

فمن يطلع على أبحاث الباراسيكولوجى يبدو له مفهوما أمر الأحلام والرؤى الصادقة التى تحدث كثيرا ، وتصدق صدقا كاملا أو جزئيا • وتقف السيكولوجيا المادية ازاءها حائرة • فهى اما تنكرها رغم تواتر

(١) يقول الفيلسوف ابن سينا « لو أمكن انسان من الناس أن يعرف الحوادث التى فى الأرض والسماء جميعا وطبائعها لفهم كيفية ما يحدث فى المستقبل » .

الروايات فى شأنها ، واما تسلم بها دون أن تعللها — سواء أكانت أحلاما صريحة أم رمزية — واما قد تعزوها الى العقل الباطن دون أن تبين كيف يتأتى للعقل الباطن أ نيرى المستقبل — فى بعض الأحيان — مع أن من المسلم به بحسب هذه السيكولوجيا ذاتها أن كل ما ينزلق الى العقل الباطن من مشاعر ومعلومات ينبغى أن ينزلق اليه عن طريق العقل الواعى مارا به أولا ، وهو ما لا يحدث فى كثير من الأحلام الصادقة .

فاذا أضيف الى ما تقدم أن النوم قد يكون فى بعض صوره غيبوبة وساطية ، أو طرحا روحيا حقيقيا — بغير انفصام للحبل الأثيرى الذى يصل ما بين الجسدين الأثيرى والمادى — لتبين الى أى مدى يفتح العلم الروحى الحديث فى مجال النوم والأحلام والتنبؤات أبوابا جديدة للبحث والتحرى لا يدرك شيئا منها المذهب المادى ، ولا يكفى فيها الوقوف عندما ورد فى بعض كتب الأولين وتفسيراتهم .

* * *

وهذه الظواهر لا يصح من الناحية العلمية الصرف وصفها بأنها « خوارق » بمعنى أنها تتضمن خرقا للقوانين الطبيعية ، فلا يمكن خرق قوانين الطبيعة على أية صورة من الصور ، وانما هى خاضعة لقوانين طبيعية أخرى لا تزال مجهولة من العلم المادى ، فيما عدا أقل من القليل الذى أمكن استكشافه حتى الآن فى نطاق العلم الروحى .

وبعبارة أخرى أن طائفة من هذه الظواهر قد يكون خرقا للقوانين المادية المعروفة منا لأنها عاجزة فى وضعها الحالى عن تفسير هذه الطائفة ، ولكنها ليست خرقا لقوانين الطبيعة التى يكمل بعضها البعض الآخر ، وقد يعطل بعضها البعض الآخر ، أو يبطل مفعوله ، متى توافرت الشروط المطلوبة لذلك . فقانون الجاذبية مثلا يؤدى الى سقوط الطائرة على الأرض ، ولكن محرك الطائرة يعطل مفعول هذا القانون الى حين فيجعلها ترتفع فوق السحاب ، ولكن فى نطاق معين وبشروط محددة وهكذا ...

ولذلك يقول سير الفرد راسل والاس فى مؤلفه عن « المعجزات والروحية الحديثة » (١) ان « المعجزة حدث مادى يقوم به عامل عاقل غير منظور ويؤدى الى نتائج لا تفسرها القوانين المعروفة » . ويعلق البحاثة ستانلى دى براث Stanley de Brath فى مؤلفه عن « الفلسفة الروحية » (٢) على هذا الرأى قائلا أنه « اذا أمكن تدعيم ذلك بشهادة غير متحيزة فان أساس علم الروح يكون قد وضع . وتدخل المعجزة ضمن مصطلحات لا تختلف عن عالم التسلسل والاحساس ، وتصبح الميتافيزياء بعد ذلك علما تجريبيا ، على حين اذا قدمت هذه العوامل العاقلة غير المنظورة بينه لا تدحض عن شخصياتها فان مسألة حياة الانسان بعد الموت تدخل فى منطقة الأمر المدرك الواقع » .

فاذا أضيف الى ذلك أن الرياضة الحديثة قد وصلت الى كشف حقائق كثيرة عن حقيقة الكون ، وبخاصة عن معنى المادة والطاقة ، وعن امكان تبادل التحول بينهما ، وعن عدم قابليتهما للفناء ، وعن الصلة المحتومة بين العقل والمادة ، وتأثير العقل فى المادة ، وعن معنى الزمان والمكان والارتباط بينهما ، لتبين لنا الى أى مدى ينبغى على العلم المادى أن يتواضع قليلا ، وأن ينزل - ولو بعض نزول - عن بعض افتراضاته السابقة ، كيما يسلم بامكان صحة هذه الظواهر غير المألوفة . ولو فى طائفة معينة منها لعدم تعارضها مع هذه الحقائق العلمية الثابتة .

واذا أضيف الى ذلك أيضا أن الباراسيكولوجى وصل بدوره الى حقائق ثابتة عن قدرة العقل ، وبخاصة فى نطاق الادراك عن غير طريق الحواس ، والايحاء ، والتخاطر ، والتنويم المغناطيسى - وهذه كلها موضوعات مترابطة فيما بينها وفيما بين معطيات العلوم الحديثة - لتبين الى أى مدى ينبغى التسليم بهذه الأمور كحقائق مقررة تتفق اتفاقا

(١) Miracles And Modern Spiritualism.

(٢) Spiritual Philosophy.

واضحا مع ما سجلته الكتب الدينية من أحداث معينة وصفت فيما بعد بأنها « خوارق ومعجزات » •

ولنقف هنا مثلا عند أمر واحد ثبتت صحته علميا فى نطاق التنويم المغناطيسى ، وهو يربط بين حقائق النفس والروح برباط له قيمته البالغة عند من تعود أن يبحث عن هــذه الحقائق للخروج منهــا بأعظم الدلالات وبأوثقها صــلة بحقائق الحياة • فقد تبين فى التنويم المغناطيسى أنه توجد درجة رابعة لا يتحدد فيها ادراك المنوم بالزمان ولا بالمكان ويفقد من قام بتنويمه سيطرته عليه تماما وذلك بعد المرور بحالة التخشب catalepsie ثم بحالة الســبات الساكن léthargie ، ثم بحالة الحركة النومية أو السباتية somnambulisme (١) • وهذه الدرجة الرابعة تثبت عند غالبية علماء التنويم المغناطيسى أن للانسان وجودا روحيا قائما بذاته ومستقبلا تماما فى مقوماته عن المخ والجسد المــادى ، أو بالأدق أن الانسان عبارة عن روح ترتدى مؤقتا جسدا ماديا •

وهذه الدرجة الرابعــة من التنويم المغناطيسى أدت فى أحوال كثيرة الى ظهور قدرة المنوم مغناطيسيا على الاتصال بأرواح « أموات » ، وعلى الادلاء بمعلومات كثيرة صحيحة لا يتقيد فيها بقيود المكان ولا الزمان • أليست هذه القدرة يصح وصفها بأنهــا عبارة عن « معجزة » أو قدرة خارقة للمألوف ؟ ولكنها كما قلت خاضــعة فى النهاية لطائفة من قوانين الطبيعة التى كانت مجهــولة تماما من علوم القرن الثــامن عشر ، ثم بدأ انسان القرون التالية يضــع يده عليها تدريجيا ، وفى مشــقة بالغة وحذر شديد ، ولكن بوصفها حقائق علمية لا اعجاز فيها •

مفــاد ذلك كله

ومن ثم يكون من المفهوم احتمال قدرة اللاشــعور على رؤية بعض احداث المســتقبل رؤية صحيحة ولو على نحو ما وفى أحــوال نادرة •

---

(١) لنا الى ذلك عودة فيما بعد فى الباب التاسع ، وذلك للصــلة الوثيقة بين اللاشعور ، والتنويم المغناطيسى ، والعودة للتجسد .

كما يكون من المفهوم أيضا احتمال قدرة اللاشعور على رؤية بعض أحداث الماضى رؤية صحيحة ولو على نحو ما ، وفى أحوال نادرة . وذلك كله ما دام أن المستقبل لا يعدو أن يكون — بحسب تعبير أينشتين — عبارة عن ماض آت ، وأن الماضى لا يعدو أن يكون مجرد مستقبل قد فات !!

وهذا النظر كله لا يكون متصورا ومفهوما الا فى ظل فهم رباعى لأبعاد الكون تتداخل فيه على نحو أو آخر أحاسيس الزمان بأحاسيس المكان الذى تحل محل هذه وتلك أحاسيس « الحالة » . ولذا قال أينشتين « اذا كانت نظريتى عن الكون صحيحة فلابد أن توجد قوى ادراك رباعية الأبعاد » (١) . وهذا هو ما يتحقق بصورة جزئية فى بعض حالات النوم ، وفى بعض حالات الغيبوبة المغناطيسية ، والروحية . وفيها كلها قد ينشط اللاشعور الى استعراض بعض أحداث الماضى القريب أو البعيد للروح .

ومن ذلك مثلا تنقل احساس أحد النائمين من الشعور بأنه ذو نفوذ وسلطان ، الى متسول يقف على باب دار ، الى مغامر يجتاز الأدغال حيث يغتاله أحد الأشخاص ، أو يفترسه أحد الوحوش ، الى بحار يجوب أعالى البحار ... فمن الجائز علميا الآن أن يكون هذا الشخص قد مر باختبار حقيقى أو آخر من هذه الاختبارات فى أحد تجسداته السابقة ، بغير أن ننفى دور الرغبات المكبوتة ، وتداعى المعانى ، وقدرة اللاشعور على أعطاء رموز متنوعة ، أو أشكال عقلية متباينة . فكل تفسير منها لا ينفى الآخر ، وكل هذه التفسيرات مجتمعة لا تنفى دور الحالة الصحية والهضمية ، واختبارات الأمس القريب ، لأن المطلوب هو الوصول الى تفسير عام شامل يغطى جميع الأحلام العادية والشاذة ، فان فى الأحلام

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » . الجزء الثانى ص ٣٤٥ — ٣٧٠ .

أيضا ما هو عادى وما هو شاذ كما هو الشـــأن فى كل ظواهر الشعور واللاشـــعور (١) •

* * *

ومتى ثبت أن حياة الانســـان الراهن تمثل تجســـدا عارضا جزئيا لجانب فحسب من وعيه ، فان هـــذا الثبوت يجر وجوبا الى التســـاؤل عن مصير باقى جوانب الوعى ، ولمـــاذا يتجسد مؤقتا جانب منه دون آخر ؟ واذا كان التجسد المؤقت ضروريا لنمو هذا الجانب المتجسد من الوعى فلماذا لا يكون لازما لنمو باقى جوانبه ؟ وكيف يتأتى أن يحدث التناسق المرجو بين جوانب الوعى المختلفة اذا كان بعضها قد أتيحت له فرصة للنمو وللصقل لم تتح لباقى جوانبه ؟ !

ثم ان الألم لابد منه لنمو الوعى ، وهذه أيضا بديهية مسلم بهـا فلسفيا منذ أقدم الأزمان • والألم فى مستوى المـــادة وفير غزير ، وفى مستوى ما وراء المـــادة أقل غزارة بكثير فى الوضع المـــألوف للأمور • وذلك بالنسبة للانسان العادى أو المجرد abstrait الذى توضع له أقيســـة علم النفس ، والطب ، والطب النفسى ، بل وأحـــكام التشريع الوضعى أيضا •••

وكل هذه الاعتبارات مجتمعة تفرض نفسها فرضا على أن نثار بمعرفة العقل المنقّب فى مصير الانسان ، وفى احتمالات مستقبله القريب والبعيد ، وألغاز ماضيه القريب والبعيد ••• واذا ارتبطت هذه الاعتبارات بالاقتناع بدوام الحيـــاة بعد الموت كحقيقة وضـــعية ، فانها تجعل احتمال العودة للتجسد أمرا غير مفتقر الى أسانيد فلسفية ووضعية وطيدة وذلك حتى اذا تركنا جانبـــا الاستشهاد بفلســـفة الفراعنـــة والاغريق وبالأســـانيد

(١) ومن الطريف أنه ورد فى ورقة البردى « أنانا » التى ترجع الى سنة ١٣٢٠ قبل الميلاد هذه العبارة وهى « أن الانســـان لا يذكر حيواته السابقة الا فى الحلم أحيانا أو كفكرة مرتبطة بحادثة سابقة » .

والنصوص المنزلة وبمعتقدات الشرق الأقصى برمته وبالهـامات كبـار الفلاسفة والمفكرين •

فاذا أضيف الى ما تقدم التحقيقات العلمية الدقيقة التى يجريهـا الآن كبار العلماء والتى تجرى باتباع عـدة سبل ، وفى عدة بلاد ، وعلى مدى سنين طويلة ، وما تكشفت عنه من نتائج ايجابية صارخة فى كثير من الأحيان لتبين لنا تماما أن المعارضة المرتجلة لم تعد تمثل موقفا علميا سليما ناهيك بحقائق الكون الأخرى ، التى يتعـذر اهدارها تمـاما فى هذا المقام أو فى مقام الفلسفة الروحية بوجه عام •

فنحن اذا وضعنا فى الاعتبار ، كل ذلك ، لتبين لنـا تماما لمـاذا اتجه جمهور علماء الباراسيكولوجى اتجاها واضحا وصريحا نحو القول بأن مبدأ العودة للتجسد ـ رغم غرابته المفرطة للانسان العربى أو الغربى العادى ـ مبدأ لا يجافى الواقع ، ولا يتعارض مع تعاليم الاعتقـاد ، أو الفلسفة ، أو العلم الوضعى ، متى أحسنا الفهم ، وكنا مخلصين فى محاولة تقصى الحقائق فى هذه الأمور الخطيرة التى أصبحت تلقى عناية متزايدة من جميع المنقبين فى حقيقة موضع الانسـان من هذا الكون غير المحدود ، بعد طول مقاومة عنيفة بلا أساس علمى ، أو بعـد طـول سبات عميق بلا هدف ولا جدوى •

بقيت نقطة لابد أن تثـار عن جهـل الانسان بماضيه ومسـتقبله أو بالأدق عن نسيانه لمـاضيه وعجزه عن تعرف خطى حياته المسـتقبلة فى مستوى المـادة ، ثم فى مستوى الروح ، فان هذا الجهل يخدم تطور الانسـان خدمات جليلة كمـا لاحظ بحق جوستاف جيلى ، ويكسب الانسان هدوءا فى حاضره واطمئنانا لمستقبله ، فما أتعس حاضر الانسان لو عرف ما يخفيه عنه المستقبل من أحداث سعيدة ، أو سيئة لابد أن تتداخل معا كما هى الحال دائما •

* * *

واحتمالات نمو أو ثراء ذواتنا العظمى لا تقف عند حد ، اذا ما أحسنا اختيار طريق تطورنا نحو الأمام . فمن يحسن اختيار طريقه يصل الى هدفه فى يسر وبسرعة ، أما من تنكب طريق الصواب فعليه أن يعانى بسبب سوء اختياره الكثير من الأهوال والمتاعب قبل أن يصل الى هدفه ، الذى قد لا يصل اليه أبدا ، مالم يغير من أساسه الطريق الذى اختاره لنفسه .

والانسان لا يحسن تخير طريق تطوره الا اذا عرف أولا كيف يحول ميوله القوية نحو الأمور المادية الى ميول اخرى قويه نحو الأمور الروحية . وهذا التحول لا يمكن أن يجىء بغتة ، بل هو مهمة التطور الطويل ، والفهم الأمين لرسالة العيش فى مستوى المادة لأعوام قد تقصر وقد تطول طبقا لتخطيط طبيعى تمتد جذوره الى ماضينا السحيق وترتفع أغصانه الى مستقبلنا البعيد .

وهذا كله يتطلب الارتباط بمفاهيم صحيحة عن علاقتنا بالكون . وحيثما تكون ارتباطاتنا وتطلعاتنا تكون أرواحنا أيضا ، ولذا قال سويدنبرج بحق أن « حب الانسان هو الذى يصنع له مسكنه » فخطوط ماضينا ، ومعها ارتباطاتنا وتطلعاتنا الحاضرة ، هى التى تصنع طريق تطورنا من حياة المادة فى كل هوانها الى حياة الروح فى كل مجدها الذى يفوق بمراحل كثيرة قدرة تصوراتنا الراهنة .

وهى التى تحدد لنا أيضا فترات بقائنا فى الأرض ، أو فى الأثير حيث قد تطول فترة الاقامة هناك فى المرة الواحدة لبضعة أيام ، أو سنين ، أو قرون ، أو أكثر . ولا قيمة لذلك لأن الزمن لا وجود له فيما وراء المادة ، وكل ما يلزم هو أن تهضم الروح فى كل اقامة لها اختبارات ماضيها السحيق ، وتستعد لتقبل اختبارات مستقبلها ، وذلك كله طبقا لنواميس طبيعية للروح مفرطة فى حكمتها وفى رحمتها للانسان. وهى نواميس لا تتأثر بزمان ولا بمكان كما هو الشأن فى كل النواميس

الطبيعية • كما لا تتــأثر أيضــا بأى انتمــاء ، أو رياء ، أو تســليم ، أو انكار •••

* * *

وثمة تساؤل هام هنا ، وهو أنه اذا كان تفسير كل هذه الظواهر المتلاحقة التى تنتمى الى فصيلة الظواهر فوق المألوفة ينبغى أن ينتهى الى قبول العودة للتجسد كمبدأ طبيعى ، فما الذى يدعو البعض الى تجاهل هذا التفسير المناسب أو المكابرة فيه حتى الآن ؟ •

كان من الممكن أن يتجه العلم الوضعى غير هــذا الاتجاه ويحاول بكل السبل الوصول الى تعليل آخر ، لو كان التعليل بالعودة للتجسد لا يتواءم مع ما حصل الانسان عليه من معطيات أخرى متنوعة عن حقائق الوجود المختلفة المتصلة بالوعى الانســانى ، وبالتطور وبالمــادة ••• وبوجه عام بالمبادىء العامة فى الطبيعة الانسانية ، وفى البيولوجيا ، وفى السيكولوجيا • ولكننا سنرى أن التعليل بالعودة للتجسد يبدو حتى الآن أكثرها التئاما مع المعطيات فى حالتها الراهنة ، ناهيك بمبادىء الفلسفة العامة ، والعقائد المقارنة منذ أقدم العصور حتى الآن ، على ما ســوف نوضحه فى الأبواب الثلاثة الأخيرة من الجزء الثانى •

ومع ذلك فقد تردد بعض العلماء فى قبول التعليل بالعودة للتجسد ، ولايزال البعض يتردد بسبب الارتباط المسبق برفض هذا التعليل ، وان كان العدد الأكبر منهم أخذ يتحول تدريجيا اليه بسبب تدفق الوقائع الصارخة من جهة ، وبسبب التئامها الصارخ من جهة أخرى مع المعطيات العلمية المتنوعة • الى حد أننا نتوقع أنه لن يمضى أكثر من عــدد محدود من السنين الا وقد أدرج الاعتقاد بالعودة للتجسد نهائيا بين هــذه المعطيات نفسهــا •

عن أحلام الأجنة ومشاعرها

ومن الكشوف الجديدة الجديرة بالذكر هنا أن العلم الحديث فى دراسته لعمل المخ مع الاستعانة بالرسام الكهربائى قد وصل الى حقائق

هامة عن نشاط المخ فى أثناء النوم ، وعن تأثره بالأحلام • ووصل العلماء الى الجزم بأن الجنين فى بطن أمه يحلم ، وأمكن صنع رسومات كثيرة لتسجيل نشاط مخ الجنين فى أثناء أحلامه ••• فبماذا يحلم الجنين ؟ وما هى الصور التى يشاهدها أو الأصوات التى يسمعها ، أو الأشياء التى يلمسها مع أنه بحسب المذهب المادى لا يكون قد اكتسب بعد شيئا من الحواس ، أو من قدرة الاحساس ، أو من الوعى ، أو من الذكريات الشعورية أو غير الشعورية التى تصنع الأحلام عند كل كائن حى ؟

أما من الناحية الروحية فمن المتصور أن تكون الذكريات السابقة للجنين ، التى انزلقت اليه من اقامته فى عالم المادة أو الروح هى صانعة هذه الأحلام ، وهى المسئولة الوحيدة عنها بعد اذ انزلقت من الشعور الى اللاشعور فى لحظة ارتباط الروح « بالمعتقل » المادى المعد لها فى رحم الأم بحكم نواميس التطور والارتقاء •

وهذا الموضوع وثيق صلة بموضوع آخر وهو مشاعر الأجنة وأحاسيسها وهى فى بطون أمهاتها • فانه يكاد يكون من المسلم به الآن أن حياة الجنين الشعورية تبدأ قبل الولادة ، لا منذ الولادة فحسب كما كان يقال فيما مضى •

وبالتالى فان حب الأم للجنين أو كراهيتها له (كما فى حالة الحمل غير المرغوب فيه ، أو فى ظروف المشاحنات الزوجية والطلاق) قد يكون له أثره فى طباع هذا الجنين بعد الولادة • ومثل ذلك قسوة الأب فى معاملة الأم أو كراهيته لها فى فترة الحمل لاعتبار أو لآخر ، فقد تترك هذه أو تلك بصماتها فى نفسية الجنين ، ولا تظهر هذه البصمات بطبيعة الحال الا فيما بعد الولادة ، وقد تحتاج فى بعض الأحيان الى تدخل

المحلل النفسانى فى الطفولة أو فى المراهقة(١) •

وقد يؤيد ذلك ما ذكره بعض الصحف حديثا وها هو نصه كما ورد بجريدة الأخبار الصادرة بتاريخ الثلاثاء ٥ نوفمبر سنة ١٩٧٤ : « أعلن الدكتور السير وليام لايلى الأستاذ بجامعة أوكلاند بنيوزيلاند فى محاضرة بلندن أمس أن الطفل الذى لم يولد بعد يشعر بالألم ، بل قد يشعر بالملل الشديد أثناء وجوده بالرحم •

وقال ان الرحم ليس بالمكان المظلم الممتلىء بالصمت ، وأن الطفل يتعلم فيه الرضاعة والشرب واستخدام رئتيه استعدادا للانتقال الى العالم • ويشعر أيضا بالبرد والصوت والضوء ، بل ويتذوق السائل المخصص لتغذيته ويشرب كمية أقل اذا كان مذاقه غير طيب ، ويصاب بالزغطة ، ويمص اصبعه ، ويستغرق فى النوم ويستيقظ » •

وبعبارة أخرى ان حواس الجنين تعمل قبل أن يخرج الجنين الى عالم الاحساس ، وقبل أن تتكامل حتى أدوات الاحساس الخمس المعروفة ، مما يدل على استقلال الشعور عن أدوات الاحساس وهو ما يلتئم مع المذهب الروحى للحمل وللولادة ، ويتعارض بداهة مع المذهب المادى الذى يربط بين الاحساس كوظيفة ، وبين أدوات الاحساس كوسيلة ، كما يربط بين الشعور والتفكير وبين اكتمال نمو المخ بوصفه المسيطر الأول والأخير على الجهاز العصبى للانسان •

(١) للمزيد راجع : J. G. Bennett : A. Spiritiual Psychology 1964 p. 54.

وثمة أبحاث تشير ــ كما بينت ــ الى أن بمقدور النبات أن يتألم وأن يشعر بالعاطفة . فاذا صح جدلا أنه كان بمقدور النبات الذى يتغذى من الأرض والهواء أن يشعر بالألم أفلا يكون ذلك بمقدور الجنين وهو فى بطن أمه ؟ ! (راجع ما سبق فى صفحة ٢٥٥ ــ ٢٥٨) •

خاتمة الجزء الأول

هكذا ينتهى الجزء الأول من الكتاب وموضوعه الأبواب الخمسة الأولى التى أشرت اليها فى الصفحة السادسة عشرة من المقدمة • أما الأبواب الخمسة الأخيرة المشار اليها فى نفس الموضع فهى موضوع الجزء الثانى من نفس الكتاب •

وفى خاتمة الجزء الثانى سوف يجد القارىء فهرسا تحليليا للجزئين معا ، يليه فهرس أبجدى لنفس الجزئين •

وقد رأيت اتباع هذا المنهج حرصا على عدم فصم الترابط بين موضوعات الجزئين معا ، سواء فيما يتعلق بتسلسل الموضوعات ، أم فيما يتعلق بترقيم الصفحات •

هذا وان كان الجزء الثانى مخصصا لخمسة أبواب فقط أسوة بالجزء الأول ، الا أن أبواب ذلك الجزء الثانى ـ فيما يبدو ـ أكثر تشعبا وأوفر ارتباطا بسائر العلوم الأخرى مما يقتضى الكثير من الأناة فى معالجتها • مما سيكون له صداه بالنسبة لحجم ذلك الجزء الثانى مقارنا بهذا الجزء الأول •

واذا كانت الأناة مطلوبة من المؤلف فى معالجة أمثال هذه الموضوعات التى تناولها هذا الكتاب ، فهى مطلوبة أيضا من القارىء حتى يتمكن من الحكم لها أو عليها • وذلك لفرط جدتها على الذهن فى غالبية الحالات ، ولفرط تغلغلها فى نواح شتى من العلوم الطبيعية والانسانية التى تنتمى الى فروع متنوعة من المعارف الانسانية التى أصبحت فى العصر الحاضر بمثابة المعطيات اللازمة للأخذ بزمام التطور العلمى : بل الثورة التى تجتازها الآن جميع العلوم الطبيعية والانسانية •

والله أسأل أن يهدينا جميعنا سواء السبيل ••

كلمة تحذير
واحتكام الى صوت الضمير

* * *

وقع فى يدى أخيرا كتاب عنوانه « التنويم المغناطيسى » صادر عن مكتبة الهلال ببيروت ــ اللعازارية . شارع الأمير بشير ، فى سنة ١٩٧٨ .

وهو كتاب صغير الحجم مكون من ١٥٦ صفحة ، وعلى غلافه عبارة فريدة وهى أنه « عرض وتقديم الدكتور ...»(١) ، دون أى بيان آخر عن هذا الدكتور الذى تحاشى أن يشير الى أنه مؤلف الكتاب لكنه لم يجد أية غضاضة فى أن ينقل العشرات من الصفحات التى قاربت السبعين صفحة من أحد مؤلفاتى وهو « الانسان روح لاجسد » .

أى أن السيد السند نقل تقريبا نصف كتابه من كتابى نقلا حرفيا بدون أية اشارة ــ فى المتن أو فى الهامش ــ الى المصدر ، وذلك رغم أنه أشار الى بعض مراجع لمؤلفين آخرين نقل عنها صفحات محدودة ، والله وحده يعلم مصدر باقى صفحات هذا الكتاب ! !

وطبعا تصور السيد الدكتور أنه عندما يضع على غلاف كتابه تعبير « عرض وتقديم » بدلا من تعبير « تأليف » فان هذا التعبير كفيل بأن يعفيه من واجب الالتزام بالأمانة العلمية ، وبأن يفتح له ــ على مصراعيه ــ باب العدوان على حقوق الآخرين ، بغير اعتبار لأحكام القانون ، أو لصوت الضمير ، فلا يشير بكلمة واحدة الى الكتاب الذى ينقل عنه جزافا تحت ستار « العرض والتقديم » .

وازاء هذا العدوان الصارخ أرجو الا تضطرنى الظروف مستقبلا للاحتكام الى القضاء العادل سواء فى مصر أم فى لبنان . وذلك فى مواجهة هذا الدكتور ، وأيضا فى مواجهة الناشر ، وهى « مكتبة الهلال ببيروت » ، التى وضعت بداخل الكتاب عبارة طريفة جدا ــ فى هذا المقام بالذات ــ وهى أن « جميع حقوق النقل والاقتباس واعادة الطبع محفوظة لمكتبة الهلال » ! ! ...

وأعذر من أنذر .

المؤلف

---

(١) أحتفظ باسمه مؤقتا حرصا على كرامته .

للمؤلف

(الطبعـات الاخيرة)

فى التشريع العقابى

- « **مبادىء القسم العـام من التشريع العقابى** » . ظهرت طبعته الرابعة فى سنة ١٩٧٩ .
- « **السببية فى القانون الجنائى دراسة تحليلية مقارنة** » . ظهـرت طبعته الثالثة فى سنة ١٩٧٤ .
- « **جرائم التزييف والتزوير** » . ظهرت طبعته الثالثة فى سنة ١٩٧٨ .
- « **جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال** » . ظهرت طبعته السابعـة فى سنة ١٩٧٨ .
- « **شرح قانون العقـوبات التكميلى** » . فى جرائم المخـدرات . الأسلحة والذخائر . التشرد . الاشتباه . التدليس والغش . تهريب النقـد . ظهرت طبعته الخامسة فى سنة ١٩٧٩ .

فى علمى الاجرام والعقاب

- « **اصول علمى الاجرام والعقاب** » . ظهرت طبعته الخامسة فى سنة ١٩٨١ .

فى الاجراءات الجنائيـة

- « **مبادىء الاجراءات الجنائيـة فى القـانون المصرى** » . ظهرت طبعتـه الرابعة عشرة فى سنة ١٩٨٢ .
- « **المشكلات العملية الهـامة فى الاجراءات الجنائيـة** » . ظهــرت طبعته الثالثة فى سنة ١٩٨٠ فى جزئين .

الجزء الأول : دراسات موسعة فى القبض والتفتيش . تكييف الواقعة . تنازع الاختصـاص الجنائى . الرقابة على الدسـتورية والشرعية . حق الدفاع . العذر القهرى . استظهار قصد القتل . دعوى البلاغ الكاذب . الدعوى المدنية .

الجزء الثانى : دراسات موسعة فى نظرية المصلحة فى الطعن الجنائى . الطعن فى الحكم باعتبار المعارضة كأن لم تكن . الصـلة بين جواز الاسـتئناف وجواز النقض . الطعن فى أوامر الاحالة والأوامر بألا وجه لاقامة الدعوى .

- « **ضـوابط تسبيب الاحكام الجنائيـة واوامر التصرف فى التحقيق** » ظهرت طبعته الثانية فى سنة ١٩٧٧ .

فى فلسفة التشريع

- « فى التسيير والتخيير : بين الفلسفة العامة وفلسفة القانون » ظهرت طبعته الثانية فى سنة ١٩٧٦ .

فى علم الروح الحديث

- « مفصل الانسان روح لا جسد » ظهرت طبعته الرابعة فى ثلاثة أجزاء فى سنة ١٩٧٥/١٩٧٦ .
- « التكوين الروحى وأسرار السلوك » ظهرت طبعته الاولى فى سنة ١٩٨٢ فى جزئين .
- « عروس فرعون وشوقيات جديدة من عالم الغيب » . دراسة تحليلية عن الالهام ، وعن الصلة بين عالمى الروح والمادة . ظهر فى سنة ١٩٧١ .
- « قصتى العظمى » . تعريب لتحقيق روحى استمر عشرين عاما قام به الأديب المعروف هانن سوافر نقيب الصحافة البريطانية . ظهر فى سنة ١٩٧٢ .
- « ظواهر الخروج من الجسد : أدلتها، دلالاتها » . مدخل الى علم جديد . ظهر فى سنة ١٩٧٥ .
- « فى العودة للتجسد : بين الاعتقاد والفلسفة والعلم » . دراسة فى تاريخ الانسان الذى يتجاوز حياته الراهنة . ظهر فى سنة ١٩٧٦ .
- « الاتصال بين عالمين » : وقائع حديثة ثبتت علميا فى أرقى المعاهد المتخصصة تبين حقيقة الاتصال بين عالمى الغيب والشهادة . ظهر فى سنة ١٩٨١ .

بالفرنسية :

- Essai Sur La Justice Pénale De L'Egypte Pharaonique Paris 1941.
- La Science Pénitentiaire et le Problème Des Jeunes Délinquants En Egypte, Paris, 1941.
- Des Ministres Comme Ordonnateurs Des Dépenses De L'Etat en Egypte Etude de droit Comparé, Paris 1942.
- Le Rôle des Organes de Poursuite dans le Procès Pénal en Egypte. Rapport Présent au IXe Congrès International De Droit Pénal à La Haye (du 23 au 28 Aout 1964) Revue Internationale De Droit Pénal 35 année. Nos. 3 et 4 p. 41 et ss.

بحــوث ومقــالات

- « بحث فى تحديد مركز المسئول عن الحق المدنى امام القضاء الجنــائى فى قانون الاجراءات » : مجلة «المحاماة» عددا مارس وابريل سنة ١٩٥٥ .

- « صحة القبض على المتهم تستتبع صحة تفتيشه ، ولو كان للبحث عن ادلة الجريمة لا وقائيا فحسب » : مجلة «المحاماة» عدد مايو سنة ١٩٥٥ .

- « الطعن فى اوامر غرفة الاتهام لا يكون الا لخطأ فى تطبيق القانون الموضوعى او فى تأويله ، دون البطلان فى الاجراءات او فى الامر » : مجلة «المحاماة» عدد يونية سنة ١٩٥٥ .

- « صنع قطع معدنية مشابهة للعملة المتداولة او اوراق مشابهة لاوراق النقد اذا كان من شأنها ايقاع الجمهور فى الغلط » مجلة « المحاماة » عدد فبراير سنة ١٩٥٦ .

- « العــذر القهرى وما يثيره من بحث فى الاجراءات الجنائيــة » : مجلة « المحاماة » عدد فبراير سنة ١٩٥٦ .

- « تكييف الواقعة وما يثيره من مشكلات فى نطاق التقسيم الثلاثى للجرائم » : مجلة « المحاماة » ابتداء من اكتوبر سنة ١٩٥٦ الى يونية سنة ١٩٥٧ .

- « الضوابط العامة للسببية فى قضائنا الجنائى » : مجلة «المحاماة» ابتداء من عدد نوفمبر سنة ١٩٥٧ الى سبتمبر سنة ١٩٥٨ .

- « بحث فى القضاء الجنائى عند الفراعنة » : « المجلة الجنائية القومية » عدد نوفمبر سنة ١٩٥٨ .

- « الطعن فى الحكم باعتبار المعــارضة كان لم تكن » : مجلة « المحــاماة » ابتداء من عدد ديسمبر سنة ١٩٥٨ الى مارس سنة ١٩٥٩ .

- « مناط مسئولية المتهم عن النتائج المحتملة ، ومبادىء اخــرى متصلة بالسببية وتقــدير العقــوبة » « المجلة الجنائية القومية » عدد مارس سنة ١٩٥٩ .

— « اعلان المحكوم عليه فى مواجهة النيابة أو الادارة لا تبدأ به مواعيد الطعن فى الأحكام » : مجلة « دنيا القانون » عدد ابريل سنة ١٩٥٩ .

— « حيث ينسد طريق الاستئناف ينسد طريق الطعن بالنقض » : مجلة « العلوم القانونية والاقتصادية » التى تصــدرها كلية الحقوق بجامعــة عين شمس عدد يوليه سنة ١٩٦٩ .

— « المسئولية الجنائية عن أخطاء الهدم والبناء » : «المجلة الجنائية القومية» يوليه سنة ١٩٥٩ .

— « المصلحة فى النقض الجنائى » : مجلة «المحاماة» ابتداء من عدد اكتوبر سنة ١٩٥٩ الى نوفمبر سنة ١٩٦١ .

— « استظهار القصد فى القتل العمد » : « المجلة الجنائية القومية » عدد نوفمبر سنة ١٩٥٩ .

— « المسئولية الجنائية للأطباء والصيادلة » : مجلة « مصر المعاصرة » عدد يناير سنة ١٩٦٠ .

— « نوع بطلان التفتيش فى القانون المصرى » : « المجلة الجنائية القومية » عدد مارس سنة ١٩٦٠ .

— « شفهية المرافعة امام القضاء الجنائى » : مجلة « مصر المعاصرة » عدد سنة ١٩٦٠ .

— « بعض الجوانب الاجرائية فى دعوى البــلاغ الكاذب » : مجلة « العلوم أبريل سنة ١٩٦٠ .

— « دور المحامى فى التحقيق والمحاكمة » : مجلة «مصرالمعاصرة» عدد يولية القانونية والاقتصادية » عدد يوليه سنة ١٩٦٠ .

— « ايجاب حضور مدافع مع المتهم فى جناية » : مجلة « مصر المعاصرة » عدد اكتوبر سنة ١٩٧٦ .

— « توحيــد العقوبات السالبــة للحرية » : مجلة « العــلوم القــانونية والاقتصادية » عدد يوليه سنة ١٩٦١ .

— « بين القبض على المتهمين واستيقافهم » : مجلة « العــلوم القانونيــة والاقتصادية » عدد يوليه سنة ١٩٦٢ .

- « تقـــرير عن مشروع قانون الاجراءات الجنائيـة » ، بالاشـــتراك مع الدكتورين محمود محمود مصطفى وحسن المرصفاوى : مجلة «المحاماة» عدد يناير ١٩٦٩ .

- « تقـرير عن مشروع قانون العقوبات والأحـداث » ، بالاشتراك مع الدكتورين رمسيس بهنام ومحمود نجيب حسنى : مجلة « المحـاماة » عدد فبراير سنة ١٩٦٩ .

تصـويب الخطأ

رقم الصفحة	رقم السطر	خطأ	صواب
١٣	١٦	وقتها	دقتها
١٧	٢٠	طبيعية	طبيعة
٩٢	٣	الرحى	الروحى
٣٢١	٦	الصورة	الصور
٤٢٣	٢٣	كباء	عناء
٤٩٢	١٠	حديثة	حديقة
٥٠٦	١٦	قائما	قاتما
٥٣٠	٨	نفذ	تفد
٥٤٣	١١	مستقبلا	مستقلا

قضيتي العظمى

بقلم هانن سوافر
نقيب الصحافة البريطانية

* * *

تعريب وتقديم
الدكتور رؤوف عبيد

* * *

« ان سوافر رجل صادق ، وليس بالساذج الذى تخيل عليه العوبة افاق ، وليس هو بالدجال الذى يحاول غش الآخرين وخداعهم . والواقع أنه تخصص فى التحقيق الصحفى لكبريات الجرائم ، فكان يعهد اليه دائما فك طلاسمها ، فليس من المعقول أن نتهمه بالتفليق ... وأنا شخصيا انصح بتصديقه لما أعهده فيه دائما من تحرى الصراحة والصدق فى كل ما يكتبه ...

ويمضى المؤلف فى سرد ما يمتع نفس القارىء العادى ، ويشبع رغبة البحث والاستقصاء فى الباحث المدقق ، ويغرى بغزو هذا الميدان الشائك الذى يضل فى أرجائه الفسيحة أمثالنا . ويا ليتنا نوالى ضغطنا عليه حتى ينجلى السر الأكبر ، أو نعود مدحورين مقهورين » ....

(الأستاذ الدكتور مصطفى الديوانى فى تعليق له فى كتابه الرائع بعنوان « قصة حياتى » ١٩٦٥ ص ١٣٤ ، ١٣٦) .

* * *

رقم ايداع ٣٤٥٠٧ / ١٩٨١

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحانى تليفون ٧٤٤٠٧٦

مفصّل

الإنسان روح لا جسد

طبعة رابعة فى ثلاثة اجزاء ضخمة كالآتى :

الجزء الأول : الخلود حقيقة وضعية (١٩٧٥) فى ١٠٧٠ صفحة

الجزء الثانى : الخلود والقضايا العلمية (١٩٧٦) فى ٧٧١ صفحة

الجزء الثالث : الخلود والقضايا الفلسفية (١٩٧٦) فى ١١٦٤ صفحة

نقاش موضوعى هادىء لعلاقتك بالكون وبنفسك فى ضوء
أحدث كشوف العلم وارفع مستويات الفكر المعاصر .

❊ ❊ ❊

لا غنى عنه للاطمئنان الى قدرك ومصيرك

❊ ❊ ❊

جميع كتب المؤلف تطلب من
دار الفكر العربى
١١ شارع جواد حسنى . عابدين . مصر
ص.ب : ١٣٠



صورة تجسد روح بدائرة الدكتور ايمودا Imoda من علماء تورينو بإيطاليا
وهى تبدو كما لو كانت لوحة من صنع فنان عظيم
(انظر عدة نماذج أخرى مع الإيضاح فى صفحة ٣٢١ - ٣٢٩)